

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأدب الجاهلي
وبلاغة الخطاب

(الأدبية وتحليل النص)

الدكتور عبد الإله الصائغ

الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب

(الأدبية وتحليل النص)

دار الفكر المعاصر - صنعاء

١٩٩٩ - ٢٠٠٠ م



الرقم الاصطلاحي: ٥٣,٠١١

الرقم الموضوعي: ٤٤٠

الموضوع: البلاغة

العنوان: الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب

التأليف: د. عبد الإله الصائغ

الإشراف والتنفيذ الطباعي: دار الفكر - دمشق

عدد الصفحات: ٥٨٤ ص

قياس الصفحة: ٢٥×١٧ سم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع

والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي

والمسموع والحاسوبي.

دار الفكر المعاصر

اليمن - صنعاء - جولة الجامعة الجديدة

ص. ب: ٧٣٢٧، هاتف ٢٢٤٣٣٢

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م

- أ -

أول الغيث

خطابنا في هذا الكتاب قائم على مُسلّمة منطقية ، نعرفها ولا نعترف بها !!
نستسيغها نظرياً ولا نسوّغها تطبيقياً !! والمسلمة التي نعنيها هي : أن الأدب الجاهلي
حالة إبداعية منفلّطة ، تتشكّل بالتأهي مع الموهبة الفائقة ، والتجربة الحادة ، والعاطفة
الحارة ، واللغة الانفعالية ، والحساسية المرهفة والتقاليد القارّة إزاء فضاءي الزمان
والمكان ! وأيّ ضير في ذلك ؟!

أما دراسة (أدبية الأدب) فهي حالة مختبرية ، ميدانها الحقل العلمي ؛ وينبغي
بقاء الفجوة عميقة وواسعة بين انفلات النص الأدبي وانضباط ديباجة الدراسة ، بين
المبدع منتج نصّ انفعالي ، ومحلل النص منتج هامش علمي !!

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن كوّة الاختصاص الفقهي ينبغي لها أن تضيق (ب)
و (عن) زحف الأقلام الشمولية ، التي تكتب في كل علم وفن ، فتؤلف الكتب في
النحو والعروض والبلاغة والفن التشكيلي ، والأدب الجاهلي وأدب صدر الإسلام
والأدب الأموي والأدب العباسي والأدب الأندلسي وأدب الفترة المظلمة (المظلمة) ،
والأدب الإحيائي والأدب الحديث و .. وو .. إلخ !!

إن دراسة الأدب الجاهلي القائمة على آليات تحليل النص حقل علمي معلمي
صعب ، يتطلّب اختصاصاً بحتاً ، وتجربة ميدانية كافية ، ووعياً مناسباً ، كما تتطلّب
الدراسة تفرّغاً وصبراً تامّين ، مع متابعة يقظة للمستجدات في فقه الأدب ، فضلاً عن

التراكم الإبتدولوجي المتاح . إن حلم هذا الكتاب يتمحور حول النص ليضع ثماره في سلة واحدة تكون بمتناول أيدي ثلاثة أنماط من المستهلكين : هم عشاق الأدب الجاهلي ، ومحلّوه ، وطلبة الجامعة .

وكتابنا المنهج لم يتدن ولم يتعال ، جرياً وراء الانسجام مع مرجعية كل نمط وذائقته ومبتغاه ، لأن الذهنية والمنهج العلميين قيمان بإرضاء الكافة دون استثناء ، والتواصل معهم بجميية ويسر . وعليه فقد توفّر مشروعنا على مفاصل الأدب الجاهلي ، التي شغلت وما زالت وستظل القارئ والدارس والمحلل ، متلبثاً عند الموضوعات والظواهر والأغراض والخصائص ، مستنداً إلى مساحة شاسعة وساطعة من النصوص المؤثقة ، منتفعاً بالتوصلات المبهجة ، التي نعم بها هذا الأدب الثمين ، من جهة المكتشفات الإيركولوجية الجديدة ، والدراسات التطبيقية الجادة ، والنظريات المعرفية الهامة .

ونسأل الله التوفيق .

عبد الإله الصائغ

أستاذ تحليل النص والأدب الجاهلي في الجامعة
المستنصرية (العراق) وجامعة صنعاء (اليمن)

- ب -

الكشّاف المفصّل ، الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب

+ أوّل الغيث

+ سنابل بين يدي الكتاب (مقدّمة في المسوّغات) .

• الأطروحة الأولى (مهاد وإضاءات)

+ الفصل الأول (الأدب الجاهلي بين الكيف والكم) :

جدل الأجيال الأدبية والسابق واللاحق - جدل الأزمنة الثلاثة : المستقبل والحاضر والماضي - لماذا الأدب الجاهلي - عشر إجابات مقترحة : الجدل الحادّ بين أقاليم العصور الأدبية/الثروة اللغوية والصوتية/المعرفة التاريخية والجغرافية والنويّة والحضارية والتقاليد المبهظة بالعنجهية : الوأد والعصبية والغزو والعتوّ ومطاردة حرّيّات الآخرين !! - إضاءات متصلة بتحليل نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف - الوهلات الإيقاعية الأولى - التلبّيات الجاهلية - أفانين الخيال والمجاز - مفهوم الجمال - مناهل الرؤية العروبية والقيمية - رؤى يوية النص الإبداعي - الصورة .

+ الفصل الثاني (عصور الأدب) :

حدود الجغرافية التاريخية لزمنية الأدب - تمييز الزمنية عن الفنية - العصور الأدبية كافة !! ابتداء من العصر الجاهلي وانتهاءً بالعصر الحديث - مقترحات لدراسة الأدب : الترتيب الزمني - الأغراض والغايات - القبائل - الأمكنة - الوضع السياسي والاجتماعي - منازل الشعراء ونجومياتهم - المصنوع والمطبوع - طبقات الشعراء الوبر والمدر - الولاءات

الدينية - مناهج مقترحة لدراسة الأدب الجاهلي - المنهج الفني - اللغوي - التاريخي -
الجغرافي - النفسي - الاجتماعي - البنيوي (الوصفي) - الإيديولوجي - الدلالي -
التكاملي .

+ الفصل الثالث (تفكيك المصطلحات) :

مستويات التفكيك (لغوية - تواضعية - تأسيسية)

- الأول يمتح من المعجمات اللغوية
- الثاني يمتح من كتب المصطلحات
- الثالث يمثّل وجهة نظر الكتاب أو الباحث ومستوى فهمه للمصطلح أو منهجه -
أدب - أدبية - عشر دلالات لغوية تتصل بالأدب - مكونات الأديب - الموهبة - الخيال
- التجربة - الثقافة - الانحياز إلى الحياة والخير - احترام المتلقي - الدربة - الأسلوب -
الأدبية والشعرية . عربي - أعرابي - جاهلي - قبلاطي - نقد - نقد جاهلي - كينونة
النقد الجاهلي - تسويق وجود نقد جاهلي : المعلقات والمنتقيات - حكومة النابغة - ذائقة
الجمهور - نعوت الشعراء - الفرسان - الصعاليك - الآراء - الوبريون - المدريون -
السرققات الشعرية - مطابقة الصفة للموصوف - تفرعات الشعراء - قدرة الوليد بن
المغيرة في صناعة النص - طرائق الشعر في ضبط إيقاع شعرهم ووزن قصائدهم - طريقة
النصب - طريقة التنعيم - طريقة الركباني - رغبة امرئ القيس في تنويع القوافي - بنية
السموط .

+ الفصل الرابع (الأدب الجاهلي في حاضنة البيئة) :

تحديد جغرافية الجزيرة العربية - التوزيع الديموغرافي - تهامة - الحجاز - نجد -
العروض - اليمن - مصادر دراسة جغرافية الجزيرة - خوارط متعددة تاريخية وقبيلية
ومائية وتجارية ، يمكن ملاحظة الحدود عليها والجبال والأسواق .

+ الفصل الخامس (جاهلية المجتمع العربي) :

الزمن العربي - مفهوم الزمن - رقي الحضارة عند العربي وتخلّفها عند الأعرابي -
دلالة الأمية بين الكتابة والوعي الديني والقيم العربية - معرفة العرب أسماء عدد من
الأنبياء وأخبارهم ؛ آدم ، نوح ، موسى - التصاوير التي ازدانت بها جدران الكعبة -
الحنيفية ملّة الفطرة - التطرّف الديني عند الحنس والطلس والحلة .

• الأطروحة الثانية (الشعر الجاهلي)

+ الفصل الأول (نشأة الشعر وأوليته) :

تأصيل مصطلح الشعر - دلالات شاعر ونبي وساحر وكاهن ومجنون - ابن رشيق
القيرواني يرى أن الشعر بدء نثراً !! (ثم توهّموا أعاريض جعلوها موازين للكلام)
الصلة بين السجع في النثر والرجز في الشعر - العرب تميّز جنسين ها : الرجز وتضعه
خارج الشعر ، والقصيد وتجعله مدار الشعر - جرجي زيدان رأى أن الشعر والغناء كانا
جنساً واحداً - اختلال موازين عدد من القصائد الجاهلية يطرح إشكالية
(الشعر/النثر) - عبيد بن الأبرص يلقي خطبة فتستقيم معلقة (أقفر من أهله
ملحوب) !! - الشعر والطقس الديني - الهجاء والسحر - ليبد يغزّب وجهه وهيئته عند
الهجاء - البابليون يستقبلون أول السنة وأول الربيع بالبكاء !! - قداسة الثور عند
القدماء (ثور - ثورة - أشيرة - عشتار) - الرثاء معادل رغبة الموت - رثاء الخنساء
محاكاة اللاوعي لتقليد دفن المرأة مع ولي أمرها - الهامة والصفّر والثأر - طقوس
سحرية : إمساك العرب عن البكاء حتى تدرك ثأرها - كي الجمل السليم بدلاً من المريض
بالعزّ - الحبيب يشق برقع حبيبته ليستر الحب - تعليق الحلي والجلاجل على الملسوع أو
اللديغ ليفيق وينجو - فقاء عين الفحل إذا بلغت الإبل مئة عدداً طرداً للحسد والنكد ،
وإذا ازداد العدد فقئت العين الثانية للفحل !! - خرزة السلوان تشفي العاشق من فتك

الحب - إيقاد النار بعد خروج الضيف الثقيل حتى لا يكرر الزيارة - ضرب الثور إذا امتنعت الإبل عن شرب الماء - عبور المرأة المقلات (العقيم) على جثة الشريف المقتول لترزق طفلاً شريفاً - إذا خدرت الرجل فتذكر الخدير حبيبته ذهب عنه الخدر - الصبي يرمي سنه المخلوع إلى عين الشمس لينال منها سناً أجمل - معرفة خيانة الزوجة بقراءة عقد خيط الرتم ، وعرق الفرس المهقوع - عقد السعف المشتعل في أذناب الثيران حتى ترمي بنفسها إلى أسفل الوادي كطقس من طقوس الاستسقاء - تعشير الغريب (النهيق عشر مرات) إذا دخل مدينة أول مرة حتى لا يصيبه وباؤها - تعليق كعب الأرنب على الصدر درءاً لأذى الجن (كذا) - تطور اللغة من الإشارة والرقص إلى الشعر - ترنية الشمس (قراءة في نقش يمني بخط المسند) طقوس الكهوف ورهباتها ورغباتها يرثها الشعر - من سبق من : الشعر أم النثر ؟ - وأي الشعر نعني وأي النثر ؟؟ - اللغة العربية لغة إيقاع ومجاز ومعان .

+ الفصل الثاني (الشعر الجاهلي وطبقات الرواة بين الرواية والتدوين) :

كثرة الشعر وقلة النثر - ضياع أدب عشرين قرناً سبقت العصر الجاهلي - رأي د . ناصر الدين الأسد في انصراف دلالة الأمية إلى سوى القراءة والكتابة - علم الرواية وآلياته في العصر الجاهلي - دور المخضمين والمعمرين في حفظ النصوص الجاهلية - تأويل نضج الشعر الجاهلي - وسائل الجاهليين في الاستذكار والكتابة - الشعر الجاهلي يورد إشارات تؤكد معرب العرب للقراءة والكتابة - العباديون يحترفون التعليم - الشعر الجاهلي جنوب الجزيرة بانتظار قراءة آلاف النقوش المكتشفة حديثاً في اليمن - الدكتور عبد العزيز المقالح يتحدث عما أثبتته الباحثون بشأن سفر أيوب عليه السلام وكتابته في اليمن - الوليد يعجب بقدرات حماد الراوية الخارقة على الحفظ والاستذكار - الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يحرق عدداً من الكتب الجاهلية مخافة أن تضلل الناس - رواة الشعر وحفظه نصوصه - دغفل الذهلي - عبيد بن شريفة - عبد الله بن

عباس رضي الله عنهما - الفرزدق - أبو عمرو بن العلاء - حماد الراوية - المفضل الضبي - خلف الأحمر - ابن الكلبي - أبو عبيدة - أبو عمرو الشيباني - الأصمعي - ابن الأعرابي - ابن سلام الجحفي - مقولتا القديم والمحدث - طبقات الرواة - خلف يستخف ممن يستخف بعمل الناقد - الشعراء الرواة - الرواة من غير الشعراء - رواة القبيلة - الرواة العلماء - الوضّاعون - العوائل الشعرية .

+ الفصل الثالث (نظرية الشك) :

آراء القدامى والمحدثين وآراء المستشرقين بقضية النحل - سبعة عشر دليلاً بين يدي نظرية الشك - اثنا عشر دليلاً لنقض نظرية الشك - محمد بن إسحاق ودوره في تهجين الشعر - نظرية رينيه ديكارت وأثرها في رواد نظرية الشك - تطرف طه حسين وإعدامه للشعر الجاهلي - تشجيع الشعراء من قبل النبي ﷺ والخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم - شارحو القرآن الكريم يستعينون بالشعر لتفسير القرآن الكريم - حسان بن ثابت الشاعر الملتزم - إعجاب النبي ﷺ ببعض أشعار عنزة وطرفة وقس والأعشى - أسباب ضياع المدونات .

+ الفصل الرابع (شياطين الشعراء) :

التفسير الميتافيزيقي للظواهر والأفعال المجهولة - الجانب السحري في طقوس هجاء لبيد للربيع بن زياد - الصلاة على الموتى - طبقة المشعوذين - نفي صفات الشاعر والكاهن والشاعر والمجنون عن النبي ﷺ - اثنا عشر رأياً تأويلياً - جغرافية عبقر وعجائبيته - أسماء شياطين الشعراء - هبيد/ابن واغم/هاذر/مدرك/مسحل السكران/الهوير/الهوجل/السعلاة/المعلاة - أفلاطون يرى الإلهام مصدر الفنون - كبير الآلهة (زوس) قابع في جبل الأولب - تسع ربوات يقسمن الفنون كما يزعم قدماء اليونان - مدرسة زهير مع صناعة الشعر وإلغاء فكرة الإلهام - رأي الجاحظ : (الشعر

صناعة وضرب من الصياغة وجنس من التصوير) حكايات شعرية ينتجها تأبط شراً يزعم فيها أنه تزوج أنثى الغول .

+ الفصل الخامس (المعلقات العشر وشعراؤها) :

تأصيل مصطلح (معلقة) - عددها - شعراؤها - آراء علماء الشعر المختلفة في سبب تسميتها وعددها وشعرائها ومقولة تعليقها على أسترار الكعبة .. المعلقات الست والسبع والثاني والتسع والعشر - معلقة عبيد بن الأبرص لا تستحق الشهرة فهي بعيدة عن جماليات شعر المعلقات - تقويم المعلقات - رأي ابن خلدون في المعلقات - عشرة مقترحات تسوّغ أهمية المعلقات وانتقاء الجاهليين لها - جدولان إحصائيان في تراتبية بحور المعلقات وقوافيها - اختلاف علماء الأدب الجاهلي حول تعليق المعلقات على جدران الكعبة ، فريق يرى التعليق وآخر لا يراه - نجيب محمد البهيتي : ملحمة جلجامش أول عمل شعري يعلّق على جدران المعبد - رأي الدكتور يحيى الجبوري - نحن مع فكرة تعليق المعلقات - تراجم الشعراء - جدولان الأول مصادر المعلقات العشر - ابن سلام الجمحي - ابن قتيبة - الأصبهاني - التبريزي - الشنقيطي - زيدان - البستاني . الجدول الآخر تضمّن وفيات الشعراء وفق التاريخين الهجري والإفرنجي - عملنا في المعلقات العشر - ترجمة الشعراء العشرة - نصوص المعلقات العشر - بحور المعلقات وقوافيها - شروح المفردات والصياغات الغامضة أو الشاردة - الحديث الشريف : ما وصف لي أعرابي وأحبت أن أراه إلا عنتره - النابغة شاعراً - النابغة ناقداً - عبد الملك بن مروان يعلل جاذبية شعر النابغة - الاعتذاريات - عبيد بن الأبرص شهد مقتل حجر والد امرئ القيس - النعمان يقتل عبيداً في يوم البؤس .

+ الفصل السادس (الفروسية وشعراؤها) :

تأصيل دلالتى (فارس / فتى) - الفروسية معادل أخلاقي للمروءة - الفروسية رتبة وليست حرفة - لبيد يرثي أخاه - اقتتران صورة الفرس بصورة المرأة - عنتره يفضل فرسه

على زوجه - التاهي بين الفارس والفتى - جدولان في أوجه الافتراق والاتفاق بين الفروسية والفتوة - فروسية طرفة من خلال معلقته - الفتى الفارس في مرثاة دريد بن الصمة لأخيه عبد الله - الفارس الفتى ربعة الكناني حمى الظعن حياً وميتاً - صورة الفتى الفارس في مرثي الخنساء - الفروسية وأغراض الشعر الأخرى ... قواسم مشتركة بين صورتي المدوح والمرثي - مرثية أوس بن حجر (أيتها النفس أجلي جزعاً) - عمرو بن معد يكرب يقرن الجمال بالفروسية - خصائص شعر الفروسية .

+ الفصل السابع (الصعلكة وشعراؤها) :

تأصيل المصطلح - تأويل الصعلكة - صعلكة الزعيمين حاتم الطائي وعروة بن الورد . صعلكة الفقراء - الشنفرى - عمرو بن براق - نفيل بن براق - تأبط شراً - السليك - مفهومات الصعلكة - ظاهرة الصعلكة من التحليل فالتأويل إلى التلوين - الصعلكة لصوعية أم قضية ؟ - طبقات الصعاليك وانحداراتهم - تأويل الحوار المصطنع بين الصعلوك والمرأة الحبيبة أو العاذلة - قصائد ومقطعات صعلوكية - الأعشى ابن الثمانين يتشبه بفتيان الصعاليك !! - مرثاة السلكة لولدها السليك - أئمة قرائن بين : صعلوك وفتى وفارس ؟ - الخصائص الفنية لشعر الصعاليك - التخفف من المقدمات الطللية - استثمار جماليات الإيقاع - الصورة المعجائية .

+ الفصل الثامن (موضوعات الشعر الجاهلي) :

- الغزل والنسيب - المديح - الارتزاق - الرثاء - الاعتذار - الهجاء - الفخر - التوثيب - السلام - الحكمة - الدين !! - أوجه الائتلاف والاختلاف بين غرض وثنان - ضغوط البيئة والطبقة على الغرض الشعري باتجاه المعنى والمبنى - المعلقات والمجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمرثي والمشوبات والملحمت والمنصفات - مدرستا الشعر المصنوع والشعر المطبوع - اقتران ألقاب الشهرة عند الشعراء بفنونهم الشعرية التي تميّزوا بها - مهلهل - المرقش - الفحل - المحبر - الصناجة - مقترحات لدراسة الأغراض - إشكاليات

منهجية - قصائد ومقطعات تثبت شواهد للأغراض الشعرية - المثقب العبيدي - ذو الإصبع العدواني - انعكاس ظلال المرأة على موضوعات الشعر - المديح فن مختلف عن الارتزاق - أوس بن حجر وبشر بن أبي خازم بين المديح والرثاء - يائية عبد يغوث الحارثي - علقمة الحميري - يغري ابنته (أجتني) برثائه حياً - رثاء القصور والممالك - اعتذاريات النابغة تاربخاً وفناً - اعتذاريات زهير لزوجته أم أوفى - الهجاء والسّحر واللعنة - أثر الكلمة إرث سحري قديم - سجن المهجو في أقبية القصيدة - أربعة موضوعات تقسم همزية زهير - الهجاء وجه ثان للفخر - الفخر وجه ثان للهجاء - صيفي بن الأسلت تنكر مرآه ابنته غب عودته من قيادة الأوس في حربها الطويلة - الحزن سمة قصيدة صيفي - فخر السموى - ظاهرتا التوثيب والإنصاف الشعريتان - عروبة لقيط والتزامه - صورة القائد والجند والعدو في عينيه لقيط - الفند الزماني يعتقد الحرب ظلماً والرحم مجناً - بكائيته (صفحنا عن بني ذهل) التي يسوّغ فيها محاربة قومه - مفهوم السلام في الذهنية الجاهلية - تبشيع صور الحرب - وتجميل صور السلام - زهير شاعر السلام - الحكمة فن يمتلك جمهوراً عريضاً - مقطعات وقصائد لزهير وهند ابنة النعمان - وأحيحة بن الجلاح - والمثقب العبيدي - بين (لا) و (نعم) - نماذج شعرية في الحكمة لعمر بن معد يكرب ولبيد وتميم وأبي ذؤيب - والمرقش - والنابغة - والأعشى - الشعر الديني - التجمعات الدينية في الجزيرة - التاجر عمرو بن لحي المستورد الوحيد للأضنام - صورة اليهودي وصورة المسيحي في الشعر الجاهلي بين الحانة والمضاربة التجارية - والمعبد - والدير - الهاجس الديني في شعر أمية بن أبي الصلت - قس والتأمل - زهير والتأله - عينيه لبيد والعاطفة الدينية - دائرة الوصف تضمنت موضوعات الشعر الجاهلي كافة - الوصف والصورة - الصور الأكثر انتشاراً في الشعر الجاهلي : المرأة - الأطلال - الأنواء - الناقة - الفرس - السلاح - الحرب - الحيوانات - الصحراء - الينابيع - النبات - الرحلة - الفارس - القصور والقلاع - الفصول - الأسواق - الملابس - سيناريو القصيدة الجاهلية - من أول بيت حتى آخر بيت - الوقفة على الطلل - البكاء -

كليشيات (فدع ذا) - السفر بديل عن الحزن - تشبيه الناقة بثور الوحش (أو أي حيوان آخر) - ظاهرة الصراع الدموي بين الحيوان المشبه به للناقة من جهة والصيد وكلابه من جهة أخرى ، الصراع بين الحيوان والأنواء ، - بين الحيوان والمجهول - رأي الجاحظ في لوحة الصيد وحذق مقولته : أن الثور يموت حين تكون القصيدة في الرثاء - وينتصر حين تكون القصيدة في المديح - الثور والدم والشمس - قداسة الثور عند الجاهليين - كافية زهير صورة أخرى للصراع . أبطالها قطاة وصقر - صورة المرأة الجميلة - هل طرد عمرو بن كلثوم المرأة من معلقته ؟ - أم أنه أولاهها عناية فائقة ؟ .

+ الفصل التاسع (خصائص الشعر الجاهلي) :

الشعرية والجاهلية - نظرية عمود الشعر : شرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته والإصابة في الوصف والمقاربة في التشبيه والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخيير من لذيذ الوزن ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشكلة اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينها . ا . هـ - مرجعيات الشعر - الخصائص مبدأ منهجي - وحدة الإيقاع - دلالات الإيقاع والوزن - الركباني مقام جاهلي منقرض - جدول الحركات والسكنات التي تقابل التفعيلات الثنائي المعتمدة في البحور - وحدة البيت - مخطط خيمة (بيت الشعر) - ترسيم الصلة بين بيت الشعر (فتح الشين) وبيت الشعر (كسر الشين) . دلالات عمود - سبب - وتد - فاصلة - محاولات جاهلية لاختراق وحدة البيت نهض بها النابغة وامرؤ القيس - صيغة أفعل في أحكام الذائقة الشعبية !! أغزل بيت ، وأمدح بيت ، وأخنت بيت - التقديم والتأخير الداليان وصلتها بتجليات النص أو انطفاءاته - وحدة الموضوع حبكة أخرى تشد أجزاء الموضوعات الصغيرة إلى الموضوع الرئيس - إشراك الطبيعة والجمهور في اللغة الانفعالية للقصيدة - ظاهرة الاقتران بين المرأة والمطر والقصيدة عند المنخل الإشكري وطرفة - ليل امرئ القيس والزمن النسبي - الصورة الفنية - ثمانية عشر نطاً للصورة : الصورة الواقعية - المجازية - الحسية - الذهنية - الجزئية - الكلية - المتحركة - الساكنة - الحية -

الميتة - البسيطة - المركبة - الصورة بين الثنائيات والأضداد - النقد الجاهلي قائم على معيار الصورة - طرفة ينقد خاله المتلمس (استنوق خالي الجمل) - ممية الخطيئة (وطاوي ثلاث) بانوراما جديدة - أسلوب الحكاية ضرب آخر من ضروب شعر الصورة - الواقعية - الشعر ثمره الواقع - اتهام الشعر الجاهلي بسلطة الحواس (الحسيّة) - قصيدتان نادرتان لأوس بن حجر - قصيدة تصف الطبيعة قبيل هطول المطر - قصيدة أخرى تصف فرار أوس أمام العدو - الزمكانية - آليات القصة - عينية سويد اليشكري (مخضرم) - لامية امرئ القيس - الأعشى رائد فن الحكاية الشعرية - الحكاية من خلال : أيام العرب والرحلة والوصل والبيئة - وضوح المعاني ودقة التعبير - جدل الذاتية والغيرية (أنا - هم) .

• الأطروحة الثالثة (النثر الفني)

+ مقدمة (مآزق الخطاب النثري الفني القبلاسي) :

المبدع الشامل - الفجوة بين الشعر والنثر - الارتجال يضيق الفجوة بين الجنسين - الشعر والنثر توأمان - الشعر أبصر النور قبل النثر - فن السيرة يخلط بين جنسي الشعر والنثر - سيرات : الزير سالم - عنتر وعبلة - ليلي العفيفة - القصة بين الشعر والنثر - النظرية الشفاهية أسهمت في تضيق الفجوة بين جنسي النثر والشعر - نظرية مونرو في شفاهية الإبداع الجاهلي - قراءة في قراءة مونرو - مفهوم د . عبد الله الغذامي للشفاهية - عصا الشاعر وعصا المايسترو كلاهما تعملان على ضبط الإيقاع - الشعر يموسق العواطف - غربة النثر الفني الجاهلي في الجامعات العربية - تسلط الشعر - استبيانات وزّعها الباحث على دارسي الأدب الجاهلي في عدد من جامعات الوطن العربي - الاستبيانات هتكت نظرة اللامبالاة عند المدرّسين والمحتصين للنثر الفني - العرب أمة الشعر وأمة النثر أيضاً - العرب أمة البيان - الشعر ديوان العرب والنثر ديوان

العرب أيضاً . جمهور النثر في الجاهلية فاق جمهور الشعر كما ونوعاً - ستة عناصر أسهمت في تخلف النثر عن الشعر .

+ تمهيد (أوراق النثر الفني) :

تقّاد النثر - الجمهور والحكّام - الشعراء تقّاداً - تجنيس الشعر والنثر - تفرّيع الأجناس - حدود التجنيس عند د . حاتم الصكر - حساسية التقّاد من الأجناس ثمرة مرة للذكرى القائمة حين وظف النازيون والفاشيون علم الأجناس لأغراضهم المهلكة - أنماط السرد عند العرب .

+ أنماط النثر الفني : - الخطابة - الأمثال - سجع الكهان - المنافرة - الحكاية - الوصايا - المعاهدات والأحلاف - الرسائل - الوصف .

أولاً : الخطابة : مساحة الخطابة - سبع مزايا ينبغي توفرها في الخطيب - أبرز خطباء العرب - قس بن ساعدة - علقمة بن علاثة - عامر بن الطفيل - أكثم بن صيفي - حاجب بن زرارة - الحارث بن عباد - الحارث بن ظالم - قيس بن مسعود - عمرو بن الشريد - عمرو بن معد يكرب - عامر بن الظرب العدواني - قبيصة الأسدي - كعب بن لؤي - هاشم بن عبد مناف - عبيد بن الأبرص - الحارث اليشكري - عمرو بن كلثوم - عمرو بن عمار الطائي - ضمرة بن ضمرة - ربيعة بن حذار - خويلد بن عمرو - وعبيد بن شربة الجرهمي - خطبة قس الإيادي - نصّها - أجواؤها - ترجمة قس - خطبة النعمان في بلاط كسرى - خطبة أبي طالب لرسول الله ﷺ - في تزويجه خديجة بنت خويلد - أغراض الخطبة الجاهلية : التحريض - السلام - الوئام - التبشير الديني - محاربة الفوضى والوثنية والقهر - التعزية - الوفادة - الصلح - المفاخرة - المباهاة - مساحة الخطبة بوصفها نصّاً - مساحة الخطبة بوصفها أدباً جماهيرياً - صورة الخطيب في اشتراطات قدامة بن جعفر .

ثانياً : الأمثال : - تأصيل المصطلح - أعلام دونوا الأمثال - ورود بعض الأمثال على السنة الحيوانات والهوام - تشريح الاستعارة التثيلية - بنية المثل - مخططان لبيان أنساق المثل - منهج الميداني في جمع الأمثال - تشريح ستة أمثلة بآليات المغزى - نصوص مختارة لأمثلة جاهلية .

ثالثاً : سجع الكهّان : - تفكيك المصطلح - الاستضاءة بالوثائق الأدبية - تغريب هيئات الكهّان ومقولاتهم - ستة نصوص من سجع الكهّان - عوف بن ربيعة - الزرقاء ابنة زهير - الزبراء الرثامية - عزي سلمة - سطيح الذئبي - شق بن صعب .

رابعاً : المنافرة : مفهومها - حرب سلاحها الكلمات - بروتوكولاتها - دور الجمهور والقاضي - أسباب التنافر - التنافر على حق يدعيه كل طرف لنفسه وينفيه عن غيره - زعامة القبيلة - ملكية الأرض - ملكية الماء - خطبة فتاة - حيادية مكان المنافرة - التقاليد المسكوت عنها - التقاليد المتبعة - شغب الجمهور - مروءة الجمهور - دور المنادي - الرؤية العروبية منعت قضاة المنافرة عن تشجيع المنافرة لأنها تبدد الجهد ، وتفرّق الجمع ، وتزرع الضغائن - مقطع طويل من كتاب الأغاني حول منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة - اختلاط إيماءات الشعر بإيماءات النثر في المنافرة - وقوف ليبيد والأعشى مع عامر بن الطفيل - وقوف الحطيئة والسندري مع علقمة بن علاثة - قضاة المنافرة ورؤيتهم العروبية - مروءة القضاة - منافرة العجفاء ضد صديقاتها الثلاث - الاحتكام إلى الكاهنة - الكاهنة أعادت المحبة إلى أفئدة الصديقات الأربع - الفخر والهجاء قبالة الإيذاء - تقويم المنافرة - سبعة قضاة اعتذروا عن التحكيم في منافرة عامر وعلقمة لأسباب عروبية وهم : هرم الفزاري ، وعامر بن مالك ، وأبو سفيان بن حرب ، وأبو جهل بن هشام ، وعيينة بن حصن ، وغيلان بن سلمة الثقفي ، وحرملة بن الأشعر المزني - أيها المعول عليه في المنافرة : جمال الأسلوب أم مكر المعنى ؟؟

خامساً : الحكاية : الدلالات والحدود - تداخل دوائر الحكاية الثلاث - الراوي - النص - المتلقي - أنماط الحكاية - الحكاء (تشديد الكاف) راوية الحكاية استناداً إلى الزمخشري ت (538 هـ) - جدل الحكاية والمثل - إذا قصر نفس الشعر طال نفس الحكاية - التداخل بين الحكايات الشعرية والنثرية - قيادة النص الحكائي وتأويلاته - الشفاهية والحكاية - نصوص ست حكايات جاهلية : الحية والكنز - الغريبان - زكارة أولاد نزار - شن وطبقة - جزاء النصيرة - بنت الضيّن - طرفة التكاذب .

سادساً : الوصايا : - فن شائع - لماذا الوصايا ؟ - خمس وصايا - وصية النعمان الشني - أم البنت - عامر بن الظرب - المنذر - أكثم بن صيفي - مجلة لقمان مجموعة وصايا كانت مجوزة سويد بن صامت - تداخل الوصية والحكمة والخطبة - وظائف الوصية .

سابعاً : المعاهدات والأحلاف .

ثامناً : الرسائل .

جهود ابن الكلبي ، وأبي عبيدة ، وابن هشام ، وابن حبيب ، والسجستاني ، والجاحظ في الحفاظ على إرث المعاهدات والأحلاف والرسائل - إشكالية منهجية تعتور الباحث - المعاهدات والأحلاف والرسائل وصلتنا بمعانيها ولم يلتزم المدونون بنصيتها - ثمة أكثر من ستة وعشرين مؤثلاً .

تاسعاً : الوصف : فن نثري راق - يتصل بمجاليات الصورة الفنية - عشرة نصوص في الوصف - أعرابي يصف رجلاً - جليلة تصف محنتها - وصف جمال ابنة عوف - وصف البرد - وصف الحر - وصف حاجب بن زرارة للعرب - المنذر يصف الجمال - مهلهل يصف الحرب - وصف الشيخوخة - وصف النساء .

+ خصائص النثر الفني : وحدة الموضوع - قصر النص - قصر الجملة - الاعتبار بالأولين - المبالغة في الوصف - نظرية النثر بالشعر - جاذبية الصورة - الإدهاش والإبهار - ورود تفعيلات بتلقائية تامة (فاعلاتن / مستفعلن / مفاعيلن) .

+ مصادر الأدب الجاهلي ومراجعة (تاصيل وإضاءات) : الحدود بين المصدر والمرجع - حذر علماء اللغة والمصطلح من الخوض في الحدود بسبب التداخل - مقولات مهمة للدكتور عز الدين إسماعيل - والأستاذ محمد عجاج الخطيب ، ود . الطاهر أحمد مكي - مقترحات لترسيم الحدود بين مصدر ومرجع .

+ جريدة المصادر والمراجع : وقد تضمنت أمات المصادر والمراجع التي استثمرها كتابنا ، ولم نغفل الكتب المساعدة والمظان التي تبدو في الظاهر بعيدة عن دائرة الأدب الجاهلي بيد أننا اقتبسنا منها إرشادات أضاءت لنا فكرة ما ، أو عززت رأياً ما .. مثل كتب الإيقاع والعروض ، والشعر الحديث ، والفلسفة فاقتضت الإشارة .

مقدمة الكتاب

« سنابل بين يدي الكتاب »

1 - فاز الأدب الجاهلي (PRE- ISLAMIC LITERATURE) باهتمام الدارسين ، قدامى ومحدثين ، عرباً وأجانب ، ناعماً بذائقة جمهور واسع موال لأدبيته ، يشكّل أغلبية الشارع الثقافي ، فإذا اختلف القراء المختصون في أدبية أي عصر من عصور الأدب ، فهم متفقون على أدبية النص الإبداعي الجاهلي وقيمتها الفائقة ، وسوف يظل السؤال عن سرّ تجدد جمرة هذا الأدب رغم الفجوتين الشاسعتين العميقتين (الزمن والحساسية) اللتين تفصلان منظوماتنا المعرفية والجمالية ومنظوماته . يظل هذا السؤال مفتقراً إلى إجابات علمية مقنعة مستندة إلى آليات علم تحليل النص (TEXT ANALYSIS) ، وعلم الجمال (AESTHETICS) وفق مرجعيات متعددة ومناهج مختلفة واجتهادات متباينة . ثم يواجهنا جمهور الأدب العريض بهذا السؤال البسيط والمركّب معاً :

لماذا تستفز ذائقتنا معلقة طرفه بن العبد - مثلاً - ولا نستشعر الحالة ذاتها - أحياناً - مع قصيدة معاصرة ؟!

أين مكن الخلل : في الذائقة ؟ أم في العصر ؟ أم في النص ؟

إن الجواب بسيط ومركّب معاً .. حاولنا أن يكون بهيئة كتاب .. فكان لنا ماأردنا . وسنجد في مفاصل الكتاب أن النص الإبداعي الجاهلي عبّر دون حذقة عن هموم عصره المتشعبّة : الهموم الاجتماعية والوجودية والجمالية مستنداً إلى حالات فائقة

من الصدق الفني ، فهو (النص الإبداعي) دائرة مغلقة ، مركزها القراءات المتعددة ، ولعل أول القراءات وأجدها تمثل في قراءة الجدل الموضوعي والذاتي بين النص الإبداعي ومعطيات المكان ، والمكان وحده قيمة كبرى تضمن إن أحسن الحوار معها النص الإبداعي بأسرار النمو والبقاء داخل مركزية الضمير الإبداعي الجمعي ..

2 - لقد جرب كتابنا هذا فكرة المزاوجة الموضوعية بين نصوية النص وخصوصية التأويل ، متجنباً التنطع والتحلل للذين يعزلان العلة عن المعلول ؛ والنص عن حاضنته الطبيعية ، فشغلت أطروحاته الثلاث بتحليل مستويات النص الجاهلي (الشعر ، النثر ، الإشارة ، الحادثة ، الظاهرة ..) ودأبها تعددية القراءة الممهّدة لمسوغات التحليل والتأويل والتلوين ، ولم تشأ هذه الأطروحات الارتياز إلى التلوين إلا في حالات (نادرة) لم تتعد أصابع اليد الواحدة !! حين تضطرنا المعضلة العلمية إلى ترميم نص مشروخ ، أو مخروم ، أو مكسور ؛ يعاني خلافاً في حَرْفِيته ، أو نسبته ، أو جنسه ، أو فرعه ، أو مناسبه !!

3 - تظل (ولزمن طويل) قارة الأدب الجاهلي بكرة شديدة الخسوبة وفيرة الكنوز ؛ مع تنامي البحوث والدراسات والترجمات التي ما انفكت تحرث وتنقب وتستكشف .. ثمة الكثير الذي لم يدرس بعد ، أو لم يكتشف بعد ، أو لم يقل بعد !! زد على ذلك الاحتمالات المبهجة المفتوحة على الحفريات الهيمية الدؤوبة التي تشهدها جزيرة العرب شمالاً وجنوباً ، وهذه الحفريات الميونة تنهي إلى انتظارنا نبأ خطيراً كل شهر تقريباً ، وكشفاً كبيراً ! لقد تجمعت في البين وحدها آلاف الرُّقْم والنقوش وهي قينة - يقيناً - بإضاءة العتمات وتصويب المعلومات ، بما يغني الباحث الرصين عن (التلوين) الذي يرمّم النص بمحمولاته ومتونه وهوامشه ، ولسوف تشهد السنوات القادمة زلزلاً في الفناعات البحثية القائمة على الأدب الجاهلي ، حين تصل هذه المكتشفات إلى أوراق الباحثين ، وحين تضحي آليات علم تحليل النص متداولة وقد نهد (مركز الدراسات والبحوث البيني) لإصدار بعض الكتب المهمة المتضمنة نقوشاً مسندية

مع ترجماتها وتعليقات علمية حولها ؛ ونحن ننتظر المزيد والمزيد من إسهامات مراكز الدراسات والبحوث في الوطن العربي وفق خطة مركزية للتنسيق والتعجيل وتبادل الخبر والمعلومات لتظهير معطيات المكتشفات الجديدة .

4 - يجهد كتابنا ويمتهد ابتغاء ردم الفجوة المعرفية التي حفرتها الكتب المنهجية الشائعة في جامعاتنا العربية مع الأسف ، (نستثنى عدداً قليلاً من الكتب الجامعية المنهجية الرصينة) تلك التي يسودها غطان من صنّاع الكتاب المنهجي !!

الأول .. هم التجار والحريّفون من حملة الماجستير أو الدكتوراة أو الدرجة العلمية الرفيعة ، مستثمرين رغبة الطلبة في الاستناد إلى كتاب أو ملزمة لغرض التعويض عن الغياب والتهيؤ لامتحان !! وحسابات الإدارة المالية ، وسخاء دور النشر المترسة في ابتزاز الطالب والجامعة !! وللواحد من هؤلاء سبعة رؤوس وعشرات الأيدي فإذا أغضبته وقومت فعاله (حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا) !!

والآخر .. هم المهارفون بما لا يعرفون ، مستثمرين غياب رقابة الضمير الجمعي والعلمي والإداري ، وحاجة الطلبة الجامعيين إلى كتاب يعتمدون عليه ، حين يستعدون لامتحان ، وقد زرع المهارفون في روع طلابهم أن الكتاب كفيّل بتيسير مشاكلهم العلمية وسبيل لاحب يوصل إلى النجاح !! نحن إذن يازاء كتب منهجية مطبوخة على نار حادة ، كتب تنسخ عن غيرها دون إحالة ، وتمسخ النص بالتحليل الساذج ، والتشكيل (ضبط الحركات) الخاطيء ، وهي إلى هذا تعاني من خروق فادحة الضرر في المنهج والمرجعية والعرض والتأويل ! فضلاً عن وجود كتب (مزمنة) في الأدب الجاهلي مضى عليها العقد والعقدان والثلاثة وصلت طباعاتها إلى العشرين والثلاثين دون تعديل بإضافة أو حذف بما ينسجم مع مستجدات البحث العلمي ؛ فكأن الزمن لا يلبث حيث يلبثون ، أو كما قال أرشيبالد مكليش (لاشيء يحدث ، لأحد يجيء ، ياللهول) .. فهذا الكتاب (...) قرأناه ونحن طلبة بكالوريوس ، وحين حصلنا على

الإجازة العالية قرناه لطلبتنا ، وحين حصل طلبتنا على الإجازة العالية قرروه لطلبتهم !! وأي كتاب منهجي يفتقد شرعية استمراره إذا لم يكن وكده في مراقبة المتغيرات العلمية والتوصلات البحثية ، وتشكّل أجيال جديدة من الأساتذة والطلبة ، لكي يحذف ويضيف ويعدّل ، فالحقيقة العلمية في تطوّر ونموّ مستمرين ، وما أكثر ما فاجأنا العلم بالكثير بين ليلة وضحاها ، والأدب الجاهلي ليس ديباجة إنشائية وإنما هو علم تامّ العلمية .

5 - عيّنت عضوية تدرّيس في جامعة الموصل العتيّدة عام (1984 م) ، وكلفّت بإلقاء محاضرات في الأدب الجاهلي على طلبة قسم اللغة العربية (كلية الآداب) ، وحرصت على أن تكون محاضراتي وفق منهج جديد في قراءة النص الجاهلي أسميته (المنهج الصوفي) ؛ ونالت المحاضرات ترحيباً مناسباً من طلبة البكالوريوس ، وطلبة الدراسات العليا ، مثلما نالت الترحيب نفسه من زملائي وأساتذتي ، فعرض عليّ الدكتور صلاح الدين أمين عميد الكلية فكرة صناعة كتاب في الأدب الجاهلي متوفر على مفردات المنهج المقرر ، وذكّرني بكتاباتي في الصحف والمجلات .. التي تعرّضت فيها - بكل صراحة - لمحنة الكتاب المنهجي وبخاصة الأدب الجاهلي ، فسعدت بعرض الأخ العميد ، بيد أنني اعتذرت له عن تأليف كتاب منهجي ، فالوقت بالنسبة لي لم يكن بعد لصناعة كتاب مقرر للطلبة !! وحاول الأخ العميد مرات ومرات كسر قرارتي وقد انضمّ إليه الدكتور عبد الوهاب العدواني رئيس قسم اللغة العربية (وهو شاعر وباحث مجتهد) ولم تفض محاولة الصديقين معي إلى نتيجة واضحة ، إلا أنني أرجأت فكرة صناعة كتاب جامعي إلى وقت آخر فبدأت بجمع الجذاذات والتوفّر على المظان التي أحتاج إليها في شغلي .. ثم قادنتي حياتي المضطربة إلى تدرّيس هذا الأدب الجميل في جامعات الموصل والكوفة والمستنصرية (في العراق) وجامعة الفاتح (في ليبيا) وجامعة صنعاء (في اليمن) فتجمّعت لديّ غبّ هذه الملاوة (1984 - 1999) جذاذات مهمة كماً ونوعاً وخبرة ميدانية أضافت إلى منهجي الكثير ، فحذفت وعدّلت ،

والتدريس مرجعية مهمة لأيّ مشروع جامعي يمتلكه حلم الطبع والانتشار ، زد على ذلك السوانح العلمية التي هيأتني للإشراف على عدد غير قليل من الأطاريح العلمية (الماجستير والدكتوراة) فضلاً عن المناقشات والسمنارات وتقويم الكتب والبحوث .. ويمكن الاعتراف بأننا عوّلنا على هذه الخبرات الميدانية في تحليل وتأويل كثير من النصوص والظواهر .. وكأني غبّ هذه الملاوة أحقق رغبة صديقي عميد كلية الآداب ورئيس قسم اللغة العربية ، بل أحقق رغبة مكبوتة قمتها كل هذه الفترة وها إنني أضع كتابي الجامعي الأول في الأدب الجاهلي ، ليعود إليه الأعداء من القراء والطلبة والزملاء ، فقد حرصت على أن يتوفّر على مفردات المنهج المقرر للأدب الجاهلي بأقسام اللغة العربية في جامعات وطننا العربي الكبير . ولن ندعي أن كتابنا هذا مرشّح لسدّ كلّ الثغرات المزمّنة ؛ فمثل هذا الادعاء لا يزعمه الباحث المحترم لمروته العلمية ، وجهد فرد - مهما علم أو تعالم - لن يكون بديلاً عن جهد الفريق ، وينبغي أن يكون أي كتاب جامعي ثمرة فريق من العلماء وذوي التجربة ! لكن مثلنا في هذا المنعطف الحاد هو : « ما لا يدرك كلّه لا يترك جُلّه » ؛ هذا الكتاب (الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب - الأدبية وتحليل النص) محاولة مخلصة ويقظة لصناعة كتاب منهجي متوفّر على مسوّغات تداوله وقراءته مستفيداً من كتبنا التي أنجزناها في تحليل النص الجاهلي وهي :

- 1 - الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام (1982 م)
- 2 - الصورة الفنية معياراً نقدياً (1987)
- 3 - الإبداع الأدبي الجاهلي بين الواقع والتوقّع (1988 م)
- 4 - الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية (القدامة وتحليل النص) (1997)
- 6 - الأدب الجاهلي (أدب شعبي) وفق الحدود العلمية لهذا المصطلح ، فهو ثمرة

الذاكرة الجمعية لمنتجي النصوص الجميلة ومستهلكيها ، ولم يستشعر المبدع عهد ذاك غربة مع جمهوره ، كذلك الجمهور ، فهو لم يستشعر غربة مع مبدعه ، والنصوص المتاحة مبهجة ومفهومة بسبب انتشار اللغة الأدبية (الثالثة) قبيل الإسلام ، وإذا كانت لقريش لغة رسمية ، وللعرب الآخرين لغاتهم التي تشبه اللهجات في زماننا ، فقد ابتكر المبدعون لغة ثالثة ، وهي لغة أدبية متطورة عن لغة قريش مستثمرة شحنات الشائع من اللغات الأخرى ، ملاحظة التاهي بين (المبدع ، النص ، المكان ، المتلقي) ، والذائقة مهياة تماماً لتلقي النصوص في زمان لم يشغل الناس فيه شاغل عن الأدب ، فالحرب تتطلب الأدب ، والسلم يتطلب الأدب أيضاً !! والرغبات والرهبان والطقوس ، وحتى الحرف كانت تطالب المبدع بقول شيء يناسب المقام ! فكانت لغة الأدب مفهومة من قبل العرب والأعراب شمال الجزيرة العربية وجنوبها ، ومرغوبة ، الشاعر في سوق عكاظ مثلاً يكلم خاصته بلغة جغرافيته لكنه ينشد الشعر باللغة الثالثة وقد يجد من تُشكل عليه لغته ، ولكنه لن يجد أحداً تنفلق عليه لغة النص الإبداعي ، وسواء في ذلك الشاعر والخطيب والواعظ والحكّاء باستثناء الرهبان الذين يغربون سجمهم ، ويشحنونه بغرائبية اللفظ ، وعجائبية المعنى .

7 - صنع الأدب الشعبي (الأدب الجاهلي) نصوصاً عذبة وفق قوالب (كليشيات) وجاهزيات متداولة بين المبدعين وجمهورهم العريض ، بما يجعل الكتابة الأدبية فعلاً يسيراً إلى حدّ ارتجال القصيدة ، أو الخطبة ، أو الحكاية دون عناء ، ولنا أن نتذكر ارتجال الحارث بن حلزة معلقته الجميلة :

(أذنتنا بينها أسماء) .

في بلاط المناذرة ، ونتذكر أيضاً ارتجال عبيد بن الأبرص لمعلقته :

(أقفر من أهله ملحوب) .

وقد بدأها خطبة وألقاها قصيدة ! وارتجال قس بن ساعدة لخطبته التاريخية

الشهيرة في سوق عكاظ ، وهذه القراءة تقربنا من نظرية الأدب الشفاهي الجاهلي (ORAL COMPOSITION IN PRE ISLAMIC LITERATURE) التي استضأنا بها في القراءة والتحليل والتأويل ! وتطلس هذه النظرية بوجاهتها العلمية المقولات التي (تشق) الشعر والنثر الجاهليين ، تلك المقولات التي قادها رواد نظرية النحل من العرب والأجانب ابتداء من ابن سلام وانتهاءً بطه حسين ومارجليوث .

8 - وقد اخترنا المنهج الفني ARTISTIC METHOD سبيلاً لاستنطاق النص والغوص في الطبقات الغاطسة فيه لتحليل إشارات وظواهره وأحداثه ، واختيارنا المنهج الفني لم يحبسنا عن الاستفادة المحسوبة من مزايا المناهج الأخرى ، فاستفدنا تارات من معطيات المناهج : التاريخي ، والنفسي ، واللغوي ، والاجتماعي ، وإن هذا المنهج متوفر على طاقات ممتازة تقوى على مقارنة الهَمَّينِ المركزيين في النص الإبداعي : الدلالي والجمالي حين يتأهى الهَمَّان في النص ، إن استثمارنا لعدسات المناهج الأخرى يعزز المسار الوصفي لكتابنا ، ولا ينقل الهم من دائرة النص إلى منتجه ، ولا يقربنا من المعيارية ، فالأدب الجاهلي أدب مستحيل على نظرية قتل المؤلف التي نادى بها رولان بارت فثمة معان لا يمكن هتكها دون الاستضاءة بالتاريخ والجغرافية والمسار الإيقاعي للغة !! للمثال حسب .. قارن قول عنتره :

عذِبَ مَقْبَلُهُ لَذِيذِ الْمُطْعَمِ	إِذْ تَسْتَبِيحُكَ بِذِي غُرُوبٍ وَاضِحٍ
سَبَقَتْ عَوَارِضُهَا إِلَيْكَ مِنَ الْفَمِ	وَكَأَنَّ فَاةَ تَاجِرٍ بِقَسِيمةِ
غَيْثٍ قَلِيلِ الدَّمَنِ لَيْسَ بِمَعْلَمِ	أَوْ رَوْضَةِ أَنْفَاقٍ تَضْمَنُ بِنْتَهَا
فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرَارَةٍ كَالسُّدْرَمِ	جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ بَكْرٍ حَرَّةِ
يَجْرِي عَلَيْهَا الْمَاءُ لَمْ يَتَصَرَّمِ	سَحًا وَتَسْكَابًا فَكُلَّ عَشِيمةِ
غَرْدًا كَفَعَلَ الشَّارِبِ الْمُتَرَمِّمِ	وَخَلَا الذَّبَابُ بِهَا فَلَيسَ بِيَارِحِ
قَدَحَ الْمَكْبَ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ	هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ

فعنتره يشبه ثغر حبيبته بروضة خضراء ممطرة نظيفة برّاقة لا يهتدي إلى خصوصيتها الآخرون ، وكلها أوصاف ليست بعيدة عن صورة الثغر لأيّ فتاة جميلة عذراء ! ثم يسلّط النص عاصفة من الذباب على الروضة (المشبه به) لثغر عبله (المشبه) !! ولن نستطيع حلّ هذه الإشكالية بالقراءة أو التحليل أو التأويل إذا غيبنا صورة الذباب في ذهنية الجاهلي ، وقد وسم الدارسون عنتره بفساد الذوق ، واتّهام عبله بخيانتته (كذا) ولم يكن فعل هؤلاء الدارسين سوى تلوين يحجب حيرتهم ؛ فإذا استعنا بالجغرافية النوئية للجزيرة أدر كنا أن الذباب غير قادر على الظهور في لبيب الصيف ، وثلوج الشتاء ، وعواصف الخريف ، فالذباب مغيبّ تماماً في الفصول الثلاثة (الصيف ، الشتاء ، الخريف) والفصل الوحيد الذي تراه فيه عين الجاهلي هو الربيع !! عهد امتلاء الغدران والآبار بالمياه ، واكتساء الأرض بالخضرة المتوهّجة ، وسمنة الأنعام ، وغزارة الألبان ، وانهار الأرياح ، فضلاً عن الدفء والاستقرار حق لتقام في هذا الفصل العلاقات بين العوائل ، والمصالحات بين الأسر ، ثمر صداقات بريئة بين الفتیان والفتيات .. في هذا الفصل فقط يظهر الذباب ، فهو مقترن (وفق نظرية الاقتران الشرطي لبافلوف) بالخير والجمال والنظافة خلافاً للذباب في زماننا المقترن بالقذارة والجراثيم المهلكة !! إن الاستعانة بالجغرافية النوئية ونظرية بافلوف أضاءت لنا عتّات هذا النص ، ويسّرت تحليله وتأويله ، وأغنّتنا عن تلوينه ، والأمثلة كثيرة لا تكاد تحصى ..

9 - لم تنهياً لنا القناعة بوضع خاتمة لكتابنا هذا ، والسبب بسيط ونحسبه وجيهاً ، وهو أن الأطروحة الثانية (الشعر الجاهلي) ختمت بخصائص الشعر الجاهلي ، والأطروحة الثالثة ختمت بخصائص النثر الفني ، والخصائص كما هو معلوم هي مركزية الخاتمة ونتائج البحث معاً ، وقد نهدت المقدمة التي جاءت استهلالاً للكتاب لنشر الأفكار التي توضع عادة في خواتيم الكتاب ، وإذا عوّلت الخاتمة على تلخيص أبواب

الكتاب وفصوله ومباحثه فإن الكشف التفصيلي ناهض بهذه المهمة العلمية فقد فصل القول فيها بحيث يتراءى الكتاب بجملته وتفصيله من خلال هذا الكشف .

10 - لم يستطع كتابنا لأسباب قوامها المنهج والوقت المقرر لمفرداته خوضاً في ظواهر فنية مهمة ، فرأينا إهداء هذه الظواهر بهيئة مقترحات إلى زملائنا الباحثين بآليات المنهج الفني :

1 - قصائد الرؤيا في الشعر الجاهلي

2 - الرؤيا في النثر الفني ..

3 - إيقاعات النثر الفني

4 - تأويلات ظاهرة الصراع في الشعر الجاهلي

5 - أسطورة الثور في الشعر الجاهلي

6 - جدل البداية والنهاية في النص الأدبي الجاهلي

7 - القناع في النثر الفني

8 - جماليات المثل الجاهلي

9 - إشكالية التداخل بين الشعر والنثر في الأدب الجاهلي .

11 - أما خطة الكتاب فقد أردناها ثمرة لمنهجنا الفني المنحاز بكليته إلى الوصفية لقناعتنا أن المعيارية قد ألحقت جوراً كبيراً بالنص الجاهلي ، فحمل النص دلالات لم تكن ضمن نسيجه ، فانحرف عن سياقاته وأنساقه . فالخطة إذن مكلفة بتحقيق حلم الكتاب ، وقد تكفل الكشافان : الموجز والمفصل بإعطاء مشهدين عمودي وأفقي ؛ فما عادت الحاجة ماثلة لتكرار الحديث عن مفاصل الخطة الأم وما تفرّع عنها من خطيطات ، وكان ابتداءً بكتابة فصول هذا الكتاب بعد وصولنا إلى صنعاء المحروسة بشهر ، وقد أنجزنا الكتاب بفضل الله ومنّه في اليوم الأول من الشهر الأول من السنة الهجرية الجديدة المباركة (1420 هـ) ، وقد صادف السبت (17 - 4 - 1999 م) ،

وهذا فآل حسن . وإذ أضع هذا الجهد الجديد بين يدي أصدقائي القراء والزملاء فإنني أعدم بالإصغاء التام المستمر لأي ملاحظة علمية تهدي إليّ عيوبي وتسهم في ترصين صناعة الكتاب الجامعي .

عبد الإله الصائغ

اليمن - صنعاء - بريد معين ص ب 14733

الأطروحة الأولى

مهاد وإضاءات

تتكفل هذه الأطروحة بمعالجة ثلاث عنوانات هي أولاً : الأدب الجاهلي بين الكيف والكم ، وثانياً : عصور الأدب ، وثالثاً : تفكيك مصطلحات الأدب ... وقد رأينا هذه العنوانات سبيلاً لاحقاً يفضي إلى التمهيد الذي انصرف إلى مقارنة هذين كبيرين هما :

أولاً : الأدب في حاضنة البيئة مستعيناً بمظان التاريخ والجغرافية والدين والاجتماع فضلاً عن خوارط (الجيوهيس تري) و (الجيوبولتيك) .

ثانياً : جاهلية المجتمع العربي قبل الإسلام ، وقد نهد هذا الجزء من التمهيد لإزالة الغبار عن طبيعة المجتمع العربي .. هذا الغبار الذي شوّش الرؤية ، وخلط الأوراق ، فما عادت بعض الدراسات قادرة على التمييز بين الجاهلية الحضارية والجاهلية الدينية ، وبين أمية القراءة والكتابة والأمية الدينية ، بين متحوّل الأعراب وثابت العرب !! وهذه أمور تتصل بشغل الباحث الجادّ في الأدب الجاهلي ، لا يمكن إغفالها مهما زوّقت المسوغات وتكاثرت ..

الفصل الأول

الأدب الجاهلي بين الكيف والكم

ثبت الأدب الجاهلي أمام المحاولات الماكرة التي دأمتها بغية التهوين من شأنه ، وإقصاء الذائقة القرائية عن مشاغله ومباهجه !! وقد التمس المكر أسباباً كثيرة لتحقيق مآربه ، بينها التشكيك بصحة الإبداع الجاهلي ، وصنع رواده بالعمه والوثنية ، ووشم حاضناته وحوامله بالتخلف والانحطاط !! ولم يكن ثبات الأدب القبسلامي بوجه الزلازل والصواعق مقترناً بدفاع محبّيه قراءً وباحثين فحسب ، والدفاع حالة موقوتة تذوب في جريان الزمن ؛ وإنما أتصل الثبات بسبب من أصالة المعطى الذي قدّمه الخطاب الإبداعي وفق أنساق علوم الجمال واللغة والتاريخ والجغرافية والاجتماع .

إن دراستنا هذه غير معنية بإهدار الجهد لإيضاح الفروق بين أطروحات الرأي والرأي الآخر ، لأسباب منهجية مقترنة بمفردات الخطأ ، وحلم البحث ، وحاجة القراء المعنيين بالأدب الجاهلي من الزملاء الأجلء والطلبة الأعزاء ، وقد أولكنا أمر الأطروحات التي أثبتت الأدب الجاهلي والأطروحات التي نقضتها إلى كتبنا الصادرة بين عامي : (1982 - 1997 م) محيلين المستزيد إليها إذا اقتضى الأمر⁽¹⁾ .

إن كثيراً من الدارسين يمضون شطراً نفيساً من أعمارهم البحثية دون أن يؤسسوا -

(1) الصائغ . د . عبد الإله :

أ - الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام . طب التاميس . كويت 1982 .

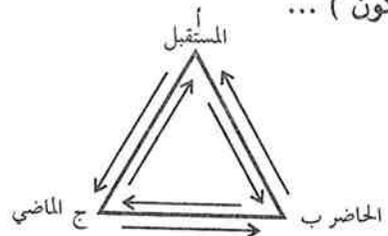
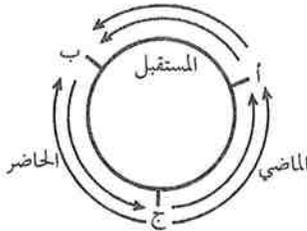
ب - الصورة الفنية معياراً نقدياً . طب . الشؤون الثقافية بغداد 1987 .

ج - الإبداع العربي الجاهلي بين الواقع والتوقع . طب الموسوعة الصغيرة . بغداد 1988 .

د - الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية (القدمة وتحليل النص) . طب المركز الثقافي العربي .

بيروت 1997 .

في مستوى الوعي - مسوغات ثبات الأدب القبلاسي واستمراريته وأهميته !! بعبارة ثانية إن أولئك الدارسين لم يمنحوا مسوغات قراءة الأدب الجاهلي مقدارها من الأهمية ، وربما اتضحت أضرار إهمال المسوغات في مواكب الطلبة بشكل جلي ، فنحن قبالة أجيال من الطلبة (في كل مكان من معاهد وطننا العربي وجامعاته) تستثقل دم هذا الأدب وتعدده عبئاً ثقيلاً ومقرفاً ، قدر عليها حمله فوق أكتافها الواهية ! ولم نلتفت نحن مدرسي هذا الأدب إلى خطورة الشرخ في الجدار المعرفي فأمعنا ويا للأسف في إتلاف ذائقة التلقي من خلال عرض النصوص في أطباق من المعاظلة أو التفهيق ، أو التكرار الناعوري ، أو النظرة الهامشية ، أو الهرف النظري ! إن مدّ الجسور بين الأديين الجاهلي والحديث مسألة علمية لا علاقة لها بمقولات المعاصرة والتراث والحداثة والقدامة ، فالأدب واحد ينتج تراكماته النوعية والكمية وفق منطق جدلي ، فكأنه جدارية كونية تستحم في زرقة البحر وتعم بزرقه السماء .. وفيها سعةٌ ومحبةٌ لأحلام كل المبدعين : السابق واللاحق منهم ، وما عليهم سوى تدوين نصوصهم على تلك الجدارية .. إن حيفاً لحق الإبداع حين سلطنا القديم على الحديث ، وسلطنا الحديث على القديم .. غافلين عن فلسفة الزمن الذي يتشكل في بنيته الأساسية من نسيج واحد ، فليس ثمة ماضٍ وحاضرٌ ومستقبل في الزمن الأزلي ؛ لأنه جارٍ ومتصل ، وكل ضلع من مثلث الزمن الذي تعلمه الدراسات لأسباب مدرسية إنما يمثل حاله كما يمثل الضلعين الآخرين معاً ! الماضي كان حاضراً وكان مستقبلاً أيضاً ؛ والحاضر كان مستقبلاً وسيكون ماضياً ؛ والمستقبل سيكون حاضراً ويكون ماضياً أيضاً ، أما الحاضر فهو مزيج من مستقبل آتٍ وماضٍ متصرّم ، والجدل والتماهي قائمان إلى يوم الدين ضمن (كان ، كائن ، يكون) ...



وسنلاحظ من جهة التدقيق في ثلاثية أ ب ج ودائريته مقولة الجريان والتردد بين
أمس/اليوم/غد !! قال حاتم الطائي :

هل الدهرُ إلا اليومُ أو أمسٍ أو غدٌ؟ كذاك الزمانُ بيننا يتردُّ! (2)

وما يقال عن ترددية الزمان ودائريته يمكن أن يقال أيضاً مع احتراز بسيط عن
الأدب ؛ لأن الأدب قائم الجدل على التامهي ، والأدب الحديث سيكون في قابل الأيام
أدباً قديماً ، والأدب المستقبلي سيكون أدب الحاضر يوماً ما !! فالأدب القديم كان
جديداً في بواكير معطاه !! وما التقسيمات التي تحيق بالزمن أو الأدب إلا محاولات
مدرسية لترسيم الحدود بين أشياء عصية على التحديد ! نعم وبالتأكيد : ثمة ملامح
للأدب القديم وأخرى للحديث وثالثة للمقبل ؛ ولكن هذه الملامح هي نتائج تراكمات
إبداعية ومعرفية وزمنية ، أي إن تميّز ملامح أدب كل عصر شكيل بتميز ملامح الإنسان
ابتداءً من الطفولة ، مروراً بالشباب ، انتهاءً بالشيخوخة .. فالملامح المختلفة الثلاثة
هي تراكمات لم تخرج عن واحدية النموذج ، وهكذا هو شأن الأدب ، وإن اختلفت
الأزمنة والخصائص !! وإذا كان الحال كذلك - كما نزعم - فإن إجابتنا عن سؤال : (لماذا
نقرأ الأدب الجاهلي ؟) مسألة تكتسب شرعيتها من أهميتي السؤال والإجابة ! حقاً لماذا
نعنى بالأدب الجاهلي ؟ أيكفينا مثلاً الاستغناء عن قراءته دون أن ينال معرفتنا خلل
ما ؟! وما نحن أولاء نضع بين يدي القارئ إجاباتنا المقترحة :

لماذا الأدب الجاهلي ؟

1 - ثمة جدل بين عصور الأدب يسهم في انسيابية الإبداع واغتناؤه بشحنات
التواصل والوعي ، والشعوب اللاتينية - مثلاً - تشعر بأهمية قراءة الآداب اليونانية

(2) حاتم الطائي . ديوانه ق 4 ب 1 ص 262 . تح د . عادل سليمان مط . المدني . القاهرة (د : ت)
الصانع . د . عبد الإله . الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ص 62 (م . س) .

والرومانية الغابرة لمعرفة الخطوط البيانية لأدائها المعاصرة والقديمة وأوجه الائتلاف والاختلاف فضلاً عن البهجة في اكتشاف حساسيات أسلافهم الذين سادوا وبادوا⁽³⁾ .

وقارئ (الأرض الخراب) للشاعرت . س إليوت واجد لا محالة الأثر الكبير لقراءات الشاعر في مظان التراث⁽⁴⁾ !

إن أدبنا العربي الحديث ليس أديباً أبتر منقطع الجذور ، إنه حيّ نام بثماره وأغصانه فوق الأرض ، فأما الجذور فهي لابثة في مكانها الأبدي تحت الأرض ، وقراءة الأدب الجاهلي ليست دعوة لمحاكاته والانبهار به ، فمثل هذه الدعوة تلغي معامل العقل بله الزمن ! وإنما هي دعوة لتشريحه ومعرفة أسرار شعريته ، فهو مرجعية واحدة من عشرات المرجعيات لحضارة الإبداع الأدبي الحديث .

2 - يكتنز الأدب الجاهلي ثروة لغوية هي حصيصة المزج بين مفردات تعكس نشاط اللغة العربية .. والاطلاع عليها يمنح الباحث تراكماً معرفياً باتجاه تطور الدلالات للكلمات العربية ، وقدرة اللغة على الاختزال والتخلص من المفردات الكزة والتعبيرات الغثة التي ناءت بها زمنياً ، مثل (التكاكؤ - الاحرنجام - التشبوق - الاستشزار) و (النقاخ - البعاع - العيطل - العشنطط - العطبول - السجوجل) !! اللغة العربية مشرقة ناهية ميالة للتكثيف وهي إلى ذلك تطور مفرداتها باستمرار دون أن يمس ذلك قواعدها الثابتة وبنيتها الأساس ، وهي دعوة لأولئك الذين هيا لهم انفلاقهم أنهم سدنة اللغة ، فاعتسفوا منطق اللغة وأهظوها بالحدود الحمراء والقيود السوداء بزعم حمايتها من رياح التجديد والتغيير .

(3) عثمان . د . أحمد . الأدب اللاتيني ودوره الحضاري ص 7 وبمدها . طب عالم المعرفة . الكويت (أيلول = سبتمبر 1989)

البقاعي . د . شفيق . الأنواع الأدبية مذاهب ومدارس ص 118-256 . طب مؤسسة عز الدين . بيروت 1985 .

LODGE. DAVID. 20 th Century Literary Criticism « LONGMANgroup LIMITED. london (4)

1972 » see. p: 71: t.s.eliot: Tradifion and individual - talent (1919) . =

3 - حافظ الأدب الجاهلي على المعلومات التاريخية المهمة التي ترسم بانوراما لمسيرة التاريخ ، فقد رصد أيام العرب (الحروب والمغازي) ذكراً أسماء الملوك ، والأمراء ، والفرسان ، وسفراء السلام ، وخطابات الحرب ، وعلل الكثير من الحوادث الكبرى التي وقعت عهد ذلك فضلاً عن إضاءة عتات كثيرة بأضواء كاشفة ، فقد عرفنا من خلاله أسراراً تشكل عدد من الدويلات العربية والإمارات والمحميات من نحو دويلات الشمال والوسط والجنوب : الغساسنة والمناذرة ودومة الجندل والندوة وكندة واليمن : وقراءة الخطاب السياسي والعلاقات المعلنة والباطنة بين تلك الدويلات من جهة والدولتين العظيمين (الأكاسرة والقيصرة) وقتذاك . كما وثق الأدب الجاهلي بمجاردة الأحلاف القومية والمعاهدات القبلية من نحو أحلاف : الفضول والدم والأحلاف والإيلاف ..

4 - والأدب الجاهلي يمنح ساحة ثمينة لمعرفة الجغرافية العربية عصر ذلك ، إذ حافظ الشعر والنثر على مواقع وأسماء وحدود كثير من البلدان العربية التي طمست وغيبت معالمها ؛ وما أكثر الأمثلة والشهادات على ذلك فنحن في المعلقات العشر قبالة مئات المواضع نحو (برقة - همد - الحزن - الصمان - المتلم - سقط اللوى - الدخول - حومل - المقررة - حومانة الدراج - الرقة - منى - الأندرين - بعلبك - دمشق - الحياة - قاصرين - عنيزتين - الغيلم - برقة شماء - الخلاء - الصفاق - أعناق فتاق - عاذب - الوفاء - رياض القطا - وادي الشرب - الشعبتين - الإبلاء) وقد اعتمدت موسوعات المصادر البلدانية كثيراً من المعلومات التي حافظ عليها الأدب الجاهلي في معرفة أسماء البلدان والمواضع .. وخير مثال المصادر البلدانية التالية :

1 - الدارات للأصمعي ت (216 هـ)

2 - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار للأزرق ت (250 هـ)

3 - صفة جزيرة العرب للهمداني ت (344 هـ)

= إبيوت . ت . س . الأرض البياب (الشاعر والقصيدة) ترجمة ودراسة د . عبد الواحد لؤلؤة ص 15
وبعدها . طب المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . الطبعة الثالثة 1995 .

4 - أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان للمسعودي ت (346 هـ)

5 - الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ت (421 هـ)

6 - الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني ت (440 هـ)

7 - معجم البلدان للحموي ت (626 هـ)

8 - آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ت (682 هـ) .

5 - أما مفردات الأنواء فهي ماثلة في الشعر والنثر حضوراً متميزاً ، فما أكثر ما تصف النصوص الشمس والقمر والليل والنهار والصيف والشتاء والخريف والربيع والرياح والأمطار والعواصف والبرق والصواعق والزلازل ! قارن :

- تأبط شراً :

(وقلة كسنان الرمح بارزة ضحيانة في شهور الصيف محراق)

- جابر بن حني :

(وقيظ العراق من أفاع وغدة ورعي إذا ما أكلؤوا متوخم)

- الأعشى :

(قد لعبنا بذا الشباب زمانا وهونا في مربع ومصيف)

- عدي بن زيد :

(عن خريف سقاه نوء الدلو تدلى ولم توار العراقي)

- علقمة :

(وقد أغتدي والطير في وكناتها وماء الندى يجري على كل مذنب)

- عمرو بن معد يكرب :

(ألم تارق لسذي البرق الياني يلوح كأنه مصباح باني)

(وأنت ربيع ينمش الناس سيبه وسيف أعيته المنية قاطع)

وقد قوم صانعو كتب الأزمنة والأنواء معلوماتهم استناداً إلى نصوص الأدب الجاهلي مثل (كتاب المطر) لأبي زيد الأنصاري (ت 215 هـ) ، وكتاب (الرحل والمنزل) لأبي عبيدة (ت 224 هـ) و (الأنواء في مواسم العرب) لابن قتيبة (ت 276 هـ) ، و (الأزمنة والأنواء) لابن الأجدابي (ت 650 هـ) فضلاً عن أن النثر الجاهلي قد نقل إلينا تجارب الجاهليين التي استقامت أمثالاً ، فالعرب تقول في شهور الربيع : شهر تری وشهر تری وشهر مرعى ، أي المطر ثم النبات ثم الرعي . وعام مهيع أي خصب وتقول أيضاً : أحسن من الغش وأضيع من قمر الشتاء وأبعد من مناط النجوم وأنحس من زحل وأرهبها السها وتريني القمر ولأرينك الكواكب في الظهيرة وانحط فلان من الثريا إلى الثرى وسحابة صيف وفلان برق بلا مطر وأهول من سيل وربما عاق المطر عن الوطر وفلان ساكن ریح وماء ولا صداء⁽⁵⁾ .

6 - واعتمد علماء المعجمات اللغوية في كشف دلالات المفردات والأصوات والأصيل والدخيل والمولد والمغرب على نصوص الأدب الجاهلي ، بل إن علماء النحو الأوائل والمحدثين جعلوا الشعر الجاهلي وكدم في تقصي قواعد اللغة وأصولها ومرجعياتها ، زد على ذلك العلاقات الظاهرة والمستترة بين اللهجات العربية من نحو الكشكشة والكسكسة والعنونة والفحفة والوكم والوتم والوهم والعجعة والاستنطاء والشنشة والغمغمة والطمطمانية واللخخانية والتلتلة والقطع ، ولك أن تطالع (العين) للفراهيدي (ت 175 هـ) و (الكتاب) لسبويه (ت 180 هـ) و (النوادر) لأبي زيد الأنصاري (ت 215 هـ) و (إصلاح المنطق) لابن السكيت (ت 244 هـ)

(5) الثعالي . أبو منصور عبد الملك بن محمد ت 429 . التمثيل والمحاضرة ص 252-226 تح عبد الفتاح الحلو . طب دار إحياء الكتب . القاهرة 1961 . وانظر الصائغ . د . عبد الإله : الصورة النوبية في الخطاب الجاهلي ص 199 ضمن كتاب : الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية (م . س) .

و (الجمهرة) لابن دريد (ت 321 هـ) ، و (الخصائص) لابن جني (ت 392 هـ) ، و (مقاييس اللغة) ثم (المجمل) لابن فارس (ت 395 هـ) و (الصحاح) للجوهري (ت 398 هـ) ، و (الحكم) لابن سيده (ت 458 هـ) ، و (العباب) للصاغاني (ت 650 هـ) ، و (لسان العرب) لابن منظور (ت 711 هـ) ، و (القاموس المحيط) للفيروزآبادي (ت 817 هـ) .

7- وجد مفسر القرآن الكريم الأوائيل ، وشرح الأحاديث النبوية الشريفة في الأدب الجاهلي معيناً على معين في تحليل دلالات المفردات حين يبهم الأمر عليهم ، ولنا أن نقرأ سؤالات نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس فقد كان ابن عباس (رضي الله عنه) يحيل كثيراً على الشعر الجاهلي في إيضاح دلالات المفردات القرآنية ، وهو القائل : إذا أعيام تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر الجاهلي فإنه ديوان العرب . ا . هـ (6) ، وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حريصاً على الاستشهاد بالشعر كلما عرض له أمر (7) وذكر عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) (العلماء في استشهادهم بشعر امرئ القيس وأشعار أهل الجاهلية في تفسير القرآن وفي غريبه وغريب الحديث) (7) .

8 - استقرأ علماء الإيقاع وموسيقى الشعر (8) القصائد الجاهلية ونصوص السجع واستنبطوا من الكم الذي حللوه قوانين الإيقاع ، والشعراء الجاهليون كانوا يضبطون

(6) التبريزي . أبو زكرياء يحيى بن علي (ت 502 هـ) وشرح ديوان الحماسة 3/1/ طب بولاق 1296 هـ .

(7) الجاحظ . أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ) البيان والتبيين 45/1 تح حسن السندوي . طب المكتبة التجارية (د : ت) .

(7) الجرجاني . عبد القاهر (ت 471) . دلائل الإعجاز ص 79 تح محمد رضوان الدايدة وصاحبه طب مكتبة سعد الدين . دمشق 1987 .

(8) فخر الدين . جودت . الإيقاع والزمان طب دار المناهل/دار الحرف العربي . بيروت 1995 جاء في صفحة وح وبعدها (الإيقاع أعم من الوزن والأخرى أن تقول : إن الوزن هو أحد عناصر الإيقاع أو إن الأوزان هي قوالب عروضية يستعان بها في تنظيم الإيقاع وتوجيهه . إيقاع الشعر هو علاقات خاصة بين مستويات كثيرة أهمها : المستوى النحوي ، والمستوى البلاغي ، والمستوى العروضي وما استعملنا كلمة - خاصة - صفة لتلك العلاقات إلا تأكيداً على تفرّد كل قصيدة بإيقاعها ، نظراً إلى أنها =

موسيقى شعرهم وأوزانها على طريقة التنعيم التي أشار إليها الخليل (ت 175 هـ) وأقرّ بأنه استثرها في تقعيد موسيقى الشعر قال : « رأيت شيخاً يضع ظهره على جدار الكعبة ويعلم الصبيان التنعيم » . هـ والتنعيم طريقة في تحليل موسيقى الشعر تعتمد (نعم لا) قارن :

ب	أ
مستفعلن ← لا لانعم	فعولن ← نعم لا
متفاعلن ← نعمن نعم	مفاعلين ← نعم لا لا
فعلن ← لا لا	مفاعلن ← نعم نعم
مفاعلتن ← نعم نعمن	فاعلاتن ← لانعم لا

وعناية العرب بالإيقاع كبيرة تتصل بصفاء فطرتهم وشدة حساسيتهم ، حتى إن حركات الإعراب وحروفه بنيت (كما نرجّح) وفق مسوغات إيقاعية ودلالية معاً ، وقد أجرى ابن جني (ت 392 هـ) (كتابه الخصائص) تجارب علمية (مهمة) ليثبت العلاقات النغمية داخل الحروف وكشف لنا أثر الإيقاعات في بنية الجملة العربية من نحو ، حروف كلمة (ب ح ث) ، وركز على إضاءة تأويل الخليل على سؤال (لماذا تصغر العرب (واصل) على (أو يصل) والقياس (وويصل ؟) فقال : (حتى لا يشبه كلامها نبيح الكلاب) ! وركز ابن جني على معاورة ذات قيمة عالية في نظرية (المحاكاة ، الإيقاع) :

= لن تكون تكراراً لغيرها في المستويين النحوي والبلاغي وإن كانت كذلك في المستوى العروضي ، وهذا يعني أن البحر نفسه يحظى بتغييرات من قصيدة إلى أخرى وإن حافظ على ما تقتضيه قواعد العروض فالبحر الطويل عند امرئ القيس هو نفسه عند المتنبي من وجهة عروضية ، ولكنه ليس كذلك من وجهة إيقاعية .. الإيقاع في أي لغة من اللغات هو تجل لخصوصيات هذه اللغة لأنه في مؤلفته بين عناصر متعددة مستمدة من حقول مختلفة إنما يكشف عن أهم الخصائص لتلك العناصر وعن إمكاناتها التعبيرية التي لا يمكنها أن تنفذ ، إذا ماتعلق الأمر بالأدب شعراً كان أم نثراً فالإيقاع لا يقتصر على الشعر وإنما للنثر إيقاعاته ...) .

النحوي : ما معنى ازقانح ؟ (ومعناه الحجر في الفارسية)
الأعرابي : إن في الكلمة يبساً وأظنه الحجر⁽⁹⁾ .

ويرى د . عبد الرضا علي أن نظرية الخليل في موسيقى الشعر ما كانت لتكون على ما هي عليه لو لم يعززها باستقراء الشعر الجاهلي وحصر أوزان الشعر ، وضبط أحوال قوافيه . (ومعنى هذا أن الخليل قد توصل إلى قوانين هذا العلم بتقطيع الشعر إيقاعياً ، وعن طريق هذا الإيقاع وضع قواعده وقوانينه ، وليس قبل ذلك ، أي إن مرحلة التحليل هي التي قادت إلى مرحلة التنظير)⁽¹⁰⁾ .

9 - ولم يتخلف علماء الحضارة عن زملائهم علماء البلدان واللغة والتاريخ والإيقاع في استثمار عينات الأدب الجاهلي لتحليلها في مختبراتهم وكشف العتمات التي غيبت أو كادت حضارة ذلك العهد ، فإذا كانت الحضارة (كل شيء) فإن الشعر كان بالنسبة للعرب كل شيء فهو (ديوان العرب) الذي قيد كل شاردة وواردة في الحياة الجاهلية ، يقول إدوارد تايلر في حدود مصطلح الحضارة (هي الكل المعقد من الرهبات والرغبات والطقوس والعقائد والحرف والفنون ، وكل الوسائل التي حذقها الإنسان لحماية حياته من التلف)⁽¹¹⁾ .

وقال الجاحظ (ت 255 هـ) « كل أمة تعتمد على استيفاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وبشكل من الأشكال ، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها »⁽¹²⁾ والعرب لا يعرض لهم أمر دون أن يستحضروا الشعر والنبى الأمين ﷺ

(9) الصائغ . د . عبد الإله . الصورة الفنية معياراً نقدياً ص 57 ثم 88 . طبعة القاهرة 1997 .

(10) علي . د . عبد الرضا . موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه ص 15 طب دار الشروق - عمان 1997 .

(11) الصائغ . د . عبد الإله . الإبداع الأدبي العربي قبل الإسلام بين الواقع والتوقع ص 9 طبعة الموسوعة

الصغيرة رقم 314 بغداد و 198 .

(12) الجاحظ . أبو عثمان ت 255 . الحيوان 88/1 تح فوزي عطوي طب بيروت 1968 .

يقول : « لا يدع العربي الشعر حتى تدع الإبل الحنين » وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كما مرّ بنا ، لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر⁽¹³⁾ ، لقد هياً لأدب الجاهلي معلومات ثينة ونادرة عن الحضارة العربية مثل الزواج والطلاق والخصام والصلح والعقود وطقوس البيع والمعاملة داخل الأسواق ، والولاء والخلع والفقر والثراء والأعياد والمآتم والاحتفالات وأفانين الملابس والهدايا⁽¹⁴⁾ .

10 - ويعطي الأدب الجاهلي فكرة مكتملة عن أديان العرب القديمة ، وحصّة اليهودية والمسيحية والمجوسية والصابئية من القبائل ، ويفيدنا أن العرب لم يكونوا ميالين لسوى الحنيفية ملة إبراهيم ، وقد حدد الأدب الجاهلي طقوس المتشددين من العرب ومفهومات فرق الحلة والحمس والطلس للدين والعبادة والحج إلى الكعبة وعدد من دور العبادة عندهم ، وكثيراً ما كان الكهنة يقسمون بالله ، وكذلك الخطباء والشعراء وقد عمّ الضلال عبادات العرب (قبيل) إشراقة الدين الإسلامي ، وأطبقت العتمة على الطقوس ، فاصطنع عمرو بن لحي الأصنام التي اشتراها من أسواق بلاد الشام ، وكان الذي كان ، وثمة الكثير من آليات المعتقد الديني وردت في الشعر الجاهلي والنثر الفني من نحو : الكهانة والنّبوءة ، والشياطين ، والأغوال ، والطب الغيبي ، والاستسقاء ، والهجاء ، والقلمس ، والحازي ، والناسيء .

ويورد قطرب ت 206 تلبيات الجاهلية التي يتقاسمها الشعر والنثر معاً ... مثلاً .

أ - تلبية قريش : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك ، أبو بنات من فذك .

(13) الجاحظ . البيان والتبيين 241/1 (م . س) .

ابن عبد ربه . أحمد بن محمد ت 328 . العقد الفريد 78/1 تح محمد سعيد العريان . طب دار الفكر (د : ت) .

(14) الصائغ . د . عبد الإله . الصورة الفنية معياراً نقدياً ص 337 وبعدها : الجداول الحضارية .

ب - تلبية قيس عيلان : لبيك اللهم لبيك ، أنت الرحمن ، أتتك قيس عيلان ، رجالها والركبان ، بشيخها والولدان ، مذلة للديان .

ج - تلبية تميم : (وكان نسكها للشمس) : تالله لولا أن بكرأ دونكا ، ما زال منا عشج يأتونكا ، بنو غفار وهم يلونكا ، يبّرك الناس ويّعجرونكا .

د - تلبية الين (لنسر وذريح) المحبر 317 وبعدها) : عكّ إليك عانيه ، عبادك اليانيه ، كيا نوحج ثانيه ، على قلاص ناجية ، أتيناك للنصاحة ، لم نأت للرقاحة .

هـ - تلبية جرهم وهم أول سكان البيت الحرام : والله لولا أنت ما حججنا مكة والبيت ولا عججنا ، ولا تصدقنا ولا مئججنا ، ولا تمطينا ولا رجعنا ، ولا انتجعنا في قرى وصحنا ، على قلاص مزحفات هجنا ، يقطعن سهلاً تارة وحزنا ، أشرق كيا ننثنى في الدهنا ، لكي نوحج قابلاً ونعنا ، نحن بنو قحطان حيث كنا ، نحر عند المشعرين البَدْنَا⁽¹⁵⁾ .

11 - يقدم الأدب الجاهلي بين يدي القارئ والباحث وثائق مهمة تعزز القول بأن العرب أمة خير ، وتدحض مزاعم الحاقدين على العرب من (بعض) المستشرقين والمستغربين وذوي النظرة العوراء من أدياء التحديث أو سدنة القدامة !! ثمّة كتب صورت العرب أمة من الحفاة العراة الجفاة البداة القتلة ، اللصوص السفاحين المحترفين (كذا) ، ولونت الصور الباطلة بوثقاق مزعومة من العصر الجاهلي . وقد جعلوه مثلاً للتخلف الحضاري والمديني ، لقد خلط المفترون على أمتنا ورقتي العرب (سكان المدن والأرياف) ، والأعراب (سكان البادية) ؛ لغاية أضروها فخفيت على (الكتبة) من الدارسين !! الأدب الجاهلي عتيدي حين يستدعى لتقديم وثائقه الواضحة التي تعزز القول

(15) قطرب . محمد بن المستنير 206 هـ كتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية ص 116-126 تح د . حنا جميل حداد . طب مكتبة المنار - الزرقاء الأردن 1985 .

شيخو . الأب لويس اليسوعي . ت 1927 م . النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية . ص 18-52 . طب المكتبة السوعية بيروت 1933 .

في رقي حضارات العرب وقتذاك من نحو أوسان ومعين وقتبان وحضرموت وسبأ وذو ريدان ويمنت⁽¹⁶⁾ فضلاً عن حضارات بابل والحيرة وبصرى ودومة الجندل واليامة ومكة وكندة والنجد وعمائر الأكيدر (الأخضر) والخورنق والنخيلة والمصلى والمشتى والسدير وطزناباد وسلحون وغمدان ومأرب والجنائن المعلقة وتسقيف الفرات وطلاسم الحضرة على ذلك حذق العرب الجاهليين لعلوم الأنساب والتواريخ والأديان والقيافة وتعبير الرؤيا والبيطرة والأنواء⁽¹⁷⁾ .

12 - والأدب الجاهلي كنز لا يقدر بثمن لدارسي الخيال والمجاز في اللغة العربية ، فإذا كان هناك من يقذف الإبداع العربي أجنباً وعرباً بمحدودية الخيال ، ويزعم أن المبدع العربي لا يحسن التصرف بالمجازات الرموقة ، وأن خياله بوصفه سامياً محدوداً!!⁽¹⁸⁾ فإن الأدب الجاهلي زعيم بدمغ الحجة بالحجة وإتباع القول بالشاهد ، والباحث المتأني قادر على كشف دعامتين كبيرتين هما الخيال والمجاز ، أما حسية الخيالات والمجازات فهي ذات دلالات مختلفة كل الاختلاف عن فهم أولئك الذين وشموا الذهنية العربية بالعقم ، الحسية هنا تعني استلهاً الخيالات والمجازات من مرجعيات الحواس الخمس ، وهذا أمر يعزز مباحث الصور الفنية والدلالية ! والحسية لا تنفي استثمار آليات الذهن ، وذلك أمر معروف في الآداب العالمية أما حصر (الحسية) بالشبق الجنسي والتهتك الماجن لفتنة الجسد فهو أمر غير صحيح ، ومبالغ في مساحة أدلته قارن امرأ القيس :

أيقنتلني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كانياب أغوال

(16) بافقيه . محمد عبد القادر . تاريخ اليمن القديم ص 21-164 . طب المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1985 .

(17) الشهرستاني . أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت 548 الملل والنحل 2/238-241 تح محمد سيد كيلاني طب دار المعرفة بيروت 1975 .

(18) GIFFEN. LOIS ANITA. THEORY OF PROFANE LOVE- AMONG THE ARABS. THE DEVELOPMENT OF THE GENRE. NEW YORK UNIVERSITY PRESS . D .

وقارن طرفة بن العبد :

تناول أطراف البرير وترتدي	خذول تراعي ررباً بجميلة
تخلل حرّ الرمل دعص له ندي	وتبسم عن ألمى كأن منـوراً
أسفّ ولم تكدم عليه بأئمد	سفته إيأة الشمس إلا لثاته
عليه تقى اللون لم يتخذ	ووجه كأن الشمس ألت رداءها

والعينتان اللتان مرتا بنا تقدمان فكرة جلية عن تلقائية المجاز في الشعر الجاهلي ، فامرؤ القيس (أنسن) السيف وجعله إنساناً يشاطره فراشه : أما المسنونة فهي الجزء الظاهر من القول !!

وفي عينة طرفة وصف لشبيهه الحبيبة ، إذ هي ظبية نال منها الذعر والهلع خشية على صغيرها ! فإذا ابتسمت أرتك أسناناً أهدتها الشمس لها بعد أن غطت الوجه بأنوارها حتى لا يتخذ .

13 - ويكشف الأدب الجاهلي للباحث مفهومات الجمال في الذهنية الجاهلية ، وهي مفهومات عميقة تفاجئ الباحث ، لأنها تصاقب بجميية مفهومات عصرنا ، جمال الروح الذي يحاكي جمال المعدن والمنقبة الخيرة قارن عمر بن معد يكرّب :

ليس الجمال بمزير	فاختر وإن رديت بردا
إنّ الجمال معادن	ومناقب أورثن مجدا
.. لما رأيت نساءنا	يفحصن بالمعزاء شدا
وبدت لميس كأنها	بدر الزمان إذا تبدا
وبدت محاسنها التي	تحفى وبات الأمر جدا

وقارن الأعشى :

فقد كملت حسناً فلا شيء فوقها وإني لذو قول بها متنخل

وقد علمت بالغيب أني أحبها وأني لنفسي مالك في تجمل
تَهالكُ حتى تبطر المرءَ عقله وتصبي الحليم ذا الحجى بالتقتل
إذا لبست شيـدرة ثم أبرقت بمعصهما والشمس لآ ترجل

وقارن تلبية هذيل :

لبيك اللهم لبيك ، لبيك عن هذيل أدلجت لليل ، تعدو بها ركائب إبل وخيل ،
وخلفت أوثانها في عرض الجبيل ، وخلفوا من يحفظ الأصنام والطفيل ، في جبل كأنه
في عارض مَخيل ، تهوى إلى رب كريم ماجد جميل .

الأمثلة وفيرة ، وهي كفيلة بتقديم الوثائق العلمية التي تساعد الدارس على قراءة
الذهن الجاهلي ومفهومات الجمال عنده ، وإذا ابتعدنا عن مقولة الدمج بين الجمالين :
الظاهري والباطني فنحن سنكون بإزاء الموقف .. موقف المبدع الجاهلي من النموذج ..
فالجميل معادل محاييد لا يشترط المحبة رباطاً بينه وبين الواصف ، أما المليح فهو معادل
منحاز مقترن والواصف بعلاقتي الإعجاب والميل ؛ وعادة ماتكون المرأة الجميلة مقترنة
بالشكل والمليحة مقترنة بالشكل والمضمون :

« الجسد × الروح ← الخِلقة × الخَلق »

إذ تتساوى الجميلات والمليحات في المستوى الخارجي للبنية ، فالجميلة وفق المنظور
الجاهلي هي السمينة مثل كثيب رمل ، فتراها قاعدة إذا نهضت ، وناهضة إذا قعدت
ومدبرة إذا أقبلت ، ومقبلة إذا أدبرت وهي الكسلى مثل ظبي في الكناس لم ير شمساً ولا
زمهريراً ، أو مثل بيضة خدر لا تُترام ، تفترقوتها لأدنى حركة ، فهي منعمة مخدومة
لا تعرف أعمال البيت ! زد عليها بشرة زهراء ووجهاً وضيئاً وخصراً دقيقاً ينخزل إذا
تأتت ، والمشية التي تحاكي مشية ظبي صغير علق الطين أقدامه !! (مشية عارضة
الأزياء - المانيكان - في زماننا !!) قارن الأعشى :

أ - الجمال :

غراءً فرعاءً مصقولاً عوارضها
كأن مشيتها من بيت جارتها
يكاد يصرعها لولا تشددها
إذا تعالج قرناً ساعة فترت
صفر الوشاح وملء الدرع بهكئة
هركولةً فنقّ درمَ مرافقها

تمشي الهويني كما يمشي الوجي الوحلُ
مرُّ السحابة لاريث ولا عجلُ
إذا تقومُ إلى جاراتها الكسلُ
واهتزَّ منها ذنوبُ المتن والكفل
إذا تأتي يكادُ الحصرُ ينخزلُ
كأن أخصها بالشوكِ منتعل

ب - الملاحه :

ليست كمن يكره الجيران طلعتهما
صدت هريرةً عنا ما تكلمنا
إذا تقوم يצוע المسكُ صورةً
ماروضةً من رياض الحزنِ مُعشبةً
يوماً بأطيب منها نشرَ رائحةٍ
فكلنا مغرمٌ يهذي بصاحبه

ولا تراها لسر الجار تختل
جهلاً بأم خُليدِ حبلٍ من تصل
والزنبق الوردة من أردانها شمل
خضراء جادَ عليها مسبلٌ هطلُ
ولا بأحسن منها إذ دنا الأصلُ
نأءٍ ودانٍ ومحبولٌ ومحتبلُ

14 - طرأت على الفطرة العربية (قبيل الإسلام) عادات عقيمة ، وتقاليد سقيمة

نحو :

أ - غزو الأرحام

ب - وأد البنات

ج - سبي النساء وإذلالهن

د - الغزل السياسي (إساءة الشاعر إلى القبيلة الأخرى بنظم شعر غزلي يشب فيه

بفتاة من تلك القبيلة لا يعرفها ولا تعرفه وإنما حصل على اسمها بوسيلة مأكرة) .

هـ - الفخر الكاذب بالنفس والقبيلة وترويح قيم الغزو والعتوّ والاستعلاء والحسب والنسب .

و - الهجاء المقذع والانتقاص من كرامة الآخرين وحریتهم وقدرهم ، واستشراء المعارك الكلامية التي وجدت لها قواعد وأصولاً !! وجمهوراً عريضاً يحضرها ويشجع عليها تزجية للوقت ، وربما نكاية بالخصمين معاً وقد سميت المعارك الكلامية (منافرة) ! نظير المنافرة التي شب حريقها بين علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل (وهما أولاد عم) !! ولنقارن عتو عمرو بن كلثوم وطغيانه وهو يؤسس قيماً تجافي القيم العربية :

ملأنا البرّ حتى ضاقَ عنا وظهرَ البحرُ نملؤهُ سفينا
إذا بلغَ الرضيعُ لنا فطاماً تخزّله الجابر ساجدينا
ونشربُ إنْ وردنا الماءَ صفواً ويشربُ غيرنا كدرّاً وطينا

ز - الحروب المدمرة التي نشأت بين أبناء العم لأسباب تافهة وسيادة الغطرسة والاستهتار بدماء الناس !! وربما أسهم الأعراب في إذكاء نار البغضاء والغزو ، واستسهال الموت فحياتهم الضنكة والفراغ الكبير مما يزيّن لهم العبث بالزمان والمكان .

ح - طمع الدولتين الكبيرين بالعرب نتيجة انشغالهم بالحروب الداخلية وسيادة الغوغاء وانحسار سيادة الحكماء .. ونذكر باعتمادات الجيوش الفارسية على عرب الشرق (العراق وما تاخم) والجيوش الرومية على عرب الغرب (الشام وما تاخمت) ! ومع كل التدهور الداخلي الذي أصاب البنية الحضارية العربية فقد كبح العرب شرقاً وغرباً كثيراً من الغزوات وهددوا عروش فارس والروم .. فماذا حدث ؟! اضطرت فارس إلى اصطناع دويلة المناذرة لتكون شريطاً حدودياً عازلاً بين المقاومة العربية والفارس !! كما اضطرت الروم إلى اصطناع دويلة الفساسنة للأسباب ذاتها !! وقد التفت عدد من الجاهليين ذوي الرؤية العروبية إلى مخاطر الواقع العربي المجرّح الذي نخرته العادات اللثيمة والمطامع الزنيمة !! لقيط الإيادي كتب رسالة إلى قومه ليوقظهم من الغفلة

والانهيار ! وحين يئس أرسل أخرى يوجبهم فيها ويستثير فيهم جانب (الغيرة على العرض) إن لم تستثروهم (الغيرة على الأرض) !!

يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيراً
على نسائكم كسرى وما جمعاً
وقد بدأ رسالته الأولى بقوله :

كتاب في الصحيفة من لقيط
إلى من بالجزيرة من إياد
بأن الليث كسرى قد أتام
فلا يشغلكم سوق النقاد
أما كتابه الثاني فخته بقوله :

هذا كتابي إليكم والنذير لكم
وقد بذلت لكم نصحي بلا دَخَلٍ
لمن رأى الرأي بالإبرام قد نصعا
فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعاً⁽¹⁹⁾

أما الأعشى البكري فقد وثب قومه بكتابات كثيرة ، ففي واحدة مما كتب قرن
بين دلالتني (الشرف) و (الأرض) :

لو أن كلَّ معدٍّ كان شاركننا
في يوم ذي قار ما أخطأهم الشرف

وقد وبَّخ الأعشى زعيم شيبان ؛ لأنه وفد على جيش كسرى بعد معركة ذي قار
ناسياً (القرابين) العربية التي تركت في العراء لتأكلها الضباع ، وتمنى الأعشى لو أن
هذا الزعيم المتواطئ قد مات جنينا بأيدي القوابل :

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد
أطورين في عام غزاةٍ ورحلة
كأنك لم تشهد قرابين جمة
تركتهم صرعى لدى كلِّ منهلٍ
وأنت امرؤ ترجو شبابك وائل
ألا ليت قيساً غرقته القوابل
تعيثُ ضباعَ فيهم وعواسلٍ
وأقبلت تبغي الصلح أمك هابل⁽²⁰⁾

(19) الأصهباني . أبو الفرج . الأغاني 24/20 (نسخة الكتبخانة) طب مؤسسة عز الدين - بيروت .

(20) انظر هامش 11 ص 53 .

وقد جهد الزعماء والمخلصون وأعيانهم الجهد ، وهم يسعون إلى رَأب الصدع بين القبائل العربية التي مزقتها الفرقة ، وهتكنتها العصبية ، ونخرتها فكرة التسلُّط وامتلاك الحقيقة !! ثم تلبدت غيوم العتمة في السماء العربية ، وقد جرَّحت الأنصاب والأصنام والاستقسام بالأزلام الكينونة العربية ، وبدأ الغياري يتطلعون إلى منقذ من الضلال وموحد من التفرقة ومطمئن من الخوف والقلق ، فكان الإسلام المنقذ والوحدة والسلام ! وكان قس الإيادي قد تنبأ بزمان جديد يبعث محل الزمان القديم الميِّت ، وقد رآه النبي الأمين ﷺ بسوق عكاظ : « كأني أنظر إليه بسوق عكاظ على جبل له أورق وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة » ا . ه . وقد جاء في خطبة قس المشار إليها : أيها الناس هلموا إليّ ، أيها الناس اسمعوا وعوا ، وإذا سمعتم فانتفعوا ، إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج وسماء ذات أبراج ... إني أرى عليكم خيراً قد آن أوانه وأظلمكم زمانه⁽²¹⁾ .

15 - الأدب الجاهلي ذو مرجعية مركبة تعمق اللغوي والجمالي والفني والقيمي ، وبعض ما يحصل عليه دارس هذا الأدب هو إغناء أسلوبه الأدبي جزالة وسلاسة وإشارة لمحة ، وقد وكّدت الدراسات الأسلوبية الآثار المهمة التي تتركها قراءة التراث الأدبي في جسم النص الحديث والأهمية لاتعني - بأي حال - فكرة خضوع الخلف للسلف وإنما تعني قبل كل شيء وبعد كل شيء فكرة التجاوز والاعتناء والإضافة ، فالأمة التي تعيش الماضي وتهمل الحاضرة فارغة المضمون عمياء الإرادة لأن اجترار الماضي وباء مهلك ، يسهم في انتشاره عبدة السلف ، والعرب أمة عبقرية تدرك بفطرتها خطورة الماضي حين يستشري ويزدرد الحاضر !! وخطورة الحاضر حين يستغني عن الخبرة المتراكمة للماضي ! وقد وجد أرنولد توينبي أن العرب أمة تقابل التحديات بما يناسبها من الاستجابات ..

(21) البيان والتبيين 1/116 (م . س)

بلاشير ، م . ريجس . تاريخ الأدب العربي ص 870 تر . د . إبراهيم الكيلاني طب دار الفكر دمشق 1984 . الصائغ . د . عبد الإله . الإبداع الأدبي العربي الجاهلي بين الواقع والتوقع ص 53 وبعدها .

أما الجزء الآخر الذي يناله دارس الأدب الجاهلي من المرجعية المركبة التي أشرنا إليها فهو المعرفة الشاسعة التي تهيئ له صورة واضحة عن الأدب وعصوره وثقافته وأحلامه والتي تمنحه القدرة على الموازنة (أو المقارنة) بين أدب وأدب ، وقصيدة وأخرى .. فضلاً عن إقامة دراسات ذات قيمة في مباحث التناص ..

أ - الموازنة : تقوم بين أدبين أو نصين ضمن محيط مقاربات تسهم فيها اللغة الواحدة ، والتجربة والرؤية .

ب - المقارنة : حالة من الموازنة إلا أنها بين أدب أمة وأخرى .

ج - التناص : ملاحظة أثر مقصود أو غير مقصود لنص سابق في نص لاحق .

16 - الأدب الجاهلي أدب صورة ، فهو مولع بوصف ما يراه المبدع ويسمعه ويشمه ويذوقه ويلمسه .. مولع أيضاً بوصف ما يستشعره الأديب ، ومساحة اهتمامه الحيوانات العربية بتامها ، ولعل أبرز سمة أضاءتها النصوص الأدبية هي الالتفات إلى الطبيعتين الحيّة والميتة ، الأعشى مثلاً يرسم الصحراء كأنها ظهر ترس يجبئ زجل الأشباح والجن ، كما يرسم البرق والمطر والرعد والناقة التي لبثت ضخمة سهلة السير رغم السفر الذي يهزل الناقة ويحفي راكبها

يا من يرى عارضاً قد بتُّ أرقبه	كأنما البرق في حافاته الشعل
له رداً وجوز مفأم عمل	منطق بسجال الماء متصل
لم يلهني اللهو عنه حين أرقبه	ولا اللذادة من كأس ولا الكسل
وبلدة مثل ظهر الترس موحشة	للجن بالليل في حافاتها زجل
لا يتنمى لها بالقيظ يركبها	إلا الذين لهم فيما أتوا مهل
جاوزتها بطليح جصرة سرح	في مرفقيها إذا استعرضتها فتل
أما ترينا حفاةً لانهال لنا	إنا كذلك مانحفي وننتعل

وعنترة .. يجترح صورة للروضة والذباب الغرد فيها حتى لكأننا نرى الاثنين
معاً .. ثم يصف حصانه ويسبغ عليه من المشاهد ما يستدر عواطفنا :

أ - أو روضة أنفأً تضمن نبتها	غيث قليل الدمن ليس بمعلم
جاد عليه كل بكر حرة	فتركن كل قرارة كالـدرهم
سحاً وتسكاباً فكل عشية	يجري عليها الماء لم يتصرّم
وخلا الذُّبابُ بها فليس يبارح	غرداً كفعل الشارب المترنم
هزجاً يحك ذراعه بذراعه	قدح المكب على الزناد الأجذم
ب - يدعونَ عنترَ والرماحُ كأنها	أشطان بئر في لبان الأدهم
مازلت أرميهم بثغرة نخره	ولبانه حتى تسربل بالدم
فازورّ من وقع القنا بلبانه	وشكا إليّ بعبرة ويحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى	ولكان لو علم الكلام مكلمي

- وطرفة بن العبد يصف لنا احتواءه النقيضين فهو زعيم في حلقة القوم نهاراً ،
وصعلوك بين الندامى ليلاً .. ولكنه لا ينادم إلا الفتيان الذين يحاكون النجوم علواً ..
ولم تفته صورة المغنية : البصرية والمسبية والسمنية :

فإن تبغني في حلقة القوم تلقني	وإن تلتمني في الحوانيت تصطد
نداماي بيضٌ كالنجوم وقِيئة	تروح إلينا بين برد ومجسد
رحيب قطاب الجيب منها رفيقة	بجس الندامى بضة المتجرّد
إذا نحن قلنا أسمعنا انبرت لنا	على رسلها مطروفة لم تشدد
إذا رجعت في صوتها خلت صوتها	تجاوبُ أظآر على رُبع رد

ويضع النابغة بين أيدينا صورة متكاملة لصراع دام نشأ بين ثور الوحش (مشبه
به للناقة) الذي يشبه الإنسان المكابد ، وبين الصيد وكلابه اللذين يشبهون السُلطة ..
فالصياد درّب كلابه وجوعهن كي يفتكن بالثور الباحث عن الماء ، وهذا الصراع تقليد

دأب عليه جل الشعراء الجاهليين ، واللوحة ترينا ثور الوحش المسكين مهزولاً من الجوع والإعياء في صحراء مهلكة ، فكأنه ميت لا محالة من الظم .. وفجأة يهطل عليه المطر .. ويكاد يستبشر بالماء حتى (يرتاع) من أصوات الكلاب ومن شدة البرد التي سرت في قوائمه ، وكان (ضمران) أفتك الكلاب .. فركّز عليه الثور حتى أدخل قرنه من جهة بطنه وأخرجه من الأخرى فكأن قرنه مبضع طبيب ييطري ، أو سفود نسيه السكارى فوق النار ، فظل ضمران يعضّ القرن وهو يعالج موته ، أما الكلب (واشق) فقد اعتبر بمصير صاحبه .. ففرّ هارباً .! فينتصر الثور على تلك رموز الموت !

كأن رحلي وقد زالَ النهارُ بنا	يومَ الجليل على مستأنسٍ وحدٍ
من وحشٍ وجرةٍ موشيٍّ أكارعه	طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد
سرت عليه من الجوزاء ساريةً	تُزجي الشمال عليه جامد البرد
فارتاع من صوت كلابٍ فبات له	طوعَ الشّوامت من خوفٍ ومن صرد
فبتهن عليه واستمر به	صمغ الكعوب بريئات من الحرد
وكان (ضمران) منه حيث يوزعه	طعن المعارك عند الحجر النجد
شك الفريضة بالمدرى فأنفذها	طعن المبيطر إذ يشفي من العضد
كأنه خارجاً من جنب صفحته	سفودُ شرب نسوه عند مفتأد
فظل يعجم أعلى الروق منقبضاً	في حالك اللون صدق غير ذي أود
لما رأى (واشق) إقعاص صاحبه	ولا سبيل إلى عقل ولا قود
قالت له النفس: إني لأرى طمعا	ولا سبيلَ إلى عقل ولا قود ⁽²²⁾

17 - شغف الأدب الجاهلي بالقيم العربية العليا ، والأخلاق النبيلة ، فالنصوص الشعرية والنثرية تعلي من شأن المروءة والنجدة والوفاء والأمانة والنقاء ، وقد تداخلت معاني العربي والفتى والفارس فباتت إشارة واضحة إلى الإنسان الرحيم

(22) الذبياني . النابغة . ديوانه ص 15 تح عباس عبد الساتر . طب دار الكتب العلمية . بيروت 1984 .

بالضعيف ، الباطش باللئيم .. قال النبي ﷺ : « لا يدعُ العربيُّ الشعرَ حتى تدعَ الإبلُ الحنينَ » وقال أيضاً : « إنَّ من البيانِ لحكمةٌ ومن الشعرِ لسحراً » .

وقال في موضع آخر : « ما وُصف لي أعرابيُّ في الجاهلية وأحبيت أن أراه إلا عنترة » . ويتمثل ﷺ ببيتين من شعر عنترة .

وأغضُّ طرفي ما بدتُ لي جارتي حتى يوارى جارتي مشواها
ولقد أبيتُ على الطوى وأظله حتى أنالَ به كريمُ المأكلي

وقد تمثل صلوات الله عليه مرات بقول الأعشى :

قلدتك الشعرَ يا سلامة ذا التفصال والشيءُ حيثما جُعِلا
أما بيت طرفة الآتي فقد اعتده النبي ﷺ من مخايل النبوة

سبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وغير بعيدة عنا مقولة النبي ﷺ : « أصدقُ كلمةٍ قالها لبيدٌ » مشيراً إلى بيت ورد في نص استعباري للبيد نضعه بين قوسين :

ألا تسألان المرءَ ماذا يُحاول أنحبَّ فيقضى أم ضلالٌ وباطلٌ
إذا المرءُ أسرى ليلَةَ ظنَّ أنه قضى عملاً والمرءُ ما عاشَ عاملٌ
فقولاً له إنَّ كانَ يقسمُ أمره ألماً يعظك الدهرُ أمك هابلٌ
فتعلم أن لا أنتَ مدركُ ماضى ولا أنتَ مما تحذُرُ الناسُ وائلٌ
فإن أنتَ لم تصدقك نفسك فانتسب لعلك تهديك القرون الأوائل
(ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ)
وكلُّ أناسٍ سوف تدخلُ بينهم دويهةٌ تصفرُّ منها الأناملُ⁽²³⁾

(23) العامري . لبيد بن ربيعة . ديوانه ص/3/ق 44 طب دار صادر بيروت (د : ت) والقشيري . أبو

الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري ت 261 . صحيح مسلم 768/4 تج محمد فؤاد عبد الباقي طب دار

إحياء التراث العربي بيروت .

وكان الحارث بن حلزة مغتبطاً بالازدواجية التي يباهي بها الفارس العربي ، فهو
قيظ على العدو وربيح للمحتاج .

لا يقيمُ العزيز بالبلد السه
وعلناهم كما علم اللد
أسد في اللقاء ورد هموس
ولا ينفعُ الذليلَ النجاءُ
ه وما إن للخائنين دماء
وربيح إن شمّرت غرباءُ

ولن يكون الرجل زعيم قومه بالوراثة وإنما يتزعمها بالروءة والبذل : قال عامر
بن الطفيل :

فإني وإن كنت ابن فارس عامر
فما سوّدتني عامر عن وراثة
ولكنني أحمي حماها وأتقي
وقال الأفوه الأودي :

تلفى الأمور بأهل الرشد ماصلحت
والبيت لا يئتنى إلا له عمد
وإن تجمع أقوام ذوو حسب
وقال بشامة بن الغدير :

وجدت أبي فيهم وجدي كلاهما
فلم أتعمل للسيادة بينهم
يطاع ويؤتى أمره وهو محبتي
ولكن أتنى طائعا غير متعب⁽²⁶⁾

(24) ابن الطفيل . عامر . ديوانه ص 28 تح كرم البستاني . طب دار صادر بيروت 1963 .

(25) الأودي . الأفوه . ديوانه ضمن (الطرائف الأدبية) قزب 9 وبعده ص 10 الميني . عبد العزيز .
الطرائف الأدبية . القسم الأول (ديوان الأفوه الأودي . ديوان الشنفرى وتسع قصائد نادرة) طب دار
الكتب العلمية . بيروت (د : ت) !

(26) ابن الغدير . بشامة . شعره ص 219 وانظر : الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ، مبحث
السلطان ص 184 الهامش 40 (م . س) .

والعربي يرفض الظلم رفضه للغدر والكذب ، قارن الفند الزماني :

- 1- أقيـدوا القـوم إن الظلم لا يرضاه ديـان
- 2- وإنّ النـارَ قد تصبّح يومياً وهي نيران
- 3- صفحنا عن بني ذهل وقلنا القوم إخوان
- 4- فلما أبي الصلح وفي ذلك خذلان
- 5- شددنا شدة الليث غدا والليث غضبان⁽²⁷⁾

وتنشأ الزعامة الشريفة في حاضنة (الفتوة ، الفروسية) ، فالقائد لا يستبد ولا يستأثر بالسلطة ، القائد أول من يضحي ، وآخر من يستفيد ، فلا يسلط أولاده وأشقاءه وأبناء عمومته وأصدقاءه على أموال الناس وأعراضهم ورقابهم ، القائد الزعيم سيف بين السيوف ، وليس السيف الأوحده ، وليس الفحل الوحيد ، والمفكر الوحيد ، والمالك الوحيد للحقيقة .. وقد وصف الأعشى هذا الزعيم القائد ..

غيثُ الأرامل والأيتام كلهم	لم تطلع الشمس إلا ضراً أو نفعاً
لم ينقص الشيب منه ما يقال له	وقد تجاوز عنه الجهل فانقشعا
لا يرقع الناس ما وهى وإن جهدوا	طول الحياة ولا يوهون ما رقعاً
قد حملوه فتي السن ما حملت	ساداتهم فأطاق الحمل واضطلعا
تلقى له سادة الأقسام تابعة	كلّ سيرضى بأن يرعى له تبعاً

وهذه الهيئة ليست بعيدة عن هيئة الزعيم القائد في ذهنية لقيط

فساوروه فألفوه أخوا علل	في الحرب يحتبل الرئبال والسبعا
لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده	ولا إذا عضى مكروه به خشعا
وليس يشغله مال يثره	عنكم ولا ولدٌ يبغى له الرّفا
مقى استمرت على شزر مريرتّه	مستحكم السنّ لاقحماً ولا ضرعاً

(27) الفند الزماني . شعره ص 294 . مجلة المورد العراقية . مجلد 8 عدد 3 سنة 1979 .

عبلُ الذراع أيباً ذا مزابنة في الحرب لا عاجز أنكساً ولا ورعا
ما انفك يجلب درّ الدهر أشطره يكون متبعاً طوراً ومتبعاً

ويمكن القول : إن قصائد الرثاء مرآة صافية ، تعكس فضائل الفقيد وحين سئل أحد الشعراء : ما بال المراثي أجود أشعاركم ؟ فأجاب « لأننا نقولها وأكبادنا تحترق » !!

يقول الدكتور جبار عباس اللامي : الرثاء تعبير عن مشاعر الأسى والحزن فضلاً عن ذكر محاسنه والإشادة بمآثره وخصاله الحميدة ، ومعظم المراثي التي وصلت إلينا تميزت بصدق اللوعة ، وحرارة العاطفة ، وخاصة المراثي التي كانت تقوم على رابطة الرحم والتقربى التي تجمع بين الرائي والمراثي . ١ . هـ .⁽²⁸⁾

قالت الخنساء :

يا صخر من لطراد الخيل إذ وزعت وللمطايا إذا يشدون بالكور
ولليتامى وللأضياف إن طرّقوا أبياتنا لفعال منك مخبور
ومن لكربة عان في الوثاق ومن يُعطي الجزيل على عسر وميسور
ومن لطنعة خلسٍ أو لهاتفنة يوم الصياح بفرسان مغاوير
يا صخر كنت لنا عيشاً نعيش به لو أمهلتك ملات المقادير
يا فارس القوم إن شدوا فلم يهنوا وفارس القوم إن هموا بتقصير
يا صخر ماذا يوارى القبر من كرم ومن خلّاق عفاتٍ مطاهير⁽²⁹⁾

وقال محمد بن كعب الغنوي :

لقد كان أما حمله فروح عليه وأما جهله فعزيب
أخي من أخي ، لا فاحش عند بيته ولا ورع عند اللقاء هيب

(28) اللامي . د . د . جبار عباس . شعر المرأة في العصر الجاهلي ص 27 . طب مركز عبادي للدراسات والنشر . صنعاء 1998 .

(29) الخنساء . ديوانها ص 50 تح عبد السلام الحوفي . طب دار الكتب العلمية بيروت (د : ت) .

على نائبات الدهر حين تنوب
حُبِّ الشيب للنفس اللجوج غلوب
وليث إذا يلقي العداة غضوب
من المجد والمعروف حين يثيب
سيكثر ما في قدره ويطيب
جميل الحيا، شبٌ وهو أديب
بسابسُ قفر ما بين عريب
كما اهتز من ماء الحديد قضيب
إذا نال خلات الكرام شحوب
وفي السلم مفضال اليمين وهوب
فلم ينطقوا العوراء وهو قريب
سريعاً ويدعوه الندى فيجيب
بما لم تكن عنه النفوس تطيب⁽³⁰⁾

أخي كان يكفيني وكان يعينني
حليم إذا ما سورة الجهل أطلقت
هو العسل الماذي ليناً ونائلاً
هوت أمه ما إذا تضحن قبره
أخو سنوات يعلم الضيف أنه
حبيب إلى الزوار غشيان بيته
كأن بيوت الحي ما لم يكن بها
فتى أريحي، كان يهتز للندى
فتى ما يبالي أن يكون مجسمه
فتى الحرب إن جارت تراه سامها
إذا ما تراءه الرجال تهيبوا
حليف الندى يدعوه الندى فيجيبه
فلو كانت الدنيا تباع اشترته

واستحقت برة ابنة عبد المطلب دموع عينيها ، حتى تبكي :

جميل الحيا عظيم الخطر
وذي المجد والعز والمفتخر⁽²¹⁾

على ماجد الجد واري الزناد
على شبيبة الحمد ذي المكرمات

ولن يغفل الباحث في القيم العربية كتب الأمثال التي متحت مادتها من الشعر والنثر ونشرت أماننا باقات لا تعد ولا تحصى من الأمثال العربية الجاهلية ، التي تذكى

(30) القرشي . أبو زيد محمد بن الخطاب (من القرن الثالث) . جهرة أشعار العرب ص 249 وبعدها طب دار صادر بيروت (د : ت) .

(31) اللامي . د . جبار عباس . شعر المرأة في العصر الجاهلي ص 98 وقد عولنا على هامش 12 (م . س) .

روح المروءة والنجدة . من نحو كتاب (الأمثال) لأبي فيّند مؤرّج السدوسي ،
و (المستقصى في الأمثال) للزخشي ، و (مجمع الأمثال) للميداني .

18 - الأدب الجاهلي أدب رؤية .. كثر قراء الأسرار لاحتياج الناس إلى كشفاتهم
ومزاعمهم فالناس يسألون ويحتكمون وقراء الأسرار يلبّون ، وقد يصعب الفصل بين
وظائف دلاليّ ذلك العصر وهم كثر من نحو المنبئ والكاهن والعراف والطبيب والساحر
والمسوس والمتوسم والقلمس والحازي والقائف والمتفرّس والرائد والبدال . ويسعى
الأديب إلى أن يكون كل هؤلاء الذين يمتلكون موهبة الخيال التشاكلي القائم على مبدأ
التشبيه للتأثير في الطرف الآخر ، فتأدى الكهنة في تطويع علومهم الحدسية القائمة على
المزاعم والاستنتاج والاستدلال ، وأوهمو الناس أنهم يأخذون علومهم من الرئي
والنجمة ، فافترقوا درجات عن الشعراء الذين ينهلون معطاهم من شعب بوادي عبقر ،
بل وافترقوا درجات عن ذوي الحدس الصافي القائم على الذكاء والتوسّم ، من نحو
قس بن ساعدة ، وورقة بن نوفل .. النص الرؤيوي مالك لزيادة محسوبة دلاليّاً
عهدئذ ، وإن شابت رؤية النص الباذخة أشياء من الوهم والإيهام بما يستدعيه الهجاز
وآليات صناعة النص قارن 1 - قس بن ساعدة :

لما رأيت موارداً	لموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها	يمضي الأصغر والأكبر
أيقنت أني لا محمداً	لـة حيث صار القوم صائر

2 - زهير بن أبي سلمى :

- ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى	من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا
- وأعلم ما في اليوم والأمس قبله	ولكنني عن علم ما في غد عمي

3 - أمية بن أبي الصلت :

مفاويز وحاج
ولقد أبان لكل لامح

شمط بهاليل
ألا ترون لما أرى

4 - قراد بن الأجدع :

فإن غداً لناظره قريب

فإن يك صدر هذا اليوم ولى

5 - طرفة بن العبد :

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً

6 - الأعشى :

إذ يرفع الآل رأس الكلب فارتفعا

إذ نظرت نظرة ليست بكاذبة

7 - لقيط بن يعمر الإيادي :

لمن رأى الرأي بالإبرام قد نصعا
فاستيقظوا إن خير العلم مانفعا

هذا كتابي إليكم والنذير لكم
وقد بذلت لكم نصحي بلا دخل

الفصل الثاني

عصور الأدب

أ- ذهبنا في الفصل الأول إلى أن الأدب كالزمن فكلاهما دائري ومتّصل ومن الصعب الفصل بين الأجزاء دون اعتساف طبيعة كل منها ، فإذا قسّم الكاتب الأدب فإنما يفعل ذلك لكي يقربّ الفكرة من الذهن ، ويسلّط الضوء على كل جزء ابتغاء تشريحه ورؤية خصائصه ، والأدب العربي أدب معمر ، وقد غاب عن ذاكرته عهد طويل سبق العصر الجاهلي المحدد !! فالأدب الجاهلي الذي وصلنا محصور بفترة القرن والنصف إلى القرنين ، وهي فترة ضئيلة تماماً ! فأين ذهب الأدب الجاهلي (الغائب) الذي سبق العصر الجاهلي المائل ؟ أين نصوص ذلك العهد ؟ ومن هم شعراؤه ؟ إن خسارة فادحة لحقت الإبداع العربي حين خسر أدب حقبة طويلة نسبياً تتجاوز العشرين قرناً ؛ تمتد من عام 1500 ق . م إلى 610 م ، لقد أسهمت أسباب كثيرة في ضياع كنوز الأدب الغائب ؛ منها أن معظم الوثائق والنقوش التي احتفظت ببعض هذا الأدب ما زال مطموراً تحت الأرض ، ولم يوحد الآثاريون العرب جهودهم للتنقيب والبحث علماً بأن التأخر في تنظيم هذه الحملات أتلّف الكثير منها - كما نفترض - وترك الباب موارباً لسراق الآثار وتجارها ... ولم تجد الجهود الضيقة نفعاً أكيداً قياساً إلى طموح المختصين في الأدب الجاهلي المتمثل في العثور على نصوص الأدب الغائب ! زد على ذلك جهل البعض لقيمة الرُّقْم والمكتشفات ، فالرُّقْم الطينية ربما تكون مادة لبناء البيوت ويكفي القول : إنني عشت في محافظة بابل أربع سنوات ، واكتشفت بنفسني أن كثيراً من البيوت في المدن والقرى المجاورة لبابل قد بنيت من آجر آثار بابل !! وجهل

البعض يغري الناس الذين يعثرون على الآثار بإخفائها واعتدادها مقتنيات خاصة أو بيعها على الأجانب ، وما زال الأمل واسعاً في أن تسفر الحفريات التي تنهض بها جهات آثارية كلاً على انفراد في اليمن والسعودية والبحرين والكويت والعراق والشام عن نتائج باهرة .. متنين على فرق التنقيب توحيد جهودها والاستفادة بخبرات المختصين في حقول العصور الجاهلية .

ب - ومهما يكن من الأمر فنحن مضطرون إلى الشغل على المساحة المتوفرة لدينا وهي تمتد بين (150-200) سنة قبل الهجرة وهي فترة ضئيلة كما أشرنا ، ولكن البحث العلمي لا يؤسس نظرياته على الحدس والتخمين .. وسوف نبدأ بتقسيم الأدب العربي وفق التسلسل الزمني لاعتبارات منهجية ، ولنا أن تقدم بين يدي هذا التقسيم احترازاً هاماً يتمحور حول التداخل بين العصور ، فلا يمكن القطع بأن ظهور الإسلام مثلاً أنهى (تماماً) إيماءات الأدب الجاهلي وشحناته ! ولا يمكن مثلاً التخيل أنّ عام (132 هـ) عام سقوط النظام الأموي هو عام ابتداء الأدب العباسي .. ليس قبله وليس بعده !! فالأدب مخلوق عصي لا يلتزم مثل الناس الاعتياديين بمواقيت الأنظمة ، فثمة شعراء مخضرمون كتبوا في الجاهلية والإسلام مثل حسان بن ثابت ، والخنساء ، والحطيئة ، وليبيد . وثمة شعراء مخضرمون كتبوا في العصر الأموي والعباسي .. مثل بشار بن برد مثلاً .. ومرة أخرى فنحن نسلم بالتقسيم الزمني لأسباب منهجية كما أشرنا .

- 1 - أدب العصر الجاهلي : ويمتد من 200 عام قبل الهجرة حتى ابتداء الهجرة .
- 2 - أدب عصر صدر الإسلام ويبدأ من العام الأول للهجرة إلى عام 40 يوم اغتيال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .
- 3 - أدب العصر الأموي .. من عام اغتيال الإمام علي إلى عام سقوط النظام الأموي (132 هـ) .

4 - أدب العصر العباسي الأول ويبدأ من (132 هـ) إلى عام (232 هـ) انتهاء خلافة الواثق .

5 - أدب العصر العباسي الثاني (232 هـ) إلى عام (334 هـ) عام استيلاء بني بويه على مقاليد الفعلية للخلافة الجريجة حين اكتفى خلفاء بني العباس عهد ذاك بالاسم فقط .

6 - أدب العصر العباسي الثالث من عام (334 هـ) حتى عام (447 هـ) عام استيلاء السلاجقة على بغداد .

7 - أدب العصر العباسي الرابع من عام (447 هـ) حتى عام (656 هـ) عام دخول جيش التتار بغداد والإجهاز على الخلافة العباسية ، فكان دخول التتار موعداً لسقوط الحكم العباسي .. الذي انطفأ منذ دبت الفتن بين الأمين والمأمون وتسلبت العناصر غير العربية على الحكم وشيوع روح الاستعلاء والعتو في الأسر الحاكمة باتجاه الحكومين وبخاصة المسلمين من غير العرب .

8 - أدب العصور المظلمة ويبدأ من عام الشؤم (656 هـ) حتى عام (1213 هـ) عام وصول الجيش الفرنسي الغاشم إلى التراب المصري بقيادة القائد الفرنسي المعتوه نابليون بونابرت ! والإنصاف يدعوننا لتسمية هذه الفترة بالفترة المظلومة ، فقد استيقظت النخوة الأدبية والعلمية فصنع الأدباء والمثقفون العرب الموسوعات الكبيرة ، وبرز شعراء رافضون حذروا من مغبة اليأس والتخاذل .

9 - أدب عصر النهضة من (1213 هـ) (1798 ميلادية) إلى (1950 م) . وقد ظهر فيه كثير من الاتجاهات التقليدية والتجديدية وكان الصوت الأقوى هو صوت محاكاة النماذج العليا من الأدبين الجاهلي والعباسي .. وإحياء الروح الأدبي .

10 - الأدب الحديث من عام (1950 م) حتى أيامنا هذه (1999 م) . وقد بدأ

برواد الأدب الحديث في الشعر والنثر الفني .. فعلى مستوى الشعر ظهر رواد الشعر الحر الذين اعتمدوا البحور الصافية والتفعيلة المكرورة ، ثم جاءت بعدهم أجيال حاولت تجاوز تجربة الرواد . وعلى مستوى النثر الفني ظهر رواد متميزون في القصة والرواية والمسرحية والمقالة وظهرت بعدهم أجيال حاولت تجاوز تجربتهم^(☆) .

ج - كثيرة ومتعددة هي زوايا النظر التي يمكن من خلالها رصد الأدب الجاهلي ، ومعلوم أن مسوّغ هذه الكثرة وتلك التعددية هو اختلاف الدارسين في المناهج المتبعة والأهداف المقصودة والثقافات والمرجعيات ودرجات الوعي ، وإذا كنا قد وضعنا الأدب الجاهلي في إطار الزمن فإنما فعلنا ذلك لأسباب منهجية تتصل بشغلنا وأهدافنا ، إلا أن للأدب الجاهلي قوة ضاغطة ، مازال حتى اليوم بعض شعرائنا التقليديين ينؤون من أثرها ! فكيف يكون الأمر مع العصور القريبة من الجاهلية .. صدر الإسلام والأموي والعباسي !! لقد تعصب له علماء الشعر ، واعتدوه مقياساً لشعرية الإبداع العربي ، ولنا أن نستذكر مخضرمي العصرين الجاهلي والإسلامي وأثرهم في الاختلاط (الفني) بين هذا الشعر وذاك والدارسون احتاطوا للأمر فلقبوا قصائد العصر الجاهلي بالمنتقيات ، والجاهليات . وقصائد المرحلة الانتقالية بالمخضرمات والمشوبات ، وسوف نعرض فيما يلي إلى عدد من المنطلقات التي يمكن اعتمادها في مباحث الأدب الجاهلي .

1 - دراسة الأدب من خلال الترتيب الزمني السياسي وقد شرحناه .

2 - قال بعض العلماء : بني الشعر على أربعة أركان وهي المديح والهجاء والنسيب والرثاء⁽¹⁾ وقد أوّل الدارسون هذا التقسيم الرباعي إلى أن أصول الشعر أربعة هي الرغبة والرغبة والطرب والغضب (فع الرغبة يكون المدح والشكر ، ومع الرغبة يكون^(☆) إشارة : لا يمكن وضع الأدب الأندلسي في نظرنا ضمن العصر الأموي أو العباسي .. فهو أدب ذو ملامح مختلفة وإن له عصوره الخاصة به فاقتضت الإشارة .

(1) القيرواني . أبو علي الحسن بن رشيق ت 456 . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 100/1 تح محي الدين عبد الحميد طب دار الجيل بيروت 1972 .

الاعتذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ، ومع الغضب يكون الهجاء والتّوعد الموجع والعتاب الشديد (2) .

والنباقة العرب موقنة أن أشعر العرب الأعشى إذا طرب ، وامرؤ القيس إذا شرب ، وعمرو بن كلثوم إذا غضب ، والنابغة إذا رهب ، ونرجح عنصرين من العناصر الأربعة وهما الرهبة والرغبة إذ يمكننا وضع الطرب في الرغبة والغضب في الرهبة .
وحين سئل الإمام علي كرم الله وجهه عن أشعر الشعر لم يشأ الإجابة لشدة وعيه بطبيعة الشعر ، وحساسية المتلقي ، بيد أنه أجاب حين ألحف السائل في السؤال قائلاً : امرؤ القيس وحين طلب إليه تعليل حكمه قال : « لأن امرأ القيس لا يقول الشعر عن رغبة ولا عن رهبة » .

إن تشريح الشعر من خلال أغراضه منطلق مهم ، لأنه يبوّب الفنون الشعرية ، ويحدد إمكانات وأهم هذه الأغراض هي : الغزل ، والفخر ، والمديح ، والرثاء ، والهجاء ، والتوثيب ، والحكمة ، والوصف .

3 - دراسة الأدب من خلال شعراء القبائل ، فالقبائل العربية تحفي بشعرائها احتفاء كبيراً ، فإذا نبغ شاعر في القبيلة فهذا يعني أن القبيلة ستحتفل رجالاً ونساءً شيباً وشباناً ، وستنحر الإبل للمدعوين ، ويستعرض الشباب فنونهم في الرقص والغناء ، فالشاعر عهد ذاك مؤسسة إعلامية ، وكان النعمان بن المنذر يجمع في خزائنه الشعر الذي يمتدح به قومه (3) (والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائهم وقبائلهم في الجاهلية ... أكثر من أن يحيط بهم محيط ، أو يقف من وراء عددهم واقف) (4) .

(2) حسن . د . حسين الحاج . أدب العرب في عصر الجاهلية ص 18/طب المؤسسة الجامعية للدراسات بيروت 1984 .

(3) الرازي . أبو حاتم أحمد بن حمدان ت (322 هـ) . كتاب الزينة ص 96 تح حسين الهمداني الحراري طب مركز الدراسات والبحوث البيني . صنعاء 1994 .

(4) ابن قتيبة . أبو محمد عبد الله بن مسلم ت 276 هـ . الشعر والشعراء 22/1 طب دار إحياء العلوم . بيروت 1987 .

وقد قال الشاعر :

ألهى بني تغلبٍ عن كلِّ مكرمةٍ قصيدةً قالها عمرو بنُ كلثومٍ

وقد صنع السكري ديواناً لقبيلة هذيل مثلاً ..

4 - الأمكنة .. وهذا منطلق آخر لدراسة الأدب الجاهلي ، فهناك الشعراء الشماليون والشعراء الجنوبيون أو شعراء اليمامة أو الثغور أو الريف ..

5 - الأدب في دائرة الأنظمة السياسية .. من نحو شعراء دولة كندة ، وشعراء المناذرة ، والغساسنة ، ومكة ، ودومة الجندل .

6 - دراسة الشعر من خلال مقامات الشعراء ونجوميتهم وانتماءاتهم ، فهناك شعراء ملوك وشعراء سوقة وشعراء عبيد وهناك شعراء صعاليك ، وفرسان ، ولصوص ، وعشاق ، ومتألمون ومتعهمرون ، وشعراء غربان (ذوو بشرة سوداء) . وخلاسيون (بشرتهم اعتيادية وأصولهم سوداء) ..

7 - دراسة الشعر وفق معيار المصنوع والمطبوع ، فقد عرف العصر الجاهلي شعراء يعنون بتصليح شعرهم ومراجعته ، وقد تستغرق القصيدة حولاً كاملاً .. وهناك شعراء يكتبون على الفطرة بتلقائية محببة فزهير بن أبي سلمى ورهطه كانوا من عبيد الشعر - كما زعم - فهم ينسبون إلى الشعر المصنوع وامرؤ القيس وطرفة والأعشى وسواهم ينسبون إلى الشعر المطبوع .

8 - دراسة الشعر وفق طبقات الشعراء ، فثمة شعراء يأتون في المقام الأول ؛ وهم الشعراء الفحول ، وشعراء يأتون في المقام الثاني ، وقد جعل الأصمعي امرأ القيس والنابغة على رأس الفحول بينما لم يعتد الأعشى وعمرو بن كلثوم من الفحول !!

وسأل أبو حاتم السجستاني الأصمعي عن دلالة الفحل فأجابته (يراد أن له مزية

على غيره كمزية الفحل على الحقاق⁽⁵⁾ وقد شاعت فكرة الطبقات ، ولنا أن نستذكر (طبقات فحول الشعراء) لابن سلامّ الجمحي ، أما أبو زيد القرشي فقد بوّب الشعراء وفق شهرة قصائدهم فذكر (أصحاب) المعلقات والمجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمشوبات والمرائي والملحمت⁽⁶⁾ .

9 - ويمكن دراسة الشعر وفق معيار شعراء الوبر وهم الأعراب سكان البادية وشعراء المدر وهم سكان المدن والأرياف .. فشعراء البادية غليظو العبارة ، عنيفو المشاعر . وشعراء المدن رقيقو العبارة هادئو المشاعر ، والعرب تقول من بدا جفا ، وحين سئل الأصمعي عن شاعر أعرابي أجاب إنه لم يعد كذلك ؛ لأنه أكل البقول ! وكانت المنافسة على أشدها بين شعراء البادية وشعراء الحاضرة ولكل سنخ من هؤلاء جمهوره ومريدوه ..

10 - كما أن بإمكان الدارس النظر إلى الشعر الجاهلي من جهة الولاءات الدينية ، فالسموئل بن عادياث مثلاً شاعر يهودي وأمّية بن أبي الصلت مسيحي وعمرو بن زيد بن نفيل حنفي ، وثمة شعراء صابئة ، ومجوس ، ووثنيون ..

د - أما مناهج دراسة الأدب الجاهلي فهي كثيرة أيضاً ومتعددة بتعدد مرامي الدارسين وثقافتهم ومرجعياتهم وأهم المناهج التي رصدت الأدب الجاهلي وبخاصة الشعر هي المنهج اللغوي ، والمنهج التاريخي ، والمنهج الجغرافي ، والمنهج النفسي ، والمنهج الفني ، والمنهج الاجتماعي ، والمنهج البنيوي ، والمنهج الإيديولوجي ، والمنهج الدلالي ، والمنهج التكاملي . وجل هذه المناهج يعترف الأدب الجاهلي ، ويلوي عنق النص لكي يتجاوب مع نهج الباحث . وهو أمر يبعد البحث عن مركزية الأدب الجاهلي ، فالمنهج اللغوي مثلاً معنيّ بتشقيق النص ، ومعرفة مديات تعامله مع الاسم والفعل والحرف ..

(5) السجستاني . أبو حاتم سهل بن محمد (ت 255 هـ) سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ص 30 تح د . عودة أبو جري . طب مكتبة الثقافة الدينية . مصر 1994 .

(6) القرشي . جهرة أشعار العرب ص 361 وبعدها (م . س) .

وكم مرة مثلاً اعتمد الجملة الاسمية أو الفعلية ، وأيهما المتغلب في الجملة المصدر أم الفعل .. وهكذا يكون النص الجاهلي أسير فرضيات ترهقه أما المنهج التاريخي فهو يجر النص الجاهلي إلى متاهات التاريخ ومغارات الزمن المعتمة ، فيدرس التاريخ من خلال النص الجاهلي ، أو يدرس النص الجاهلي من خلال التاريخ ، فيكون النص وثيقة بكاء ، تقول ولا تعي . أما المنهج الجغرافي فهو قريب الأرومة من التاريخي ، لأنه معني بإضاعة الفرضية الجغرافية بالنص الجاهلي أو إضاعة النص الجاهلي بالمعلومة الجغرافية ، ويلاحظ هذا المنهج الأثر الطوبوغرافي (التضاريسي) والديموغرافي (السكاني) والنوئي في النص الجاهلي ، وربما لاحظ كيفيات تعبير النص الجاهلي عن التضاريس والسكان والأنواء .. إلخ .

وربما كان المنهج النفسي في بعض ميادينه قريباً من روح النص الجاهلي ، إلا أن الاعتراف سمة هذه الدراسات فالشاعر في رؤية هذا المنهج مريض مصاب بالعصاب أو السيتزوفرينيا ، والنص الشعري وثيقة تضيء لنا أسباب عناءات الشاعر .. ولا يمكن الظن أن هذا المنهج صالح مع كل الشعراء .. فقد يفيدنا هذا المنهج في دراسة أثر اللون في شعر عنتره ، وضعف البصر في شعر الأعشى ، واليفاعة في شعر طرفه ، والشيوخوخة في شعر زهير ، وفرك النساء في شعر امرئ القيس .

أما المنهج الفني فهو أقرب المناهج إلى روح النص الأدبي ، لأنه مشغول بجاليات النص وشعرياته من خلال تشريح المبنى والمعنى للنص .

والمنهج الاجتماعي يدرس الأدب الجاهلي من خلال أثر الحياة الاجتماعية في شعر الشاعر ونثر الناثر .. ثم أثر معطى الشعر أو النثر في الحياة الاجتماعية ، ولا بد والحالة هذه من الإلمام التام بتقنيات علم الاجتماع ، لكي يحسن الباحث استخدامها .. وهذا المنهج يخدم علم الاجتماع قبل أن يخدم الأدب الجاهلي .. فإدب هنا سوى عينة تستخدم ، ثم تهمل .. ويمكن القول : إن المنهج البنيوي قريب جداً من روح النص

الجاهلي لأسباب كثيرة ، منها أنه منهج وصفي ، لا يعبأ بالمنهج المعيارية ، فهو يحلل ويستكشف ويستنبط ولا يقاضي أو يصدر أحكاماً ... وسبيله في ذلك إدراك العلاقات العميقة والظاهرة في النص ، وفق الأنساق التي تتحكم بالنص ، ويهمل هذا المنهج دراسة الشاعر ؛ لأن الغاية كامنة في الشعر وليس الشاعر استناداً إلى دعوة رولان بارت إلى موت المؤلف .

وكما اقترب المنهج البنيوي من النص الجاهلي فقد ابتعد المنهج الإيديولوجي عنه ، لأن هذا المنهج يحمّل النص الجاهلي فوق ما يحتمله ، ويلجأ إلى التأويل والتقويل والتلوين لإثبات أمور يصعب إثباتها في حيز الأدب الجاهلي .. كيف يفكر منتج النص ؟ وما النتائج العقدية المستخلصة من نص الشاعر ؟ وهل هو ثابت الرأي أم متحوّله ؟ وما أثر الجوانب الاقتصادية والطبقية في تجربته الشعرية ؟

ويظل المنهج الدلالي أميناً في مباحثه العلمية مع النصوص الأدبية الجاهلية ، فهو مشغول بالمعاني ودلالاتها ، وقد ينتقل من المعاني الظاهرة إلى المعاني المستترة وملاحظة استثمار النص لآليات الحجاز ، وقد يلاحظ الدارس وفق هذا المنهج مدى نجاح الشاعر في استخدام آليات البيان (تشبيه - استعارة مكنية - استعارة تصريحية - كناية) في إيضاح دلالات النص ، أو مدى إخفاقه ، ولا بد من تفقه الباحث الدلالي في جدل الدال والمدلول والإشارة .. وهذا المنهج قادر على استجلاء جماليات النص الجاهلي ..

وأخيراً فالمنهج التكاملي هو المنهج الذي يلقّق عدداً من المناهج التي ذكرناها أعلاه أملاً في تحليل النص الأدبي الجاهلي ، فهذا المنهج يعتمد عدداً من المناهج لتأسيس الدرس ونحسبه غير قادر على التركيز وقول أشياء ذات قيمة .. لأنه يبدد الجهد ، ويشتت الاجتهاد ، ويضئع إشارات النص . إن المنهج الواحد لا يلغي إطلاقاً حرية الاغتناء بمزايا المناهج الأخرى .. ولكنه اغتناء محسوب ومحدود .. يجيء تعزيزاً للمنهج الأم

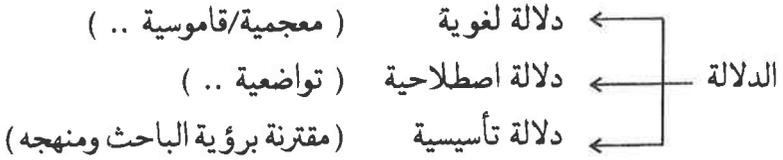
فيإمكان الدارس وفق المنهج الفني مثلاً الاستعانة (المحدودة) بمزايا المنهج اللغوي أو التاريخي أو أي منهج آخر ..

أما المنهج التكاملي .. فخطيئته أنه بلا ملامح .. وأنه متعب للنص ، وللدارس ، والمتلقي معاً ..

الفصل الثالث

تفكيك المصطلحات

الكلمة طاقة لاتنفى ولا تستحدث ويتعين على المتصّرف بها معرفة طبائعها وأصولها وفروعها ، فقد تنسحب كلمة إلى الظل ، وتنعم أخرى بالضوء وفق قانون الاستعمال والإهمال . فاللغة كائن حيوي ينو ويتطور ويضمر ، بيد أنه لا يموت وإنما يرقن حين يدبّ الانحلال والتشردم في جسد هذا الكائن ! وقد قرّ في تجارب العاملين في حقول الكلمة أن للكلمة ثلاث دلالات يمكن استنباطها من جهة استقراء تاريخ مسيرتها أو مسيرة تاريخها ، فالدلالة الأولى تعتمد مرجعية اللغة مظنة لها وتسمى الدلالة اللغوية ، والدلالة الأخرى فظنتها مرجعية وضعية اتفق المشتغلون بها عليها ، وتظل الدلالة الثالثة الأخيرة مقترنة برؤية الباحث الخاصة وطبيعة شغله ومنهجه وهمومه وتسمى الدلالة التأسيسية .. قارن !



واجدل بالعلة والمعلول قائم بين هذه الدلالات ، إذ لا يمكن لقنوات التواصل بين هذه الدلالات أن تنقطع ، ثمة تأويل دائماً وتوجيه يميلان على المعاني المشتركة بين الدلالات ، وإن بدا الأمر للوهلة الأولى مختلفاً ؛ قارن تشريح الدلالات الثلاث !

1 - الدلالة اللغوية : وتعتمد الذاكرة المعجمية والقاموسية مثابة لها من نحو (لسان العرب لابن منظور (ت 711 هـ) ، و (القاموس المحيط) للفيروزآبادي

(ت 817 هـ) و (تاج العروس) للزبيدي (ت 1205 هـ) . وسوى ذلك كثير ..
والدلالة اللغوية ثابتة الأصول نامية الفروع متعددة الثمر ..

2 - الدلالة الاصطلاحية : وتعتمد ذاكرتها على ما تصالح المعنيون عليه بشأن حدودها وأوجه استعمالها ، وهي متحوّلة بحسب الزمكان والحاجات والمستجدات ، ولأنها متحوّلة فن الصعب التزامها بمعجم اصطلاحي محدد ! ولعل كتب المجازات كانت محاولة ذكية للإمساك ببعض التحولات التي لحقت الكلمات بسبب الاستعمال ، والترميز ، والتأويل ، والتلوين ، نظير (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 207 هـ) وكتب التفسير والشرح والصحاح وكتب المصطلحات الفقهية ، والشرعية ، والنحوية ، واللغوية ، والبلاغية ، ومن نحو كتاب (الأنواء) لابن قتيبة (ت 276 هـ) ، و (الأزمنة والأمكنة) للرزوقي (ت 421 هـ) ، و (العرب) الجواليقي (ت 540 هـ) و (التعريفات) علي بن محمد الجرجاني (ت 618 هـ) ، و (مفتاح العلوم) السكاكي (ت 626 هـ) و (كشف اصطلاحات الفنون) محمد علي التهانوي (من القرن 12 هـ) و (المعجم الأدبي) جبور عبد النور ، و (معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب) لمجدي وهبة وكامل المهندس ، و (معجم المصطلحات البلاغية) ثم (معجم المصطلحات النقدية) ت : د . أحمد مطلوب والقائمة طويلة لمن أراد الاستزادة ..

3 - الدلالة التأسيسية : وهي متحوّلة بشكل يفوق الدلالة الاصطلاحية لأن الدلالة الاصطلاحية جمعية وإن تبدلت بتبدل الحاجات والأمكنة والأزمنة وفق اشتراطات غير يسيرة ينهض بها المجتمع حيناً والمختصون حيناً آخر ، أما الدلالة التأسيسية فهي تعوّل على وجهة نظر الباحث الذي يحولها باتجاه منهجه وأسلوبه ؛ وتساعد الأمثلة الآتية في إدراك أوجه الائتلاف والاختلاف بين الدلالات الثلاث (عينات : أسلم ، كفر ، عقل) .

ذَلَّ + خضع =	(لغة)	←
أَسْمَ + صار مسلماً =	(اصطلاحاً)	←
سَتر + غَطَى + حرث =	(لغة)	←
ترك الإيمان بوحداية الله =	(اصطلاحاً)	←
حبل تشد به الحيوان لأمن الضرر =	(لغة)	←
آلة التفكير في رأس الإنسان =	(اصطلاحاً)	←

ونحاول فيما يلي تفكيك عدد من العينات (الكلمات) المتصلة بشغلنا في هذا الكتاب انطلاقاً من مركزية التوطئة أعلاه .

أولاً : أدب وأدبية

الأدب في حاضنة اللغة : يمثل آفاقاً شاسعة ، ويتوفر على دلالات كثيرة العدد والوجوه .. أهمها الرياضة والطعام والاعتیاد والمعرفة العامة والمروءة والتعليم والأعراف والمجازاة ...

١ - الرياضة : وتعني في جانبها الحسي تضمير الجسم ، قولنا أدبت الجمل أو الفرس أي رَوَّضتها ، وجعلت كلاً منها مهياً للامتطاء مستجيباً للإيعاز .

والمؤدب (كسر الدال) هو مروِّض الحيوان ، أما الأديب فهو الحيوان المروِّض (فتح الواو المشددة) ، وقد ينصرف المعنى إلى ترويض جسد الإنسان ! أما السياق الذهني فهو قولنا : رَوَّضت نفسي على قبول أمر لا أحبّه .

وهنَّ يصرفن النوى بين عالج ونجران تصريف الأديب المذلل

2 - الطعام : الأدب هو السائغ من الطعام ، والمؤدِّب (كسر الدال المشددة) طاهي الطعام ، والأديب صاحب المأدبة أو الولية ، وقد تواتر الاستشهاد في ذلك ببيت لطرفة بن العبد نأمل أن نعرث على أبيات أخرى تعزّز المثل !!

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الأدب منّا ينتقر⁽¹⁾

والشياء الجاهلي كان فصل الطاقة وانجاس الرزق ، بحيث تتضح معادن الرجال فيه ، والكريم يجد الشتاء سانحة ثمينة للتعبير عن سجيته وكرمه والأدب (صاحب المأدبة والدعوة) من قوم طرفة لا يختار لمأدبته قوماً دون قوم وإنما هو يدعو (الجفلى) أي الجميع دون استثناء دون أن ينتقي لمأدبته ! إذن الكرم في (المشتى) الشتاء لا (ينتقر) أي لا يختار ؛ لأن الطعام مثل الهواء حصة للجميع قال عدي :

زَجِلْ وَبُلْهُ بِجَاوِبِهِ دَفَّاءٌ لِيَخُونَ مَأْدُوبَةً ، وَزَمِيرٌ

ولبث هذا المعنى بعد إشراقه الإسلام قال رسول الله ﷺ : « إن هذا الكتاب مأدبة في أرض الله » وقال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) موجحاً عثمان بن حنيف عامله على البصرة : « العامل هو الوالي أو المحافظ » ، لأنه استجاب إلى وليمة قوم ينتقرون الأثرياء وذوي الجاه : « أما بعد يا ابن حنيف ، فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان ، وتنقل إليك الجفان ، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو ، وغنيهم مدعو ، فانظر إلى ما تقتضيه من هذا المقضم »⁽²⁾ .

قال الشاعر :

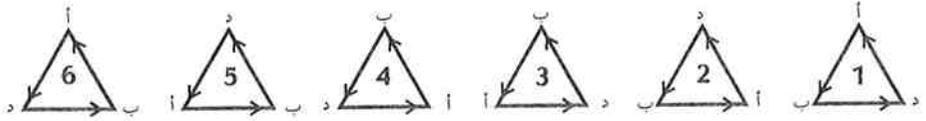
كأنّ قلوبَ الطير في قعرِ عَشَّهَا نوى القسب ملقى عند بعض المآدب

3 - الاعتياد : وهذا المعنى يصاقب الترويض ويخالفه في مواضع ويؤول المستشرق الإيطالي كارلو نالينو حالة التاهي بين الأدب والاعتياد بأن (أدب) منقلبة عن

(1) ابن العبد . طرفة . ديوانه ص 60 . تح درية الخطيب ولطفي الصقال طب مجمع اللغة العربية بدمشق 1975 .

(2) ابن أبي طالب . علي (رضي الله عنه) ت 40 هـ . نهج البلاغة 70/1 تح الشيخ محمد عبده طب دار المعرفة ، بيروت (د : ت) .

(دأب) ويورد عدداً من الأدلة المقبولة⁽³⁾ لكن الدكتور شوقي ضيف غير مطمئن إلى هذا التأويل⁽⁴⁾ . والذي نراه أن الصلة بين أدب ودأب عميقة حتى في حالة لبوث كل كلمة عند ملفوظها جاء في اللسان : (أدب الرجل فهو أديب وأرْب فهو أريب وأدّبه علّمه) و (الدأب السّوق الشديد والطرْد والعادة والشأن) قارن مادتي (أدب/دأب) وجانب تقليب الكلمة على أوجهها أو استبدال الحروف لمواقعها تقديماً وتأخيراً فهو معروف لدى المشتغلين في اللغة وقد أجازته العلماء ، وقيل : إن (أدب) كلمة نبطية ترسم (أدابا) أو (أدابت) أو (تادب) وهي في العربية مستقرة الدلالة واسعتها ، والكلمات العربية عوائل وأرحام وكل كلمة قادرة على توليد ستة دلالات قارن :



أدب — أدب + دأب + ب دأ + ب أد + دب أ + أب د

قال الأعشى :

وعين وحشية أغفت فأرقتها صوت الذئب فأوفت نحوه دابا
وقال عوف بن الأحوص :

وما زال ذاك الدأب حتى تخاذلت هوازن فارفضت سليم وعامر⁽⁵⁾

ولم يكن تأويل كارلوناينو بدءاً في هذا الميدان فقد أرجع الأب أنستاس ماري الكرملي (أدب) إلى أصل غير عربي واعتدها يونانية اللفظ والمعنى ، ومن دلالاتها

(3) نالينو . كارلو . تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية ص 17 طب دار المعارف مصر . 1970 .

الصائغ . د . عبد الإله . الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ص 21 (م . س) .

(4) ضيف . د . شوقي . العصر الجاهلي ص 8 طب دار المعارف بمصر 1960 .

(5) الضبي . المفضل بن محمد بن يعلى الكوفي (ت 178) المفضليات ق 109 تح أحمد محمد شاکر وعبد السلام محمد هارون طب دار المعارف - مصر 1992 .

الغناء والمنادمة والمجالسة والأحاديث الرائعة⁽⁶⁾ وقد ردها أحد حسن الزيات إلى السومريين الذين سكنوا جنوب العراق ، ومن هناك انتقلت إلى العربية ، ومنها إلى اللغات السامية بالاحتكاك حوالي القرن الثلاثين ق . م ، ثم تحولت إلى كلمة (آدم) ، وما زلنا حتى الآن نستعمل معناها فنقول رجل آدمي أي مؤدب !

أما العلامة المغفور له د . مصطفى جواد فقال : إنها مشتقة من (الهذب) ، ثم قلبت الهاء همزة كما في قولنا : (هراق) في (أراق) و (هيا) في (أيا) ، ثم قلبت الذال دالاً لتيسير النطق بها⁽⁶⁾ .

4 - المعرفة العامة : الأدب هو كل ما أنتجه العقل من ضروب المعرفة ، وما زلنا ننتع عاشق المعرفة (المتأذب) ، وينقل الأصمعي (ت 216 هـ) مواعظ قديمة يحتفظ بها العرب عن أسلاف أسلافهم بينها (عليك بالعلم فإنه أنس في السفر ، وزين في الحضرة ، وزيادة في المروءة ، وشرف في النسب) .

قال الشاعر :

عيُّ الشريف يشينُ منصبه وابن اللئيم يزينه الأدب⁽⁷⁾

ونظير ذلك أن كلمة (Carmen) اللاتينية لم تكن كما عند سيرفيوس لتعني كل ما نظم شعراً ؛ ولكنها شملت كل ما صيغ من كلام ، وأخذ قالباً أدبياً ما ، مثل الصلوات ، وأعمال السحر ، والأحكام القانونية ، والأمثال والحكم ، وما إلى ذلك⁽⁸⁾ .

(6) أبو شريفة . د . عبد القادر وحسين لافي قزق . مدخل إلى تحليل النص الأدبي ص 12 وبعدها طب دار الفكر عمان 1963 . مجلة المقتطف عدد مارس 1933 ص 322 نقلاً عن كتاب مناهج تعليم الأدب والنصوص في مراحل التعليم العام في الوطن العربي . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس . 1986 .

(7) القرشي . جمهرة أشعار العرب .

(8) عثمان . د . أحمد . الأدب اللاتيني ودوره الحضاري ص 14 طب عالم المعرفة كويت 1989 .

5 - المروءة : ويمتد معناها ليتوفر على الاكتمال والخلق ، قال سهم بن حنظلة
الغنوي :

لا ينع الناس مني ما أردت ولا أعطيهم ما أرادوا حسن ذا أدبا⁽⁹⁾
ويصطنع الغنوي نمطاً من التاهي بين أديب وأريب :

حبيب إلى الخلان غشيان بيته جميل المحيّا، شب وهو أديب
إذا نزل الأضياف أو غبت عنهم كفى ذاك وضاح الجبين أريب
يجبئك كما قد كان يفعل أنه بأمثالها رحب الذراع أريب⁽⁹⁾

وما فتئت صفة المؤدّب أو الأديب صفة الإنسان المتخلّق بالمروءة والقيم الحميمة .
جاء في اللسان (أدب) : « الأدب أدب النفس والدرس والظرف وحسن التناول ،
وسمي أدباً لأنه يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقايح ، وأصل الأدب الدعاء » .

6 - التربية : الأديب إنسان نال قسطاً وافراً من التربية والتعليم والمؤدّب (كسر
الذال) هو المكفّل بالتربية ، ولنا في شرف الحديث النبوي شاهد خير : « أدبني ربّي
فأحسن تأديبي » .

7 - القواعد والأعراف : ومنه قولنا أدب الطريق ، وأدب الحديث ، وأدب
البحث ، والمناظرة ولابن قتيبة (ت 276 هـ) كتاب (أدب الكاتب) وثمة كتب
كثيرة في أدب مجالسة السلطان والخلان والمسامرة .

8 - المجازاة : الأديب رجل لا يعرف الإساءة ، فكيف يسيء إلى أحد ، والأقزام
الذين يضعون لقصائدهم كعوباً عالية هم الموضوعون بالإساءة ! والتأديب حالة من
مجازاة السوء بعقاب رادع ، وقولنا : حلقة تأديب ، ومجلس تأديب يشي بهذه
المعاني ، والمؤدّب (كسر الذال) قاضٍ أو في حكمه ..

(9) الأصمعي . أبو سعيد عبد الملك بن قريب ت 216 . الأصمعيات ق 12 ق 25 تح أحمد محمد شاكر وعبد
السلام محمد هارون طب دار المعارف مصر 1964 .

9 - المنفعة : والأديب إنسان نافع بأدبه الناس ونفسه معاً ! قال بلعاء بن قيس :

فإن أمتُ والفتى رهنٌ بمصرعه فقد قضيتُ من الآداب آرابا

10 - الذكاء وبعْدُ النظر : أخرج السيوطي عن المبرد قال : كان مكتوباً على سيف

علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) :

كَمْ مِنْ أديبٍ لبيبٍ لا تساعده ؟ وأحمقٍ نالَ دنياه بتقصير
لو كان عن قوّةٍ أو عن مغالبةٍ طارَ البزاةُ بأرزاقِ العصافير⁽¹⁰⁾

وبعد : فهذه هي المعاني التي تولدها (أدب) في ذاكرة اللغة ، وهي معان متصابقة متقاربة كما هي متخالفة متصالبة ! بما يجعل الدلالة إشكالية واضحة ؛ ولعل هذين : الائتلاف والاختلاف كانا جزءاً من الأسباب التي جعلتنا نفتقد لفظة [أدب] في القرآن الكريم .

الأدب في حاضنة الاصطلاح :

إذا كانت مفردة (أدب) متقلبة في حاضنة اللغة ، فهي كذلك في حاضنة الاصطلاح ، ويبدو الاختلاف جيلاً بعد جيل حتى الآن على دلالتها أو دلالاتها ووظائفها . فقد تضمنت علوم الأدب عند السلف : اللغة والصرف والاشتقاق والنحو والمعاني والبيان والبديع والعروض والقافية والخط والإنشاء !!

ولم يختلف الأمر كثيراً عند الخلف ، فما زال الاشتباك متصلاً حتى الآن بين علوم اللغة والدين والأدب ، وأقسام اللغة العربية في كليات الآداب في الوطن العربي معنية بمفردات هذه العلوم ، وقد أضيف إليها الاغتناء بلغة أجنبية غريبة أو شرقية مثل الفارسية والعبرية والإنجليزية والفرنسية ، فضلاً عن دروس الفلسفة ، ولا نجد في

(10) السيوطي . جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين ت 911 هـ . تاريخ الخلفاء ص 143 . تح قاسم الرفاعي ومحمد العثماني طب دار الأرقم بن الأرقم . بيروت (د : ت) .

رؤيتنا للأدب غضاضة في ذلك .. فالأديب معنيّ أكثر من سواه بالمفردات التي أشرنا إليها ، لأنها تخدم توجهه الأدبي وتعمّق تجربته ، وتصلق موهبته ، بيد أن هذه العلوم مساعدة ، وليست أدباً بأي حال من الأحوال أما الأدب الخالص هو المعاني الجميلة المؤثرة في عواطف المتلقي وذائقته ، مصاغة بأسلوب متميّز بجاذبيته ورقّيه .

وقولنا : المعاني الجميلة لا ينصرف إلى الفهم السائد للجمال .. فقد يجد المتلقي النص الأدبي ذا معاني جميلة ، وهو يتحدث عن الدمار في هيروشيا ، والفداء في فلسطين والخبية بالحكام .. المعاني الجميلة ليست وقفاً على الفتاة الجميلة والبحر والسرور .. والجمال الأدبي قد يخرج من الشيء إلى طريقة النظر إليه وأسلوب تناوله ، جمال الأدب ليس في موضوعه فقط ، ولا في أسلوبه فقط وإنما هو في الابتكار والجدة والمكابدة بما يعزّز حضور النص في وجداننا ، ويعمّق تمسكنا بالحياة وقيمتها النبيلة المغيبة ، ويبعد رؤيتنا للمستقبل دون أن يجب إلينا العمى والتطرّف والابتذال ..

وإذا كنا قد قدّمنا احترازاتنا ونحن نجتهد في تظهير دلالات الأدب ، فلا مندوحة من التشديد على (مكوّنات الأديب) وهي :

أ - الموهبة الواضحة المتكاملة ؛ فقد يخفق الأديب حين يعاني نقصاً في موهبته واستعداده ، والموهبة لا تعني الامتداد على كل فنون الأدب وأجناسه ؛ فقد تكون الموهبة مناسبة للشعر ، أو الرواية ، أو المسرح ، أو الفن التشكيلي . وليس بالضرورة أن تمنح الموهبة الشعرية صاحبها القدرة على كتابة المسرح أو القصة فقد يكون مناسباً أن يعرف الموهوب جنس موهبته ، يقول الدكتور عبد العزيز المقالح : « الموهبة حقيقة ثابتة ، وهي كالذكاء تماماً قيمة نسبية يتفاوت حظ الناس منها . والشعراء والفنانون يختلف الشاعر عن الشاعر والفنان عن الفنان في مقدار النصيب أ والكم الذي ناله منها »⁽¹¹⁾ .

(11) المقالح . د . عبد العزيز . البدايات الجنوبية - قراءة في كتابات الشعراء اليمنيين الشبان ص 10 طب دار الحدّاءة - بيروت 1986 .

ب - سعة الخيال ، وحساسية التعامل مع المقروء والملفوظ والقدرة على الاستشراف وتجاوز المؤلف والسائد واليقين بأن عظمة الأديب مقترنة بنجاحه في التعامل مع ثنائية (تعادلية) المجاز/الواقع ..

ج - التجربة : كل تفاصيل الحياة قادرة على إغناء تجربة الأديب حين يتعامل معها ، بعيون طفل ، وقلب أمير وروح ربّان كل ماتراه العين وما تسمعه الأذن بكر كما قال الشاعر الحداثوي المصري أحمد عبد المعطي حجازي : (بكر كأن الله منذ هنيهة خلق الحياة) . السفر تجربة ، الإحساس بالغرابة ، الحب ، المقت ، هتك السر ، القراءة ، الحلم ، التنافس ، الجرح .

« طوبى لمن حل في التجربة ، ولن يكون بمقدور الأديب الذي ينتج نصوصه على مكتب أنيق في غرفة مثقلة بالستائر المذهبة .. خلف بابها سكرتيرة تفكر نيابة عنه .. لن يكون بمقدوره كتابة شيء ذي قيمة .. الأدب اشتباك مع الحياة ورموزها . مكابدة صادقة ، كل ماتراه - حتى المؤلف - إنما هو جديد بانتظارك (فأنت لاتنزل النهر مرتين) .

د - الثقافة الموسوعية الشاملة ، والثقافة الأدبية الخاصة فلم يعد الأدب شفاهياً ، أو مكتفياً بالفطرة والموهبة . فنحن في زمن بات فيه العالم قرية كبيرة ، وما عاد الأمي هو الذي يجهل القراءة والكتابة وإنما الأمي هو الذي يجهل استعمال (الكمبيوتر) واستثمار (الأنترنت) ، الأمي هو المكتفي بلغته الجاهل للغات الأخرى وآدابها .. ولن نغفل ونحن نميز أهمية الثقافة وخطورتها في أدب الأديب عن القول بضرورة الموازنة الواعية بين عدد من محاور الثقافة مثل التراث والمعاصرة والمحلي والعربي والعالمي .. دون أن يأخذنا الهوس إلى تسليط محور على آخر .. فلكل محور خطورته وفعله .

هـ - حب الحياة ، والرهان على انتصار قوى الخير والتقدم على أشباح الموت ورموزه من قهر وإرهاب وفردانية وهم امتلاك الحقيقة . فالحقيقة مثل الحياة والهواء

والماء والحرية ، إنها ملك الجميع ، ولا يحق لمعتوه أو متغطرس أو مريض عظمة ، أو ربيب سلطة ، أو أسير وهم الاستئثار بالحقيقة ، وحرمان الآخرين منها .. فخذ واعط ، فلست وحدك الفحل الوحيد ، والذكي الوحيد ، والبريء الوحيد ، والشهيد الوحيد .

و- استحضار حق المتلقي في النص ؛ لأنه الطرف المهم في عملية التلقي والتوصيل ، ومن المقرف حقاً القول : إن الأديب يكتب لنفسه ، أو يكتب لزمان آخر غير زمان الرعاع والغوغاء (كذا) . إن المبدع زعيم الذوق بين الجماعة ، والمستشرف برؤيته الصافية آفاق الزمن الأخضر ، والأدب الذي يحتقر الناس (مهما كانوا) هو أدب الصفة التي تستعلي وتتورم ، وتستحي من أهلها .. وهذه ليست دعوة لذوبان الأديب في الواقع ، فعظمة النص في خصوصيته وريادته وقيادته وزيادته ، إن أعظم النصوص تأثيراً في المتلقين هي الصادقة الذكية الجميلة .

10 - الدربة .. وهي الأم التي تمنح الأديب قدرة في الكتابة ، وفهم طرائق الآخرين قدامى ومعاصرين ، محليين وأغراباً في الكتابة وتنمية آليات النص ، والدربة هي التدريب على إنتاج النص وينبغي للأديب ملاحظة خطه البياني في تخليق النص ، والاستئناس بآراء المتخصصين وذوي الشأن في الأدب دون أن يوقعه ذلك في إغفاء كينونته الأدبية ، وللأديب التعامل المستمر مع كتب اللغة والنقد والجمال والإيصال لمعرفة وسائل التعبير ، ولا بأس بقراءة سير العظماء والناجحين من الأدباء لمعرفة المؤثرات التي أسهمت في نبوغهم .. فإذا وجد الأديب ناحية في أدبه تجتذب المتلقين فليركز عليها ويعمل على تطويرها وإن وجد جانباً لم يتعاطف معه ذوو الحساسية الجمالية وكم الناس فلا ينبغي أن تأخذنا العزة بالإثم .. فنحن نتمرن لكي نرضي طموح النص وطموحنا والمتلقين معاً ..

11 - الأسلوب : وهو الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الموهبة والخيال والتجربة

والثقافة والحياة والدربة .. إنه اللغة الوحيدة التي يتكلمها النص ، ويفهمها المتلقي ، على أن يمتاز أسلوب الأديب بخصوصيته ، والحذر كل الحذر من استعارة أساليب الآخرين أو التويه لإخفاء سرقتها ، فعظمة النص أنه يرينا خصوصيته ، فكأننا نقرأ الأشياء التي نعرفها للمرة الأولى ، كل أديب لن يكون أديباً ناجحاً ما لم يعثر على سر الكتابة ، والمفتاح الذي يفك مغالق الجمال . ولن يكون الكلام أدباً ما لم يتوفر على أسباب الأدبية ، ولن تكون الأدبية سيدة العملية دون أن تتأهي مع الشعرية !!

الأدبية والشعرية :

أ - الأدبية مصطلح جديد وفق حدوده التي وصلتنا ، ويعني الصفة التي يكتسبها النص المتحول (كسر الواو المشددة) من حالة السكون واللا أدب إلى الأدب ؛ « لأن الأدبية إذا توافرت في نص ما ، اغتدى أديباً »⁽¹²⁾ .

ب - الشعرية : هي بؤرة الجمال في النص أو المشهد أو المسموع أو الملمس ، فالشعرية هي (السحر) الذي يحيل الكلام الاعتيادي استثنائياً ، والهـم المألوف جديداً ، فهي توحد بيننا وبين النص ، فكأننا ونحن نقرأ النص منتجوه ، ونحن نشهد المنظر صانعه ، وكل شعر محروم من الشعرية افتقد سياء جنسه ، وحلّ في النثرية ، وإن قالت قشرته أو بنيته الخارجية غير ذلك ، والمهم جداً في هذا الميدان هو أن الشعرية غير مقصورة على ظاهرة واحدة أو سمة واحدة ، وإنما هي كل الظواهر ومزاج السمات ، وعليه فالشعرية ليست قرينة الشعر حسب ، فربما امتدت إلى اللوحة والقطعة الموسيقية وعروض الأزياء ، والعمارة ، ونبرة الصوت ، وملامح الوجه ، وحركة اليد .. إنها بؤرة الجمال في الموضوع .. رب شعر بلا شعرية ، مثل ألفية ابن مالك أو أي قصيدة

(12) مرتاض . د . د . عبد الملك . شعرية القصيدة قصيدة القراءة ص 18 طب دار المنتخب العربي . بيروت 1994 .

وهبة . مجدي وكامل المهندس . معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب قارن : literary ص 22 طب مكتبة لبنان 1984 .

حذقت النظم ، ولم تحذق الجمال .. ورب شعرية بلا شعر .. مثل اللوحة الجميلة والموسيقى العذبة والعمارة المدهشة ... إلخ .

ثانياً : عربي وأعرابي

يعاني دارس الأدب والحضارة قبل الإسلام معضلة كبرى سببها الخلط المفهومي بين دلالاتي : عربي/أعرابي ، الأمر الذي أوقع كثيراً من الدارسين في أوهام علمية موجهة ، فتارة يلصق الدارسون صفات الأعرابي على العربي وأخرى يفعلون العكس ! وفي الحالين ثمة نأي عن المنطق العلمي ، ولعلنا نستحضر آراء ابن خلدون (ت 808 هـ) في (مقدمته) الشهيرة ، تلك الآراء الحادة التي ألصقت بالعرب صفات الأعراب ، وأقامت عليهم عدداً من الدعاوى الباطلة ! فابن خلدون يتهم العرب بالتوحش وكراهية العمران ، والاستئثار بالسلطة ، وهو يقصد الأعراب⁽¹³⁾ ومثل هذا الوهم المعيب وقع فيه طه حسين رحمه الله فقد استكثر على العرب أنهم ذوو لغة ناضجة ، وقصائد مكتملة ، وإيمان بالله (وهم البدو الأميون) ! وهو الآخر يعني باتهاماته الأعراب ، ولعل هذا الخلط بين جلافة الأعراب وحصافة العرب هو واحد من الأسباب المهمة التي حدث بطنه حسين وهو العالم المجتهد إلى العصبية العمياء ، وتبني أطروحات أستاذه صاموئيل مارجليوت المبنية على الشك بالشعر الجاهلي ، وإلغاء قيمته الجمالية والمعرفية⁽¹⁴⁾ ومثل هذا الخلط (المريب) وقع فيه أيضاً فيليب حتي حين قسا على العرب ورسم لهم صورة مقرفة ، وفي لاوعيه (وربما وعيه) صورة الأعراب⁽¹⁵⁾ ، وقد

(13) ابن خلدون . أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت 808 . مقدمة ابن خلدون ص 149 الفصل 26 طب مؤسسة الأعلمي - بيروت .

(14) ابن علي . حسن . الشاعر العراقي عبد الإله الصائغ يقول : طه حسين اعتسف الشعر الجاهلي دون وعي - جريدة الأخبار التونسية في 1992/1/11 . وانظر : حسين . د . طه . في الشعر الجاهلي ص 19 . طب دار المعارف . سوسة تونس 1997 (مصورة عن دار الكتب المصرية) .

(15) حتي . فيليب . العرب تاريخ موجز ص 16-22 . طب دار العلم للملايين . بيروت 1946 وانظر موقفنا من آرائه المفصلة ص 44 . كتابنا الخطاب الشعري الحدائوي والصورة الفنية .

تنبه أستاذنا الدكتور يحيى الجبوري إلى الضرر الفادح الذي يلحق المروءة العلمية حين يخلط الآخرون عن عمد ، أو دون عمد ، عن سوء نية أو طيبها بين العرب والأعراب⁽¹⁶⁾ و خلاصة القول : إن الجاهليين كانوا فئتين ، الأولى هم أهل المدن (المدريون) ، والأخرى هم أهل الصحراء (الوبريون) أما أهل الريف فهم (البربخ) بين الحاضرة والبادية ، إلا أنهم أقرب إلى المدن ، وكان البدو يعيبون الحضر بأنهم يزرعون ويأكلون البقول ! والحضر يعيبون البدو بأنهم يرعون الغيث ، ويأكلون الضب واليربوع !! والذي لامراء فيه هو هذه الوشائج التي تصل بين العرب والأعراب فليس هناك قطيعة في الأرحام والمجاورة وإنما القطيعة أو شبهها في الأخلاق والتقاليد ، المدن كانت مراكز تجارية ودينية وتعليمية وترفيهية ، وهم (أهل المدن) ميالون للنظام والطاعة لأولي الأمر ، فصنع الاستقرار حضارات عملاقة في جنوب الجزيرة تركزت حول اليمن ووسط الجزيرة .. دار الندوة ، وكندة وشمالها ، دومة الجندل ، والمناذرة ، والغساسنة .. وقد عرفت القصور العجائبية بطوابقها الكثيرة ، وعرفت السدود ، والمسالح (مقرات الجيش) والديماسات (أبنية تحت الأرض .. تستعمل مخابئ وسجوناً) كما عرفت الأسواق المحصنة المتطورة وطرق المواصلات الحميمة والبريد السريع والنقود ، ولنا أن نتذكر مصانع إنتاج الخمر في منفوحة وعانة وإذرعات وإنتاج السلاح في صنعاء وريدينه والخط ، وإنتاج الحرير في الموصل ودمشق (موسوليتي ، دمقس) والسفن التي أوصلها ابن يامن أو (بنيامين) إلى حالة من التطور .. فضلاً عن الحمامات البخارية العامة ، وحوانيت اللهو ، ونوادي المتعة التي تستضيف الغواني والمغنيات من كابل وأتقره والحبشة .. قال الأعشى :

ولقد شربت الراح تركض حولنا ترك وكابل

(16) الجبوري . د . يحيى . الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ص 17-25 . طب جامعة قاريونس بنغازي ليبيا . الطبعة السادسة 1993 .

لم يكن العرب (أهل المدن) متخلفين أو متوحشين ، بل كانوا أصحاب حضارة انعكست على حياتهم اليومية ، وبخاصة الجانب الإداري الذي ينظم حياة المجتمع و (كان عرب شبه الجزيرة العربية ينقسمون إلى فريقين : الينيون أو القحطانيون أو اليقطانيون من جانب والعدنانيون أو النازاريون أو المصريون أو المعديون من جانب آخر .. وبين هذين الفريقين يدور التاريخ العربي والإسلامي في صراع مستمر ، وتنافس متصل ، وتنازع متبادل . وكان القحطانيون أو الينيون يقيمون أصلاً في الجنوب في أرض الين أكثر مناطق شبه الجزيرة خصوبة وخضرة وازدهاراً .. وفيها أقيمت عدة ممالك منها مملكة معين ومملكة حضرموت التي كانت عاصمتها مدينة سبأ الشهيرة .. وكان العدنانيون المكيون يقيمون حول مكة حتى اجتمع الأمر إلى قبيلة قريش بزعامة قصي بن كلاب ، فاستقرت في مكة ذاتها ، وأقامت نظاماً سياسياً سبلي بيانه وعندما انهار سد مأرب بعد سيل العرم من (447-450 م) ثم (532 م) خربت مملكة سبأ نسبة إلى عاصمتها فتركها كثير من القحطانيين وهاجروا إلى الشمال ، فمكثت قبيلة منهم تدعى بني خزاعة في مكة فترة ثم تركتها واستقر بعض بني قحطان في المدينة (يثرب) وانتهوا إلى قبيلتي الأوس والخزرج ، كما ذهب بعضهم إلى الشمال الأقصى في سورية والبعض الآخر إلى الشمال الأردني في بلاد العرب ، وفي هذه المنطقة الأخيرة تكونت إمارة ومملكة الغساسنة التي كانت توالي وتخضع للروم البيزنطيين - الإمبراطورية الرومانية الشرقية - ، وكان البيزنطيون يركنون إلى هذه الإمارة لتحول بينهم وبين غارات البدو (الأعراب) بينما كان الفرس يعولون في الوقت نفسه على مملكة الحيرة ، وهذه تقع في منطقة العراق الحالية فتقف مثل سد منيع بين الإمبراطورية الفارسية والبدو الأعراب ، وعلى هذا الأساس فقد تم تقييمان لعرب شبه الجزيرة ، ففي التقييم الأول : عرب عاربة وهي قبائل عاد وثمود ، وعرب متعربة وهم الينيون القحطانيون ويعدون عرباً من الدرجة الثانية ، والعرب العدنانيون يعتبرون عرباً من الدرجة الثالثة !! وكان العرب يميزون بعضهم عن بعض فيضع عرب الين

القحطانيون عمائم صفراء ويرفعون رايات صفر ، بينما يضع عرب عدنان المكيون عمائم حمر ويرفعون رايات حمر ، وكان كل فريق يرفع راياته أبداً حين تكون الحروب مستعرة ، ومنذ قصي بن كلاب استقرت قريش في مكة ، وكونت عصبه ، وكانت من قبل تدعى قبيلة النضر بن كنانة ، وقد أنشأ قصي هذا داراً سميت دار الندوة كانت مركز النشاط السياسي والاجتماعي والقبلي ، وصار لقريش نظام سياسي وإداري ينقسم إلى الحجابة ، والسقاية ، والرفادة ، والندوة ، واللواء ، والقيادة ، والمشورة ، والأشناق ، والقبه ، والسفارة ، والأيسار ، والأزلام ، والحكومة .

وكانت قبيلة قريش قد انقسمت إلى فرعين بطنين كبيرين وثمانية فروع (بطون) أخرى أقل شأناً والفرعان الكبيران هما : بنو هاشم وبنو أمية - عبد شمس - .
أما الفروع الأخرى .. فهي نوفل ، وعبد الدار ، وأسد ، ومخزوم ، وعدي ، وجمح ، وسهم .

ونظراً للتنافس الشديد على الرياسة أو الملك أو الإمارة بين الفرعين الكبيرين بني هاشم وبني أمية وعدم قدرة أحدهما على السيطرة على الآخر وعلى من حواليه ليصبح هو صاحب السيادة والملك .. لذلك فقد قسمت قريش نظامها السياسي والإداري بين جميع فروعها على أساس : أن من تتاح له الفرصة في مستقبل الأيام من أحد الفرعين ليسود الكل ويجمع الكل تحت زعامته .

والحجابة : هي سدانة البيت الحرام ، أي ولاية مفتاح بيت الله (الكعبة) ، وكانت لبني عبد الدار وانتهت في عهد النبي ﷺ إلى عثمان بن طلحة .

والسقاية : هي سقي الحجاج كلهم بالماء العذب ونثر التمر والزبيب والشراب لهم وكانت لبني هاشم .

والرفادة : هي إطعام الطعام لسائر الحجاج إذ كانت تمدّ لهم الأسمطة في أيام الحج ، وكانت لبني نوفل .

والندوة : هي الإشراف على دار المشورة التي تجتمع فيها قريش وغيرهم من العرب من أهل الرياسة ممن بلغ من العمر أربعين عاماً ، ولم يكن يعقد نكاح زواج لقرشي إلا فيها ، وكانت الندوة في بني عبد الدار ، والأعنة : خيول الحرب وكانت لبني مخزوم ، ومنهم خالد بن الوليد ، والسفارة : هي الإصلاح بين الناس والتوسط بين القبائل أو بين البطون وكانت في بني عدي ، ومنهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) والأيسار والأزلام : وهي ضرب الميسر وإخراج الأزلام ، وكانت لبني جمع .

والحكومة : هي القضاء بين الناس والفصل في الخصومات بالاحتكام والإشراف على الأموال المحجرة (الموقوفة على المعبودات) وكانت لبني سهم .

واللواء : كان راية معقودة على رمح ينصب علامة على اجتماع الجيش لحرب الأعداء وكان اسم الراية (العقاب) وكان اللواء لبني أمية .

والقيادة : هي إمارة الجيش ورياسة الحرب ، وكانت تعطى لمن يندب لذلك ، وإلا فلبنى أمية حيث كان اللواء . والمشورة : هي جمع الشورى ، وكانت لبني أسد .

والإشفاق : هي فرض الديات والمغارم وكانت لبني تميم ومنهم أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) . والقبة : وهي ماتودع فيه تجهيزات الجيش ، وهذا التوزيع في الاختصاصات بين فروع قبيلة قريش كان في حقيقته للسلطات بينهم ، فالعرب قد عرفوا وحققوا قدرأ من التنظيم الإداري في ذلك العهد الموهل بالتقدم (إ . هـ ⁽¹⁷⁾ .

والعرب المهاجرون بعد خراب سد مأرب وتبدل المناخ وانكفاء الطبيعة وجفاف الجنائن المنتشرة في شبه الجزيرة فقد أسسوا حضارات مهمة ، وحققوا معجزات عمرانية من نحو الجنائن المعلقة التي ابتناها (نبوخذ نصر) لزوجه الكردية الحسنة (أمويت)

(17) الشرجي : عبدة سلام . من شريط ذكريات التاريخ العربي ص 3 جريدة الجمهورية اليمنية صفحة (كتابات) . العدد 10736 الخميس 13 رمضان 1419 هـ الموافق 1998/12/31 م ملاحظة كتب الأستاذ الشرجي هذه الفقرة المطولة تحية لكتاب الأستاذ محمد سعيد العشماوي .

ابنة ملك دولة (ميديا) المحصورة بين الشمال الغربي لفارس والشمال الشرقي للعراق ،
ومن نحو تسقيف نهر الفرات بالخشب والقرميد عهد زنوبيا ، ووضع أرقام تشبه
الطلاسم لفتح أبواب حصن الحضر ، بحيث تعجز أقوى العقول والأذرع عن فتحها ،
وبناء قصر الخورنق ، بطوابقه الكثيرة على صخرة لا يزيد ارتفاعها ومحيطها عن ثلاثة
أشبار !!

أما الأعراب .. فهم عالم مختلف يأسون للصحراء ويستوحشون من المدينة قارن
الشنفرى :

أقيموا بني أميّ صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل
ولي دونكم أهلون سيّد عملس وأرقط ذهلول وعرفاء جيأل
هم الأهل لامستودع السرذائع لديهم ولا الجاني بما جرّ يُسأل

وحياتهم ليست مرتبة أو منظمة فهم إما غاز ، وإما غزي وكانوا إلى هذا يغيرون
على المدن الآمنة ، وكانّ مالها وحلاها ونساءها ملك لمن يستولي عليه بأي طريقة ،
وقد مرّ بنا أن دولة فارس اتقت شرأعراب وسط الجزيرة وجنوبها بعرب المناذرة ،
ودولة الروم اتقت شرأعراب شمال الجزيرة بعرب الغساسنة .. وحين اكتشف كسرى
(أن العرق دساس) جعل العربي ينتصر لأخيه الأعرابي في الشدائد والضنك وبخاصة
إذا جاء ذلك من الأجنبي أمر بسجن النعمان ثم قتله ، ومثل هذا حدث لآل جفنة مع
الروم ! فالتمييز بين مفهومي (عربي ، أعرابي) أمر يدركه الجاهلي تماماً !! وحين سمع
الشاعر الفارس عامر بن الطفيل سيد بني عامر نبأ انتشار الإسلام بين العرب
والأعراب قابل النبي (ﷺ) ليساومه على اقتسام الملك مقابل دخوله وبني عامر في
الإسلام ، ومما قاله عامر للنبي ﷺ : أبايعك على أن تجعل لي حكم الوبر ، وأجعل لك
حكم المدر فغضب النبي الأمين ﷺ وطرده شرّ طردة ، وقال : « اللهم اكفني شر عامر
واهد بني عامر » !!

ولنلاحظ أيضاً (إيثار) العربي عروة بن الورد :

أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد

قبالة (أثره) الأعرابي عمرو بن كلثوم :

ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرأ وطينا

فالخلط بين عرب وأعراب كان وراء كثير من الأوهام العلمية والقومية والاجتماعية التي أساءت إلى نقاء الأمة العربية وأسأت إلى حركة المجتمع ، وكان الخلط مسوغاً لكثير من المجازر (التاريخية الكبرى) التي ذهب ضحيتها المتدينون الذين يرفضون عودة التاريخ إلى وراء ، وكان هذا الخلط وراء عمليات سرقة السلطة من الجماهير ، فالأعرابي يطلب ثأراً في لا وعيه من العربي منذ الجاهلية الأولى وحتى جاهليتنا الثانية هولن يغفر للعربي استقراره وأمنه ويسره واحتقاره له حين يزور المدينة ! ولقد ميّز القرآن الكريم العرب من الأعراب ، وقد خاطب العرب بقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ [آل عمران : 115/3] ثم قارن ﴿ وهذا لسان عربي مبين ﴾ [النحل : 103/16] .

و ﴿ أنزلناه قرآناً عربياً ﴾ [طه : 113/20] و ﴿ قرآناً عربياً غير ذي عوج ﴾ [الزمر : 28/39] .

أما في الجانب الآخر فإن القرآن الكريم ينص على أن : ﴿ الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ﴾ [التوبة : 97/9] .

و ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ [الحجرات : 14/49] .

و ﴿ من الأعرابِ من يتخذ ما ينفق مَغْرماً ويتربص بكم الدوائر ، عليهم دائرةُ السَّوءِ واللهُ سميعٌ عليمٌ ﴾ [التوبة : 98/9] .

إن (عرب ، أعراب) مفردتان ثمرهما الاصطلاح كما مرّ بنا ، وبعدها اللغوي لا يمد الدارس بالمعلومات التي تضيء عتات السؤال ، فالعرب (ربما) وردتنا منذ القديم محورة عن (أربا) النبطية أو (عربوتا) السريانية والألف بمكان (ال) التعريف في اللغة العربية ، ويرى العلامة طه باقر أن (عرب) أو (عربو) مفردتان مترادفتان تشيران إلى العرب قبل ميلاد المسيح بعشرات القرون⁽¹⁸⁾ وقد وردت حالات محيرة في نقوش مسندية قديمة جداً اكتشفت أخيراً خلطت عرب بـ أعراب (عبرن ، أعربن)⁽¹⁸⁾ ، وأول ذكر لكلمة عرب بمعنار القار جاء في النقش (جام/560) والعادة في ذلك أن النقوش المسندية القديمة تميل إلى إطلاق عرب محل أعراب أو العكس!⁽¹⁹⁾

ثالثاً : جاهلي قبل إسلامي

تثير مادة (جهل) في المعجمات العربية معضلات مختلفة ! فهي مشابهة بعدد من المعاني التي لا يتضح معنى بعضها بسوى الاقتران ، واستقرار المفردة داخل الجملة فضلاً عن التجريد أو الزيادة ، وقولنا : جهلت (كسر الهاء) القِدْرُ جَهْلًا (تسكين الهاء) يعني اشتد غليانها ، والمعنى تقيض تحلّمت ! وجهلت الصحراء صارت متشابهة الأنحاء لا علامة فيها يستدل بها المسافر ؛ وجهلت الريح الغصن حرّكته فاضطرب ، والجاهل هو الأسد والجهيل خشبة يحرك بها الحجر ، والصخرة العظيمة ، والجهال من النوق : التي تحفّ في سيرها ؛ والجهولة من النوق التي لا يدركها الحمل .. (لسان العرب - جهل)

(18) باقر . طه . مقدمة في أدب العراق القديم 38 طب دار الحرية بغداد 1976 .

(19) الإرياني ، مطهر علي . نقوش مسندية وتعليقات . نقش 12 فقرة 1 + 2 ص 102 ثم 104 ثم 106 طب مركز الدراسات والبحوث البيني 1990 .

(19) المصدر نفسه ص 107 .

ويتهياً لنا أن دلالة الجهل التي تعني السفه والعصبية والحق والغضب السريع وما يدور في أنساقها إنما هي مضمون مستفاد أو مستعار من معنى الوهلة الأولى إلى معنى الوهلة الثانية ، جاء في الذكر الحكيم :

أ - ﴿ قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾ [البقرة : 67/2] .

ب - ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ [الحجرات : 6/49] .

ج - ﴿ خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين ﴾ [الأعراف : 199/7] .
وقرّ في الذاكرة الاصطلاحية أن (الجاهلية) مقتصرة زمنياً على الوقت الذي سبق الإسلام ، وأخلاقياً هي القيم التي سادت عهد ذلك ، وغالباً ما يكون المقصود بالقيم هو السفه والعصبية القبلية ، والحق ، وسرعة الغضب ، والمجون ، والوثنية ، جاء في الذكر العزيز :

أ - ﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ [الأحزاب : 33/33] .
ب - ﴿ أفحكم الجاهلية يبيغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ [المائدة : 50/5] .

ج - ﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ﴾ [الفتح : 26/48] .
ثم تورد الأحاديث النبوية الشريفة مادة (جهل) وفق مستويها الأخلاقي والزمني من نحو : « إنكم لتجهلون وتبخلون وتجنبون » وفي حديث الإفك « ولكن اجتهلته الحمية » . وفي حديث ابن عباس « من استجهل مؤمناً فعليه إثمه »⁽²⁰⁾ .

(20) ابن الأثير . مجد الدين المبارك بن محمد ت 606 هـ . النهاية في غريب الحديث والأثر 1/322 . تح طاهر الزاوي وصاحبه . طب إحياء الكتب العربية مصر 1963 .

وتذكر الأخبار أن أعرابياً استفزّ أبا ذر (رضي الله عنه) وأمعن في استفزازه ،
فعيره أبو ذر بأمه ! وحين بلغ النبي ﷺ ذلك قال لأبي ذر معاتباً : « إنك امرؤ فيك
جاهلية » (21) .

والنبي ﷺ يذكر في أحاديثه الشريفة لفظة الجاهلية مقترنة بأزمان العرب قبل
الإسلام وطبائعهم وتقاليدهم ! قارن على سبيل المثال باب تحريم ضرب الحدود وشق
الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية (22) .

أما في الشعر الجاهلي فقد وردت (جهل) كثيراً وفق المستوى اللغوي :
(الأعشى) :

وقورٌ إذا ما الجهل أعجب أهله ومن خير أخلاق الرجال وقورها
(عنتره) :

هلاّ سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنتِ جاهلة بما لم تعلمي (23)

والجاهلية مصطلح إسلامي لم يتداوله الجاهليون إطلاقاً !! بينما وردت
(جاهلية) في شعر بعض المخضرمين وفق دلالتها الاصطلاحية بتأثيرات إسلامية ، مثال
ذلك ما ورد في شعر تميم بن مقبل بعد أن فرّق بينه وبين زوج أبيه في الإسلام وكان قد
تزوجها على شعيرة جاهلية !!

هل عاشق نال من دهاء حاجته في الجاهلية قبل الدين مرجوم

(21) نفسه 192/1 .

(22) مسلم . صحيح مسلم 99/1 ثم القسامة في الجاهلية 54/5 (م . س) وانظر النهاية 322/1 (م . س) .
والأعشى . ديوانه ق 82 ب 15 .

(23) ابن شداد . عنتره . شرح ديوانه ق 1 . ب 29 . تح سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب طب دار
مكتبة الحياة - بيروت .

(24) ابن مقبل . تميم . ديوانه ق 35 ب 3 ص 267 ، تح عزة حسن . طب إحياء التراث . دمشق 1962 .

وقد لاحظنا في دراسات أبقناها قبلاً أن وعى القبسلايين بالزمن كان على درجة من النضج افتقدها معظم شعوب ذلك الزمان ، وكانت للعرب خبرة في الأنواء وتعبير الرؤيا والبيطرة والقيافة والتجارة والتاريخ والأنساب⁽²⁵⁾ وربما أوم مصطلح (جاهلية) عدداً من الباحثين فظنوا أن العرب يعمهون في دامس من ظلام الجهل بكل أسباب المعرفة⁽²⁶⁾ بيد أن النظر الموضوعي أسهم في إزالة الغبار الذي غلّف هذا المصطلح⁽²⁷⁾ فتوصل (فيليب حتي) إلى أن مفهوم الجاهلية منصرف إلى الزمن الذي عاشته العرب منذ العصور القديمة حتى مبعث النبي ﷺ⁽²⁸⁾ والمصطلح كما أسسنا مصطلح إسلامي يحيل إلى أن العرب لم تكن ناعمة بزمن الإسلام وإشراقات تعاليه وأنهم انحدروا إلى هوة الشرك فضلاً عن السفه والحق والعصبية⁽²⁹⁾ وليس هناك ما يسوّغ انصراف هذا المصطلح إلى توخّش العرب وجهلهم بعلوم زمانهم ! وكان الرواة علماء زمانهم حتى أن رواية الأعشى كان يحاور صاحبه في جماليات شعره ، وهو (الراوية) إلى هذا عالم بالإبل وطبّها خبير بأيام العرب والشعر⁽³⁰⁾ .

وكان الأعشى خبيراً بالبلدان التي زارها (فارس ، الروم ، إفريقية ، القدس) ضليعاً بتاريخ الأمم القديمة ! وفي شعره إشارات إلى (المهارق ، الزبر ، الكتابة ،

(25) الصائغ . د . عبد الإله . الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ص 15 . انظر هوامش الصفحة (م . س) .

(26) نفسه . انظر هوامش ص 13 .

(27) علي . د . جواد . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 37/8 . طب دار العلم للملايين بيروت 1971 .

(28) حتي . فيليب . تاريخ العرب (المطول 17/1) . طب دار الكشاف . بيروت 1965 .

(29) الألوسي . محمود شكري بن عبد الله ت 1342 هـ . بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 15/1 ، مط الرحانية مصر 1924 .

(30) ابن قتيبة . الشعر والشعراء 181/1 (م . س) وانظر . الأسد . ناصر الدين . مصادر الأدب الجاهلي ص 240 ، دار الجيل - بيروت 1988 .

الأسطار)⁽³¹⁾ وذكر ابن حبيب أن الأعشى كان يقرأ التوراة والإنجيل وأنه علم بأمر الدين الجديد من خلالها⁽³²⁾ .. قارن إشارات الأعشى :

- أ- ربي كريم لا يكدر نعمة
ب- أولن تري في الزبيرية
ج- ليثاء دار عفا رسمها
د- يامن يرى ريمان أم
هـ- أمسى الثعالب أهله
بكرت عليه الفرس بع
شباب وشيب واقتار وثروة
ني يرى مالاترون وذكره
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ندمت على أن لا تكون كمثلته
- وإذا يناشد بالمهارق أنشدا
نة بحسن كتابها
فا إن تبين أسطارها
سى خاويأ خربأ كعابه
بعد الذين هم مأببه
د الحبش حتى هد باببه
فله هذا الدهر كيف ترددا
أغار لعمرى في البلاد وأنجدا
ولاقت بعد الموت من قد تزودا
وأنك لم ترصد لما كان أرصدا

والكتابة والقراءة والتأمل في الوجود مدخل رئيس للمعرفة ، ولم يكن الأعشى مثالا وحيدا في ذلك .. فهناك الكثير غيره قارن معاوية بن مالك (أصمعية رقم 76) :

من الأجزاء أسفل من نيل كما رجعت بالقلم الكتابا

ثم قارن لبيد في معلقته وهو يشير إلى الوحي (الكتابة) :

فدافع الريان عرى رسمها خلقاً كما ضمن الوحي سلامها

وقد نجم الكثير من العرب الميالين إلى إحقاق الحق والوقوف بوجه الظلم ، ونسب إلى النبي ﷺ قوله : « خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام » .

(31) الصائغ . د . عبد الإله . الصورة الفنية معياراً نقدياً ص 41 (م . س) .

(32) البغدادي . عبد القاهر بن عمرت 1093 هـ . خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب 177/1 . تج

عبد السلام محمد هارون . طب دار الكتاب العربي . القاهرة 1967 .

وقد أورد ابن حبيب (ت 245 هـ) أسماء من حرّموا على أنفسهم شرب الخمر ، واقتراف الفاحشة قبل الإسلام ، وبلغنا أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ كان يتحدث في المسجد بأخبار الجاهلية ، وقال النبي ﷺ لحسان بن ثابت : « أنشدني قصيدة من شعر الجاهلية فإن الله تعالى قد وضع عني آثامها في شعرها وروايته » .

وقالت عائشة (رضي الله عنه) كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يقول (أبياتك) فأقول :

أرفع ضعيفك لا يجر بك ضعفه يوماً فتدركه العواقب قد نى
يجزيك أو يثني عليك وإن من أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

ومرّ رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر (رضي الله عنه) برجل يقول في أزقة مكة :

يا أيها الرجل المحوّل رحله هلا نزلت بآل عبد الدار

فقال النبي ﷺ : « يا أبا بكر ! أهكذا قال الشاعر ؟ » قال : لا يا رسول الله ولكنه قال :

يا أيها الرجل المحوّل رحله هلا سألت عن آل عبد مناف

فقال رسول الله ﷺ : « هكذا كنا نسمعها » (33) .

ويمكن رد التطرف ضد العرب قبل الإسلام ونعتهم بالتوحّش والجهل إلى عدد من الأسباب .

أولها : الخلط بين خصائص المجتمع العربي والمجتمع الأعرابي .

وثانيهما : الحرص على بيان أثر الإسلام في المجتمع العربي ، وقد فسّر قتادة الآية

(33) الجرجاني . عبد القاهرت 471 . دلائل الإعجاز 70 - 74 تح د . محمد رضوان الداية ود . فايز الداية طب مكتبة سعد الدين دمشق (طبعة ثانية 1987) .

الكرية : ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ [آل عمران : 103/3] بقوله إن العربي قبل الإسلام كان (أذلّ الناس ذلاً وأشقاهم عيشاً)⁽³⁴⁾ والسبب الآخر عنصري ، فالعناصر غير العربية التي أسلمت ولاقّت عنتاً من بعض العرب (الذين يظنون أن الدين الإسلامي خاص بالعرب) حقدت على كل العرب ، وتطرفت في الكراهية فعميت عيونها عن مزايا العرب الحيرة ، وأطلق الدارسون على أولئك أهل التسوية مرة والشعوبية أخرى⁽³⁵⁾ .

وينبغي التأكيد على أن كلامنا هذا ليس دفاعاً عن عقائد الجاهلية وقد محقها الإسلام ، ولا مصلحة لعربي مسلم أو أجنبي منصف من غسل سمعة العقائد الدينية لعرب الجاهلية ، فقد ثبت ضلالمهم ومكرهم الذي حاق بهم ، وإنما كان منهجنا الإشارة إلى الجوانب الحضارية فحسب .

أما الجاهلية من الناحية الفنية فهي القواعد والأساليب التي أسسها النص الأدبي (الشعري والنثري) زمنذاك . وقد سميت هذه القواعد وتلك الأساليب (عمود الشعر) من جهة استقراء الشعر الجاهلي ! قال المرزوقي (ت 421 هـ) : « ... الواجب أن يتبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب ليميّز تليد الصنعة من الطريف ، وقديم نظام القريض من الحديث ، ولتعرف مواطن أقدام المختارين فيما اختاروه ، ومراسم أقدام المزيّفين على ما زيفوه ، ويعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع ، وفضيلة الأتيّ السمع على الأبيّ الصعب . إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة في الوصف ، ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال ، وشوارد الأبيات ، والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتسامها على

(34) أمين . أحمد . ضحى الإسلام 17/1 وقد اعتمد أمين رأي قيادة وذهب مذهبه طب لجنة التأليف . القاهرة 1964 .

(35) السامرائي . د . عبد الله سلوم . الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية ص 47 وبعدها . طب دار الحرية بغداد 1980 .

تخير من لذيذ الوزن ، حتى لا منافرة بينهما ، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ولكل باب منها عيار⁽³⁶⁾ .

أما اصطلاح قبل الإسلام (pre Islamic) فهو اصطلاح محايد لا يشير إلى موقف ممالئ أو معاد لذلك العصر ؛ وإنما غاية ما يميلنا إليه هو الزمن الذي سبق الإسلام بكل ما فيه وله وعليه !! أما الفترة التي يتوقّر عليها المصطلح فهي موضع خلاف أيضاً ، فن قائل : إنها مئتا عام إلى قائل : إنها مئة وخمسون عاماً قبل البعثة النبوية وثمة من يستبدل ميقات البعثة بفتح مكة⁽³⁷⁾ ويرى الجاحظ ت 255 أن الشعر الجاهلي حديث الميلاد صغير السن والفترة المهيئة للشعر الجاهلي هي خمسون ومئة عام ثم يحتز فيوصل الرقم إلى مئة عام فقط⁽³⁸⁾ ومما يحزن الباحث أن الذاكرة التاريخية والحضارية لا تعي أكثر مما حدده الجاحظ أو سواء ! فأين اختفى الأدب الجاهلي المكتوب منذ عشرات القرون ! لقد أسهمت طبيعة الجزيرة العربية القاسية في إتلاف الكثير من النصوص الأدبية ، مع وسائل العرب الغابرين في كتابة أدبهم فكانوا يكتبون على الجلود والعظام وجريد النخل والطين غير المشوي والقماش والحجارة والخشب ! وما زال الأمل عريضاً بأن ينتبه أولوا الأمر العرب فيضعون بين أيدي الأثاريين وعلماء العصر الجاهلي وأدبه أسباب نجاح البحث ، وهي أمنية بأن يوحد الأثاريون العرب خرائطهم وبرامجهم وجهودهم ومصاريفهم وعندها ستبدأ الفترة الذهبية في الكشف عن كنوز الأدب الجاهلي الغاطسة المغيبة⁽³⁹⁾ وقد أطلق جرجي زيدان على الفترة التي سبقت العهد الجاهلي الذي حدده الجاحظ (العصر القديم أو الجاهلية الأولى)⁽⁴⁰⁾ .

(36) المرزوقي . أبو علي أحمد بن محمد . ت 421 هـ . شرح ديوان الحماسة ص 8 وبعدها تح أحمد أمين وعبد السلام هارون طب لجنة التأليف والنشر . القاهرة 1967 .

(37) الآلوسي . بلوغ الأرب 15/1 (م . س) .

(38) الجاحظ . الحيوان 74/1 تح عبد السلام هارون . طب لجنة التأليف . مصر 1938 .

(39) الإرياني . مطهر علي . نقوش مسندية وتعليقات ص 5 وبعدها انظر المقدمة المهمة التي كتبها د . عبد العزيز المقالح (م . س) .

(40) زيدان . جرجي . تاريخ آداب اللغة العربية 24/1 تقديم د . شوقي ضيف طب دار الهلال مصر وقد =

وربما نحت من (قبل/إسلام) مصطلح (القبسلامية) قياساً على (القروسطية) المنحوتة من (قرون/وسطى) ! ومصطلح أدب قبل الإسلام صالح عند بعض الدارسين للدلالة الفنية أيضاً أسوة بمصطلح أدب جاهلي .

رابعاً : نقد جاهلي

☆ النقد في اللغة : تتوفر مادة (نقد) في المعجمات اللغوية على معانٍ مؤتلفة مرة ، مختلفة أخرى ، وللدارس أن يميز ميزانين لهذه المادة : الأول يعتمد نصب القاف في (نقد) والآخر يعتمد كسرهما ، ولكل ميزان إحالاته الدلالية !

أ - نَقَدَ - فتح القاف ← نقد العينة اختبرها ، وميّز جيدها من رديئها ؛ ونقد الطائر الفخ توجّس خيفة منه ، فاختره حذراً ؛ ونقد الصيرفي الدرهم نقداً وتنقاداً تقرأها ، ووضعها بين السبابة والإبهام ، ليمتحن الأصيل والزائف ، والجيد والرديء ؛ ونقدت الأفعى زيدا لدغته ، ونقد عمرو زيدا اختلس النظر نحوه حتى لا يفتن إليه ؛ ونقد فلان الدرهم نقداً وتنقاداً أعطاهها للبايع معجلاً ، فالنقد في البيع خلاف النسيئة ، وانتقد ونقد بابها نصر .

ب - نَقَدَ - كسر القاف ← نقد الطعام نقداً وقع فيه الفساد ، ونقد الضرس أو الحافر تأكل وتكسر ؛ ونقد الجذع أكلته الأرضة فهو جذع نَقَدَ (كسر القاف) ، ونَقَدَ (فتحها) ! ونقد الحافر تقشّر ؛ والمعاني (أ ، ب) تكون فكرة عن دلالات هذه المادة فإذا تناقد القوم تناقشوا ، والحصيلة هي حالتان : حالة المنقود أن يعرض على الناقد ؛ وحالة الناقد أن يتفحص المنقود ، ولا بد والحال هذه أن يكون المنقود على صورتين : الأولى صحيحة والأخرى عليلة ؛ وللمتفحص أن يلاحظ أي الصورتين ميّزت المنقود ، ولم ترد نقد في القرآن الكريم بأي من دلالاتها ، لكنها وردت في الشعر الجاهلي كثيراً وفق مستوياتها اللغوية ، قال الأعشى :

= استحسن د . ضيف مصطلح الجاهلية الأولى . لأنه في نظره يحل إشكال غياب النصوص الأدبية القديمة ..
انظر هامش ضيف 24/1 .

دراهمنا كلها جيداً فلا تحبسنا بتنقادها

وقال عبد مناف بن ربح الهذلي :

ماذا يغيرُ ابنتي ربح عويلها
كلماتها أبطنت أحشاءها قصباً
لا تترقدان ولا بؤسى لمن رقد
من بطن حلية لا رطباً ولا تقداً
ضرباً ألياً بسبت يلعج الجلد⁽⁴¹⁾ إذا تأوب نوح قامتا معه

☆ النقد في الاصطلاح : يرمي إلى ملاحظة النص وامتحانه ، بما يتهدى للناقد من خبرة وذكاء لمعرفة قيمته ، وماذا كان مبتكراً أو متأثراً بنص آخر ، وكان النقد الأدبي مطلع وهلته الأولى ميالاً إلى التعميم ، لأنه ثمرة حضارة الشعر وقتذاك ، ولم يحصل النقد على مصطلحه (الواضح) إلا في وقت متأخر نسبياً ، وكان الناقد الجاهلي مثل زعيم القبيلة .. يوازن بين الأمور بخبرته الخاصة ، وربما احتكم إلى أصحاب الخبرة لينصحوه ، أو احتكم إلى ذوقه الخاص أو هواه أو ولائه !! فالناقد زعيم على نحو ما أو حاكم ، وكان نابغة ذبيان ممسكاً بزمام الشعراء ، يقول رأيه فيهم فيرضون ، وأطلق الجاهليون عليه (رأس حكومة الشعر) ، فكانت تضرب له خيمة من الجلد الأحمر على مسطبة من الرمل محددة بالحجارة المرصوفة بالقار ، تجعله في مشهد يراه فيه الجمهور الواسع دون عناء !

والناقد الجاهلي كان متسلحاً بخبرات عصره وهي خبرات تبدولنا الآن ساذجة وباهتة ! بيد أنها كانت مهمة ، وقد لبّت حاجات الأدب غير الاعتيادية ، بصدق وحمية ، ولم يستمر النقد الجاهلي ألياته من وراء الصحراء أو البحر ! ونشير إلى دور الجمهور ، وهو ناقد على نحو من الأنحاء في مناصرة هذا الشاعر ومجانبة ذاك ، والتعاطف مع الناثر زيد ، والتخلي عن عمرو .. ، مع اعتداد الجمهور بعدد من خبراء الشعر الذين

(41) المبرد . أبو العباس محمد بن يزيد ت 285 هـ . الكامل 340/2 طب دار المعارف - بيروت 1985 .
وقال المبرد (نقدت السن إذا مسها ائتكال) .

وصفهم الباقلافي بأنهم أندر من الكبريت الأحمر ! ولعل الباقلافي نظر إلى قول سلفه
أبي عمرو بن العلاء (انتقاد الشعر أشد من نظمه) !

وقد يعول النقد على الإمعان في المعنى والغرض ، وإلا لماذا أجهش علقمة بن
علائة غريم عامر بن الطفيل في المنافرة المشهورة حين وصمه الأعشى قائلاً :

تبيتون في المشتى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يبتنّ خائصا

- إن لدينا الكثير من الإشارات التي تعزز القول بوجود حالات من النقد لم ترق
إلى مراقي النظرية ، وكيف حقق الأدب الجاهلي مجده دون نقد ، فالمنطق العلمي يقرر
أن لانماء ولا رقي في أي ركن من أركان الحياة دون نقد ! والأدب حضارة . ولن تنهض
حضارة الشعر بمزل عن نصوص (الشعر ، النثر ، النقد) فضلاً عن مرجعية الجمهور ..

كينيونة النقد الجاهلي (هوامش وإشارات)

١ - انتقاء علماء الشعر وجمهوره لعدد من القصائد المتميزة ، واعتدادها مثابة
لأعلاق النفيسة التي تضعها الحسنة على صدرها ، والقصائد المنتقاة هي التي عرفت
بالمعلقات والمذهبات والمطولات .. وهذا الانتقاء لا يمكن أن يكون بدوافع بعيدة عن
روح النقد فلا بد من وجود مقاييس فنية وجمالية وخبرة تراكمية تناسب حساسية ذلك
الزمان ، اتبعت في انتقاء هذه القصائد الطوال التي قيل : إنها كتبت بماء الذهب ، أو
علقت على أستار الكعبة ، واستنسخت ووزعت على الأسواق المهمة ! جاء في اللسان
(طنج) أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان ينتقي القصائد الجاهلية الجميلة وخاصة
التي قيلت في قومه ، ويأمر بكتابتها على الطنوج ، ثم يخزنها في صناديق محكمة
ويدفنها في سرداب تحت رحبة قصره الأبيض ! والمرجح أن النعمان ومستشاريه في هذا
الأمر كانوا ذوي نظر في الشعر هياً لهم انتقاء القصائد ، إذ لا يمكن - بالاستدلال العقلي -
الظن أنهم كانوا ينتقون القصائد دون خبرة متراكمة ..

2 - ترأس النابغة الذبياني لحقبة طويلة حكومة الشعر في موسم عكاظ ! وكان التجار والمولكون بنجاح الموسم يصنعون له خيمة كبيرة بهيئة سرادق من الجلد المدبوغ الأحمر ، يقيمونها على مسطبة رملية .. ويمرّ الشعراء بالنابغة حسب الدور وينشدونه مختارات من أشعارهم فيصغي النابغة ومستشاروه للشعراء وهم ينشدون ، ثم يحلل النابغة الشعر أمام جمهور عريض ويعطي رأية فيما يسمع .. وقد احتكم إليه شعراء زمانه ، منهم الأعشى والخنساء وحسان بن ثابت ، وقد يجد محلل النص أن توجيهات النابغة للشعراء ومسوغات أحكامه مما يدخل ضمن المعرفة النقدية في ذلك الزمان ... وربما اعترض الشاعر على أحكام النابغة بسبب المنافسة الشديدة بين الشعراء .. جاء في (الشعر والشعراء 1/218 ترجمة الخنساء) قول ابن قتيبة : « وكان النابغة تضرب له قبة حمراء من آدم بسوق عكاظ ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، فأنشده الأعشى ، ثم أنشده حسان ، ثم الشعراء ، ثم جاءت الخنساء السلمية ، فأنشده فقال لها النابغة : والله لولا أن الأعشى أنشدني أنفأ لقلت : إنك أشعر الجن والإنس ، فقال حسان والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك ، فقبض النابغة على يده ، ثم قال : يا ابن أخي إنك لا تحسن أن تقول مثلي :

(فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ثم قال للخنساء أنشدي فأنشده ، فقال النابغة والله ما رأيت امرأة أشعر منك فقالت له الخنساء : لا والله ولا رجلاً ..) .

3 - اعترض جمهور الشعر على وصف امرئ القيس لخصانه بأنه يشبه الجراداة وأن شعراً كثيفاً يغطي وجهه :

وأركب في الروع خيفانة كسا وجهها سَعَفَ منتشر

واعترض أم جندب على وصف زوجها امرئ القيس للفرس لأنه كان يعتسفه

بالسوط والمخرز والركل ، وقد فضلت فرس علقمة على فرس امرئ القيس ، لأن فرس
علقمة أكرم ، فهو يبلغ الشوط دون ركل وسوط ومخرز .

١ - امرؤ القيس :

خليلي مَرَّ بي على أم جندب نَقَضَ لبانات الفؤاد المعذب
... وقد أغتدي والطير في وكناتها وماء الندى يجري على كل مذنب
بمنجرد قيد الأوابد هيكل طراد الهوادي كلُّ شأٍ مغرَّب
فللساقِ أهوبٌ وللسوطِ دِرَّة وللزجرِ منه وقع أهوج منعب
فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه يمرُّ كخذروف الوليد المثقَّب⁽⁴²⁾

٢ - علقمة بن عبدة :

ذهبت من المجران في غير مذهب ولم يك حقاً كلُّ هذا التجنَّب
.. وقد أغتدي والطير في وكناتها وماء الندى يجري على كل مذنب
بمنجرد قيد الأوابد لاحه طراد الهوادي كلُّ شأٍ مغرَّب
فاتبع آثار الشياہ بصادق حثيث كفيث الرائح المتحلب
فأدر كهن ثانياً من عنانه يمرُّ كمرِّ الرائح المتحلب⁽⁴³⁾

(علقمة بن عبدة : وكان ينازع امرأ القيس الشعر ، فقال كل واحد منهما لصاحبه
أنا أشعر منك ، فقال علقمة : قد حكمت امرأتك أم جندب بيني وبينك ، فقال رضيت
فقلت أم جندب قولاً شعراً تصفان فيه الفرس على روي واحد وقافية واحدة ، فقال
امرؤ القيس ، وقال علقمة . فقالت لامرئ القيس : علقمة أشعر منك ، قال : وكيف

(42) امرؤ القيس . ديوانه . ق 3 ص 51-41 .

(43) علقمة بن عبدة الفحل . شرح ديوانه للأعلم الشنبري . ق 3 ص 62-52 تح د . حنا نصر الحتي . طب
دار الكتاب العربي (بيروت) 1993 .

ذلك ؟ قالت : لأنك جهدت فرسك بسوطك وزجرك فأتعبته بساقلك ، وأدرك علقمة طريده وهو ثان من عنانه لم يضربه بسوط ، ولم يمره بساقله ، ولم يزره (44) .

4 - شاعت بعض النعوت التي عرف بها الشعراء ، وكل نعت كان يحيل إلى ميزة شعرية لدى كل شاعر من نحو : الصنّاجة ، والنابغة ، والخنديذ ، والمهلهل ، والشعرور ، والمرّقش ، وعويف القوافي ، والكيس ، والفحل ، والمحكك .. قال ابن قتيبة في تأويل النمر بن توبل : « وكان شاعراً جواداً يسمّى الكيس لحسن شعره » - (الشعر والشعراء 195/1) .

وهناك قناعات لدى الجاهليين مثلاً أن امرأ القيس أحسن شاعر بكى واستبكى ، ووصف المرأة . والأعشى أفضل شاعر صور مجالس الأنس والغناء والخمرة . وطرفة أئبه شاعر وصف المجهول . وزهير أكثر الشعراء موعظة وأمثالاً .. وعامر بن الطفيل أوصف للفرس وشياتها . وعنترة أبداع في مشاهد الحرب واعتمالات النفس ! وبلغنا من الحساسية الشعرية مقولات للجاهليين : أغزل بيت قالته العرب ، وأخنت بيت ، وأهجئ بيت ، وأمدح ، وامرؤ القيس شاعر مطبوع ، وزهير شاعر مصنوع ، والأمثلة كثيرة .

5 - اتهام عدد من الشعراء بأنهم سرقوا من شعر سلفهم أو مجاليهم ، وقد شاعت مفردات نقدية مثل (السرقة ، الموازنة ، الانتحال ..) قال الأعشى :

فأنا أم ما انتحالي القوا في بعد المشيب كفى ذاك عارا
وقيدي الشعر في بيته كما قيّد الأسرات الحمارا

والأسرات هي السيور التي يربط بها السرج ، والحمار القتب ! ولن يستطيع أحد اتهام شاعر كبير مثل الأعشى أو أي شاعر آخر دون أن يكون لديه آلية للنقد والإمام الكافي بشعر الآخرين لعقد الموازنات ، ومعرفة السابق واللاحق والمبتكر والسارق .

(44) ابن قتيبة . الشعر والشعراء 130/1 وبعدها (م . س) .

وذكر ابن رشيقي القيرواني (ت 456 هـ) مصطلحات قريبة من ذلك : مثل (الإصطراف ، والاجتلاب ، والانتحال ، والاهتدام ، والإغارة ، والمرافدة ، والاستلحاق ، والغصب ، والاختلاس ، والملاحظة ، والمشارك ، والمبتدل ، والمستوهب ، والكشف ، والمجدود ...) يقول ابن رشيقي مثلاً : « وما يعد سرقاً وليس بسرقة اشترك اللفظ المتعارف كقول عنتره :

وخيل قد دلفت لها بخيلٍ عليها الأسد تهتصرا هتصارا
وقول الخنساء ترثي أخاها :

وخيل قد دلفت لها بخيل ترى فرسانها مثل الأسود»⁽⁴⁵⁾

6 - والنثر الفني ميدان آخر للمنافسة والموازنة ، فكان الجمهور خير حكم بين الناثرين ولنا أن نتذكر سطوع أسماء الخطباء مثل قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة ، وعلقمة بن علاثة ، والحارث بن ظالم .. فضلاً عن سطوع نجم الحكماء وتمييز هذا من ذلك .. و « كلام العرب منظوم ومنثور ولكل منها ثلاث طبقات جيدة ومتوسطة ورديدة »⁽⁴⁶⁾ .

ولعل أبرز فن نثري استدعى وجود تقاد يحكمون لهذا أو لذلك هو فن المنافرة ، وسيأتي ذكره في أطروحة النثر .. جاء في اللسان مادة نفر : « والمنافرة المفخرة والمحكمة ، أن يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه ، ثم يحكما بينهما كفعل وعلقمة بن علاثة مع عامر بن الطفيل حين تنافرا إلى هدم بن قطبة الفزاري ، والمنفور المغلوب ، والنافر الغالب ، ونفر الحاكم أحدهما على صاحبه تنفيراً أي قضى عليه بالغلبة .. » .

(45) القيرواني . أبو علي الحسن بن رشيقي ت 456 . العمدة 280/2 . تح محمد محي الدين عبد الحميد . طب دار الجليل . بيروت . 1972 .

(46) ابن رشيقي . العمدة 19/1 .

7 - التنافس بين الأجيال الشعرية والاتجاهات والأسر .. وقد يتجلى التنافس بواسطة الحوار أو السخرية أو الاحتكام أو المصادقة ، كما حصل للربيع بن زياد العبسي وكان أثيراً عند النعمان بن المنذر .. فدخل لبيد على سراق النعمان فوجد عنده الربيع يأكل معه .. فاستأذنه لبيد في الكلام فأذن له فأنشده قوله :

لا تزجرُ الفتيان عن سوء الرّعه
يا ربّ هيجاً هي خير من دَعَه
إذا الفلاة أوحشت في الممعه
يخبرك عن هذا خير فاسمعه
مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه
إن ... من برص مَلَمَعَه⁽⁴⁷⁾

وكما حصل للمتلمّس حين قال :

وقد أتناسى الهمّ عند احتضاره بناج عليه الصّيعرية مكرم
فضحك الصبي (طرفة) وقال له : يا خال لقد استنوقت الجمل ، أي وضعت صفة
الصيعرية للجمل ، وهي صفة الناقة ..
وتذكر الأخبار أن زهيراً لم يجزأه كعباً في قول الشعر ، وكان ينعى ، ويعتسفه
ضرباً بالسوط إلى أن نجح الولد في الامتحان قال زهير :
(تميد الأرض إماً بنت عنها) وطلب إلى كعب إتمام البيت .. فقال كعب :
(وتمنع جانبها أن يزولا) ..

وكما حصل من حسان بن ثابت وولده عبد الرحمن .. فحين وصف عبد الرحمن
النحلة التي لسعته كأنها ثوب حبرة .. هش الأب وهتف لمن حوله : قال ابني الشعر

(47) العامري . لبيد بن ربيعة . ديوانه ق 33 ص 95 وبعدها . طب دار صادر بيروت (د : ت) .

ورب الكعبة !! وجاء في (الشعر والشعراء 193/1) : « وكان لحسان بنت شاعرة وأرق حسان ذات ليلة فعن له الشعر فقال :

متاريك أذئاب الأمور إذا اعترت أخذنا الفروع واجتثنا أصولها
ثم أجبل فلم يجد شيئاً فقالت له بنته : كأنك قد أجبلت يا أبه ؟ قال : أجل .
قالت : فهل لي أن أجز عنك ؟ قال : وهل عندك ذلك ؟ قالت نعم .. قال فافعلي ..
فقالت :

مقاويل بالمعروف خرس عن الخنا كرام يعاطون العشيرة سولها
فقال حسان : لأقول الشعر ، وأنت حيّة ، قالت : أو أوأمك ؟ قال : أو
تفعلين ؟ قالت : نعم : لأقول بيت شعر مادمت حياً .. « ا . ه .

وكان النابغة معتداً بشعره وحين التقى لبيداً وكان يافعاً استقل شأنه في مجلس
النعمان بن المنذر .. فثبت لبيد ، وقرأ له مختارات من شعره فأعجب بها النعمان ،
وكذلك النابغة .. فقال النابغة للبيد : « أنت أشعر بني عامر .. بل أشعر كلها ..
وهوازن كلها ..) والأمثلة كثيرة مبثوثة في الشعر والشعراء لابن قتيبة ، والأغاني
للأصبهاني ، والموشح للمرزباني ، ومعجم الأدباء للحموي ..

8 - شاعت في الجاهلية تصنيفات للشعراء .. مثل الشعراء الفرسان ،
والصعاليك ، والأمراء ، والوبر ، والمدر ، والغربان . ولكل من هؤلاء سمات تسم
أشعارهم .. وشاعت أيضاً مقولات الشعر المطبوع والشعر المصنوع .. ولم يكن زهير
ليخجل من صفة : شاعر مصنوع ، وكان يسمّى شعره الحولي المحكّك .. « وقد تسلسلت
القريجة الشعرية في كثير من بيوتهم بالتوارث عدة أجيال فالنعمان بن بشير الأنصاري
من العريقيين في الشعر خلفاً عن سلف . جده شاعر وأبوه وعمه شاعران ، وهو شاعر ،
وأولاده شعراء » وكذلك كعب بن مالك من شعراء الصحابة ، كان أبوه شاعراً وعمه

قيس شاعراً وأبناء كعب ، وأحفاده كلهم شعراء ، بيت أبي سلمى فقد كان أبوه سلمى شاعراً ، وابنه زهير المشهور شاعر ، وله خوؤلة في الشعر ، خاله بشامة بن الغدير شاعر ، وكان ابنه كعب ومجير شاعرين وجماعة من أبنائها شعراء ⁽⁴⁸⁾ فالشعر وإن كان فيما يبدو لصيقاً بالقبائل والعوائل .. بيد أن لكل قبيلة أو عائلة أسلوباً في نظم الشعر وتنيقه .

9 - يمتلك الجاهليون خبرة بالشعر وتقده فهو ديوانهم ، وحين انتدبت قريش الوليد بن المغيرة ليلتقط ثغرة في صفات الرسول ﷺ وعلامة ، واقترحوا عليه أن يقول : إنه شاعر . فرّد عليهم الوليد قائلاً : « ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهجزه وقريضه ، ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر » ⁽⁴⁹⁾ .

فهم إذن يعرفون الرجز والهزج والقريض والمقبوض والمبسوط ، وهم يعرفون الإقواء ، وهم يقولون : شاعران كبيران يقويان ، وهما بشر بن أبي خازم والنابغة ، أما بشر فقد نبهه أخوه ، وكان أخوه شاعراً عالماً بأصول الشعر ، أما النابغة فكانت منزلته مانعة للآخرين من تنبيهه فدعي إلى سهرة احتفالية في يثرب ، وعنت قبالتة مغنية قصيدته :

من آل ميّة رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود

وحين بلغت المغنية إلى موضع الإقواء في (الأسود) برفع الموالم وكان حقها الجر محاكاة للروي شدّت على مخارج الحروف ، وأشبعت الضمة واواً وترنمت بالواو (اسود و .. و .. و ..) فنهرا النابغة ، وقال لها : ماذا تفعلين يا جارية ؟ فقالت : أنا لم أفعل ياسيدي .. وهذا فعلك وشعرك !! ففطن إلى الإقواء ، وزعم لها أن الأصل هو جرّ (الأسود) على هذا النحو :

(48) زيدان . جرجي . تاريخ آداب اللغة العربية 66/1 (م . س) .

(49) هارون . عبد السلام محمد . تهذيب سيرة ابن هشام . ص 57 . طب مكتبة السنة مصر و 198 (طبعة سادسة) .

البيت مع الإقواء :

زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا: الغراب الأسود

البيت دون إقواء :

زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك تنعاب الغراب الأسود

وما عاد النابغة إلى الإقواء ثانية ! والإقواء هو مغايرة روي البيت اللاحق لروي البيت السابق في الحركة ..

10 - قال الجاحظ (ت 255 هـ) : « الشعر صناعة ، وضرب من الصياغة ، وجنس من التصوير » . وقوله : ليس خروجاً عن الفهم الموروث عن الشعر ، فثمة من يزعم : أن الشعر إلهام من الشياطين القاطنين في وادي عبقر ، ونقرأ آخر يقول : الشعر نظم وصناعة ! وهذه آراء نقدية تعكس معرفية - مهما كان حجمها - لطبيعة الشعر وتقويمه ..

وشيء من صناعة الشعر أن الشاعر الجاهلي يضع أمامه نموذجاً يحاكيه في الكتابة .. كما حاكى امرؤ القيس سلفه ابن خذام في الوقوف على الأطلال ، وهو منحنى يقترب من مقولة الشفاهية .

عوجا على الطلل المحيل لأننا نبيكي الدير كما بيكى ابن خذام

والجاهليون (استناداً إلى تصريح الخليل الفراهيدي) يزنون شعرهم بطريقة التنعيم ، والتنعيم هو المقابلة بين التفعيلات والإيقاعات بميزان (نعم / لا ..) قارن :

٥ | ١ | ٥ | ١ (٥)

٥ | ١ | ٥ | ٥ | ٥ (٥)

٥ | ٥ | ١ | ١ (٥)

٥ | ٥ | ١ (٥)

فاعلاتن ← لا نعم لا

مستفعلن ← لا لا نعم

فعلولن ← نعم لا

فعلن ← لا لا

فَعْلَمَنَ ← نَعْمَنَ (ُ) ٥ | | | ٥
مَفَاعِلَيْنَ ← نَعْمَ لَا لَا (ُ) ٥ | ٥ | ٥ | ٥ | ٥
مُتَفَاعِلَنَ ← (ُ) ٥ | | ٥ | | ٥

يقول أبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) : كانت العرب تغني النصب ، والنصب في القوافي أن تسلم القافية من الفساد وتكون تامة البناء ، وتمد أصواتها بالنشيد وتزن الشعر بالغناء⁽⁵⁰⁾ قال شاعر جاهلي :

تغنّ في كل شعر أنتَ قائله إن الغناء لهذا الشعر مضار⁽⁵¹⁾

وكان امرؤ القيس معنى في إيقاعاته قارن :

أ- توهمت من هند معالم أطلال عفاهن طول الدهر في الزمن الخالي
مرابع من هند خلت ومصائف يصيح بمغناها صدى وعوازف
وغيرها هوج الرياح العواصف وكلّ مسفّ ثم آخر رادف
بأسحم من نوء السماكين هطال

ب - يا صاحبا عوجوا ☆ تقف بكم أسج ☆ مهريّة دبح ☆ في سيرها معج ☆
طالت بها الرحل⁽⁵²⁾

وإذا كان الغناء وما يحتاج إليه من تكرار وترقيص قد حدا بالأعشى أن يقول :

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاي مشلّ شلول شلشل شول

فقد حدا بامرئ القيس أيضاً ليقول :

(50) المرزباني ، أبو عبيد الله محمد بن عمران ت 384 هـ . الموشح في مأخذ العلماء على الأدباء ص 47 تح علي محمد البجاوي ، طب لجنة البيان العربي 1965 .

(51) اللسان (غنا) .

(52) امرؤ القيس . ديوانه ص 51 . المعري . أبو العلاء أحمد بن عبد الله ت 449 . رسالة الغفران 143 طب دار الكتب العلمية . بيروت 1990 .

وسل سل وسل سل ثم سلسل وسل وسل وسل دار سلمى والربوع فكم اسل (53)

11 - هناك خبرة لدى الشعراء استدعتهم لأن يختاروا طرائق في تشويق الناس إلى أشعارهم ، فبعضهم يقف على الأطلال باكياً ، وآخر يصف المعارك ، وثالث ينق صورة المرأة . فهم يختارون الإيقاعات والمعاني والكلمات التي تناسب كلّ غرض وجمهور .

وهذه خبرة بعملية التوصيل ، وقيل : إن الأعشى كان يعني شعره .. وكان الشعر هاجس العرب في حلهم وترحالهم .. حرهم وسلمهم ، وهم إذا ذهبوا إلى نوادي اللهو .. لم ينسهم ذلك عن الشعر .. وتذكر الأخبار أن الزبرقان بن بدر ، والحبل السعدي ، وعبد بن الطبيب ، وعمرو بن الأهم التقوا في ناد ليليّ جاهلي ، وتناشدوا الشعر ، واختلفوا في أيهم أشعر ؟ ثم احتكوا إلى ربيعة بن حذار الأسدي ، فاستمع طويلاً إلى أمثلة من شعر كل شاعر منهم .. ثم قال : أما ابن الأهم فشعره برود يمانية ، تطوى وتنشر .

وأما ابن بدر فقد أتى جزوراً قد نحرت فأخذ من أطايبها ، وخلطه بغير ذلك ، فشعره مثل لحم لم ينضج بعد .

وأما السعدي فشعره شهب يلقيها على من يشاء .

وأما ابن الطبيب فشعره مزادة أحكم خرزها فلا يقطر منها شيء .. إ . ه .

هذه الحكاية وسواها مما مرّ بنا مع أم جندب والنابغة .. تم عن قدر الناقد في أفئدة أهل ذلك العصر ، ولو حلل الباحث أحكام ربيعة أو أم جندب أو النابغة .. لوجدها مستندة إلى قواعد نقدية لا تخفى عن نظر الفاحص ..

12 - ويلتقط الدارس إشارات نقدية مهمة شاعت في العصر الجاهلي .. فكثير

ما يقولون أشعر الناس النابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب . فهم يعرفون موقع الشعرية في نصوص أي شاعر .. ويقولون أيضاً : إن خير الشعراء من كتب دون رغبة أو رهبة ، وزهير لا يعاضل ، أو أن شعر فلان شعر سوقه ، وقد يلاحظون أثر البيئة في الشعر . فيقولون : إن هذا الشاعر خشن العبارة لأنه شرب حليب النوق ، وأكل الشيخ ، وذلك الشاعر لان شعره وثقل لسانه لأنه أكل البقول .. فمرة نرى أثر الصحراء في شعر ذاك ، وأثر الريف في شعر هذا .

قال ابن قتيبة في عدي بن زيد : « وكان يسكن بالحيرة ، ويدخل الأرياف فثقل لسانه » (الشعر والشعراء 135/1) . وقال في أمية بن أبي الصلت : « ويأتي بألفاظ كثيرة لاتعرفها العرب يأخذها من الكتب المتقدمة » (الشعر والشعراء 305/1) .

وقال ابن رشيق في معلقة عنترة : « وكانوا يسمونها المذهبة » (154/1) وقال في عدي بن ربيعة : « وسمي مهلهلاً لأنه هلهل الشعر ، أي رققه وكان فيه خنث » (186/1) .

الفصل الرابع

أولاً : الأدب الجاهلي في حاضنة البيئة

استوطن العرب شبه الجزيرة العربية منذ وهلتهم الأولى ، فبات الأثر متبادلاً بين العربي ووطنه ، وأصبح عصياً على دارس الأدب القبلاسي ، تجاوز هاتين البورتين (العربي ، موطنه) ، وهل الأدب سوى التاهي بين كيميائي إبداع الذهنية وموطنها !؟

والعرب منذ وهلة التاريخ الأولى تجاوزوا في سكناهم شبه الجزيرة العربية إلى فضاءات أخرى هي العراق والشام وفلسطين وسيناء ووادي النيل ، بيد أن مركزية شبه الجزيرة العربية كانت الملح الأقوى⁽¹⁾ والبلدانيون العرب يسمون شبه الجزيرة العربية جزيرة العرب ، « وإنما سميت بلاد العرب الجزيرة لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها وأطرارها »⁽²⁾ .

والحق أن البحار تحيطها من جهاتها الثلاث وتتصل باليابسة من الجهة الشمالية المفعمة بمياه أنهار دجلة والفرات والعاصي ، قال الهيثم بن عدي الثعالي الكوفي (ت 207 هـ) ووافقه الأصمعي (ت 216 هـ) : « إن طول جزيرة العرب يبدأ من

(1) قارن الهمداني . لسان الين . الحسن بن أحمد ت 334 هـ . صفة جزيرة العرب ص 80 تح محمد بن الأكوغ . طب مكتبة الإرشاد . صنعاء 1990 . وقارن أيضاً . علي . د . جواد . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 140/1 . طب دار العلم للملايين . بيروت 1971 .

(2) الهمداني . صفة جزيرة العرب .

العذيب (في العراق) شمالاً إلى حضرموت وعدن آيين جنوباً ، أما عرضها فيبدأ من الأبلّة - حدود العراق في جنوبه الشرقي - إلى جدة وجبال مراد « (3) .

وعرفت الجزيرة العربية في غابر أيامها الحياة الهائلة السعيدة ، وقد حبتها السماء أمطاراً وفيرة ، وأنهاراً كثيرة ، وأرضاً خصيبة ، وموقعاً وسطاً ، وسكاناً أقوياء أذكيا ذوي خبرة بتثبير ذلك ، وربما اتصلت الجزيرة العربية قبل مليون عام من طرفها الغربي بإفريقية من طرفها الشرقي ، ثم حدث زلزال كبير فانشقت الأرض المحصورة بين آسية وإفريقية وابتلعت البيوت وساكنيها ، لينبغ عن ذياك الانشقاق بحر القلزم (الأحمر) وترى مس كاتون تومسون : أن انفصال جنوبي غربي بلاد العرب عن إفريقية الشرقية قد حدث قبل مليون عام على أقل تقدير ، وأن حجر الصوان الذي عثر عليه في حضرموت يشبه كثيراً ذلك الذي عثر عليه الباحثون في شرقي إفريقية « (4) .

وقيل : إن ماء بحر القلزم (الأحمر) قلّ وزمّ فأسموه بحر القلزم وثمة من يعلل التسمية على نحو آخر ، فيقول : تقلزم الحوت طريده إذا ابتلعها والتهمها !! وبحر القلزم مشتق منه ، وبه سمي ؛ لأنه يلتهم من يركب مياهاه ! ومياها بحر القلزم هي المكان الذي غرق فيه فرعون ورهطه ، (القلزمة) : إذن ابتلاع الشيء .

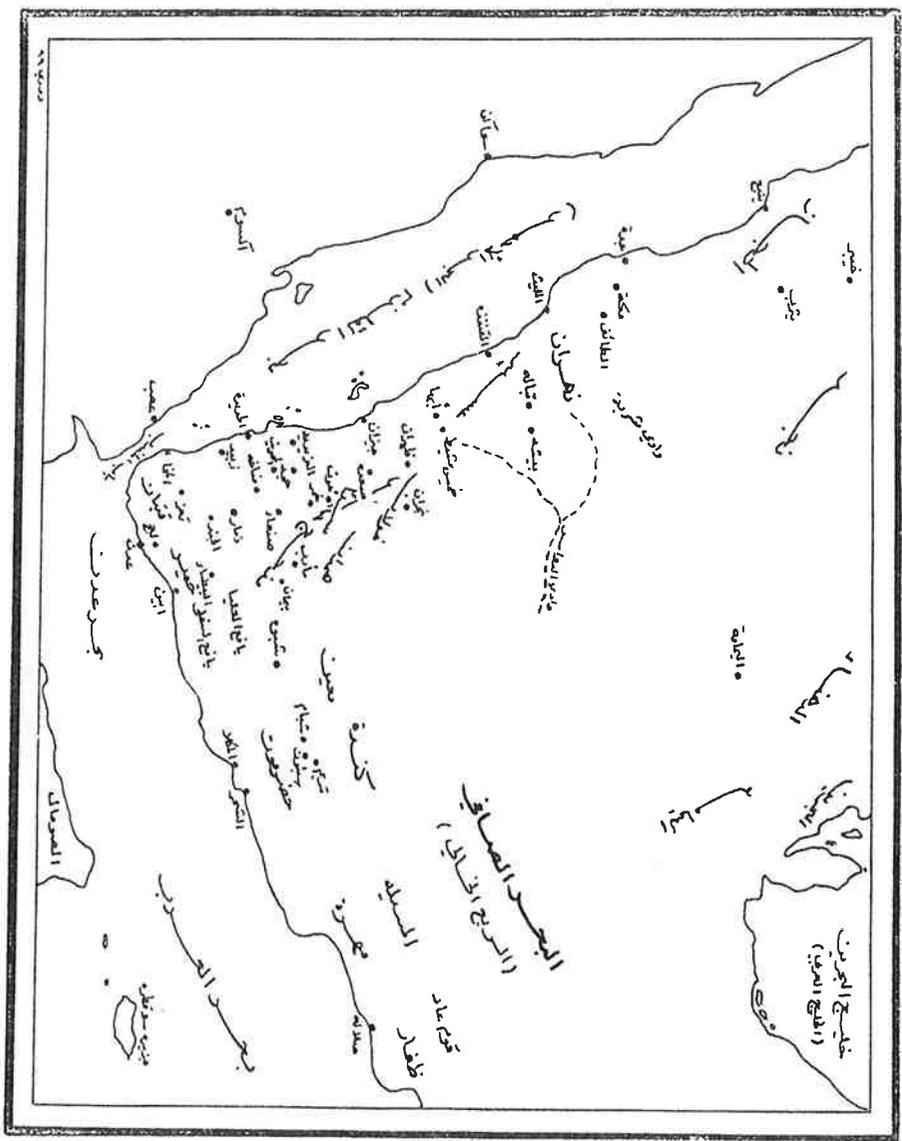
(3) الحموي . ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله ت 626 هـ . معجم البلدان 156/2 طب دار إحياء التراث العربي بيروت 1997 .

(4) مهران . د . محمد بيومي . دراسات في تاريخ العرب القديم ص 196 ثم 198 طب دار المعرفة الجامعية مصر 1993 .

الهمداني . صفة جزيرة العرب ص 86 (وكان سعيد بن السيب ت 95 هـ يقول : إن الله تبارك وتعالى لما خلق الأرض مادت بأهلها بهذا الجبل - السراة - ومبدؤه من الين إلى الشام فقطعته الأودية) .

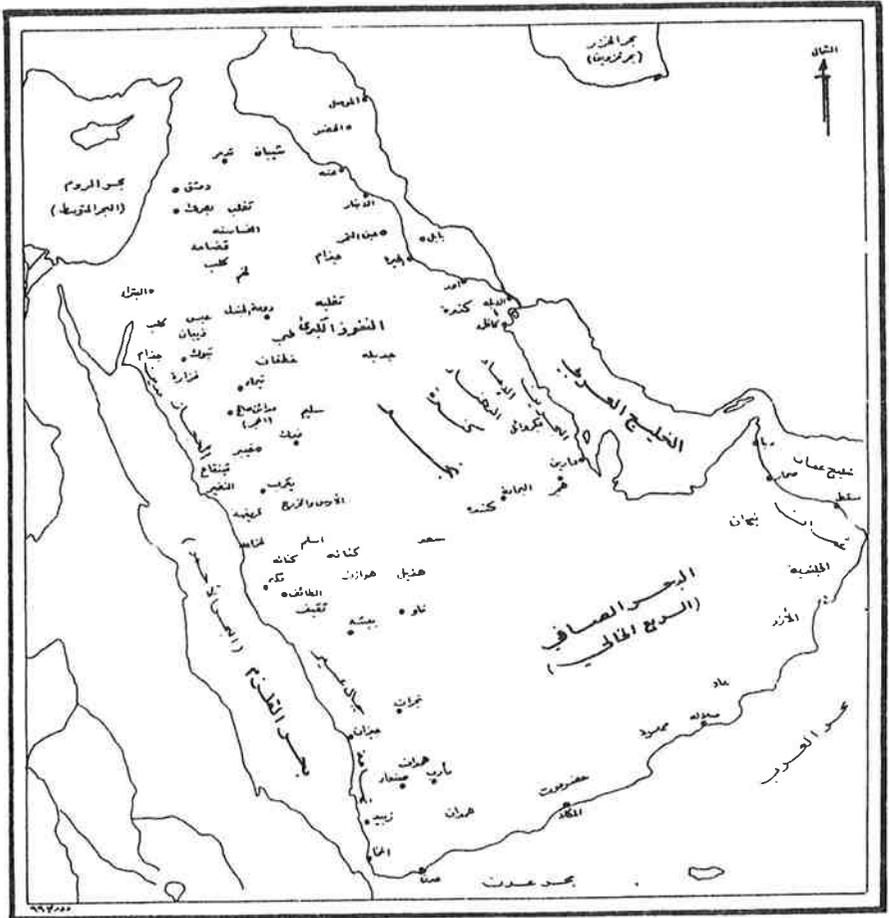
- بافقيه . محمد عبد القادر . تاريخ الين القديم ص 166 . طب المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1985 « ويلفت اللندروف نظرنا إلى التشابه الصارخ بين طبيعة الساحل الإتريري واليني الغربي فكلاهما قاحل وحار وكلاهما يفضي إلى هضبة جبلية مرتفعة تتمتع بأمطار موسمية منتظمة .. وهناك من الأدلة .. » .

المواقع التاريخية في جنوب وغرب شبه الجزيرة العربية



صنع هذه الخارطة الأستاذ د . داوود الربيعي فإليه شكرنا وتقديرنا وأمنياتنا

المواقع التاريخية في شبه الجزيرة العربية



صنع هذه الخارطة الجغرافي أ. د . داوود الربيعي وفق متطلبات كتابنا ، فإليه
نزجي خالص الشكر والامتنان

قال شاعر قديم :

ولا ذي قلازمَ عند الحياض إذا ما الشريب أراد الشريبا⁽⁵⁾

وطبيعة الجزيرة ليست واحدة ، فهي مزاج من طبائع المياه والصحاري والجبال والحفر والدارات .

فالسلاسل الجبلية ترتفع محاذية شواطئ البحر الأحمر حتى لتبلغ عند جبال السراة في الحجاز عشرة آلاف قدم ، وعند مدين تسعة آلاف ، وعند صنعاء ستة آلاف ، ويصل ارتفاع بعض قمم الين جنوباً اثني عشر ألف !! ثم تنحدر هذه الجبال انحداراً مفاجئاً حين تتجه إلى مياه البحر الأحمر غرباً ، بينما ترتفع هضبة نجد في جانبها الشمالي الأوسط نحواً من ألفين وخمس مئة قدم ، حيث جبال شمر التي يشخص فيها جبل أجا المقدود من الجرانيت الأحمر فيسقى قرابة خمسة آلاف وخمسمئة قدم ، بينما ينهد الجبل الأخضر نحواً من عشرة آلاف ! الجزيرة العربية ترتفع غرباً ثم تنحدر شرقاً ، وبين المياه الغربية (البحر الأحمر) والشرقية (الخليج العربي وعمان) ثمة الصحاري بسهوبها وسهولها التي تشكل التلال دوائر حولها ، مثل باديتي الشام والسماهو اللتين تكئنان المياه الجوفية الوفيرة ...

أما تقسيمات الجزيرة العربية فهي مختلفة أيضاً باختلاف مناهج البلدانين ومصالحهم .. فأهل الين يرون أن الجزيرة العربية قسمان : يمين وشام ؛ فجنوبها الين ، وشمالها الشام ، ونجد وتهامة ؛ فالنجد ما أنجد منها عن السراة وظهر من رؤوسها ذاهباً إلى المشرق في استواء دون ما ينحدر إلى العروض ، وحجاز وهو ما حجز بين الين والشام ، وسراة وهو ما استوسق واستطال في الأرض من جبال هذه الجزيرة مشبهاً بسراة الأديم ، وعروض وهو ما أعرض عن هذه المواضع شرقاً إلى حيز شمال المشرق ،

(5) ابن منظور . أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت 711 هـ . لسان العرب (قلزم) طبعة دار صادر بيروت . ومقرن أيضاً : علي . د . د . جواد . الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 148/2 (م . س) .

وعراق وشحر ، فالعراق ما حاذى المياه العذبة مأخوذ من عراقي الدلو ، والشجر مأخوذ من شجر الأرض وهو سبخ الأرض ومنابت المحوض «⁽⁶⁾ وقسمها اليونانيون ثلاثة أقسام هي : أ - العربية الصحراوية وتشمل باديتي الشام والساوة وبضعة من سيناء وتحدها بابل من الجنوب ب - العربية الصخرية ومركزها سيناء وبلاد الأنباط وقد جاءت التسمية من طبيعة البتراء (الحاضرة) وتمتد جنوباً حتى البحر الميت ج - العربية السعيدة وهي بلاد العرب التي علّمها البلدانون والمؤرخون ، بيد أن المنطق الجغرافي لا يطمئن إلى هذا التقسيم في أغلبه ، فهذه التقسيمات متداخلة ، مثال ذلك أن العربية السعيدة لا تنفصل عن بلاد العرب الصحراوية ، زد على ذلك إغفاله عدداً من المعالم الكبيرة : تيماء ودومة الجندل ووادي سرحان ! لكن مقدار ما يهمننا من التقسيم اليوناني هو هذه النظرة الشمولية إلى وطن العرب ذي المساحات الممتدة الشاسعة والمترامية البعيدة⁽⁷⁾ وهناك من قسم الجزيرة أربعة أقسام : « جزيرة العرب أربعة أقسام : اليمن ، ونجد ، والحجاز ، والغور . وهي تهامة . فمن جزيرة العرب الحجاز وما جمعه وتهامة ، واليمن وسبأ والأحقاف واليامة والشحر وهجر وعمان والطائف ونجران والحجر ... إلخ »⁽⁸⁾ .

ومن قسم الجزيرة خمسة أقسام (فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة خمسة أقسام : تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن)⁽⁹⁾ .

(6) الهمداني . صفة جزيرة العرب ص 9 .

وقارن : القزويني ، زكرياء بن محمد ص 682 هـ . آثار البلاد وأخبار العباد . (ص 645 فهرس الأماكن مثل نجد تهامة عروض حجاز سراة وعراق .. الخ) طبعة دار صادر بيروت (د : ت) .
وقارن : الجبوري . د . د . يحيى : الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ص 11 وبعدها طبعة سادسة 1993 جامعة قار يونس بنغازي .

(7) أبو العلا . محمود طه . جغرافية شبه الجزيرة العربية 5/1 طب القاهرة 1956 .

وانظر مهران . د . محمد بيومي . دراسات في تاريخ العرب القديم ص 93 (م . س) .

(8) الحموي . ياقوت معجم البلدان 57/2 (م . س) .

(9) الهمداني . صفة جزيرة العرب ص 85 وانظر . الحموي . ياقوت . معجم البلدان 56/2 .

1 - تهامة : تمتد على طول البحر الأحمر (القلزم) وتقع الين في جزئها الجنوبي ، وتهامة أرض رملية ، يقع ميناء الحديدية جنوبيها وفي شماليها : جدة وينبع والحجر (مدائن صالح) ، وتمتد جبال السراة شرقي تهامة من الشمال إلى الجنوب لتفصلها عن هضبة نجد . وسُميت تهامة لشدة حرها وركود ريحها ، والتهمة الأرض المنصوبة إلى البحر .. وتهامة تسائر البحر منها مكة .

والحجاز ما حجز بين تهامة والعروض فإذا خلفت عُمان مصعداً فقد أنجحت فلا تزال منجداً حتى تنزل في ثنايا ذات عرق ، فإذا فعلت ذلك فقد أتهمت إلى البحر وإذا عرضت لك الحرار وأنت منجد فتلك الحجاز .

2 - الحجاز : منطقة بين غور تهامة ونجد فكأنه منع كل واحد منها أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينها ، قال الأصمعي : الحجاز اثنتا عشرة دارة : المدينة وخيبر وفدك وذو المروة ودار بلى ودار أشجع ودار مزينة ودار جهينة ونفر من هوازن وجل سليم وهلال ! وقال في موضع ثان : وإنما سمي حجازاً لأنه حجز بين تهامة ونجد ، فمكة تهامية ، والمدينة حجازية ، والطائف حجازية !! وهي منطقة كثيرة المياه خصبة الأرض وجبلية ذات وديان كثيرة أشهرها وادي القرى . أما شمالي الحجاز فيضم أرض مدين موطن جذام ، ثم حسمي التي تضم جبالها منطقة إرم ، وتقع يثرب ضمن الحجاز ، ويقع وادي الشعري شمال يثرب ومدينة قرح المشهورة بسوق قرح ، وكذلك الحجر وصالح ، وتحيط القرى الخصبه بالمدينة مثل خيبر وفدك اللتين استوطنها اليهود ، واستوطنت هذه المناطق أيضاً قبائل عذرة وجهينة وبنى وقضاعة ، وتعد مكة والطائف أهم مدينتين في الحجاز ، وكانت الأخيرة مصيفاً لموسري العرب وخاصة أهل مكة .

3 - نجد : النجد ما أنجد منها عن السّراة ، وظهر من رؤوسها ذاهباً إلى المشرق في استواء دون ما ينحدر إلى العروض ، وتتوسط نجد الجزيرة مطلة على باديتي الشام والسماوة شمالاً ، وتفصل صحراء النفود بينها وبين نجد ، كما تفصل صحراء النفود

الشاسعة من الشرق بين نجد وبين البحرين وهي الدهناء أو رملة عالج موطن تميم وضبة . وتشمل نجد وادي الرمة ، فما تاخم الحجاز وتهامة سمي نجد العالية وما جاور العراق سمي نجد السافلة .

وموضع القصيم في شمالها والقصيم رمل عبيط ينبت فيه الغضا (الأثل) وأهل الغضام النجديون ، وتشمل نجد اليمامة (جو) ومركزها حجر ومن مدنها سدوس ومنفوحة .

4 - العرّوض : العرّوض الشيء المعترض وهو المدينة ومكة واليمن ، وقال ابن الكلبي (ت 204 هـ) العرّوض : بلاد اليمامة والبحرين . وهي أراض رملية وسهول ساحلية ، وتقع ضمنها أسواق كاظمة ودبا وصحار وعمان وهجر والخط (القطيف) ، كما تتضمن الجرعاء وسدوس والإحساء وميناء الصغير .

5 - اليمن : منطقة خصيبة شملت صنعاء وحضرموت ومهرة وعدن وتبالة وييشة ونجران وزبيد والشحر وظفار وعمان وذلك يعني أن هذه التسمية قد شملت الجنوب بكامله ، وسميت اليمن كما يقول لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها ، والبحر مطيف بها من المشرق إلى الجنوب فراجعاً إلى المغرب ، قال الأصمعي : أربعة أشياء قد ملأت الدنيا ، ولا تكون إلا باليمن : الّورس والكندر والخِطْرُ والعصب . ا . هـ . والجوف من أخصب بقاع اليمن وأصلحها للزراعة ، وفي اليمن تبالة وييشة⁽¹⁰⁾ .

وصفوة القول أن المتأمل في أطلس الجزيرة العربية واجد هذه (التعدديات) : في

(10) اعتمدنا في التحديد والتوصيف عدداً من المصادر والمراجع هي :

أ - الهمداني . صفة جزيرة العرب (م . س)

ب - الحموي . معجم البلدان (م . س)

ج - القزويني . آثار البلاد وأخبار العباد (م . س)

د - علي . د . د . جواد . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (م . س)

هـ - مهران . د . د . محمد بيومي . دراسات في تاريخ العرب القديم (م . س)

و - الجبوري . د . د . يحيى الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه (م . س)

ز - بافقيه . محمد عبد القادر . تاريخ اليمن القديم (انظر مواقع أوسان ومعين وقتبان وحضرموت وسبأ

وذو ريدان) . طب المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت 1985 .

التضاريس والمناخ والموقع والمؤهلات السكانية بما سوَّج وجود مميزات حضارية لعرب الشمال والجنوب والشرق والغرب ، فمن خطل الرأي الظن أن الجزيرة العربية تمثل وحدة متجانسة في التضاريس والمناخ والموقع والناس !! فقد خلط العديد من الدارسين العرب وغير العرب ، القدامى والمحدثين بين العرب والأعراب ، بين سكان الحواضر المستقرة وسكان البوادي المتغيرة ، بين سكان المرتفعات وسكان السهول ، بين سكان المدن المنفتحة على الماء والمدن المحرومة منه !! وما كان ذلك الخلط ليكون لولا تعددية النوايا وأطروحات المنهج التاريخي التعددي والدراسات المكتبية التي تعتمد النقل عن الكتب فحسب ، وتستند إلى الفرضيات المملغومة ، مؤثرة النأي عن المشاهدات الميدانية والمقاييس المختبرية ، وإيماءات النقوش والحفريات .

ونحن إذ نعمق دلالة التعدديات بين شمال وجنوب وماء وصحراء إنما نعمق حلم الوحدة العربية إلى أرض الواقع المتحقق ، لأن القفز فوق الفوارق يعني تفخيخها وتوسيعها ، فالبيت الواحد فيه غرف أرضية وعلوية وشرقية وغربية وذلك لا يبدد العائلة الواحدة ، وإنما يجمعها ويصونها . وقد اصطنع كتابنا عدداً من الخوارط التي تحدد المناطق وترينا أن التعدديات أثلت حضارات الشمال والجنوب والشرق والغرب ، بحيث انمازت الجزيرة العربية بمميزات جعلتها موضع عناية المنصفين وغير المنصفين من الدارسين . فعحضارات الين لم تكن عابرة ، وإنما أسهمت وبشكل فاعل في تظهير حضارات عربية أخرى في اليامة وكندة والمناذرة والغساسنة ومكة وغيرها ، بالمقدار نفسه التي تأثرت فيه حضارات الين بحضارات الشمال ، وحصل التاهي بين الحضارات فكانت الجزيرة العربية مهداً للرسالات السماوية الكبرى دون سواها⁽¹¹⁾ .

(11) ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [آل عمران : 110/3] وانظر : يوسف : 12 ثم طه 20 والزمزم 39 .
 وقارن . حسين . طه . في الأدب الجاهلي ص 74 وبعدها . طبعة دارالمعارف مصر (د : ت) النوري . د .
 قيس . طبيعة المجتمع البشري في ضوء الأنتروبولوجيا الاجتماعية ص 86-82 مط . أسعد بغداد 1970 .
 حتي . د . فيليب وآخرون . تاريخ العرب ص 29 . طب دار غندور 1974 . سوسة . د . أحمد .
 حضارة العرب ومراحل تطورها ص 69 . طب دار الحرية بغداد 1979 .

الفصل الخامس

جاهلية المجتمع العربي قبل الإسلام

لاحظت دراسة سابقة لنا أنجزناها عام (1982 م) أن وعي عرب الجاهلية للزمن كان على درجة متطورة قياساً إلى ذلك العهد^(☆) ويفترض الشعور بالزمن نطاً من النضج الفكري والقدرة على التأمل ، ولن يكون بمقدور البدائي وعي الزمن وعياً يهيئ له أن يقول فيه شيئاً ذا قيمة⁽¹²⁾ ويمكن القول : إن نظرة العرب للزمن عهد ذاك كانت على قدر مناسب من النضج ، فهم يلاحظون الطبيعة والأنواء ، ويسمون أوقاتهم طبقاً لمقتضياتها⁽¹³⁾ وربما أوحى مصطلح الجاهلية كما مرّ بنا لبعض الدارسين أن العرب كانوا يعمهون في ظلام من الجهل بكل أسباب المعرفة⁽¹⁴⁾ ، لكن النظرة الموضوعية أسهمت في إزالة الغبار الذي علق بهذا المصطلح⁽¹⁵⁾ ، وقد توصل فيليب حتى إلى أن مفهوم

(☆) أنجزنا الدراسة عام 1980 ثم صدرت عام 1982 في كتاب طبعته مطبعة التايمس في الكويت وعنوانه (الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام) .

(12) برييل . ليفي . العقلية البدائية ص 21 . ترد . محمد القصاص . طب مكتبة مصر (د : ت) .

فريرز . سير جيس . الغصن الذهبي 234/1 تر . أحمد أبو زيد وآخرين . مط الثقافية مصر 1971 .

(13) ابن قتيبة . أبو محمد عبد الله بن مسلم ت 276 . الأنواء في مواسم العرب . طب حيدرآباد الدكن الهند

1956 . حرب حمدي مصطفى . قصة الزمن . ص 6 . مط الثقافية مصر 1970 .

(14) اللسان (جهل) . حضارة العرب ص 108 (م . س) .

(15) البياتي . د . عادل . تحديد مصطلح الجاهلية والأمية في التراث العربي والإسلامي . بحث في مجلة كلية

الأداب . جامعة بغداد العدد 27 السنة الأولى و 97/ص 68 وبعدها . وانظر المفضل في تاريخ العرب

قبل الإسلام 37/8 (م . س) .

الجاهلية ينصرف إلى الزمن الذي عاشته العرب منذ العصور القديمة حتى مبعث النبي ﷺ⁽¹⁶⁾ ، ووردت مادة (جهل) في القرآن الكريم بمعنيها اللغوي والديني ، بما يفيد أن الجاهلية منصرفة إلى الجهل بالإسلام⁽¹⁷⁾ ، وكان رسول الله ﷺ يذكر في أحاديثه الشريفة لفظة الجاهلية مقترنة بأزمان العرب قبل الإسلام ، وطبائعهم وتقاليدهم⁽¹⁸⁾ .

أما الشعراء القبلايين فلم ترد (جهل) في شعرهم إلا ضمن سياقتها في اللغة⁽¹⁹⁾ فالجاهلية مصطلح إسلامي يشير إلى أن العرب قبل الإسلام لم تكن ناعمة بزمن الإسلام وإشراقات تعاليمه⁽²⁰⁾ وليس ثمة ما يسوغ انصراف مصطلح الجاهلية إلى توحش العرب وجهلهم بعلوم زمانهم⁽²¹⁾ وقد حذقت العرب علوم الأنساب ، والأنواء ، وتعبير

(16) حتي . فيليب . تاريخ العرب المطول . طب دار الكشاف بيروت 1965 .

(17) عبد الباقي . محمد فؤاد . المعجم المفهرس الألفاظ القرآن الكريم طب دار الكتب المصرية 1945 .

(18) القشيري . أبو الحسين مسلم بن الحجاج ت 261 . صحيح مسلم 99/1 . طب دار إحياء التراث . بيروت . البخاري . أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ت 256 . صحيح البخاري 54/5 طب دار إحياء التراث . بيروت . ابن الأثير . أبو السعادات مجد الدين المبارك الجزري ت 606 . النهاية في غريب الحديث والأثر 322/1 طب دار إحياء الكتب العربية مصر 1963 .

(19) بشر بن أبي خازم . ديوانه ق 1 ب 1 ص 3 . عنتره . ديوانه ق 1 ب 49 ص 207 . شرح القصائد العشر تحقيق فخر الدين قباوة معلقة عمرو بن كلثوم ب 96 ص 166 . ابن مقبل . تميم . ديوانه ق 35 ب 3 ص 267 :

هل عاشق نال من دهاء حاجته في الجاهلية قبل الدين مرحوم

(20) الألوسي . محمود شكري . بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 15/1 تح محمد الأثري مط الرحمانية مصر 1924 . بروكلن . كارل . تاريخ الأدب العربي 29/1 تر . ج 1 د . عبد الحلیم النجار مط دار المعارف مصر 1977 . الجبوري . د . يحيى . الجاهلية ص 27 مط المعارف بغداد 1968 . وانظر المفصل 38/1 (م . س) .

(21) ابن قتيبة . الأنواء 2 (م . س) . لويون . غوستاف . حضارة العرب ص 109 . تر . عادل زعيتر . طب إحياء التراث بيروت 1979 . حتي فيليب . تاريخ العرب المطول 117/1 (م . س) . الجبوري . د . يحيى . الجاهلية ص 29 وبعدها .

الرؤيا ، والأديان ، والرواية ، والقيافة ، والبيطرة⁽²²⁾ . فالعرب الذين نتحدث عنهم قوم متحضرون .

أما الأعراب فهم بدو رحّل لا شأن لهم بالاستقرار أو المدنية ، وقد انتبه د . ناصر الدين الأسد إلى أن مفردة (أمية) جرّت على العرب حيفاً لحق بهم فظن الدارسون أن الأمية هي أمية القراءة والكتابة ، فبحث في أمية الجاهليين ، وتوصل إلى الآتي :

« القرآن الكريم قد وصف العرب في جاهليتهم بأنهم أميون وورد ذلك في ثلاث آيات ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ ﴾ [آل عمران : 20/3] . و ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ [آل عمران : 75/3] و ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ [الجمعة : 2/62] غير أن هذا الوصف بالأمية لا يعني في رأينا الأمية الكتابية ولا العلمية وإنما يعني الأمية الدينية ، أي إنهم لم يكن لهم قبل القرآن الكريم كتاب ديني ، ومن هنا كانوا أميين دينياً ولم يكونوا مثل أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كان لهم التوراة والإنجيل . ومن الأدلة التي نسوقها للاحتجاج أن القرآن الكريم وصف فريقاً من أهل الكتاب بالأميين : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة : 79/78/2] فأمية هذا الفريق ليست أمية كتابية لأنه قد أخبر أنهم كانوا يكتبون بأيديهم ، وإنما هي أمية دينية ، أي جهل بالدين ، وإنكار له ، وعدم

(22) الشهرستاني . أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت 548 . تح محمد سيد كيلاني طب دار المعرفة بيروت 1975 انظر تحديداً 241-238/2 . العقاد . عباس محمود . الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ص 5 . طبعة دار القلم مصر (د : ت) . بكر . د . منذر . مساهمة العرب في التراث اليوناني قبل الإسلام ص 86 وبعدها بحث في مجلة المورد العراقية مجلد 8 عدد 2 سنة 1979 . فاضل . عبد الحق . تاريخهم من لغتهم ص 41 . مط دار الحرية بغداد 1977 .

تصديق . ومن أجل هذا فسّر ابن عباس هاتين الآيتين فيما رواه ابن جرير الطبري بإسناده إليه قال : « ومنهم أميون .. قال : الأميون قوم لم يصدقوا رسولاً أرسله الله ولا كتاباً أنزله الله فكتبوا كتاباً بأيديهم ، ثم قالوا لقوم سفلة جهال : هذا من عند الله ، وقال قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم ثم ساهم أميين لجحودهم كتب الله ورسوله إ . ه » .

ثم يذكر الأسد عدداً من الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت فيها مفردة (أمية) ويسلط عليها منهجه البحثي مستعيناً بكتب التفسير والشرح ، ويصل إلى ما وصل إليه في الأولى ويقرر : « إن الحديث لا ينقض ماقدّمنا من أمر معرفة العرب بالكتابة بعد أن أفننا من الشواهد والأدلة ما أقننا »⁽²³⁾ .

وقد تمسكت العرب بقيم المروءة من إقدام ونجدة ، وصدق ووفاء ، والحفاظ على العهد ، وصيانة الجوار ، والنأي عن الغزو ، والسفك في الأشهر الحرم . وقد نُسب إلى النبي الأمين قوله : « خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام » . وقال أحد التابعين : وددت أن لنا مع إسلامنا كرم أخلاق آبائنا في الجاهلية⁽²⁴⁾ .

ويمكن عزو التطرف ضد العرب قبل الإسلام ونعتهم بالتوحّش والجهل المطبق إلى ثلاثة أسباب :

الأول هذا الخلط المؤذي بين دلالتى (عرب ، أعراب) .

والثاني ديني يتضح من خلال الحرص على تبيان أثر الإسلام في الحياة العربية ، وفسّر قتادة (ت 118 هـ) الآية الكريمة : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ

(23) الأسد . د . ناصر الدين . مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص 46 (م . س) .

(24) ابن عبد ربه . أحمد بن محمد ت 328 . العقد الفريد 2/6 تح محمد سعيد العريان طب دار الفكر (د : ت) والقول نرجّح أنه عبّاسي .

فَأَتَقَدَّكُمْ مِّنْهَا ﴿﴾ [آل عمران : 103/3] بقوله : إن العربي قبل الإسلام كان (أذلَّ الناس ذلًّا ، وأشقاهم عيشًا)⁽²⁵⁾ .

أما السبب الأخير فهو عنصري فكما غالى بعض دعاة العنصرية والشوفونية من العرب في احتقار العناصر غير العربية ، فقد غالت العناصر المحترقة في إصاق التهم بالعرب والافتئات على قيمهم النبيلة ، وقد نهذ المفكرون الغيارى العرب لتفنيد الاتهامات الباطلة التي وجهت إلى العرب⁽²⁶⁾ . وقد كانت الجزيرة العربية كما مرّ بنا مهداً للرسالات السماوية ، والعربي أول من نطق باسم الله⁽²⁷⁾ ، وفي الأخبار والأشعار ما ينبئ أن العربي تأمّل جريان الزمان ، واستعبر بالأولين ، وذمّ التهاكك على

(25) أمين . أحمد . ضحى الإسلام 17/1 طب لجنة التأليف والترجمة مصر 1964 واعتمد أحمد أمين تفسير قتادة وذهب مذهبه .

(26) ابن قتيبة . أبو محمد عبد الله بن مسلم . المعارف ص 543 تح د . ثروت عكاشة طب دار المعارف مصر 1969 . الجاحظ . أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ) . البيان والتبيين 17/3 تح حسن السندوي طب المكتبة التجارية (د : ت) . ابن عبد ربه . العقد الفريد 317/3 ؛ 332 (م . س) . المسعودي . أبو الحسن علي بن الحسين (ت 306 هـ) مروج الذهب 53/2 تح محمد محي الدين عبد الحميد مط السعادة مصر 1964 . ابن خلكان . أبو العباس أحمد بن محمد ت 681 هـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان 235/5 ، 240 تح د . إحسان عباس طب دار صادر 1977 . الألويسي . بلوغ الأرب 171-175 (م . س) . السامرائي . د . عبد الله سلوم . الشعبية ص 47 وبعدها مط دار الحرية بغداد 1980 .

(27) سوسه . حضارة العرب ص 183 (م . س) .

الدينيا⁽²⁸⁾ وعرف آدم⁽²⁹⁾ ونوحاً⁽³⁰⁾ وإبراهيم⁽³¹⁾ وداود⁽³²⁾ وأنبياء آخرين⁽³³⁾ وكان معظم العرب عهد ذلك على ملة إبراهيم ، يعبدون الله ، ويحجون البيت ، ويحنتنون⁽³⁴⁾ وأطلقوا على الكعبة (بنية إبراهيم) ؛ لأنه بانيها⁽³⁵⁾ ، وحين دخل المسلمون الكعبة يوم

(28) ابن عبد ربه . العقد الفريد 214/3 (م . س) . السهيلي . عبد الرحمن بن عبد الله (ت 581 هـ) .
الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام 179/2 مط دار النصر مصر 1970 تح عبد الرحمن
الوكيل اقرأ حكاية دخول عبد الله بن جدعان لبيت آخر نفق داخل جبل فيه قبور ملوك جرم !!
والكتابات التي قرأها على شواهد القبور .. زهير بن أبي سلمى . ديوانه ص 287 . الأعشى . ديوانه
ق 53 ب 5-1 . طرفة . ديوانه ق 53 ب 7 وبمعه النابغة . ديوانه ق 1 ب 32 .
(29) امرؤ القيس . ديوانه ق 11 ب 5 . الضبي . المفضل بن محمد الكوفي ت 178 . المفضليات ق 66
ب 2 : قال أفنون التغلي :

قد كنت أسبق من جاروا على مهل من ولد آدم مالم يخلعوا رسي
تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون طب دار المعارف مصر (الطبعة 10) 1992 .
(30) النابغة . ديوانه ص 73

فألفت الأمانة لم تخنهما كذلك كان نوح لا يخون
طب دار الكتب العلمية بيروت 1984 .

(31) هارون . عبد السلام محمد . تهذيب سيرة ابن هشام ص 227 مكتبة السنة مصر 1989 (أن رسول
الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ورأى إبراهيم ، عليه السلام ، مصوراً
في يده الأزام يستقسم بها فقال قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزام ما شأن إبراهيم بها ..!
(32) السموءل . ديوانه :

وأتتني الأنبياء عن ملك داوود ففرت عيني به ورضيت
ص 82 طب دار صادر بيروت . الأعشى . ديوانه ق 33 ب 8 :

بناه سليمان بن داوود حقبة له أزج عال وطبي موثق
(33) ابن قتيبة . المعارف ص 56 (الرسل الخمسة من العرب) . وانظر المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام
. 83/6

(34) ابن الكلبي . أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت 204 الأضام ص 6) تح أحمد زكي طب الدار
القومية مصر 1965 .

ابن حبيب . أبو جعفر محمد ت 245 . المحبر ص 309 . تح د . إيلزة شتير . طب المكتب التجاري . بيروت .
(35) ابن الأثير . مجد الدين المبارك بن محمد - 606 النهاية في غريب الحديث والأثر 63/4 تح الزاوي
والطناحي . مصر 1963 .

الفتح شاهدوا على أحد جدرانها صورة إبراهيم ، عليه السلام ، وشاهدوا أيضاً قرني الكباش اللذين لبثا في الكعبة حتى شهر صفر سنة أربع وستين ، وسار جيش الحرة إلى مكة لقتال ابن الزبير ، وأتوا مكة فحاصروا ابن الزبير ، وقاتلوه ورموه بالمنجنيق ، واحترقت من شرارة نيرانهم الكعبة وسقفها وقرنا الكباش الذي فدى الله إسماعيل به (36) .

وقد ابتعدت العرب قبيل الإسلام عن روح الحنيفية لتفتي عبادة الأوثان التي اصطنعها عمرو بن لحي وعادات أخرى بعيدة عن الروح العربية مثل الواد ونسبة المطر والرياح إلى النوء والحياة والموت إلى الدهر والقتال في الأشهر الحرم حتى إن زيد بن عمرو بن نفيل كان يسند ظهره إلى جدار الكعبة وينادي غاصاً بعبوته (أيها الناس هلموا إليّ لم يبق على دين إبراهيم غيري) (37) وكان أمية بن أبي الصلت يحذر على هذا النحو :

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفية بور (38)

ولا بد من عودة إلى الفطرة الأولى فتهيأت أذهان العرب ونفوسهم لانتظار الخلاص فجاء الخلاص بالإسلام الذي أشرق وكأنه إكمال لدعوة سيدنا إبراهيم فوحد بعد شتات وأيقظ بعد سبات (39) .

(36) السيوطي ت 911 . تاريخ الخلفاء ص 164 قاسم الرفاعي ومحمد العثماني طب دار الأرقم بيروت (د : ت) وانظر هامش 31 .

(37) الشهرستاني . الملل والنحل 241/2 (م . س) . وانظر ابن حبيب . المحبر ص 171 . وابن الأثير . النهاية 6/5 .

(38) أمية بن أبي الصلت ق 154 ب 8 . وانظر الجبوري د . يحيى . حركة الأحناف في الجاهلية ص 52 بحث في مجلة المعارف عدد 9 أيلول (سبتمبر) 1962 وانظر البياتي د . عادل . شعر الأحناف دراسة وتحليل ص 537 مجلة آداب المستنصرية . بغداد . العدد 5 سنة 1980 .

(39) ابن حنبل . أحمد بن محمد ت 241 هـ . مسند أحمد بن حنبل 166/4 مط الميمنية مصر 1313 هـ . ابن الأثير . النهاية 451/1 . الشهرستاني . الملل والنحل 29/1 .

والخلاصة المستنبطة من التمهيد هي أن الشعر الجاهلي وتوأمه النثر الفني لم يكونا ربيبي حياة قاسية مجدبة كما تهبأ لعدد من الدارسين وأن المبدعين العرب لم يكونوا عقيبي الخيال محدودي التجربة والفضاء كما رسمتهم المباحث العجلى أو الموبوءة ، وإنما هم فنانون كبار وقادة في مجتمعاتهم وذادة أيضاً ، فلا غرابة أن يكون عطائهم خصباً ولغتهم مناسبة .. فليست الجزيرة العربية كلها الربع الخالي ، وليست رياحها السموم فقط ، وإنما كانت الجزيرة أيضاً مدناً مستقرة وأريافاً وسهولاً وجبالاً وموانئ بما يعزز فكرة التعددية التي أسست حضارات عملاقة شغلت علماء الحضارة وما زالت ..

الأطروحة الثانية

الشعر الجاهلي

- الفصل الأول : نشأة الشعر وأوليته .
- الفصل الثاني : الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين ☆ طبقات الرواة .
- الفصل الثالث : نظرية الشك (آراء القدامى والمستشرقين والمحدثين)
والرد على تلك الآراء .
- الفصل الرابع : شياطين الشعراء .
- الفصل الخامس : المعلقات وشعراؤها .
- الفصل السادس : الفروسية وشعراؤها .
- الفصل السابع : الصعلكة وشعراؤها .
- الفصل الثامن : موضوعات الشعر الجاهلي .
- الفصل التاسع : خصائص الشعر الجاهلي .
- الفصل العاشر : مصادر الشعر الجاهلي ومراجعته .

الفصل الأول

نشأة الشعر وأوليته

الشعر في مظهره اللغوية هو العلم ، وقولنا : شعر بالأمر ، أي علم ، وليت شعري تعني : ليتني أعلم ، والشعر عند العرب منظوم القول ، وقائله شاعر ، وقيل : سمي الشاعر شاعراً لفطنته (اللسان ، شعر) . وسمي الشعر قصيداً - استناداً إلى اللسان قصد - « لأن قائله احتفل له فنقّحه باللفظ الجيد والمعنى المختار وأصله من القصيد وهو المخ السمين ، وقصد الشاعر وأقصد : أطال وواصل عمل القصائد » .

وارتباط الشعر بالعلم والاستشعار يمثل شعيرة وثنية قديمة ، فالشاعر في الذهنية القديمة رجل استثنائي له صلات غريبة بعالم الجن والشياطين فهو على نحو ما ساحر ، أو كاهن ، أو متنبئ .. وقد لبث الشاعر الجاهلي معذباً بالرؤيا .. أو هكذا يتهيأ له .. فهو يرى ما لا يراه الآخرون .. فلحمة جلجامش تبدأ هكذا : هو الذي رأى كل شيء ففني . بذكره يا بلادي ، وهو الذي عرف جميع الأشياء ، وأفاد من عبرها ؛ وهو الحكيم العارف بكل شيء ، لقد أبصر الأسرار ، وعرف الخفايا المكتومة ، وجاء بأنباء ما قبل الطوفان . ا . هـ .⁽¹⁾ .

وكان لدى العرب عرفون قبل ظهور الإسلام يعرفون بكونهم شعراء ومن المحتمل أن تكون لغتهم غامضة كما هي الحال مع كل كاهن منذ الكهانة الأولى لمعبد دلفى التي لدينا مطلعها : إنني أعرف عدد الرمل ومقدار البحر . ا . هـ .⁽²⁾ .

(1) باقر . طه . ملحمة جلجامش 51 (ترجمة وتقديم) . طب دار الحرية بغداد الرابعة 1980 .

(2) مارجليوت . أصول الشعر العربي ص 56 تر : د . يحيى الجبوري . بيروت 1978 .

وسأل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : يا كعب هل تجد للشعراء ذكراً في التوراة فقال كعب : أجد في التوراة قوماً من ولد إسماعيل ، أناجيلهم في صدورهم ينطقون بالحكمة ، ويضربون الأمثال ، لانعلمهم إلا العرب⁽³⁾ وحيد المجتمع الجاهلي آية التنبؤ بعواقب الأمور قبل حدوثها استناداً إلى معطيات الدوال فالنبوءة من الإنبياء الذي يشي الأخبار والارتفاع والطلوع والرمي والخروج ، وتسهم هذه الدوال في تشكيل صورة الإنبياء في الذهن القديم ، فثمة ورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وسطيح الذئبي ، وشق ، وطريفة ، وخرافة ، والعشنتط .

وحين أشرق الإسلام واجه حالة من الوهم في الذهنية العربية تربط بين النبوءة والتنبؤ .

فالبابليون يطلقون على الرجل الاستثنائي (نبو) لأنه يتنبأ . فالخيال العربي صنع وشائج بين دلالات شاعر ، نبي ، ساحر ، مجنون ، كاهن . وأظن أن أشعار العرب معزوة إلى الشياطين الذين يسترقون السمع مما في السماء⁽⁴⁾ ونقل ابن الأثير حديثاً شريفاً (لا تنبروا باسمي إنما أنا نبي)⁽⁵⁾ وكان النبي ﷺ في هذا يبطل قول العباس بن مرداس :

يا آخر النبأ إنك مرسل بالخير كل هدى السبيل هذاكا⁽⁶⁾

وقد يصعب الفصل بين وظائف المنبيء والكاهن والعراف والطبيب والساحر والممسوس والمتوسم والقلمس والحازي والقائف والمتفرس والرائد والبدال ! فهؤلاء يمتلكون موهبة الخيال التشاكلي القائم على مبدأ التشبيه للتأثير في الآخر⁽⁷⁾ ، ولسوف

(3) ابن رشيقي القيرواني . الممعة 25/1 (م . س) .

(4) مارجليوت . أصول الشعر العربي ص 54 (م . س) .

(5) ابن الأثير . مجد الدين المبارك ت 606 هـ . النهاية في غريب الحديث والأثر 3/5 (م . س) .

(6) ابن مرداس . العباس . ديوانه . ص 51 . تح . يحيى الجبوري بغداد 1968 .

(7) سبينوزا . رسالة في اللاهوت والسياسة ص 47 . تر : د . حسن حنفي . طب الهيئة المصرية

للتأليف . 1971 .

فريزر . جيمس . الفضن الذهبي ص 43 . تر . أحمد أبو زيد وصاحبيه . مط الثقافية مصر 1971 .

بريل . ليفي . العقلية البدائية . ص 107 . تر . د . محمد القصاص . طب مكتبة مصر (د : ت) .

نقدّم بين يدي رأينا عدداً من النصوص التي تعزّز ادعاء العلم بالمجهول لدى الشاعر
ورؤية ما لا يرى !! قس بن ساعدة :

لما رأيت موارداً للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الأصاغر والأكابر
أيقنت أني لأعماله حيث صار القوم صائر
زهير بن أبي سلمى :

أ- ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى من الأمر أو يبدو لهم ما بدا لي
ب- وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي
أمية بن أبي الصلت :

شمط وشبان بهاليل مغاوير وحاح

ألا ترون لـ ما أرى ولقد أباه لكل لامح
قراد بن الأجدع :

فإن يك صدر هذا اليوم ولّى فإن غداً لناظره قريب
طرفة بن العبد :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود
الأعشى :

كوني كمثل التي إذ غاب وافدها أهدت له من بعيد نظرة جزعا
ما نظرت ذات أشفار كنظرتها حقاً كما صدق الذئبي إذ سجعاً⁽⁸⁾

(8) انظر نص قس الإيادي في أغاني أبي الفرج الأصفهاني . 192/15 ونص زهير بن أبي سلمى في ديوانه ص 184 . ونص أمية بن أبي الصلت في ديوانه 169 ، ونص قراد بن الأجدع في الوسائل إلى مسامرة الأوائل للسيوطي ص 139 . ونص طرفة في ديوانه ص 175 ونص الأعشى في ديوانه 79 .

ولقد يسأل الدارس : متى بدأ الشعر وكيف ؟ وأيهما أسبق الشعر أم النثر ؟ ..

يرى القيرواني أن كلام العرب : « كان كله منشوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها وذكر أيامها الصالحة ، وأوطانها النازحة ، وفرسانها الأنجاد ، وسمحاتها الأجواد ، لتهز أنفسها إلى الكرم ، وتدل أبناءها على حسن الشيم فتوهوا أعاريض جعلوها موازين للكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعراً ، لأنهم شعروا به أي فطنوا .. وقيل : ماتكلمت به العرب من جيد المنشور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ؛ فلم يحفظ من المنشور عشره ولا ضاع من الموزون عشره » (9) .

وإذا صدقت فرضية القيرواني ، فإن النثر كان سبيل الشعر ، ولا بد أن يكون السجع بؤرة النثر . يقول اللسان (سجع) : والسجع الكلام المقفى ، وسجع سجعاً : تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن ، وقال عليه السلام : « إياكم وسجع الكهان » . أي إنه نهى عن السجع في الدعاء . ا . ه .

ولقد ذهب نفر من الدارسين إلى أن السجع كان طقساً شعائرياً وثنياً وربما آل السجع إلى الرجز ، والرجز (قارن اللسان - رجز) شعر ابتداء أجزائه سببان ثم وتد ، وهو وزن سهل في السمع ويقع في النفس ، وقد اختلف فيه فزعم قوم أنه ليس بشعر ، وأن مجازه مجاز السجع ، والخليل لا يرى الرجز شعراً وإنما هو كلام ، فلو كان شعراً لم يجز على لسان النبي وتسمى قصائده أراجيز ، وهي كهيئة السجع إلا أنه في وزن الشعر ويسمى قائله راجزاً ، كما يسمى قائل الشعر شاعراً . ا . ه . فثمة قواسم مشتركة بين النثر المسجوع والكهانة والدعاء والرجز !

ويرى جرجي زيدان أن الشعر والغناء من أصل واحد عند جميع الأمم والشعر وضع أولاً للتغني به وإنشاده للآلهة أو الملوك واليونان والرومان يقولون غنى شعراً . ولا يقولون : نظم شعراً .

(9) ابن رشيقي . العمدة 20/1 (م . س) .

والعرب يقولون : أنشد شعراً وقضى اليونان أجيالاً لا يقولون الشعر إلا إنشاداً ، وكان العرب كذلك ثم يؤكد زيدان أن العرب بدؤوا أولاً بالسجع بلا وزنٍ ، نحو ما وصل إلينا من سجع الكهان ، وربما كان الكهان يغنونه توقيماً على القافية ومن أمثلة سجعهم :

إذا طلع السرطان استوى الزمان ، وحضرت الأوطان ، وتهادت الجيران . إذا طلع النجم (الثريا) فالحر في حدم والشعب في حطم . إذا طلع الدبران توقدت الحزان ، وكرهرت النيران ، وييست الغدران ، ورمت بأنفسها حيث شاءت الصبيان ، إذا طلعت الهقعة تقوض الناس للقلعة ، ورجعوا عن النجعة وأردفتها الهنعة . ويقول زيدان أيضاً : أما النظم أي القياس بالمقاطع وهو الوزن فأبسطه الرجز وهو أقدم أوزان الشعر ، والغالب في اعتقادنا - والقول لجرجي زيدان - : إن الوزن مأخوذ من توقيع سير الجمال في الصحراء وتقطيعه يوافق وقع خطاها⁽¹⁰⁾ .

ومن المؤسف حقاً أن هذه الفرضيات تعتمد الحدس والتخمين ، فليس بين أيدينا أدلة تدحضها أو تحضها ، فقد ضاع شعر الجاهلية الأولى وعمره ليس أقل من عشرين قرناً وما وصل إلينا على رأي الجاحظ (الحيوان 72/1) صورة مصورة عن بولاق) لا يتجاوز القرنين أو القرن والنصف ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافراً لجاؤكم علم وشعر كثير » .

إن الشعر الذي ضاع كما يفترض كان مكتوباً بلغات عربية يصعب انسجامها مع اللغة القريشية الرسمية ، وعلى رأي أبي عمرو بن العلاء : (مالمسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعريتنا⁽¹¹⁾) ولو لم يضع الشعر الجاهلي المفقود ، فهل كان بإمكاننا قراءته والاستمتاع به ؟⁽¹²⁾ .

(10) زيدان . جرجي . تاريخ آداب اللغة العربية 54/1 تعليق ومراجعة د . شوقي ضيف طب دار الهلال مصر (د : ت) .

(11) الجمحي . أبو عبد الله محمد بن سلام ت 232 . طبقات الشعراء ص 45 . تح . د . عمر فاروق الطباعة طب دار الأرقم . بيروت 1997 . ثم انظر ص 52 .

(12) زيدان . جرجي . تاريخ آداب اللغة العربية 41/1 يقول : وأحسن مثال للغة الحجاز لغة القرآن =

إذا شئنا أن نفترض وجود شعر عربي بلغتنا الفصيحة يرقى إلى القرن الأول للميلاد فهو حتماً سيكون بلهجة عربية مغايرة لهجتنا ، فهي إما لهجة صفوية نسبة إلى جبل الصفاة في الشام ، وإما بلهجة ثودية ، وإما بلهجة لحانية نسبة إلى بني لحان ! وقد وجد العلماء كثيراً من خصائص اللحانية ما يجعلها فجر اللهجة العربية المبكرة ! وأما اللهجة الرابعة التي نفترض ورود الشعر العربي فيها فهي النبطية التي تمثل أقواماً سكنوا شمالي الحجاز وكونوا إمارتهم متخذين من (سلع) عاصمة لهم وهي (petra) ، وتعد لهجتهم أقرب اللهجات إلى العربية الفصيحة ... فليس ببعيد أن يكون امرؤ القيس قد سمع بشعر ابن خدام ، وحفظه بنفس لهجته ، أو غيره إلى الفصحى لأن الرواة عدلوه وأصلحوه ليوافق اللهجة الجديدة السائدة)⁽¹³⁾ وهذا الرأي مقبول علمياً لأن رواية الشعر القديم بلهجة القديمة أو لغته المندثرة (لا يحمل أية متعة فنية في إنشاده وروايته لذلك عمل الساميون : الآشوريون والأكديون على ترجمة الأعمال الشعرية السومرية إلى لغاتهم ولهجاتهم السامية في عصرهم »⁽¹⁴⁾ .

أما الفترة الضيقة المحصورة بقرنين ، فهي على محدوديتها لم تفصح عن أولية الشعر بالنسبة إليها ، وقد قيل : إن أول من قال : الشعر هو أبو دؤاد الإيادي ، وعمرو بن تميم ، والأضبط بن قريع ، والأفوه الأودي . إلا أن لبيد نسب الأولية إلى مرقش ومهلل :

والشاعرون الناطقون أراهم سلكوا سبيل مرقش ومهلل⁽¹⁵⁾

= وشعر الجاهلية وأحسن مثال للغة الجنوب ما خلفه الحيريون من الآثار بالحرف المسند ! ولئن أقام حول الين من العرب لغات لملها فروع من لغة الين وهي (المسند : لغة في الين . الزبور : لغة حضرموت وبعض الين . الرشق : لغة عدن والجند . الحويل : لغة مهرة والشجر . الزقزقة : لغة الأشعريين) .
(13) القيسي . د . نوري ود . عادل البياتي ود . مصطفى عبد اللطيف . تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ص 48 . طب دار الحرية بغداد 1979 .

(14) المرجع نفسه 49 .

(15) العامري . لبيد بن ربيعة . ديوانه ص 128 طب دار صادر بيروت ثم انظر طبقات الشعراء ص 52 .

والذي يقرأ شعر المرقش يجد فيه ملامح البدائية في بنائه الإيقاعي والصيغي :

هل بالديار أن تجيب صم لو أن حياً ناطقاً كلم
يأبى للشباب الأقورين ولا تغبط أخاك أن يقال حكم

يقول ابن قتيبة فيه : « وهو شعر ليس بصحيح الوزن ولا حسن الروي ولا متخير اللفظ . ولا لطيف المعنى ، ولا أعلم فيه شيئاً يستحسن »⁽¹⁶⁾ وقيل : إن قصيدة عبيد بن الأبرص :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

إنها مضطربة الوزن ، مهلهلة النسخ ، ربما أرادها خطبة فاستقامت شعراً !!
ومهما يكن الأمر ، فالشعر كان طقساً دينياً ، يتقرب فيه الناس من الآلهة ، بالإنشاد الجماعي أو الفردي وعن أبي عمرو بن العلاء « كانت الشعراء عند العرب في الجاهلية بمنزلة الأنبياء في الأمم »⁽¹⁷⁾ .

وحين سمع النبي ﷺ بيت طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

قال : هذا من كلام النبوة⁽¹⁸⁾ ، ولم يستطع القدامى وضع مرادف للشعر فقالوا : إنه السحر ، لأنه يرفع بيوتاً خفيضة ويخفض بيوتاً رفيعة والشاعر قادر على جعل المعنى الخسيس نفيساً ، والنفيس خسيساً ! وتذكر الأخبار أن الحارث بن حلزة كان أبرص ، وكان الملك عمرو بن هند موسوساً وحين أنشده الحارث :

(16) ابن قتيبة . الشعر والشعراء 29/1 .

(17) الرازي . أبو حاتم أحمد بن حمدان ت 322 . كتاب الزينة ص 105 . معارضة وتعليق حسين بن فيض الله الهمداني طب مركز الدراسات والبحوث البيني . صنعاء 1994 .

(18) ابن عبد ربه . أحمد بن محمد ت 328 . العقد الفريد 271/5 . تح محمد سعيد العريان . طب دار الفكر .

أذنتنا بينها أسماء رب ثاو يملُ منه الثواء

كان الملك ينظر للشاعر وسمعه ومعه أمه الملكة هند من وراء سبعة ستور . وكما قرأ الحارث كان الملك يأمر برفع الستار تلو الآخر ويديني الشاعر منه حتى أجلسه على فراشه وأشركه في جفنته ! فأبي فعل كان لشعر الحارث في نفس الملك المتوجس من العدوى .

وكان الناس يتطيرون من الهجاء ويرونه لعنة تحل بالمهجو ، ولذلك استرضوا الشعراء وأكرمهم وربما ذكرنا الهجاء بضرب من الإنشاد يقصد منه الطلب إلى الآلهة بأن تنزل لعناتها على المهجو ، كفعل عشتار حين أهانها جلجامش أن رفعت يدها متوسلة إلى آبيها الآلهة أنليل أن ينزل ثوراً سماوياً يقضي على جلجامش ! وحين نزل الثور صرعه جلجامش ، فلم تغفر الآلهة لجلجامش وقاحته ، فعاقبته بموت أحب الناس إلى نفسه صديقه أنكيديو !!

ويمكننا أن نتذكر فعل لبيد حين هجا الربيع بن زياد .. فقد غرب لبيد شكله فحلق نصف شعره ، وحاجباً ، وصبغ نصف وجهه بالقطران ، وارتدى نعلاً واحداً . وطاف حول سرادق الملك مرتجماً حتى سدت نفس الملك عن الجلوس مع الربيع والنظر في وجهه وأمره بالانصراف⁽¹⁹⁾ .

ولقد يلاحظ الدارس طقس البكاء في مفتتح القصيدة ، وهو طقس قديم ربما ورثه الشعراء عن البابليين الذين يبكون في الربيع حين تزهر الأرض حزناً على غياب دموز في العالم السفلي ، وما زال البكاء طقساً للعشق والفرح والحزن معاً !! أما قداسة الثور التي نلمحها في المعابد ومداخل القصور والنصوص السومرية والآشورية فنحن واجدون ظلها في الشعر الجاهلي ! وسننقل جهداً بحثياً كتبناه سابقاً يدور حول هذا

(19) المرتضى . الشريف علي بن الحسين العلوي ت 436 . أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) 191/1 . تح محمد أبو الفضل إبراهيم . طب دار الكتاب العربي بيروت 1967 .

المعنى : « لقد أبلى العربي بلاء حسناً في سعيه وراء الرزق في بيئة قاسية تجعل القوة شرطاً مهماً من شروط البقاء ، حتى لتبدو الحياة خصومة دائمة بين قوي مقتدر وضعيف مثابر ! وقد يرخل الشاعر هذه الخصومة الدائرة بينه وبين الزمن أو الجهول إلى الخصومة بين الصياد وطريدته الإنسان ، وليست قبرة طرفة التي خلاها الجو إلا الإنسان الذي رفع عنه الفخ ، والإنسان في القصيدة الجاهلية ثور وحشي قبالة الصياد (الجهول) وكلابه (الموت) ، وكانت عادة الملوك اصطناع مطاردة ثور الوحش وقتله ! والشاعر يشبه ناقته التي يجبها بثور الوحش . وقد شبه زهير الطريدة برجل سليب ، ولن يكون الإصرار على ذكر لوحة الصيد في القصيدة إلا صورة لإصرار الشاعر على توضيح موقف الدهر من الإنسان ، فالصياد وكلابه يقفون في النقطة الفاصلة بين الحيوان والماء الذي يرمز إلى الحياة ، ولن تكون الطبيعة إلا مسرحاً للصراع بين الحياة والموت وعوناً للقدر المتمثل بالصياد وكلابه على الضحية الباحثة عن الماء ، ويمكن أن نعد إشارة الجاحظ ضوءاً مبدداً للإشكالات التي تدور حول لوحة الصيد . فقد ذكر الجاحظ أن « من عادة الشعراء إذا كان الشعر مرثية أو موعظة أن تكون الكلاب التي تقتل بقر الوحش ، وإذا كان الشعر مديحاً تكون الكلاب هي المقتولة وأما في أكثر ذلك فإن الثيران هي المصابة ، والكلاب هي السالمة والظافرة وصاحبها الغانم »⁽²⁰⁾ .

فلماذا تظفر الكلاب وصاحبها الصياد بالضحية ، لو لم تقترب الصورة بطقس وثني قديم - ثمة دائماً ثور تحيطه أبقار ، وهم في طريقهم إلى نبع الماء . فلماذا يختفي الصياد وكلابه وراء تليل ؟ ولماذا تهرب الأبقار ليبقى الثور وحيداً ؟ وبعد الصراع يداهم الليل والبرق والمطر .. فيلوذ بأرطاة على تل بهير الأنفاس ، موشم بجراحات أسنان الكلاب ومخالبها !!؟

وقد يكون الرثاء أقرب إلى الطقوس الدينية من سواه ، فكأن الرثاء الشعري تهدئة لروح الميت وصلاة عليه : « وكان الشعر يقال لسمعه القتل فيطمئن في قبره ،

(20) الصائغ . عبد الإله . الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ص 277 .

وكان هذا اعتقادهم ، وهو لا يختلف عن اعتقادنا اليوم عندما تقوم بتلقين الميت في قبره «⁽²¹⁾ . وكانت النساء ترثي أخاها صخراً بالدمع حتى عميت ، وبالشعر حتى ضربت بها الأمثال . وكانت ترتدي صدرية من الشعر ، وتعلق نعلي صخر على صدرها . وقد حلقت شعرها ولبست السواد . وهذا طقس وثني ، فأهل القتييل لن يقرّ لهم قرار حتى يقتلوا قاتله ، فإذا لم يجد القتييل من يأخذ بثأره فإنه يتحول إلى هامة (طير) تخرج من القبر وتصبح : اسقوني دماً .. اسقوني دماً .

قال ذو الإصبع العدواني :

يا عمرو إن لم تدع شتمي ومنقصتي أضربك حتى تقول الهامة اسقوني⁽²²⁾

وقد ورثت الجاهلية كثيراً من الطقوس والعادات ذات الجذور الدينية القديمة وهي طقوس كثيرة ، كإسماك العرب عن بكاء قتلاها حتى تطلب بثأرها ؛ فإذا أدركته بكت حينئذ قتلاها !!

وكحكهم إذا أصاب إبلهم العرّ السليمّ منها ليذهب العرّ عن السقيم .

وكحكهم إذا أحب الرجل منهم امرأة وأحبته ، فلم يشق برقعها ولم تشق هي رداءه فإن حبها يفسد ، وإذا فعلاه دام أمرها .

وكتعليقهم الحلي والجلاجل على السليم ليفيق .

وكفقتهم عين الفحل إذا بلغت إبل أحدهم ألفاً ، فإن زادت عن الألف فقوّوا العين الأخرى يقولون : إن ذلك يدفع عنها الغارة والعين .

وكسقيهم العاشق الماء على خرزة تسمى السلوان فيسلوا .

(21) القيس . د . نوري . وصاحبه . تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ص 53 .

(22) ابن قتيبة . الشعر والشعراء 476/2 .

وكإيقادهم خلف المسافر الذي لا يحبون رجوعه ناراً ، ويقولون : أبعده الله وأسحقه وأوقد ناراً إثره .

وكضربهم الشور إذا امتنعت البقر من الماء ! ويقولون : إن الجن تركب الثيران فتصد البقر عن الشراب .

وكزعهم أن المقلات وهي التي لا يبقى ولد إذا وطئت قتيلاً شريفاً بقي ولدها وإنما تفعل النساء ذلك بالشريف إذا كان مقتولاً غدرأ أو قوة .

وكزعهم أن الرجل إذا خدرت رجله فذكر أحب الناس إليه ذهب عنه الخدر .

وكحذف الصبي منهم سنه إذا سقطت في عين الشمس وقوله : أبدليني بها أحسن منها ، وليجر في ظلمها إياتك ! وزعم العرب أن الصبي إذا فعل ذلك لم تنبت أسنانه عوجاً ولا ثعلماً .

وكزعهم أن المهقوع وهو الفرس الذي به هقعة إذا ركبته رجل فعرق الفرس اغتلمت امرأته وطمحت إلى غير بعلمها .

وكعقدم السَّلَع والعُشْر في أذنان الثيران وإضرامهم النار فيها وإصعادم إياها على تلك الحالة في جبل يستسقون بذلك ويدعون الله ، وهذا إذا حبست السماء قطرها .

وكعقدم خيطاً يسمونه الرتم في غصن شجرة أو ساقها ، إذا سافر أحدهم وعند رجوعه تفقد ذلك الخيط ، فإن وجده على حاله قضى بأن أهله لم تخنه ، وإن رآه قد حل حكم بأنها قد خاتته .

وكزعهم أن الرجل إذا أراد قرية فخاف وبأها فوقف على بابها قبل أن يدخل فعشّر كما ينهق الحمار ، ثم دخلها لم يصبه وبأوها .

وكزعهم أن من علق على صدره كعب أرنب لم تقربه الجن ... إلخ (23) .

وخلاصة القول أن بدايات الشعر غامضة ، وقد زاد ضياع النصوص الأدبية المغرقة في القدم الغموض عمّة ، ولكن الثابت أن الشعر كان إنشاداً دينياً بظن الناس أن أفئدة الآلهة تهش إليه ، ولم يكن النثر أقل حظاً من الشعر .. لكن العرب أمة شعر ، ونرجّح أن الشعر سبق النثر الفني لأسباب كثيرة نوجزها على النحو الآتي :

1 - النثر الفني ، وليس النثر الاعتيادية ، لغة العقل ، بينما يكون الشعر لغة العواطف التي تدغدغ الحواس ، وعليه فإن الإنسان القديم كان أسير حواسه وعواطفه ، ومن خلالها يفهم الطبيعة والناس ، وقد احتاج في فترة لاحقة إلى النثر الفني حين نضج عقلياً فازداد وعيه بالمفاهيم والمجردات .

2 - الإنسان الأول كان ميالاً للإشارة ، فهي عبارته ولغته فقد عبّر عن حاجاته من خلال الإشارة بحركات اليد والوجه والجسد كاملاً ، بما يذكرنا بتمثيل ظهر ابتداء في روما القديمة سمي : (Pantomine) وهو على أي حال فعل يعتمد كلياً على المحاكاة ، وربما اختلط التعبير الواقعي بالتعبير الرمزي الديني ، فكان الرقص ذروة الإشارة وبؤرة اللغة ، فالراقص يعيد إنتاج حياته بالحركات الإيقاعية ! الصيد والحب والجوع والرغبة والرغبة ، وهذا الصنيع أقرب إلى الترانيم الإيقاعية والعاطفية المحمومة ، فنهد الشعر بتكويناته البدائية ليبي حاجة هذه الطقوس وتخلّف عنه النثر .

3 - احتاجت المعابد ضرباً من الإنشاد الموسق بين الشعر والسجع لمخاطبة الآلهة ، وقد لاحظ ذلك المؤرخ هيرودوتس حين زار بابل ، فقد وجد الكهنة يؤلفون بين الكلمات ويكتفون الرموز المتناغمة مع الحركة الطقوسية ، والكلمة الدينية ، بينما تردّد

(23) العلوي . محمد أحمد بن طباطبات 322 . عيار الشعر ص 37 (سنن العرب وتقاليدها) تح : عباس عبد الساتر . طبع دار الكتب العلمية بيروت . 1982 .

الجوقة ترانيم الكاهن ، لكي يحفظها المحتفلون ، ويرددوها كي تستمع الآلهة بترانيمهم⁽²⁴⁾ وغالباً ما تكون الترانيم مموسقة ومقفاة قارن « نستجير بك ياخير ، فكل ما يحدث هو مما صنعت ، بموسم صيد خنوان مئة أضحية سفحت ، ورأس قبيلة (ذي قسد) رفعت ، وصدر علهان ذي يجير شرحت ، والفقراء في المآدب خبزاً أطعمت ، والعين من أعلى الوادي أجريت ، وفي الحرب والشدة قويت ، ومن يحكم بالباطل محقت ، وغدير (تفيض) لما نقص زيدت ، ولبان (إلْعَز) دائماً مايبضت ، وسَحَرَ اللات إن اشدت ظلامه بلّجت ، ومن يجار ذاكرأ نعمك رزقت ، رزقت ، والكرم صار خمرأ لما أن سطعت ، وللإبل المراعي الوافرة وسّعت ، والشرع القويم صحيحاً أبقيت ، وكل من يحفظ العهد أسعدت ، وكل أحلاف ذي قسد أبرمت ، والليالي الغدر بالإصباح جليت ، وكل من اعتدى علينا أهلكت ، وكل من يطلب الحظ مالاً كسبت ، وفي (الشعيب) الحصب أزجيت ، وبئر (يذكر) حتى الجمام ملأت ، الحمد ياخير على نعمائك التي قدرت ، وعدك الذي وعدت به أصلحت ، اعنتنا يا شمس إن أنت أمطرت ، تتضرّع إليك فحقى بالناس ضحيت . »

ومن يقرأ النص الأصلي لهذه الترنية الدينية يجدها مموسقة ، ويتألف كل بيت من أبياتها السبعة والعشرين من أربع كلمات باستثناء مقطع⁽¹¹⁾ . وينتهي كل بيت بقافية . لاحظ القوافي التي وردت : هقحك / نسحك / قسحك / فقحك / فذحك / وصحك / هسلحك / كشحك / ربحك / ذو ضحك / فتحك / برحك / كشحك / فسحك / هصحك / فشك / هبصحك / تصبحك / نوحك / ربحك / كففحك / هلجحك / ميحك / توحك / صلحك / تنضحك / مشحك⁽²⁵⁾ .

(24) علي . د . د . فاضل عبد الواحد . عشتار ومأساة تموز ص 130 مط الجمهورية بغداد 1973 . الحوت . محمود سليم . في طريق الميثولوجيا عند العرب ص 50 . طب مؤسسة خليفة بيروت 1979 . باقر . طه . مقدمة في أدب العراق القديم ص 31 طب دار الحرية بغداد 1976 .

(25) عبد الله . د . د . يوسف محمد . ترنية الشمس (نقش القصيدة الحجرية / صورة من الأدب في اليمن القديمة) ص 22 ثم انظر ص 19 . طب مركز الدراسات والبحوث اليمني . صنعاء 1989 .

4 - وإذا كان الشعر إيقاعاً ورموزاً ولم يستوعب الإنشاد والرقص ذلك الإيقاع السعدي البصري الرمزي ، فإن الدارس غالباً ما يجد في الكهوف القديمة صوراً مكررة لرموز يخافها الإنسان مثل الشمس والأسد والأفعى في رسمها مكررة على الجدران لكي يتسلط عليها وفق مبدأ السحر التشاكلي ، وإلى جانب الصور المكررة خطوط وتقاط ملغزة تسهم بنظرهم في توكيد أحقية الرغبة في التحقيق⁽²⁶⁾ وربما يكون ذلك نواة للإيقاع البصري والشعر البصري الذي دعت إليه مدارس حداثوية مثل الدادية ولم ينافس النثر الفني الشعر في فتوحاته حتى استعار كثيراً من آلياته مثل التقفية في السجع والتكثيف والترميز والتخييل .. وهذه أمور جعلت النثر تابعاً والشعر متبوعاً .

وأخيراً فإن هذه الأدلة التي اجتهدنا أنها تعزز فكرة أولية الشعر وأسبقيته ، بيد أنها - الأدلة - لا تمنع تعددية الآراء وتقاطعية الاجتهادات ، فهناك من يرى غير الرأي الذي عرضناه ، لاحتماؤه بمسوغات وأسباب تجعل الأولية للنثر حين يكون النثر حالة أولى (مخنثة) من حالات امتزاج جنسي الشعر والنثر .. ثم وضحت الحدود وانمازت الجنسية .. ويطرح د . حسين الحاج حسن هذا السؤال : أيها أسبق في الوجود الشعر أم النثر ؟ .

ويذكر رأياً لأرسطو جاء في كتابه فن الشعر الذي ترجمه ابن سينا ينص : (التخييل أسبق في الزمن من التصديق) ، ثم يربط بين رأي أرسطو بأسبعية الشعر وبين رأي د . طه حسين الذي يرى أن الشعر أسبق وجوداً من النثر .. ويعدد أدلة طه حسين التي تسند نظرية أولية الشعر ! ثم يعرض د . حسين رأياً معارضاً لنظرية أولية الشعر فيقول : (نرى أن الرأي المناسب والقريب من الحقيقة أكثر هو أن النثر قد سبق الشعر في النشأة الأدبية في اللغة العربية وفي غيرها من اللغات الأخرى) !! ثم يعدد أدلة أولية النثر على هذا النحو :

(26) الصائغ . د . عبد الإله . الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ص 241 .

الصائغ . د . عبد الإله . الصورة الفنية معياراً تقديماً ص 17 انظر التهيد (عرف الإنسان الصورة ورسمها في كهفه شميرة سحرية ...) .

1 - إجماع المستشرقين كلاً أو جلاً على أن السجع هو المرحلة التي سبقت كينونة الشعر ..

2 - وجود فنون من النثر الجاهلي قديمة أشار إليها الشعر .

3 - الكتب الدينية القديمة نزلت بلغات قومها قبل أن نسمع بالشعر أو النثر .. والأرجح أن لغة هذه الكتب آلت إلى النثر الفني ..

4 - الشعر مقيد بالوزن والقافية والنثر أكثر حرية من الشعر⁽²⁷⁾ ويمكن مناقشة هذه الآراء وجعلها في صالح أولية الشعر ، فهي تتحدث عن الشعر في حالته التي وصلت إلينا من جودة السبك ومتانة الإيقاع .. وهذا الضرب من الشعر لم يدر بخلد أصحاب نظرية أولية الشعر ، فالشعر المقصود هو الترانيم الموسقة التي تعتمد الإشارة قبل العبارة ، والإيقاعات والتكرارات التي لا يشترط الكثير منها الوضوح الدلالي ، وإنما الاشتراط منصرف إلى الوضوح الجمالي ومهما يكن الأمر فـأجمل أن يختلف الباحثون وأن يجتهدوا شريطة أن لا يقعوا في وحل الوهم بامتلاك الحقيقة ، وحرمان الآخرين من حق التحليل والتأويل .. وللمثال فقط نذكر أن جرجي زيدان مطمئن إلى أولية الشعر في حضارة العرب الجاهليين لسبب متفق عليه ، هو أن اللغة العربية أقرب روحاً إلى الشعر لما تمتلكه من حروف يؤدي تجاوزها إلى إيقاعات مأنوسة ، ويعدد أسباب التماهي بين العربي ولغته .

1 - العربي بفطرته ذو نفس حساسة وشعور راق سريع الطرب ، سريع الغضب ، فيه بديهة وارتجال .

2 - إن لغتهم شعرية لما فيها من أساليب الكناية ، والاستعارة ، ودقة التعبير ، وكثرة المترادفات ، مما يسهّل وجود القافية .

(27) الحاج حسن . د . حسين . أدب العرب في عصر الجاهلية . ص 25-28 طب المؤسسة الجامعية للدراسات . بيروت 1984 ثم انظر : الماكوب . د . عيسى علي . التفكير النقدي عند العرب ص 113 . طب دار الفكر . دمشق 1997 .

3 - صفاء جوهم وتفرغهم للتأمل في الطبيعة ، فإن أهل الجو الصافي تكون أذهانهم صافية وخصوصاً إذا كانوا أهل خيال وتصور مثل العرب⁽²⁸⁾ .

(28) زيدان . جرجي . تاريخ آداب اللغة العربية 58/1 .

الفصل الثاني

الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين وطبقات الرواة

أثر الشعر في نفس العربي كبير وعميق ، ذلك أمر لا يشك فيه أحد ، فالعربي يعشق الشعر ، ويمحضه اهتمامه وذائقته ، قال رسول الله ﷺ : « لاتدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين » .

وقال ﷺ أيضاً : « الشعر كلام من كلام العرب جزل ، تتكلم به في بواديها ، وتسلّ به الضغائن من بينها » .

وقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ⁽¹⁾ .

فإذا أيقنا هذا الجدل المتين بين العربي والشعر ، أيقنا أيضاً أن من طبيعة الإنسان المحافظة على الشيء العزيز ، وبخاصة إذا كان هذا العزيز عرضة للضياع والعطب .

وقد احتفظت الذاكرة الجاهلية بالشعر ، وحافظت عليه ، وكانت أمينة على ما احتفظت وحافظت ، وآية ذلك الآتي :

1 - كثرة الشعر الذي وصل إلينا وقلّة النثر ؛ لأن الذاكرة بطبيعتها (وطبيعة الشعر) قادرة على الإمساك بالشعر ، وهي أقل قدرة على الإمساك بالنثر ..

(1) المحمي . أبو عبد الله محمد بن سلام . طبقات الشعراء ص 51 وبعدها (الشعر ديوان علم العرب) .
القيرواني . ابن رشيقي . العمدة 27/1 (باب في الرد على من يكره الشعر) .
الجرجاني . عبد القاهر . دلائل الإعجاز ص 65 (في الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه) .

2 - احتفاظ الذاكرة الشعرية بنصوص قيلت ، سبقت ظهور الإسلام بقرن ونصف ، أو قرنين (على رأي الجاحظ) . ولم تشأ هذه الذاكرة تحميل طاقتها فوق ما تحتمل ، ولم تشأ أيضاً ادعاء الاحتفاظ بنصوص لا تدخل في حدودها .

3 - أهملت الذاكرة شعر فترة طويلة تزيد على العشرين قرناً بسبب من عدم وجود وثائق علمية ومسوّغات لغوية ، فطرح شعر العرب البائدة ، فإذا قرأنا في هذا المصدر أو ذاك شعراً مزعوماً لشعراء تلك الفترة (الغاطسة) فذلك إنما جاء على سبيل الوهم أو الطرافة .. ومثل ذلك حدث في نصوص الجغرافية والتاريخ والحديث الشريف دون أن يعكّر الوهم الضئيل قيمة اليقين الكبير .

4 - لم يكن العرب كما مرّ بنا أجلاً متوحشين ، بل كانوا أصحاب معارف وعرمان وزراعة وتجارة .. فضلاً عن معرفة القراءة والكتابة وقد انصرفت دلالة الأمية (على رأي د . ناصر الدين الأسد ود . علي فهمي خشم) إلى الأمية الدينية .

5 - كانت الرواية في العصر الجاهلي علماً ، وكان الرواة المحترفون ذوي حافظة فائقة ، وخبرة متراكمة ، ومروءة عالية فضلاً عن أنهم علماء يعتمد عليهم الشعراء وجمهورهم معاً في حفظ الشعر ، والتعديلات التي أجريت عليه والمناسبات التي قيل فيها ، فمن الرواة من كان شاعراً أو ابن شاعر .. فراوية الأعشى كان عالماً بلغات العرب وأيامهم والبيطرة ، وصديقاً ملازماً للشاعر في أسفاره ، ومعظم الرواة كان كاتباً حريصاً على تدوين الشعر .

6 - أسهم الخضرمون : شعراء ورواة في إيصال محفوظاتهم إلى علماء التدوين في صدر الإسلام مثل لبيد ، وحسان ، والخنساء ، وأبي ذؤيب ، والخطيئة ، وعبيد بن شربة الجرهمي وسواهم كثير .. قال لبيد :

الشاعرون الناطقون أراهم سلكوا سبيل مرقش ومهلل⁽²⁾

(2) العامري . لبيد بن ربيعة . ديوانه . ص 128 .

وقد ورث الأمويون وبخاصة معاوية وعبد الملك بن مروان صناديق مלאى
بمدونات الشعر الجاهلي ! ويبدو أن الفرزدق كان محتفظاً بقصائد جاهلية كثيرة .. فهو
القائل :

وأبو يزيد وذو القروح وجرول	وهب القصائد لي النوايغ إذ مضوا
حلل الملوك كلامه لا ينحل	والفحل علقمة الذي كانت له
ومهلل الشعراء ذاك الأول	وأخو بني قيس وهن قتلنه
وأخو قضاة قوله يتمثل	والأعشيان كلاهما ومرقش
وأبودؤاد قوله يتنحل	وأخو بني أسد عبيد إذ مضى
وابن الفريعة حين جد المقول	وابن أبي سلمى : زهير وابنه
لي من قصائده الكتاب المجمل	والجعفري وكان بشر قبله
كالم خالط جانبيه الحنظل ⁽³⁾	ولقد ورثت لآل أوس منطقاً

وقد ذكر الفرزدق في :

ب 1 - نابغة بني جعدة وبني ذبيان وذا القروح امرأ القيس الذي أهدها يوستينانوس عباءة
مسمومة .

ب 3 - أخا بني قيس : طرفة .

ب 4 - أعشى قيس وباهلة .

ب 5 - أخا قضاة : الطمحن القيني .

ب 6 - أبا دؤاد : جارية بن عمران .

ب 7 - الجعفري : لبيد .

ب 8 - أوس بن حجر .

لقد بلغنا الشعر الجاهلي وقد اكتملت آتته ، وتبلورت شعريته ، وامتدت همومه
على مساحة عصره فعبر عنها أحسن تعبير ، وكان من عادة الشعراء الجاهليين اتخاذ

(3) الفرزدق ت 180 هـ . ديوانه ص 463 . شرح علي فاعور . طب دار الكتب العلمية . بيروت 1987 .

رواة لهم ، ووظيفتهم تشبه وظيفة المستشار من جهة والسكرتير العلمي وليس السكرتير الإداري ، فالراوي ملازم للشاعر في حله وترحاله ، أفراحه وأتراحه ؛ يدون ما يسمع ، ويحفظ ما يدون ، ويقفّي للشاعر ويذكر ، وقد يسأله الشاعر عن معنى خفي أو عبارة مختلطة فيجيبه ، أو يستشير في أمر يتصل بالشعر والتجربة فيشير عليه ، وكان من عادة الرواة أنهم يعتمدون على قوة حافظتهم وذاكرتهم أولاً ، ثم يدونون محفوظاتهم في صفحات ذات طبائع مختلفة ، مثل الرق (جلد الغزال) والرقم (الطين الرقيق المشوي مع الرصاص) ، والقضيم (الجلد الأبيض) ، والأدم (الجلد المدبوغ) ، والمهراق (القماش) والعسب (جريد النخل) ، واللخاف (الحجارة) ، وعظام الكتف والأضلاع والموسوليني (قماش موصل) ، والدمقسي (قماش دمشقي) والقتب (خشب الرحل) والجدران الصقيلة والقرطاس والورق والأزلام (الأسهم) .

وقد وردت هذه المسميات في الشعر الجاهلي دليلاً على شيوعها !

أ . حسان بن ثابت :

عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي في الورق القشيب

ب . طرفة بن العبد :

كسطور الرق رقصه بالضحي مرقد يشبه
وخذ كقرطاس الشامي ومشفر كسبت الياني قده لم يجرد

ج . امرؤ القيس :

لمن طلل أبصرته فشحاني كخط زبور في العسيب ياني

د . الأعشى :

ربي كريم لا يكدر نعمة وإذا يناشد بالمهراق أنشدا

هـ . الحارث اليشكري :

حذر الجور والتعدّي وهل ين
قض ما في المهارق الأهواء
و . لبيد العامري :

فمدافع الريان عرّى رسمها
خلفا كما ضمن الوحي سلامها
ز . النابغة الذبياني :

كأن مجرّ الرامسات ذيولها
عليه قضيم نغقته الصوانع
ح . المرقش الأكبر :

السدّار قفر والرسوم كما
رّقش في ظهر الأديم قلم
ط . حاتم الطائي :

أتعرف أطلالاً ونوياً مهدّما
كخطك في رق كتاباً منها
ي . معقل بن خويلد :

وإني كما قال ممي الكتا

ب في الرقّ إذ خطّه الكاتب

وقد اعتادت العرب كتابة عهودها وعقودها ومواثيقها وقصائدها وتعليقها على
أماكن مهياة لها في أبواب المدن ، وأسواقها وأستار الكعبة ، ومداخل الأحياء .

ونقل إلينا ابن هشام خبر الصحيفة المشؤومة التي كتبتها قريش وركزت فيها على
مقاطعة بني هاشم وأهل بيت النبي ﷺ : (اجتمعوا وائتروا بينهم أن يكتبوا كتاباً
يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم
ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، .. ثم علقوا

الصحيفة في جوف الكعبة ...، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فدعا عليه رسول الله ﷺ فشل بعض أصابعه (4) .

وكان أبو جهل يحسن الكتابة⁽⁵⁾ أما الشفاء العدوية فقد احترفت التعليم في الجاهلية ، كما احترف العباديون الذين استوطنوا الحيرة واليامة تعليم القراءة والكتابة والحساب ، وحين أشرق الإسلام كان عدد الذين يقرؤون ويكتبون غير قليل ، ولنا أن نتذكر كيف طلب النبي ﷺ من أسرى قريش مفاداة أنفسهم بأن يقوم كل أسير بتعليم عشرة من صبيان المسلمين .

وذكر البلاذري أن زيد بن ثابت كان يكتب ويقرأ بالعربية والعبرية ، وذكر أسماء الشعراء الذين يحسنون كتابة قصائدهم مثل عدي بن زيد العبادي ولقيط بن يعمر الإيادي وسويد بن الصامت الأوسي ، والربيع بن زياد العبسي ، والمرقش الأكبر وأخيه حرملة وكعب بن مالك الأنصاري ، ولييد العامري ، وزهير بن أبي سلمى ، وعبد الله بن رواحة ، وبجير وكعب ابني زهير⁽⁶⁾ أما صاحب حصن الأخيضر قرب عين التمر وأمير دومة الجندل ، فكان يكتب القصائد والأخبار ، وقد استعانت قريش بأخويه بشر وحسان لتعليم رجالها وصبيانها ففعلا ، وكان أمير الدومة أكيدر بن عبد الملك السكوني يفخر على قريش بصنيع أخويه⁽⁷⁾ فالكتابة لم تكن معدومة كما تهبأ لعدد من الدارسين ، فقد استدعت الحياة عهد ذلك كتاباً يسكون الحسابات التجارية ، وكهنة يطالعون التوراة والإنجيل وقيل : إن الجاهليين كانوا يعرفون صحف إبراهيم عليه السلام ، ويقرؤون فيها ، وقد قال الأعشى حين نوى الإسلام لأبي سفيان :

(4) هارون عبد السلام محمد . تهذيب سيرة ابن هشام ص 75 (خبر الصحيفة) .

(5) هارون . عبد السلام محمد . تهذيب سيرة ابن هشام ص 123 .

(6) البلاذري . أحمد بن يحيى بن جابر 279 . فتوح البلدان ص 477 ثم 305 . طب مكتبة النهضة مصر 1956 .

(7) انظر في ذلك : الحموي . ياقوت بن عبد الله ت 626 هـ معجم البلدان 325/2 طب إحياء التراث العربي بيروت 1997 . وانظر الألويسي . محمود شكري بن عبد الله ت 1342 . بلوغ الأرب 382/3 تح محمد الأثري . مط الرحمانية مصر 1924 .

إنني قرأت في الكتب أن نبياً قد بعث ، وقد حذق الأعشى العربية والفارسية والتركية وحذق لقيط الإيادي وعدي بن زيد العبادي العربية والفارسية ، واشتغل كل منهما ترجماناً في بلاط كسرى ، أما ورقة بن نوفل ورهطه فكانوا يكتبون بالعربية العبرية ، وسواهم كان يكتب بالسريانية والرومية والقبطية والحبشية⁽⁸⁾ وقد علل د . ناصر الدين الأسد ود . علي فهمي خشم دلالة الأمية التي وصم بها الجاهليون على نحو تختلف عن الفهم السائد ! والدكتور الأسد يرى أن الأمية التي وردت في [آل عمران : 75/20] [الجمعة : 2/62] ليست أمية قراءة وكتابة (غير أن هذا الوصف بالأمية لا يعني الأمة الكتابية ولا العملية وإنما يعني الأمية الدينية أي أنهم لم يكن لهم قبل القرآن الكريم كتاب ديني ومن هنا كانوا أميين دينياً ، ولم يكونوا مثل أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كان لهم التوراة والإنجيل) ، ثم استشهد بأيتين من سورة [البقرة : 79/78] ليقرر بعدها (أن معرفة الجاهليين بالكتابة العربية قد امتدت في الجاهلية ثلاثة قرون على أقل تقدير وأن ذلك ثبت بالبرهان القاطع والدليل المادي الملموس الذي لا سبيل إلى دفعه)⁽⁹⁾ .

وكما شاعت مفردات تتصل بألية الكتابة مثل : رَقَش نَمَق سَطَّر ، غَم ، خَطَّ ، زَخْرَف ، نَحَت ، حَكَّ ، رَسَم ، زُبَّر ، أَقْلَم ، أَدِيم ، نَمَق ، نَظَم⁽¹⁰⁾ فقد شاعت أيضاً مفردات الصحيفة والكتاب .

أ . لقيط الإيادي :

سلام في الصحيفة من لقيط إلى من في الجزيرة من إياد
هذا كتابي إليكم والنذير لكم لمن رأى رأيه منكم ومن سمعاً⁽¹¹⁾

(8) انظر هامش 5 ص 44 والأصبهاني . أبو الفرج . الأغاني 101/2 .

(9) الأسد . د . ناصر الدين . مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص 44 ثم ص 26 .

(10) الصائغ . د . عبد الإله . الصورة الفنية معياراً تقديماً ص 23 (فقرة ، رذاذ الصور في الشعر الجاهلي) .

(11) الصائغ . عبد الإله . صحيفة لقيط الإيادي (تحليل نص) . مجلة الطليعة الأدبية . عدد الشهر الثاني

1979 . بغداد .

ب - زهير بن أبي سلمى :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم⁽¹²⁾

ج - ليبيد العامري :

بين ابن قطرة وابن هاتك عرشه ما إن يجود لوافد بخطاب⁽¹³⁾

العرب من خلال نصوص الشعر والوثائق التاريخية ، أمة عرفت الكتابة ، وكانت تؤرخ جل الأحداث ، وقد كشفت الحفريات في شمال الجزيرة عن عدد من النقوش لا يستهان به ، بينها نقش وُجد على قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب في النارة ، يعود ميقاته إلى سنة (328 ميلادية) ، وحروف هذا النقش عربية !!⁽¹⁴⁾ فكل دراسة لتدوين الشعر الجاهلي تظل مبتورة (مادامت رمال الجزيرة تضن بهذه الكنوز التي ترقد في بطونها)⁽¹⁵⁾ .

أما في جنوب الجزيرة فما فتى الإرث الشعري أسير الحدس والفرضيات رغم الكشوفات (المفرحة) التي أتقذت مئات الألواح الطينية من التلف والغياب ، إلا أن جل الألواح المكتشفة تمثل توريخات الجماعات العربية بما يعول عليها قول أشياء جديدة ، يقول الأستاذ عبد العزيز المقالح : « إن تاريخ اليمن القديم لم يكتب حتى الآن » ، والذي كتب منه يمثل أقل القليل ، ومن هذا الأقل نهضت (الحقيقة التي أثبتها الباحثون) كما يقول الأستاذ المقالح وهي : « إن سفر أيوب إنما كتب في بلاد

(12) التبريزي . أبو زكريا يحيى بن علي ت 502 هـ . شرح القوائد العشر ص 115 طب دار الجيل بيروت . (د : ت) .

(13) العامري . ليبيد . ديوانه ص 19 .

(14) علي . د . د . جواد . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 124/3 .

(15) الأسد . د . د . ناصر الدين . مصادر الشعر الجاهلي ص 31 .

العرب الينيين في القرن العشرين قبل الميلاد ، وقد نظم هذا السفر شعراً ، ثم ترجمه اليهود إلى العبرية نثراً ، وأدخلوه ضمن أسفارهم المقدسة »⁽¹⁶⁾ .

والنقوش التي اكتشفت ووثقت في أنقاض محرم بلقيس ستضيء عتات كثيرة تتصل بحروف المسند وأواصرها بالحروف التقليدية ، ومعظم المعلومات التي قالتها النقوش قتلك فاعلية باقية ، فقد ذكرت عدداً من القبائل اليمنية المعروفة اليوم مثل (بني كبسي) فضلاً عن ورود مفردتي (عرب / أعراب)⁽¹⁷⁾ .

ولكننا لن ننتظر خواتيم عمليات التنقيب ، فقد تستمر قرناً أو أكثر في حياتنا البطيئة التي تغمض عينيها ، وتغلق أذنيها عن المتغيرات العجائبية التي شهدتها التسعينيات ، من نحو ثورة المعلومات التي تمثلت في الأنترنت ، وبرامج الحاسوب كما تمثلت في الهندسة الوراثية والاستنساخ .!! . لكن الذي لا يدرك كله لا يترك جله ، فإن بقصدورنا ترميم صورة تاريخ التدوين الأدبي استناداً إلى آلياتنا التقليدية المتاحة ، يقول الشاعر والمفكر الأستاذ عبد العزيز المقالح : « ومعلوم أن لكل شعب أكثر من تاريخ ، وفي المقدمة التاريخ الرسمي الذي يدون الحوادث من وجهة نظر سياسية ، تحتمل الصواب والخطأ ، وتاريخ علمي يعتمد الآثار والنقوش ، وأصحابه لا يقبلون أحياناً بأقل من أن يسكوا التاريخ بأيديهم ، ولذلك يمكنهم نفي أهم الأحداث التي أجمع عليها كل المؤرخين ، وإذا لم يجدوا تمثلاً أو نقشاً لهارون الرشيد ، أو صلاح الدين الأيوبي فإنها شخصيتان أسطورتان !! وثالث التواريخ هو التاريخ الأدبي إذا جاز لي استخدام هذا الوصف - وهو الذي يعتمد الشعر والأساطير والحكايات والمرويات التي تتناقلها الأجيال ، وهو في تقديري - لا يقل أهمية عن التاريخين السابقين ، لأنه يقوم

(16) المقالح . د . عبد العزيز (تقديم) نقوش مسندية وتعليقات تأليف مطهر علي الإرياني . ص 17 سينوزا . رسالة في اللاهوت والسياسة . ص 292 وقد أشار سينوزا وهو يهودي إلى أن شاعراً من اليمن كتب أجزاء من التوراة لليهود . ترجمة د . حسن حنفي طب الهيئة المصرية 1971 .

(17) الإرياني . مطهر علي . نقوش مسندية وتعليقات ص 104 نقش 12 ثم ص 42 نقش 1 .

على رصد الوشائج العميقة التي تربط الإنسان بأسلافه من جهة ، ولأنه - من جهة ثانية - يشكل الجزء المهم من المخزون الحي للذاكرة الشعبية التي قد تضيف بعض الألوان إلى الحدث لكنها لا تختلف ولا تنسى⁽¹⁸⁾ وقد مرّ بنا عناية الشعراء وقبائلهم وجمهورهم بالرواية والرواة ، وكان الراوي متميزاً بالحفظ والتذكّر والمروءة ، فأبو ضمضم ، ولم يكن بأروى الناس كما يقول ابن قتيبة ، بلغ التسعين وأنشد لصبيان جاؤوه ليسمروا عنده لمئة شاعر ، وقال مرة أخرى لثمانين شاعر كلهم اسمه عمرو⁽¹⁹⁾ وهناك آليّة معتمدة لكشف فساد الرواية ، فقد يكون الرجل عالم سيرة بيد أنه لا يصلح لرواية الشعر « وكان ممن هجن الشعر وأفسده ، وحمله كل غناء محمد بن إسحاق ، وكان من علماء الناس بالسير وكان يعتذر ، ويقول : لا علم لي بالشعر ، وإنما أوتى به فأحمله »⁽²⁰⁾ ويقول المجحي في خلف الأحمر : « أجمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر وأصدقهم لساناً ، كنا لانبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً أن لا نسمعه من صاحبه »⁽²¹⁾ أما حماد الراوية فقد قال فيه الأصمعي : « كان حماد أعلم الناس » .

وسأل الوليد بن يزيد حماداً : « بم استحققت هذا اللقب فقل لك الراوية ؟ فقال : إني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم أروي لأكثر منهم من تعرف أنك لم تعرفه ، ولم تسمع به ، ثم لأنشد شعراً لتقديم ولا محدث إلا ميزت القديم منه من المحدث ، فقال : إن هذا العلم وأبيك كبير ، فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثير ، ولكنني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مئة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية ، قال : سأمتحنك في هذا ، وأمره بالإنشاد فأنشد الوليد حتى ضجر ، ثم وكل به من استخلفه أن يصدقه عنه ، ويستوفي عليه ،

(18) المقال . د . د . عبد العزيز . البحث عن طفولة بلقيس في قرية سحر يوميات الثورة . جريدة الثورة الينية في 1998/11/24 .

(19) ابن قتيبة . الشعر والشعراء 1/22 (مقدمة الكتاب) .

(20) المجحي . طبقات الشعراء ص 44 .

(21) المصدر نفسه ص 50 .

فأنشده ألفين وتسع مئة قصيدة للجاهليين (22) وهذا يرينا القدرة العجائبية للراوي وطرائق المعنيين في اختبار آليات الراوي ، وأمانته وعلمه ، وفي كتب الأدب الموثوقة أخبار كثيرة عن قدرات الراوي في الموازنة بين الشعراء ومعرفة أساليبهم ، وربما نانس الشاعر راويته في القدرة على استظهار ما يحفظ ، وكان بشار يحفظ كل شعره قال مرة : « لي اثنا عشر ألف قصيدة ، لعننا الله ولعن قائلها إن لم يكن في كل واحدة منها بيت عين » .

وحين يتعجب الناس من فصاحته وبراءته من الخطأ كان يقول : « ومن أين يأتيني الخطأ وقد ولدت ها هنا ، ونشأت حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل ، ما فيهم رجل يعرف كلمة من الخطأ » . ثم ذكر أنه نشأ في وسط فصيح شمل النساء أيضاً ، وذهب إلى البادية للفصاحة « وإن دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم ، وأيفعت فأبديت إلى أن أدركت فمن أين يأتيني الخطأ (23) ولا نريد الاستطراد ، فإذا كان هذا حال العصر الأموي والعباسي ، وقد شغل هذان العصران بمشاغل لا حصر لها .. ولثبت القدرة على النحو الذي مرّ بنا .. فما حال رواة العصر الجاهلي وشعرائه ، وكانوا منصرفين للشعر والرواية ، وليس ثمة شيء حقيقي يشغلهم ، وقد عرف الجاهليون الوراقه ضمن دائرة ضيقة ، ولم يجد المسلمون مشقة في كتابة الوحي والأحاديث الشريفة ، حتى إن الخليفة عمر (رضي الله عنه) أحرق عدداً من الكتب التي كتبها الكهنة والنسابون الجاهليون مخافة أن تضل الناس ، وكان الشعر الجاهلي حسن الحظ فقد وجد من العلماء الكبار من يتعصب له ويقيده ويعتده معياراً للجودة فيدرسه ويحلله ، ويميّز أصيله من دخيله ، نذكر من هؤلاء 1 - دغفل بن حنظلة بن زيد الذهلي (ت 65 هـ) . 2 - عبيد بن شرية الجرهمي (ت 67 هـ) . 3 - عبد الله بن عباس (ت 87 هـ) . 4 - الفرزدق (ت 115 هـ) . 5 - أبا عمرو بن العلاء

(22) الأصبهاني . أبو الفرج . الأغاني (كتبخانة) 26-24/3 .

(23) المصدر نفسه 156/5 .

- (ت 154 هـ) . 6 - حماد الراوية (ت 156 هـ) . 7 - المفضل الضبي (ت 178 هـ) . 8 - خلف الأحمر (ت 180 هـ) . 9 - محمد بن السائب الكلبي (ت 204 هـ) . 10 - أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210 هـ) . 11 - أبو عمرو الشيباني (ت 213 هـ) . 12 - الأصمعي (ت 216 هـ) . 13 - ابن الأعرابي . محمد بن زياد (ت 231 هـ) . 14 - ابن سلام الجمحي (ت 232 هـ) .

وفي المصادر الأدبية أمثلة ووثائق غاية في الطرافة تعكس لنا (استهتار) معظم أولئك العلماء الرواة بالشعر الجاهلي ، حتى ليكن نعتهم بأنهم عصبة الشعر الجاهلي دون أي شعور بالمبالغة أو التجني فدغفل كما يقول الجاحظ : « لم يدرك الناس مثله لساناً وعلماً وحفظاً »⁽²⁴⁾ وعبيد بن شربة ذكر أخباره السجستاني في (المعمرون والوصايا) . فقد عاش شطراً من حياته في الجاهلية ، وعمر فكان معاوية يستقدمه ويستكتبه في أشعار العرب وأيامها⁽²⁵⁾ وعبد الله بن عباس كان يقرأ حمل جمل ، فإذا سئل عن معنى في القرآن الكريم قال : « إذا سألت عن شيء من غريب القرآن فالتسوه في الشعر الجاهلي » ، ومحاوراته مع نافع بن الأزرق معروفة⁽²⁶⁾ .

أما الفرزدق فقد مرت بنا أخباره ، قال يونس النحوي (ت 182) : « لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار العرب »⁽²⁷⁾ . وننقل عن أبي عمرو العلاء : « قال الأصمعي جلست إلى أبي عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت إسلامي ! وقال مرة : لقد كثرت هذا المحدث وحسن ، حتى هممت أن أمر فتياننا بروايته ! وقال أبو عبيدة : كان أبو عمرو أعلم الناس بالعرب والعربية ، وبالقراءة ، والشعر ، وأيام الناس .

(24) الجاحظ . البيان والتبيين (تح السندوي) 304/8 .

(25) السجستاني . أبو حاتم سهل بن عثمان ت 250 . المعمرون والوصايا . تح عبد المنعم عامر . طب إحياء الكتب - القاهرة 1961 .

(26) السيوطي . المزهرة 302/2 وانظر : ابن الأزرق . نافع الحروري ت 65 . سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس . تح إبراهيم السامرائي . مط المعارف بغداد 1968 .

(27) الجاحظ . البيان والتبيين (السندوي) 304/1 .

وكانت كتبه التي كتبها عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له إلى السقف ! وكان عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية «⁽²⁸⁾ .

أما ابن الكلبي فيكفيه أنه أنجز ثلاثة كتب مهمة وهي (الأضنام) و (الخيل) و (الأسواق) وهذه الكتب حفظت أفانين من الشعر الجاهلي لا يمكن إغفالها !!

أما أبو عمرو الشيباني فكان معمرًا ، شغوفًا بالشعر الجاهلي ، ولديه منه ما يتقل ظهر أربعة جمال بازلة ، تنتقل معه حيث شاء ، وقد تتلمذ على المفضل الضبي⁽²⁹⁾ .

وحكاية تعصّب ابن الأعرابي للشعر القديم (الجاهلي) معروفة ، فهو الذي تلعبه أبو تمام حين قرأ عليه أرجوزته ، وكذب عليه مدعيًا أنه عثر عليها في سبط قديم فأمر ابن الأعرابي خادمه أن يكتب هذه الأرجوزة العزيزة ! وحين اطمان أبو تمام إلى إعجاب الشيخ بأرجوزته : (هذا والله هو الديباج الخسرواني) اعترف لشيخه أن الأرجوزة كتبت ليلتها فغضب الشيخ ، وقال لغلامه : « خرق خرق لاجرم أنها بادية السخف فطيرة النسج » .

وقد نقل إلينا شاهد عيان ما يفيد أنه كان يقرأ كتباً في الشعر الجاهلي ينظر فيها ويوازن بينها فإذا دعاه داع احتج بوعكة أو ضيف حتى لا يترك ما بين يديه⁽³⁰⁾ .

وصفوة القول أن الشعر الجاهلي كنز لم يفرط فيه العرب ، بل اهتموا به اهتماماً بالغاً ، فهو ديوانهم وعلومهم الصحيح ، فحلّوه تحليلاً علمياً ، ولم يهملوه على مرّ تاريخهم ، فكل حدث يحيلهم إلى الشعر ، وآية ذلك أن كتّاب الشعر ومدوّنيه لم يطلسوا الشعر الذي ورد فيه ذكر الأضنام ، والغزل الماجن والخمرة الصريحة ، والهجاء المقذع ،

(28) المصدر نفسه 303/1 .

(29) ابن خلكان . وفيات الأعيان 65/1 .

(30) انظر أخباره : البيان والتبيين (فهرست الأعلام) ثم انظر الزجاجي . أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ت 339 هـ . مجالس العلماء (فهرست الأعلام) تح عبد السلام هارون . مط المدني ، مصر

والرثاء الموجه ، والمديح الكاذب ، مع عمق إيمانهم ، وثبات عقيدتهم ، فهم ذوو منهج يضع الشعر الجاهلي في إطار عصره الذي سبق الإسلام ، وإنما نهى الإسلام الشعراء المسلمين عن محاكاة الشعر الجاهلي في ضلالتة ومروقه ..

طبقات الرواة

راوي الشعر ليس بنكاً يحفظ فيه الشعر ويسحب منه ، متى أراد الشاعر أو جمهوره فحسب ، وإنما هو عالم بفنون الشعر وأساليبه وطرائقه ، وهو إلى هذا ناقد حصيف قادر على التمييز بين الغث والسمين ، والجميل والأجل ، فضلاً عن إلمامه بعدد من علوم زمانه ، مثل التاريخ ، والنسب والراوي مثل ربان سفينة الشعراء وييده سكانها !

دار بين الخليل بن أحمد وبين ابن منذر كلام فقال له الخليل : إنما أنتم الشعراء تبع لي ، وأنا سكان السفينة إن قرّضتكم ، ورضيت قولكم ، نفقتم وإلا كسدم⁽³¹⁾ .

وكان الراوية خلف الأحمر ناقداً لا يجاريه في زمانه ناقد . « أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر في حلبة هذه الصناعة ، أعني النقد ، ولا يشقون له غباراً لنفاذه فيها وحذقه بها وإجادته لها .. وحكي أن رجلاً قال لخلف الأحمر : ما أبالي إذا سمعت شعراً استحسنته ما قلت أنت وأصحابك فيه !! فقال له : إذا أخذت درهماً تستحسنة ، وقال لك الصيرفي : إنه رديء ، هل ينفعك استحسانك إياه ؟ »⁽³²⁾ .

فالرواية ليست عملاً (بنكياً) وإنما هي صناعة صعبة تتطلب صبراً ومروءة ، وثقافة عريضة ، وموهبة أكيدة ، حتى قال الباقلاني : « علماء الشعر أندر من الكبريت الأحمر » . وسبب الندرة يُحيلنا إلى مشقة الرواية ومكابداتها ! يقول الجمحي : « وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات »⁽³³⁾ .

(31) الأصبهاني . الأغاني (كتبخانة) 16/17 .

(32) القيرواني . المعمدة 117/1 .

(33) الجمحي . طبقات الشعراء (تح الطباع) ص 43 .

وإذا صنفتنا رواة الشعر الجاهلي ألفينام خمس طبقات ، قارن..

1 - الرواة الشعراء 2 - رواة الشعر 3 - رواة القبيلة 4 - الرواة العلماء 5 - الرواة
الوضاعون .

1 - الرواة الشعراء :

تختلط وظيفتا الشعر والرواية في العصر الجاهلي فقد يكون الشاعر راوياً ،
والراوي شاعراً ، وبدهي أن يكون الشاعر راوية نفسه حين يستدعي الأمر ، وقد
يروى لشاعر آخر بدواعي التلمذة ، أو الإعجاب ، أو مصلحة القبيلة ، والشاعر الفحل
عند النقاد هو الشاعر الراوي ؛ لأنه يضيف خبرة إلى خبرة ، ويوشّ أسلوباً إلى أسلوب
فيغتنى شعره ، ولنا أن نلاحظ سلاسل الرواية - وكأنها مدارس ، على تعبير زماننا ،
وقد تمتد السلسلة إلى عصور لاحقة فزهير كان راوية لخاله بشامة بن الغدير وراوية
أيضاً لزوج أمه أوس بن حجر : أوس بن حجر → زهير بن أبي
سلمى → كعب بن زهير → الحطيئة → هدبة بن الخشرم → جميل بن
معمر → كثير⁽³⁴⁾ .

قال الأصبهاني : « وهدبة شاعر فصيح كان يروي للحطيئة ، والحطيئة يروي
لكعب بن زهير ، وكعب يروي لأبيه زهير ، وكان جميل راوية هدبة ، وكثير راوية
جميل . فلذلك قيل : إن آخر فحل اجتمعت له الرواية إلى الشعر كثير »⁽³⁵⁾ .

وقال ابن قتيبة : « وكان زهير راوية أوس بن حجر . وكان زهير أستاذ
الحطيئة ، ومع أن أبا زهير كان شاعراً إلا أنه لم يرو زهير له »⁽³⁶⁾ .

(34) الجادر . د . محمود عبد الله . شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ص 75 طب دار الرسالة بغداد
1979 .

(35) الأصبهاني . الأغاني (كتبخانة) 169/21 .

(36) ابن قتيبة . الشعر والشعراء 73/1 ثم 77 .

ولهذه المدرسة أسلوبها الخاص ، وكان الأصمعي يقول زهير والخطيئية وأشباههما عبيد الشعر ؛ لأنهم تقحوه ، ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين⁽³⁷⁾ وكان الأعشى يروي للمسيّب بن علس .

2 - رواية الشعر :

اعتمد الشاعر الجاهلي على راوية يحفظ شعره ، ويستذكره ، وكان راوية الأعشى مثلاً عالماً بالرواية ، والشعر ، وأيام العرب ، والإبل ، وهو صحيبه في حله وترحاله واسمه (عبيد) ذكره الأعشى في شعره مشيراً إلى خبرته بطب الإبل ..

لم تعطفَ على حوار ولم يق طع عبيد عروقها عن خُال
(عن عبيد راوية الأعشى قال قدمت على النعمان فأنشدته :

إليك أبيت اللعن كان كلالها تروح مع الليل التام وتفتدي

حتى أتيت على آخرها فخرج إلى ظهر النجف ، فرأيته قد اعتمّ نباتة بين أحمر وأصفر وأخضر ، وإذا فيه من هذه الشقائق شيء لم أر مثله ، فقال : ما أحسن هذه الشقائق احوها ، فحموها فسمي شقائق النعمان⁽³⁸⁾ .

وكان عبيد يسأل الأعشى عن معاني شعره الخبيثة ، فقد سأله مرة عن معنى :
ومدامة مما تفتق بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها
(وكان عبيد يصحب الأعشى ويروي شعره ، وكان عالماً بالإبل)⁽³⁹⁾ .

وقيل : إن للأعشى راوية آخر هو يحيى بن متى ، وقيل أيضاً : إن يحيى هو

عبيد .

(37) المصدر نفسه . الشعر والشعراء 77/1 .

(38) المصدر نفسه 161/1 .

(39) المصدر نفسه 161/1 .

أما امرؤ القيس فكان راوية لأبي دؤاد الإيادي ، وقد أملى امرؤ القيس كثيراً من أشعاره على راويته وكذلك لبيد وبقية الشعراء الجاهليين ، حتى باتت الرواية جانباً مظهرياً ، فقد تعرف قيمة الشاعر من خلال قيمة الراوي ومنزلته الاجتماعية والعلمية بين الناس ..

3 - رواة القبيلة :

صراع القبائل العربية على السلطة والمجد ، أحوجها إلى سلاح الشعر ، فقد كانت القبيلة تحتفل إذا نبه اسم شاعر فيها ، فتقيم الولائم والأفراح ، فقد كان عند النعمان بن المنذر ديوان فيه أشعار الفحول ، وما مدح به هو وأهل بيته ، وربما أثيرت مسألة النحل بسبب تفاخر القبائل العربية بالماثر والحروب ، وقد استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائهم ، وكان قوم قلت وقائهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم « .

ويطمئن ابن سلام الحريصين على دقة الرواية فيقول : « وليس يشكل على أهل الظلم زيادة ذلك ، ولا ما وضع المولدون » .

وكان أبو عبيدة يسأل داود بن ميم بن نويرة عن شعره أيه ! ويرينا ابن سلام خارطة الشعر الجاهلي وفق القبائل فيقول : « وكان شعراء الجاهلية في ربيعة أولهم المهلهل ، والمرقشان ، وسعد بن مالك ، وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قبيصة ، والحارث بن حلزة ، والمتلمس ، والأعشى ، والمسيب بن علس ، ثم تحول في قيس فمنهم النابغة الذبياني وهم يعدون زهيراً وابنه كعباً وليدأ والنابغة الجعدي والحطيئة والشماخ ومزرداً وخداس بن زهير من غطفان ثم آل ذلك إلى تميم »⁽⁴⁰⁾ .

ولشدة تعلق قبيلة تغلب بشاعرها عمرو بن كلثوم فقد حفظت معلقته وافتخرت بها على القبائل حتى قيل :

(40) المجعي . طبقات الشعراء (تح الطباع) 55 .

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

وكما سأل أبو عبيدة ابن متم عن شعر أبيه ، فقد كان عدي عمراً طويلاً ، وروى عن أبيه حاتم ، ويسأل عن أبيه فيجيب ، وقيل : إن (سعيد بن غريص) وقد عمّر هو الآخر ، وكان ينشد شعر أبيه السموءل لمعاوية . وروي أن النبي ﷺ سأل عن يستطيع إنشاده شعر أمية بن أبي الصلت فنهض الشريد بن سويد ، وهو من ثقيف قبيلة أمية بن أبي الصلت ، وأنشده شعر أمية وهو مغتبط ؛ لأن النبي ﷺ استنشده شعر فرد من قبيلته⁽⁴¹⁾ وتنقل أخبار عبد الملك بن مروان أنه أحب أن يسمع قصيدة ذي الإصبع العدواني كاملة :

عذير الحمي من عدوان كانوا حية الأرض

فنهذ شيخ من عدوان وقال أنا أحفظها ، وبدأ يقرأ عليه وعبد الملك مغتبط ، وحين أتم الشيخ إنشاد القصيدة كافأه عبد الملك مكافأة مجزية ، وأنس به قائلاً : « ادن مني فإني أراك بقومك عالماً »⁽⁴²⁾ .

4 - الرواة العلماء :

الرواية علم وفن ، والعرب ذوو عناية بالغة بألية الرواية ، وقد مرّ بنا أمر العلماء الرواة ، وقد نضيف إلى ذلك المروءة ، فأبو عمرو بن العلاء أحرق كتبه التي كانت تملأ غرف داره إلى السقوف ، لأنه خشي أن يكون فيها حرف لا يرضي الله ، وهو من هوفي المروءة العلمية والأمانة .

وكان الأصمعي يتحرّج فلا يروي شعر الأنواء ، وإنما ينصح السائل أن يذهب إلى راو آخر يمنحه ما يريد ، وكان أولئك الصفوة من العلماء مخازن ثمينة للشعر والمعلومات

(41) السيوطي . عبد الرحمن جلال الدين . ت 911 هـ . المزهرة 209/2 تح محمد جاد المولى وصاحبيه .

طب دار إحياء الكتب . مصر . (د : ت) .

(42) الأصبهاني . الأغاني (كتبخانة) 4/3 .

التي تمثل ثقافة العصر ، فثمة راو لأشعار الفراسة ، وآخر اختص بالفروسية ، وثالث بالأنواء ، ورابع بالأخلاق وخامس بأيام العرب ، وسادس بالغزل ، وسابع بالهجاء والقائمة تطول . وكيف لا يكون الرواة علماء أمناء ، وهم مسكونون بهاجس خدمة القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والنحو ، والصرف ، والبلدان ، وكان أولئك العلماء سبباً في تسليط الضوء على قيمة الشعر الجاهلي .

يقول ابن سلام : « أجمع أصحابه أنه - خلف الأحمر - كان أفرس الناس ببيت شعر ، وأصدقهم لساناً ، كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً أن لا نسمعه من صاحبه ، وكان أبو عبيدة والأصمعي من أهل العلم . وأعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل الضبي الكوفي ، ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين فزّلناهم منازلهم ، واجتجنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء »⁽⁴³⁾ .

5 - الرواة الوضّاعون :

الحيانة العلمية ، ليست ابنة عصر دون عصر ولا قرينة مكانٍ دون آخر ، فما دامت الآفتان ؛ الرغبة والرهبّة هما المتحكمتين في مصائر الناس ، فإن علينا أن نتوقع شللاً وطوائف من العلماء أو أدعياء العلم ممن يبيعون ضمائرهم لرغبة أو لرهبّة ، فحَبِرت صفحات في أحاديث نبوية منحوّلة ، وصفحات في أحداث تاريخية مكذوبة ، وصفحات في قصائد جاهلية منحوّلة ، وربما كانت حاجة الناس والسلطان في ذلك الزمان والذي لحقه إلى رواة حفظة يسامروهم في الليل ، ويطردون عنهم كآبة الفراغ وتبكيّت الضمير في النهار . كانت وراء وضع بعض الرواة وانحطاطهم ، وربما شجع الخليفة على الوضع ، فقد ذكر « أن دغفلاً النسابة دخل على معاوية ، فقال له : من رأيت من عليّة قريش ؟ فقال : رأيت عبد المطلب بن هاشم وأمّية بن عبد شمس ، فقال صفها لي . فقال : كان عبد المطلب أبيض مديد القامة ، حسن الوجه في جبينه

(43) المجي . طبقات الشعراء (تح الطباع) ص 50 وبعدها .

نور النبوة ، وعز الملك ، يطيف به عشرة من بنيه كأنهم أسد الغاب قال فصف أمية ، قال : رأيته شيخاً قصيراً نحيف الجسم ضريراً يقوده عبده ذكوان . فقال معاوية : مه ذاك ابنه أبو عمرو ، فقال دغفل هذا شيء قلتوه بعد وأحدثتموه وأما الذي عرفت فهو الذي أخبرتك به «⁽⁴⁴⁾ .

وكان معاوية وعبد الملك شغوفين بمسامرة الرواة ، وقد يستمر السمر إلى الصباح ، وكان معاوية قد وظف عدداً كبيراً من الكتبة يدونون له ما يسمعون عن الرواة من الأشعار وأيام العرب⁽⁴⁵⁾ . وقد أنس معاوية بعبيد بن شرية الجرهمي ، فكان يذني مجلسه من مقعد الخلافة ، ويحتمل تحريفاته بسبب الشيخوخة ، حتى يحصل منه على الأخبار والسير الجاهلية ، وحكاية معاوية مع النخار معروفة ، فقد قال له مرة : يا ابن أوس اجث عن يساعذك في الرواية .. فحزن النخار ، وسأله السبب في ذلك فقال معاوية معتذراً : لكي أستريح منك إليه ، ومنه إليك⁽⁴⁶⁾ قال الجاحظ : « وما سمعنا بأحد كان يرى إعادة بعض الألفاظ وتردد المعاني عياً إلا ما كان من النخار بن أوس العذري ، فإنه إذا تكلم في الحمالات والصفح والاحتمال وإصلاح ذات البين وتخويف الفريقين من التفاني والبوار كان ربما ردد كلاماً على طريق التهويل والتخويف ، وربما حي فنخر »⁽³⁷⁾ .

وقد مرت بنا حكاية ابن إسحاق حين كتب السيرة ووضع شعراً منحولاً ، ثم اعترف وقال : « لا علم لي بالشعر أوتي به فأحمله »⁽⁴⁸⁾ . وسنلاحظ دور هؤلاء الرواة الوضاعين حين ندرس نظرية الشك بالشعر الجاهلي إلا أن علينا أن لا نبالغ في الأمر

(44) الأصبهاني . الأغاني (كتبخانة) 7/1 .

(45) السعدي . علي بن الحسين ت 306 . مروج الذهب ومعادن الجوهر 52/2 تح محمد محي الدين . مط السعادة مصر 1964 .

(46) الجاحظ . البيان والتبيين 314/1 وانظر 453/2 .

(47) المصدر نفسه 112/1 .

(48) المجهمي . طبقات الشعراء (طباع) ص 9 .

فالموضع طبيعة في نفوس بعض الرواة (وما آفة الأخبار إلا روايتها) ورحم الله القائل :

نظرنا بأمر الحاضرين فراينا فكيف بأمر الغابرين نصدق

نحن الآن نعيش الحدث ، ونشهد عليه ، ثم نقرأ الصحف ونسمع الأخبار .. فإذا بالصحف والقنوات الإعلامية تكذب جهاراً نهاراً .. فأبي غرابة في أن ينحرف راو أو اثنان أو ثلاثة ولكن الغرابة أن نعتد الكذب سمة كل الرواة !!

الفصل الثالث

نظرية الشك بالشعر الجاهلي (آراء القدامى والمستشرقين والمحدثين) !

نظرية قبالة نظرية (محاوره منطق الشك)

تنهض نظرية الشك ، وتسمى الوضع مرة والنحل مرة أخرى ، على مفهوم محدد هو : أن الأدب الجاهلي الذي وصل إلينا غير صحيح ، وأنه ملّفق كتبه حماد الراوية ، وخلف الأحمر بعد أن كسد سوق الشعر !! وأشهر القائلين بهذا الرأي هو المستشرق مارجليوث الذي وضع كتاب (أصول الشعر العربي) ومن العرب طه حسين الذي وضع كتاب (في الشعر الجاهلي) وفي المستشرقين من ينكر نظرية الشك ! فإغناطيوس كراتشوفسكي قال : إن الأدب الجاهلي أدب صحيح ، وإن مسوغات الشك به لا تثبت أمام المنطق العلمي ؛ وكذلك شارلس ليال .

ومعظم الدارسين العرب قدامى ومحدثين ، لا يذهب مذهب الشك بالأدب الجاهلي ، وإنما يذهب إلى أن هناك أدباً منحولاً ، وهو ضئيل لا يعتدّ به ! ولعل أول إشارة وردت عن الأعشى (جاهلي) :

فأنا أم ما انتحالي القوا ف بعد المشيب كفى ذاك عارا
وقيدني الشعر في بيته كما قيد الآسرات الحمارا⁽¹⁾

(1) الأعشى . ديوانه ق 5 ب 69/68 .

وأوردت الفرزدق (ت 115 هـ) :

والفحل علقمة الذي كانت له وأخو بني أسد عبيد إذ مضى
حلل الملوك كلامه لا ينحل
وأبو دؤاد قوله يتنخل⁽²⁾

وزعم أن أبا عمرو بن العلاء (ت 154) قال : « ما زدت في شعر العرب قط إلا بيتاً واحداً للأعشى هو :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيبَ والصلعا⁽³⁾»

كما زعم أن الخليل بن أحمد (ت 170 هـ) قال : « إن النحارير من العرب ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب⁽⁴⁾ ». وأمثلة ورود إشارات إلى النحل كثيرة ، لعل أهمها ما أورده ابن سلام الجمحي (ت 232) وهي :

أ - وكان ممن هجن الشعر وأفسده ، وحمل كل غشاء محمد بن إسحاق ، وكان من علماء الناس بالسير ، فنقل الناس عنه الأشعار .. ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود .. أفلا يرجع إلى نفسه فيقول من حمل هذا الشعر ومن أداه منذ ألوف من السنين .

ب - فلما قل كلامها - طرفة وعبيد - حمل عليهما حمل كثير .

ج - فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، فقالوا على ألسن شعرائها ، ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار .

(2) الفرزدق . ديوانه ص 493 .

(3) ثعلب . أحمد بن يحيى ت 291 . مجالس العلماء ص 180 . تح عبد السلام هارون طب دار المعارف مصر 1369 .

ابن جني . أبو الفتح عثمان ت 392 . الخصائص 15/1 تح محمد علي النجار طب دار الهدى . بيروت السيوطي . الزهر 415/2 .

(4) السيوطي . الزهر 171/1 .

د - فلما نفذ شعر أبيه - متم بن نوية - جعل يزيد في الأشعار ويضعها لنا . وإذا كلام دون كلام متم ..

هـ - وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية وكان غير موثوق به . كان ينحل شعر الرجل ، ويزيد في الأشعار⁽⁵⁾ .

ووردت إشارات إلى النحل في كتب الجاحظ وابن جني وأبي العلاء المعري وأبي الفرج الأصبهاني وسوام⁽⁶⁾ .

أما المستشرقون فقد ذكرنا أشهرهم وهو مارجليوث ، ولسوف ننتقي إشارات أوردها ريجيس بلاشير :

أ - يدهشنا في النصوص الشعرية والنثرية القديمة عدم تجانس أسلوب بعض مقطوعاتها ، وإذا أضفنا إلى هذا التقرير ما يلازم الرواية الشفهية من الشكوك ، وتدخل كبار الرواة ، وطريقة علماء العراق السقية في التدوين وجدنا أنفسنا مجبرين على التسليم في هذه النصوص بتواجد (كذا) عناصر مختلفة في المنشأ والزمن .

ب - وفي سنة (1864) تناول المستشرق (نولدكة) أول مرة الموضوع بمجموعه مشيراً إلى الشكوك التي يثيرها مظهر الشعر الجاهلي . وبعد ثماني سنين تناول المستشرق (أهلوارد) المسألة بدوره دون أي تجديد فيها ، فعرضها بدقة لم يتوصل إليها سلفه ، وضع المستشرق المذكور المبدأ الآتي : إن القصائد المروية غير موثوق بصحتها سواء من ناحية المؤلف ، أو ظروف النظم ، أو ترتيب الأبيات . فن الواجب إخضاع كل أثر من القرن السادس وأوائل السابع لفحص دقيق قبل قبوله .

(5) الجمحي . طبقات الشعراء ص 44 ثم ص 55 وبعدها 56 .

(6) الجاحظ . الحيوان والبيان والتبيين . ابن جني . الخصائص . أبو العلاء المعري . رسالة الغفران . الأصبهاني . الأغاني .

ج - وشايح العلماء أمثال (موير وباسيه ، وليال ، وبروكلن) طوال ثلاثين سنة المستشرقين (نولدكة وأهلوارد) في موقفها الحذر ، على أننا نلاحظ عند (ليال) شكاً متصاعداً في قيمة المعطيات الإخبارية ، وبالتالي في أهمية النصوص المعترف بها هليتها ، ويظهر الموقف ذاته حوالي (1904) عند (كليان هوار) .

د - ظلت الحالة على ماهي عليه إلى اليوم الذي هبت فيه عاصفة هوجاء من إنكلترا عكرت صفاء هذه البحيرة فقد أعاد المستشرق (مرغليوث) البحث عن قضية الشعر الجاهلي بكتاب نشره سنة (1925 م)⁽⁷⁾ .

لقد شملت مقولة الشك بالمدونات العربية التاريخ ، والجغرافية ، والحديث النبوي الشريف ، والشواهد النحوية ، وهي مقولة لها مالها ، وعليها ما عليها ، لا تقبل كلاً ولا ترد كلاً !! ففي التاريخ مثلاً ثمة دراسات معمقة شككت بالتاريخ لأنه في رأيها يحايي الملوك والمنتصرين والقادة ، ويتجاهل الجماهير صانعة التاريخ ، فضلاً عن أنه يسوّغ أسباب القهر التي مارسها السلطات ضد المفكرين والمجتهدين .

ونهدت الدراسات للتشكيك بالراهن الجغرافي فأضافت مساحات لهذه البلد وحذفت أخرى من بلد آخر ! علماً أن الاستقرار الجغرافي المستند على التاريخ ينصف مرة ويبخس أخرى . فقامت الحروب المدمرة وما زالت بسبب هذيانات الجغرافية التاريخية أو التاريخ الجغرافي !

ومثل ذلك لحق بالحديث النبوي الشريف فقبل : إن منه مئات النصوص الموضوعية والضعيفة ، وإن بعضاً من رواة ادّعوا الدراية بجلّ الأحاديث ، الأمر الذي لم يدّعه الخلفاء الراشدون الذين عايشوا النبي ﷺ ! فتنادى الغياري لمواجهة هذا التحدي ، فكان علم (الجرح والتعديل) الذي وضع مقاييس صارمة ودقيقة لمعرفة الحديث الصحيح من الحديث الموضوع .

(7) بلاشير . تاريخ الأدب العربي . ص 196 و 197-199 .

إذن مسألة الشك بالشعر الجاهلي ليست بدءاً في حياتنا وحضارتنا الثقافية ! وربما تعمّقت في وعينا بعد وصول آراء (Rene Descartes 1596-1650) الفيلسوف الرياضي الفيزيائي الفرنسي ، وديكارت ذو نزعة عقلية رأى أن الشك سبيل لليقين ، فالوجود مقترن بالشك ! وإذا قرن ديكارت بين الوجود والشك فجعل الأول علة الثاني ، فإن اليونان جعلوا الشك علة الحرية ! وكما بالغ المثقفون العرب في استثمار آليات المنطق اليوناني حين ترجم في العصر العباسي ، فأفسدوا النحو وعلم الكلام والمنطق ، فقد بالغ المثقفون العرب في استثمار آليات الشك في العصر الحديث ، ونال حيفهم عدداً من الثوابت النصية ، والشعر الجاهلي واحد من هذه الثوابت .. فشككوا به .. وبنوايا الرواة فلا يوجد في زعمهم امرؤ القيس ولا عنترة ، وليس ثمة معلقات ولا ولا !! وصبّ البعض جام غضبهم على مدونات الشعر الجاهلي !

قال طه حسين : « إني شككت في قيمة الشعر الجاهلي وألححت في الشك ... ذلك أن الكثرة المطلقة مما نسميه شعراً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء وإنما هي منتحلة مختلقة بعد ظهور الإسلام ... أعلن إليك وإلى غيرك من القراء أن ماتقرؤه على أنه شعر امرئ القيس أو طرفة أو ابن كلثوم أو عنترة ليس من هؤلاء الناس في شيء وإنما هو انتحال الرواة أو اختلاق الأعراب أو صنعة النحاة أو تكلف القصاص أو اختراع المفسرين والمحدثين والمتكلمين ⁽⁸⁾) ويصدقنا طه حسين القول بأن ثورته العارمة جاءت بسبب تأثره بمنهج ديكارت (أريد أن أصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه (ديكارت) للبحث عن حقائق الأشياء ... إن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هي أن يتجرّد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل وأن يستقبل موضوعه خالي الذهن مما قيل فيه خلواً تاماً .. فلنصطنع هذا المنهج حين نريد أن نتناول أدبنا العربي القديم وتاريخه بالبحث والاستقصاء ⁽⁹⁾) والذي نراه أن المرحوم طه حسين بالغ كثيراً حتى بات شكه هدماً وعصيبة قبل أن يكون علماً وموضوعية ولو امتد به العمر إلى

(8) حسين . د . طه . في الشعر الجاهلي ص 21 طب دار المعارف سوسة تونس 1997 .

(9) المرجع نفسه ص 23 وبعدها .

التسعينيات من القرن العشرين لعدّل آراءه وربما نقضها بسبب من الاكتشافات الأثرية من جهة والعثور على مخطوطات بالغة القيمة وتحقيقها من جهة أخرى .. إذا كانت مرحلة ثورة طه حسين تعاني نقصاً فادحاً في تحليل الوثائق⁽¹⁰⁾ لا يمكننا إلغاء كل الشعر الجاهلي ولا نصفه ولا ربه .. فالشعر الجاهلي كان درة ثمينة عرف قدرها الجاهليون ، ومن ثمّ الإسلاميون وحافظوا عليها ، واحتفظوا بها .. وقد اقتربنا في فصل الرواية السابق ورأينا أن الرواة ليسوا بشراً اعتياديين وإنما هم استثناء في مجتمعاتهم ، يمتلكون قدرة عجائبية على الحفظ والاستظهار تشبه الخرافة فالراوي يحفظ شعر الشاعر جله ، ويحفظ آلاف القصائد الطوال ، ويحفظ الشعر ، وفق حالات متعددة ! الحالة الأولى التي شهدت ميلاد النص ، والحالة الثانية التي شهدت تعديله ، والثالثة التي حذف فيها الشاعر وأضاف ! وكان راوية الأعشى يحفظ كل شعره وشعر أربعين شاعراً سواه !! وقد رافقه في زيارته إلى فارس وفلسطين والحبشة وكابل ! وحين أشرق الإسلام وأضاء بنوره الأرواح التفت المسلمون إلى الشعر الجاهلي .. وكانوا يتذكرون به في مساجدهم فإذا أشكل عليهم معنى في القرآن الكريم التمسوه في الشعر الجاهلي كدأب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وعبد الله بن عباس .

وشجع النبي الأمين الشعراء الذين نافحوا عن الإسلام وأيّ شرف ناله شاعر في الدنيا مثل الشرف الذي ناله حسان بن ثابت ؟ قال أبو عبيدة : فضل حسان الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي ﷺ في النبوة ، وشاعر اليمين كلها في الإسلام⁽¹¹⁾ وجاء حسان بن ثابت إلى نفر فيهم أبو هريرة فقال : أنشدك الله : أسمعت رسول الله ﷺ يقول لي : « أجب عني » ، ثم قال : « اللهم أيده بروح القدس » . فقال أبو هريرة : اللهم نعم⁽¹²⁾ .

(10) الصائغ . عبد الإله . طه حسين اعتسف الشعر الجاهلي . وجريدة الأخبار التونسية عدد يوم 1992/1/11 .

(11) الأصبهاني . الأغاني (كتبخانة) 3/4 وبعدها .

(12) المصدر نفسه .

وقال النبي ﷺ وهو في سفر: « أين حسان ؟ ». فقال حسان: لبيك وسعديك يا رسول الله قال: « اخذ » فجعل ينشد ، ويصغي إليه النبي ، ويستمع إليه وهو سائق راحلته حتى كان رأس الراحلة يمس الورك حتى فرغ من نشيده ، فقال النبي ﷺ: « لهذا أشد عليهم من وقع النبل »⁽¹²⁾ .

ويكفي حسناً من الشرف أن النبي زوجته سيرين أخت مارية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ فولدت له حسناً⁽¹³⁾ .

وكان قد نصب منبر لحسان في مسجد رسول الله ﷺ ينشد منه الشعر والنبي والصحابة يصغون إليه ! أما كعب زهير بن أبي سلمى فحكايته معروفة إذ أهدر النبي دمه ، ثم غفر له وأهداه بردته الخضراء عندما أنشده رائعته : (بانت سعاد) ، وكان ﷺ يستذكر شعر قس بن ساعدة ويطلب إلى أبي بكر إنشاد الشعر الذي وثى به خطبته في سوق عكاظ ! بل إن النبي ﷺ سأل عنه وفد قبيلة إياد : « وأين صاحبكم » فقالوا لقد هلك يا رسول الله .. فحزن عليه ! والنبي الأمين يقول : « لا يدع العربي الشعر حتى تدع الإبل الحنين » . ويقول أيضاً : « ما وصف لي أعرابي في الجاهلية وأحببت أن أراه إلا عنترة » . ثم يطلب إلى أبي بكر أن ينشد شعر عنترة في التآبي والتعفُّف فينشده :

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل
وأغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يوارى جارتي مثواها

والنبي الأمين معجب بقولي طرفة بن العبد والأعشى في :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود
قلدتك الشعر ياسلامة ذا التف ضال والشيء حيثما جعلاً

(13) ابن قتيبة . الشعر والشعراء 193/1 .

أما الخلفاء الراشدون فكانوا يأنسون إلى الشعر ، فأبو بكر وعلي شاعران ولأبي بكر وعلي وعمر آراء غاية في الأهمية تقوّم الشعر والشعراء⁽¹⁴⁾ هيذا بدأ عصر تدوين الشعر الجاهلي كان أكثر الرواة على قيد الحياة ، فضلاً عن أبنائهم الذين يحتفظون بالمدونات ، فكانت المدونات توضع بين يدي الكتبة ، ولم يعترف الكتبة المسلمون الشعر الجاهلي لعلمهم أن الشعر الجاهلي ثمرة عصره ، فلم يحدفوا شعر الخمر ، ولم يطلسوا شعر الأصنام ، دونوا كل شيء بأمانة العالم ، ومروءته ، فابن الكلبي وضع كتاباً في الأصنام ، وآخر في الأسواق ، وأورد الشعر الذي قيل فيها ، وابن قتيبة وضع كتاباً في الأنواء ، وآخر في النساء ، وثالثاً في السلاح . والأصمعي صنع كتاباً في خلق الإنسان ، والخيال ، والنبات . والمرزوقي في الأزمنة ، والأمكنة ! وغير صحيح القول : إن الكتبة المسلمين قد تشددوا في تقبل أصناف من الشعر الجاهلي ، وألغوا كثيراً منها وكيف تقرّ بذلك وكبار الصحابة والتابعين كانوا يستأنسون بالشعر حتى في مساجدهم . وقد أجاز المازني وسواه قراءة الشعر الغزلي في المسجد !! لقد دوّن الشعر ، وبلغنا مثلما دوّن ، ونفترض أن بعض المدونات التي ضاعت بسبب الجهل أو الإهمال أو بسبب النكبات التي لحقت بالمخطوطات العربية كتلك التي حدثت بعد دخول المغول إلى بغداد .. والتي حدثت بعد سقوط الحكم العربي في الأندلس . وحريق كهف الأوسكريال في إسبانية ، وعدوان الهندوس على المخطوطات الإسلامية في الهند فترة استقلال باكستان .

وقد ذكر أصحاب نظرية الشك أسباباً تعزز نظريتهم في نحل الشعر ، وهي لا تبعد عن تأثيرات السياسة والدين والشعبوية وشهوة الحديث عنه الراوي ، والعصبية القبلية ، وهذه أمور لا ننكر أثرها بيد أننا لا نقبل بأن تكون سبباً لنكران حضارة الشعر الجاهلي برمتها ، فربما أسهمت هذه التأثيرات في إفساد جزء يسير من الشعر الجاهلي بيد أنها غير قادرة على إفساد كل الشعر وتفتيته وتدويبه .

(14) الجبوري . د . د . يحيى . الإسلام والشعر طبعة بغداد 1964 .

وإذا كنا قد نعينا على أصحاب نظرية الشك غلوهم في إنكار الشعر الجاهلي بله إعدامه ، واعتداد كل ما وصل إلينا ضرباً من الكذب الملقق ، فإننا ننعي كذلك على أصحاب نظرية اليقين غلوهم في إثبات صحة كل الشعر الجاهلي واعتداد ما وصل إلينا من الشعر ضرباً من المقدس الذي يمسح من يشك فيه مبخساً !! فقد ثارت ثائرة أصحاب اليقين حين أصدر طه حسين كتابه في الشعر الجاهلي ، فنقلوا المعركة من ميدانها العلمي إلى ميادين الشعبية والمساجد وأقبية الشرطة ، فكفّر طه حسين لأنه شكك بالشعر الجاهلي ، ولا ندري الصلة التي تربط بين الشعر الجاهلي والدين ؟! ولكن العصبية عمياء فتظاهر الناس في القاهرة وبغداد والشام وعواصم عربية أخرى انتصاراً للشعر الجاهلي ودحواً لمنهج الشك ! وحذر أئمة المساجد عهد ذاك من (البدع والضلالات التي روج لها أعمى صعيدي درس في باريز) . وبلغ الأمر أن ضرب طه حسين ، وركل بالأرجل فهرب إلى بيروت ، ولبث فيها زمناً حتى انجلت الغمة ، وهدأت ثائرة الغوغاء ، وفي المكتبة الآن كثير من كتب أصحاب نظرية اليقين ، وقد آلفت لترجم طه حسين كما يرحم الشيطان (كذا) وحين هدأت العاصفة أو كادت تنازل طه حسين . عن كثير من آرائه المتطرفة في كتابه (في الشعر الجاهلي) وأصدر كتاباً يوافق فيه الشارع الثقافي وهو (في الأدب الجاهلي) !

والسؤال المحير حقاً هو لماذا ثار الشارع الثقافي على طه حسين علماً بأنه ليس أول معاصر يخرق (تابو) الشعر الجاهلي ؟! لماذا تجاهل الشارع الثقافي آراء مصطفى صادق الرافعي (ت 1937 م) التي سبقت آراء طه حسين بعقد ونصف ، إذ أصدر مصطفى الرافعي كتابه (تاريخ آداب العرب) عام (1911 م) وأصدر طه حسين كتابه (في الشعر الجاهلي) عام (1926 م) ولعل الرافعي لم يحاول الارتقاء بآرائه إلى مستوى النظرية ولم يستعمل اللغة المتعالية التي استعملها طه حسين ، وقد أورد الدكتور ناصر الدين الأسد الإشارات التالية حول جهد الرافعي :

أ - حشد الرافعي في كتابه من المادة ما لم يجتمع مثله من قبله ولا من بعده حتى

يومنا هذا في صعيد واحد من كتاب ، لم فيه أشتات الموضوع من أطرافها كلها ، واستقصاه استقصاء .

ب - اكتفى الرافعي في أكثر حديثه بالسرد المجرد والحكاية عن مضى ، ولم يتجاوز ذلك إلى البحث في هذه الأخبار والروايات بحثاً علمياً⁽¹⁵⁾ .

☆ أدلة أصحاب نظرية الشك :

1 - التشابه بين لغة القرآن الكريم ولغة الشعر الجاهلي يميلنا إلى أن حماداً البصري وخلفاً الكوفي وغيرها قد صنعا الشعر الجاهلي على مثل لغة القرآن (كذا) . وقد عكس طه حسين مقولة ابن عباس : « إذا أشكل عليكم معنى في القرآن فالتمسوه في الشعر الجاهلي » . فقال : « فإذا أردت أن أدرس الحياة الجاهلية فلست أسلك إليها طريق امرئ القيس والنابغة والأعشى وزهير لأنني لأثق بما ينسب إليهم وإنما أسلك إليها طريقاً آخر وأدرسها في نص لاسييل إلى الشك في صحته .. أدرسها في القرآن »⁽¹⁶⁾ .

2 - الصلة بين الشعر والسحر والكهانة والتنبؤ والجنون جعلت صفة الشعر غير جدية بالمسلم ، فكان أن أهل المسلمون الشعر الجاهلي حتى يغلقوا الباب أمام الريبة .

3 - ثمة معان فيها دعوة للوثنية والإباحية والعصبية القبلية والمكانية والمديح الكاذب والهجاء المقذع مما زهد المسلمين بتدوين الشعر الذي تكمن شعريته في هذه المعاني .

4 - وجود شعر منسوب إلى سيدنا آدم أو نوح ، وشعر منسوب إلى عاد وثمود وسواهما .. وشعر منسوب إلى الجن والعفاريت .. بما يعزز الظن بأن هذا الشعر وسواه مصنوع للتسلية والسامرة لتزجية الوقت أو للعبرة والموعظة .

(15) الأسد . د . ناصر الدين . مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص 377 .

(16) حسين . د . طه . في الشعر الجاهلي ص 27 - 28 .

5 - الكتابة كانت نادرة في العصر الجاهلي ولو عرف الجاهليون الكتابة لوصلت إلينا كتب عنهم كما وردتنا كتب عن السومريين والآشوريين والبابليين .

6 - اللغة مرآة صافية تعكس حركة المجتمع وتطوره ، وإذا كان المجتمع الجاهلي متخلفاً فينبغي أن تكون لغته متخلفة ! فكيف جاءنا الشعر الجاهلي ناضجاً صافياً؟! وليس من تفسير سوى أن الشعر كتب بعد أن شاعت أسلوبية القرآن المنظمة .

7 - رواة القرنين الثاني والثالث كانوا موضع شك ، وهم يتبادلون الاتهامات فيما بينهم من نحو حماد وجناد وخلف وأبي عمرو وأبي عبيدة والأصمعي وأبي عمرو الشيباني وابن إسحاق والمبرد ، وإذا كان الأمر كذلك فمن حقنا (القول لأصحاب نظرية الشك !!) أن نشكك بأوراقهم وقد سمعنا عن رواة تزيدوا بسبب طلب الخلفاء والأمراء والجمهور المتزايد للقصص والمغامرات ليالي الشتاء الطويلة وسمعنا عن وعظ المساجد الذين يمزجون مواعظهم بالشعر والقصص .. فاستحدث شعر قالته أمم بادت وبقي من موروثها شيء !!

8 - الشعراء الجاهليون منتمون إلى أمكنة شتى ولكل مكان لغته ففردات بعض اللغات العربية كانت مترادفات أو أصداداً لمفردات اللغات الأخرى فكيف تأتى لنا أن نقرأ قصائد الشعراء الجاهليين وقد كتبت بلغة واحدة هي لغة قريش ثم عبّرت عن لواعج متشابهة فكأنهم نسخ مكررة ، فلغة الشمال كما هو متفق عليه غيرها لغة الجنوب ، وأين عيوب اللهجات مثل الكشكشة والكسكسة والعجعة والاستنطاء والوثم والغمغمة والتلثة ؟ .

9 - ورود معان قرآنية إسلامية مثل الحلال والحرام والموت والانبعاث نظير قول

زهير :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم

وقول الأعشى :

ربي كريم لا يكدرّ نعمة وإذا يناشد بالمهراق أنشدا
وقول ذي الإصبع العدواني :

إن الذي يبسط الدنيا ويقبضها إن كان أغناك عني سوف يغنييني
وقول النابغة :

فألفيت الأمانة لم تحنها كذلك كان نوح لا يخون
وقول ابن ساعدة الإيادي :

دنت الساعة وانشق القمر لغزال صدّ عني ونفرا!

10 - المعاني المركزية التي دارت القصائد الجاهلية حولها وبخاصة المعلقة تجعلنا غير قادرين على قبول الشعر الجاهلي .. إلا إذا افترضنا (ما لا يمكن افتراضه) إلغاء شروط الزمان والمكان وما يحدث بينها .

11 - موسيقى الشعر اكتشفت في القرن الثاني الهجري ، فكيف تسنى للقصائد والمقطعات الجاهلية الانتظام وفق أنساق البحور التي قعدّها الخليل الفراهيدي !

12 - وضوح الوضع في مناسبة عدد من الأبيات الجاهلية لقواعد النحو بحيث تصلح لتكون شواهد نحوية لعدد من اللغات والاستثناءات فشواهد نحاة البصرة استدعت أبياتاً مختلفة عن شواهد نحاة الكوفة ، وكذلك صلاحية عدد من الأبيات التي تفسّر معاني جديدة وردت في القرآن الكريم ، وكان رواد التفسير مثل ابن عباس يفسرون القرآن بالشعر ، وثمة أبيات كأنها موضوعة لتثبت مزاعم القدرين والحلوليين والمعتزلة .

13 - لم يعكس لنا الشعر الجاهلي الحياة الدينية عهد ذاك ، فالعرب الذين وقفوا موقفاً عنيفاً من الدعوة الإسلامية والشعراء طليعتهم لا يمكن أن يفلت أثر الدين من

شعرهم ، ولو لم يكن الشعر منحولاً .. لكان نقل إلينا طقوس الصلاة والنحر والحج والطواف والأضاحي والأدعية وأسماء الأصنام وأمكنتها .

14 - وإذا كان الجاهليون مشهورين بعلوم تعبير الرؤيا ، والأنواء ، والأنساب ، والفراسة ، فلماذا لم ينقل الشعر إلينا مفردات الذهنية التي أنتجت وطقوسها ؟

15 - إهمال الشعر الجاهلي لمفردات العمل مثل الزراعة والرعي والعبارة والتجارة .

16 - وردت اعترافات وتقديرات تتصل بالنحل :

1 - اعتراف أبي عمرو بن العلاء بأنه وضع بيتاً ونسبه إلى الأعشى .. وأن لسان حمير وأقاصي اليمن مختلف عن لسان قريش .

2 - العرب قبائل ورواة يتزيدون من الشعر ..

3 - ابن إسحاق كاتب السيرة هرف بما لم يعرف ، فنسب شعراً لشعراء لم يقولوه .. وشعراء أمم بادت ..

17 - ذكرطه حسين أن دوافع النحل تكن في (السياسة ، والدين ، والتقصص ، والشعوبية ، والرواة) .

☆ نقيض نظرية الشك :

1 - ليس التشابه بين لغة القرآن الكريم ولغة الشعر الجاهلي دليلاً كافياً على أن الشعر الجاهلي منحول ، وقد يكون التشابه دليلاً على صحة الشعر !! فالقرآن تنزل بلغة قريش ، والشعراء الجاهليون حريصون على كتابة قصائدهم بلغة قريش حتى يصلوا إلى أفهام كل العرب ، لأن لغة قريش كانت مفهومة لدى كل العرب .

2 - لم يهمل المسلمون الشعر الجاهلي ، ربما لهيت العرب عنه حقبة الفتوحات الأولى ، فالشعر رفيق العربي في حله وترحاله ، سلمه وحربه ، ولولا الرواة المسلمون لضاع جل الشعر الجاهلي .

3 - الشعر الجاهلي تَمَلُّ بشحنات عصره ، ولم يتدخل الرواة المسلمون في أساليبه أو موضوعاته ، وقد تعاملوا معه علمياً .. فهو شعرٌ يعبر عن مرحلة تجاوزها الإسلام ، وكان الرواة المسلمون يميّزون بين الشعر والأخلاق فأبو عمرو بن العلاء حين سئل أيهما أشعر لببب أم الأعمش ؟ أجاب : إن لببب رجل صالح ، وإنما الشاعر هو الأعمش !!

والأصمعي كان يردد في مجالسه ! الشعر إذا أدخلته في طريق الخير لان .. والحصيلة هي أن الشعر الجاهلي وصلنا على علاته ومجونه وبنجهيته فالراوي المسلم مبتهج لذلك .. حتى يوازن المسلم بين أخلاق الإسلام العظيمة وأخلاق الجاهلية !

4 - الشعر المنسوب إلى سيدنا آدم أو نوح أو المنسوب إلى طسم وجديس والجن لا يمكن قبوله ، وقولنا هذا ليس إتلافاً له ، لأن الشعر الجاهلي شعر شفاهي في أغلبه ... أي (دزائنات) وقوالب ، فهو يمتلك (الشعر الشفاهي) أهمية علمية بالغة (مع أنه غير صحيح) ، فمن خلال طرائق الجاهليين في التأويل والتعليل والإظهار والتغيب تتوضع أشياء كثيرة ، فأهمية ملحمة جلجامش أو الخليفة العراقيتين وملحمة الإلياذة .. ليست كامنة في صحة الأخبار التي وردت فيها ودقة الأقاويل .. فهذه الملاحم تتحدث عن الصراعات بين الآلهة والبشر .. لتكشف لنا عن ذهنية ذلك العصر وهمومه .

5 - نعم الكتابة لم تكن منتشرة بين الجاهليين ، بيد أنها معروفة ومألوفة .. فالعباديون وهم سكان اليمامة والحيرة كانوا يجوبون الجزيرة العربية لتعليم القراءة والكتابة لدوافع اقتصادية أو تبشيرية ، ودلالة أمية الجاهليين على رأي د . ناصر الدين الأسد ود . علي فهمي خشم ليست منصرفة إلى القراءة والكتابة ، وإنما هي منصرفة إلى الدين ! وكان الجاهليون يكتبون شعرهم ويحتفظون به كما مرّ بنا ، وليس صحيحاً أن المجتمع الجاهلي متخلف لغوياً ولا مدنياً ، فكان الشعراء عهد ذاك ذوي أساليب جميلة أشار إليها القرآن الكريم ، وكان الجاهليون يستخدمون تفوقهم في المجادلة لإثبات باطلهم قارن : [غافر : 5/40] [النساء : 10/4] و [الحج : 68/8/3/22] و [الكهف : 56/18]

﴿ وقالوا أألهتنا خَيْرٌ أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾ وعلماء الاجتماع المسلمون يعون أن الله سبحانه كان يرسل كل نبي بأية تناسب هموم الناس الذين يدعوم ، فسيدنا موسى آيته إبطال سحر اليهود ، وكشف مكرهم . وسيدنا عيسى بهر قومه بالطب والتسامح . ونبينا الأمين ﷺ أعجز العرب وهم أصحاب بيان بمعجزة القرآن الكريم ، وقد رأينا في مبحث الرواية كيف أورد الشعر الجاهلي إشارات تدل بوضوح على معرفة العرب للكتابة .

6 - الاتهامات بين الرواة لا تنهض دليلاً على الشك بمصادقية الشعر الجاهلي ، فاختلفاهم دالة اجتهاد وحضارة ، واختلفاهم يفهم من خلال التنافس بينهم وعدو المرء من يعمل عمله ، ومعظم الرواة كانوا على بينة من أمرهم ، وقد شهد لهم ثقافة عصرهم بالبروءة والنبوغ .. فأبو عمرو بن العلاء كان قارئاً نابغاً ومناضلاً عن الدين واللغة والوطن ، وقد أهدر الحجاج دمه ، وقد أحرق كتبه التي تصل إلى السقف خشية أن يكون فيها حرف لا يرضي الله .. فكيف نصدق مثلاً أنه وضع بيت شعر واحد على لسان الأعشى .. علماً أن الدراسات الأسلوبية أثبتت أن هذا البيت ضمن شعر الأعشى أما الطعن بخلف الأحمر ، وحاد الرواية .. فهو طعن الحساد ووعاظ السلاطين فقد كان هذان معجزة في الرواية والحفظ ، وقد تحدثنا في أمرهما في مبحث الرواية .

7 - المبدعون العرب قبل الإسلام تخففوا من لهجاتهم ومحلياتهم ، وكتبوا شعرهم بلهجة قريش التي شاعت في عصرهم بسبب من كونها لغة المثقفين والمتدينين والتجار ، فأسهموا في وحدة اللسان العربي ، ولو أصر الشعراء العرب في جنوب الجزيرة أو شرقها على لهجاتهم لما وجدوا جمهوراً يصغي إليهم ! وكانت الأسواق العربية المختبرات التي صهرت اللهجات وأسهمت في وحدة اللغة والذوق .

8 - مفردات الحلال والحرام ولفظ الجلالة والمقدس والمدنس والدينا والآخرة لم

تكن غريبة على عرب ما قبل الإسلام وأرضهم دون سواها التي احتضنت الديانتين اليهودية والمسيحية .. ومعظم العرب كان على ملة إبراهيم « فهم يتزوجون بعقد ، ويطلقون بعقد ، ويحجون البيت ويلبّون ، ويعتمرون ، ويتسحون بالحجر الأسود ، ويسعون بين الصفا والمروة ، ويقفون بعرفات ، ويأتون مزدلفة ، ويهدون الهدايا ، ويرمون الجمار ، ويعظّمون الأشهر الحرم ، ويحرمونها ، ويفتسلون من الجنابة ، ويغسلون موتاهم ، ويصلون عليهم ، وكانت صلاتهم أن يحمل الميت على سرير ، ثم يقوم المفجوع فيه فيذكر محاسنه كلها ، ويثني عليه ، ثم يقول : رحمه الله وبعدها يدفنه وكان أكثر العرب مؤمنين بالدار الآخرة ويتشددون في صلات الرحم ، فلا ينكحون البنات والأمهات والأخوات والعلمات والخالات ، ومن سننهم أنهم يقطعون يد السارق ويحرقون الغادر ، وكانوا يتمضون ، ويستنشقون ، ويتسوكون ، ويقصون الشارب ، ويختنون ، ويحلقون شعر العانة ، وينتفون الإبطين ، ويقلمون الأظافر ، ويستنجون ، ولا يأكلون الميتة ، ويوفون بالعقود ، وكانوا يربطون الناقة جنب القبر ويعقرونها ، ظناً منهم أن صاحبها حينما ينهض من موته سوف يستعملها ، وتسمى الولية ، وثمة البحيرة ، والوصيلة ، والبلية »⁽¹⁷⁾ .

9 - الهموم المشتركة في الشعر الجاهلي التي اتضحت في المعلقات أكثر من سواها تعكس رغبة الشعراء وحذقهم في اجتذاب المتلقين إلى هموم قصائدهم ، ولن يتمتع الشاعر بالنجومية وهدايا الموسرين دون أن يشهد له الجمهور بالنبوغ ، ويتجاوب معه ،

(17) ابن حبيب . المحبّر ص 309-340 وانظر ص 181 ، 236 ، 237 .

ابن طباطبا العلوي . عيار الشعر ص 32-37 .

الشهرستاني . الملل والنحل (معتقدات العرب) ص 241-245 و (تقاليد العرب التي أقرها الإسلام) ص 245-249 .

السيوطي . الوسائل إلى مسامرة الأوائل ص 49 .

الألوسي . بلوغ الأرب 2/286 .

الصائغ . عبد الإله . الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام (سنن العرب) ص 20 ، 21 .

الشعراء الجاهليون إنما يلبّون حاجات الشارع الثقافي ، ولأن مجتمع قريش كان العنصر السيد عهد ذاك فقد انبهر العرب في الأطراف بهمومهم وطموحاتهم ، كما ينبهر العربي الآن بأي مجتمع متحضّر ومتفوّق مديناً ! والشعراء الجاهليون ربما تفوقوا على شعراء زماننا في موضوعة مخاطبة الجمهور ، والاستحواذ عليه من خلال وسائل الإيصال التقليدية أو المبتكرة .. فكان جمهور الشاعر الجاهلي يحاكي جمهور كرة القدم الآن .

10 - ليس صحيحاً أن الشعراء الجاهلين كانوا يجهلون موسيقا الشعر وقد مرّ بنا استعمالهم لطريقة التنعيم واعتمادهم عليها في وزن أشعارهم ، ومرّ بنا كيف التفت النقاد الجاهليون لظاهرة الإقواء في أشعار بشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني وكيف عالجوها !

وكتب العديد من الشعراء الجاهلين قصائدهم بإيقاعات صافية وأساليب سلسلة لكي تغنى ويرقص عليها .. يقول الأعشى :

ولقد شربت الراح تركض حولنا ترك وكابل
إذا قلت غني الشرب قامت بمزهر يكاد إذا دارت له الكف ينطق

11 - الشعر ديوان العرب الذي أودعوه لغتهم وأساليبهم ورغباتهم ورهباتهم ! وليست جريرة أن يكون في الشعر الجاهلي شواهد يستفيد منها النحاة أو اللغويون أو المناطقة أو الجغرافيون أو المؤرخون . وقد صنع العلماء المسلمون كتباً متخصصة ، مثل كتب (الأنواء) و (الأزمنة) و (الأصنام) و (الأمكنة) و (المطر) و (الخيل) و (خلق الإنسان) و (السلاح) و (أيام العرب) .

وكان اعتمادهم الأول على شواهد من الشعر الجاهلي .

12 - أما أن السياسة والدين والقصص والشعوبية والرواة قد أسهمت في نخل الشعر .. فإن أثرها كان ضئيلاً .. ولا يمكن التضحية بالكل من أجل الجزء ، والثابت الأكثر بالمنحول الأقل .

الفصل الرابع

شياطين الشعراء

تعد الذهنية القديمة كل فعل ردة فعل معلومة لفعل مجهول⁽¹⁾ وإذا كان الشعر الجاهلي فعلاً معلوماً فإنما هو صدى لأفعال الجن (كذا) ، والصلة ماثلة بين الشاعر والرئي ، مما هيا الشاعر لرؤية ما لا يرى ، فإذا مدح رفع وإذا هجا وضع ، وإذا رثى هدأت روح الميت .

ونقل الأصمعي عن رايسأل الشرف بن القطامي : « ما كانت العرب تقرأ في صلاتها على موتاها ؟ » فقال ابن القطامي : لا أدري ! فقال له الراوي : « كانوا يقرؤون شعراً :

وما كنت وكواك ولا ابن أوئل رويدك حتى يبعث الخلق باعته⁽²⁾

وقد تطيّر الجاهلي من الهجاء ، متوهماً أن كلمات الهجاء تنزل الأذى الفادح بالمهجو ، وربما أشاع الشعراء هذا الوهم لكي يتفادى الناس هجاءهم .. وبين أيدينا حكاية هجاء ليبيد للربيع بن زياد .. فقد غرّب ليبيد هيأته حالقاً نصف شعره وشاربه وحاجبه صابفاً نصف وجهه بالقطران والرماد ، متقلداً سمطاً من الودع والعظام والأحجار ، جاعلاً واسطة العقد نعلأ عتيقاً .. ثم طاف حول سرادق النعمان بن المنذر ،

(1) بريل . ليفي ، العقلية البدائية ص 77 ، تر : محمد القصاص ، ط مكتبة مصر (د : ت) .

(2) ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق ت 385 . الفهرست ص 118 ، تح الشيخ إبراهيم رمضان ، ط دار

المعرفة بيروت 1997 .

وكان أقام وليمة احتفالاً بقدوم الربيع .. فدبك لبيد دبكات تجاوبت مع أرجوزته التي يهجو فيها الربيع⁽³⁾ :

(لا تزجر الفتيان عن سوء الرّعه)	(يارُبِّ هيجاً هي خيرٌ من دَعَه)
(يا ابن الملوك السادة الهبتقعه)	(أنا لبيد ثم هذي المنزعه)
(في كلّ يوم هامتي مقزّعه)	(قانعةٌ ولم تكن مقنّعه)
(نحن بنو أمّ البنين الأربعة)	(ونحن خيرٌ عامر بن صعصعه)
(يا واهبَ المالِ الجزيلِ من سَعَه)	(إليك جاوزنا بلاداً مُسبعه)
(إذا الفلاة أوحّشت في الممعه)	(يخبرك عن هذا خير فاسمعه)
(مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه)	(إن استه من برص ملّعه) ⁽⁴⁾

والذهنية الجاهلية مسكونة بهاجس السحر ، فبات مألوفاً ظهور طبقة من المشعوذين الذين يدعون أن لهم علاقات خفية بالجن والنجوم ، وتعددت النعوت والوظائف من متنبئ وكاهن وساحر وحازي إلى عالم وممسوس وشاعر ! وأهل بابل يمزجون بين هذه النعوت ، وتلك الوظائف ويوحدونها في صفة (نبو) ونبوخذ نصر لم يكن إنساناً اعتيادياً في نظرهم ، فهو كل هؤلاء .. وكأن الأبطال والكهنة أنصاف آلهة في نظرهم ، ولا عجب أن يزعم الجاهليون أن النبي الأمين ﷺ كان كاهناً أو شاعراً أو ساحراً أو مجنوناً . وينقل ابن هشام حواراً بين الوليد بن المغيرة ، وقريش بشأن النبي ﷺ : « قالوا نقول كاهن . قال لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهّان فما هو بزمنة الكاهن ولا سجعته ! قالوا فنقول مجنون . قال ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون

(3) المرتضى ، أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) 191/1 .

(4) لبيد . ديوانه ق 32 ، ص 92 - 94 .

الرعة : الحق . الهيجا : الحرب . الزجر : المنع والتشاؤم . الرعة : الحق . الهيجا : الحرب . الدعة : الحياة الهائثة . الهبتقعه : الكبرياء والشم . المنزعة : القوس . مقزعة : مخلوقة . الهامة : الرأس أو الشعر . القانعة : مقنعة بفضاء أو قناع . مسبعه : كثيرة السباع . الممعه : صوت الحريق في القصب كناية عن صوت الشجعان في الحرب وشدة الحر .

وعرفناه ... قالوا فنقول : شاعر . قال ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا فنقول : ساحر ، قال ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم⁽⁵⁾ .
وقد وردت في القرآن الكريم آيات تنسخ مزاعم أهل الجاهلية ..

بسم الله الرحمن الرحيم

- 1 - ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾ ☆ ولا بقولِ كاهنٍ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ ﴿ [الخاقية : 40/69 - 42] .
- 2 - ﴿ فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿ [الطور : 29/52] .
- 3 - ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذَكَرَ وَقُرَّانٌ مَبِينٌ ﴿ [يس : 69/36] .
- 4 - ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتِرَاءُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴿ [الأنبياء : 5/22] .
- 5 - ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿ [الطور : 30/52] .
- 6 - ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿ [الشعراء : 224/225] .
- 7 - ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿ [القلم : 51/68] .
- 8 - ﴿ فَتَوَلَّىٰ بَرَكْنَهُ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿ [الذاريات : 39/51] .
- 9 - ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿ [الذاريات : 52/51] .

(5) هارون عبد السلام محمد : تهذيب سيرة بن هشام ص 57 ، الزمزمة : الهمس .

النفث والعقد : كان الساحر يعقد خيطاً أو مندبلاً وينفث فيه !!

10 - ﴿ قَالَ لِمَلَأْ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الشعراء : 34/26] .

11 - ﴿ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء : 101/17] .

12 - ﴿ وَيَقُولُونَ أَنَّنَا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات : 36/37] .

وكان النبي ﷺ يقول : « لا تنبروا باسمي إنما أنا نبي الله » (6) .

وقوله ﷺ كان تصويباً لكلمة (النبء) التي وردت في شعر العباس بن مرداس :
يا آخر النبء إنك مرسل بالخير كل هدى السبيل هداكا(7)

وقرّ في روع الجاهلي أن لكل شاعر شيطاناً يلهمه الشعر ! وأن هؤلاء الشياطين يتخذون من وادي عبقر قرية لهم !! ونحاول في الآتي اقتباس المعلومات من معجم البلدان (294/3) :

1 - أرض كان يسكنها الجن ! يقال في المثل كأنهم جن عبقر ، قال المرار العدوي :

أعرفت الدار أم أنكرتها بين تبارك فشتي عبقر

والشس : المكان الغليظ !

وقال الأعشى :

(كهولاً وشباناً كجنة عبقر)

وقال امرؤ القيس :

كأن صليل المروح حين تطيره صليل سيوف ينتقدن بعبقرا

2 - عبقر من أرض الين ، موضع مسكون ، وبلد مشهور به صيارف ، بلد كان

قديماً وخرّب كان ينسب إليه الوشي ، فلما لم يعرفوه نسبوه إلى الجن .

(6) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر 3/5 .

(7) ابن مرداس ، العباس ، ديوانه ق 31 . ب 1 ص 95 .

ثم نقتبس معلومات أخرى من لسان العرب (عبقر) :

1 - عبقر موضع بالبادية كثير الجن ..

2 - قال أبو عمر بن العلاء : الأصل عبٌّ قرٌّ ؛ والعب اسم للبرد الذي ينزل من المزن والعين مبدلة من الحاء والقر البرد .. قال الشاعر :

كأن فاهها عبٌّ قرٌّ بارد أو ريح مسك مسّه تنضاح ركّ

3 - قال الجوهري العبقر موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن ! قال لبيد :
ومن فاد من إخوانهم وبنيتهم كهول وشبان كجنّة عبقر

ثم نسبوا إلى عبقر كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعه .

4 - قال أبو عبيدة : ما وجدنا أحداً يدري أين هذه البلاد ، ولا متى كانت ، قال

زهير :

بخيلٍ عليها جنّة عبقرية جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا

إن تشكيك أبي عبيدة بفكرة عبقر يحيلنا إلى الإرث القديم الذي ورثه الجاهليون عن أسلافهم ! وقد أفرد أبو زيد القرشي ، من رجال القرن الثالث ، مبحثاً في (جمهرة أشعار العرب) ص 40-54 قارن :

1 - قال أعرابي سألت جنياً : أتروي من أشعار العرب شيئاً فقال نعم وأنشد :

طاف الخيال علينا ليلة الوادي من آل سلمى ولم يلمم بميعاد
أنى اهتديت إلى من طال ليلهم في سبب إلخ

فلما فرغ من إنشاده قلت له : هذا الشعر لعبيد بن الأبرص الأسدي !! فقال :

ومن عبيد لولا هبيد وأنشأ يقول :

أنا ابن الصلادم أدعى هبيدا حبوت القوافي قرمى أسد
عبيداً حبوت بمأثوره وأنطقت بشراً على غير كد
ولاقى بدرك رهط الكميت ملاذاً عزيزاً ومجداً وجد

قلت : فأخبرني عن مدرك ؟ فقال هو مدرك بن واغم صاحب الكيت وهو ابن

عمي ..

2 - قال مظعون بن مظعون الأعرابي أحببت إذا علمت أن لشعراء العرب شياطين تنطق بالشعر على ألسنتها أن أعرف ذلك ورجوت أن ألقى هاذراً أو مدركاً اللذين ذكرهما الهبيد لأبي !!

3 - قال أعرابي لمضيفه أتروي من أشعار العرب شيئاً ؟ قال نعم وأنشدني للنابغة ثم قال : أحب أن أنشدك من شعري أنا ؟ قلت نعم . فاندفع ينشد لامرئ القيس والنابغة وعبيد ... ثم اندفع ينشد للأعشى : فقلت : لقد سمعت بهذا الشعر منذ زمان طويل ! قال للأعشى ؟ قلت : نعم ؛ قال فأنا صاحبه ، قلت : فما اسمك ؟ قال : مسحل السكران ابن جندل ؟ فعرفت أنه من الجن ، ثم سألته : من أشعر العرب ؟ قال : اروي قول لافظ بن لاحظ ، وهيب ، وهبيد ، وهاذر بن ماهر !! أما لافظ فصاحب امرئ القيس ، وأما هبيد فصاحب عبيد وبشر ، وأما هاذر فصاحب زياد (النابغة) وهو الذي استنبغه .

4 - وسأل رجل من زرود أعرابياً غريب الهيئة : أتروي من أشعار العرب شيئاً ؟ قال : نعم ، وأنشد (قفا نيك) فلما فرغ قال له هذه لامرئ القيس ! فقال الأعرابي أنا والله منحتة ما أعجبك منه ! قال فما اسمك ؟ قال لافظ بن لاحظ ! وأنشدتني ابنة الشيخ :

(نأت بسعاد عنك نؤى شطون فبانت والفؤاد بها حزين)
فألقيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

5 - ووجه السؤال إلى أعرابي آخر : من أشعر العرب ؟ قال من قال :
وماذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

ثم سأله : من قائل :

وتبرد برد رداء العرو س في الصيف رقرقت فيه العبيرا
وتسخن ليللة لا يستطيع نباحاً بها الكلب إلا هريرا
يريد في الأولى امرأ القيس وفي الأخرى الأعشى ! فقال له ثم من فأنشد :
تطرد القرّ بجر صادق وعيكك الصيف إن جاء بقر

ويريد طرفة !!

6 - وسأل أحدهم عن قائل :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر

قلت : نعم هذا شعر الحارث بن مضاض الجرهمي ! قال ذلك مؤديه وأنا قائله في
الحرب التي كانت بينكم معشر خزاعة وبين جرهم .. وأنشد أعرابي غريب الهيئة :
ولرب راج حيل دون رجائه ومؤمل ذهبته به الآمال

فقال له السائل : أيها الشيخ من أنت ؟ وما شأنك ؟ فقال : أنا السفاح ابن

الرقراق الجني !!

7 - ذكر أن رجلاً أنشد الفرزدق (ت 110 هـ) شعراً لم يستحسنه ! فضحك

الفرزدق وقال له : يا ابن أخي إن للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوبر ، والآخر
الهوجل ، فمن انفرد به الهوبر جاد شعره وصح كلامه ، ومن انفرد به الهوجل فسد
شعره ... ا.هـ .

ولم يكن الجاهليون بدعاً في صناعة هذه الأوهام التي تفسّر الموهبة الشعرية ، فقد
اصطنع الآشوريون تمثال امرأة جميلة وأطلقوا عليه : ربة الشعر ، ومن جهة ثانية نجد
أن أفلاطون كان يرى الإلهام مصدرأ للفن « وكان اليونانيون يرون أن للفنون ربات ،

ذلك أن الأسطورة اليونانية تروي : أنه كان لكبير الآلهة زوس القابح على جبل الأولب تسع بنات هن ربات الفنون وتسميهن الأسطورة (The Muses) أي عرائس الشعر ، وكل ربة تختص برعاية فن من الفنون ، فللشعر ربة ، وللخطابة ربة ، وللدراما ربة ، وللكوميديا ربة وهكذا ، وقد جرت العادة في الأكاديمية التي يعلم فيها أفلاطون ويلقي محاضراته أن يحتفل تلاميذه بعيد هذه الربات كل عام على شبه طقوس دينية موجهة إلى الربات ... واستمرت هذه الاحتفالات حتى عهد جستينيان مطلع القرن الثالث الميلادي الذي حظر تلك الاحتفالات الوثنية بعدما آمن بالنصرانية ⁽⁸⁾ .

إن محلل النص مكتشف لاحالة هذه الديباجات الملققة القائمة على الوهم ، فالقدماء استناداً إلى جيمس فريزر (الغصن الذهبي) لا يتعبون عقولهم حين يحللون وحين يؤولون ، فهم إشاراً للراحة يوكون جل الظواهر إلى الجن والسحرة .. لحل المعضلات ، وإذا كنا قد أوردنا إيمان العرب بشياطين الشعر ، فإن الأمر ليس تعميماً ، ولعلنا نتذكر اتجاه أوس بن حجر ، وبشامة بن الغدير ، وزهير بن أبي سلمى ، وكعب بن زهير ، وسواهم ... هذا الاتجاه يلغي فكرة الإلهام والشياطين ويميل إلى فكرة صناعة الشعر ، أو الشعر الصناعة ، فخير الشعر عندهم الحولي المحكك .. وإذا قال الجاحظ (ت 255 هـ) : « الشعر صناعة ، وضرب من الصياغة ، وجنس من التصوير » ⁽⁹⁾ فإنما الجاحظ لم يصطنع رأيه من الفراغ ، وإنما هو صدى لآراء الفريق الذي يرفض وهم ربط الشعر بالشياطين .. ومهما يكن الأمر فنحن ندرس ظاهرة وجدت لها مساحة في التاريخ ، وقد زعم أن شياطين الشعر فحول وإناث ، وقد مرّ بنا عدد من الشياطين الذكور ، وثمة إناث من نحو (السعلاة) شيطانة النابغة ،

(8) البقاعي . د . شفيق ، الأنواع الأدبية مذاهب ومدارس ، ص 177 وبعدها ، طب مؤسسة عز الدين ، بيروت 1985 . واستند د. البقاعي في توثيق المعلومة على : أبو ريان . د . محمد علي كتاب تاريخ الفكر الفلسفي 126/1 .

(9) الجاحظ ، الحيوان 444/2 .

و (المعلاة) شيطانة علقمة بن عبدة ... ويبدو أن أوهام الشعراء تحبذ إليهم الإناث ،
فإذا كان الشيطان ذكراً تدمر الشاعر :

إني وكل شاعر بن البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

لكن الأعشى كان سعيداً بصاحبه (الذكر) :

أ- وما كنت شاصردا ولكن حسبتي إذا مسحل سدّي لي القول أنطق
شريكان فيما بيننا من هوادة صفيان جني وإنسي موفق
يقول فلأعياء لشيء أقوله كفاني لاعي ولا هو أخرق
ب- حباني أخي الجني نفسي فدأؤه بأفيح جيش العشيات خضم
فقال ألا فانزل على المجد سابقاً لك الخير قلّد إذا سبقت وأنعم⁽¹⁰⁾

ثم قارن شعر سويد بن أبي كاهل اليشكري :

فرّمني هارباً شيطانه حيث لا يعطي ولا شيئاً منع
ورأى مني مقاماً صادقاً ثابت الموطن كتّام الوجع
ولساناً صيرفياً صارماً كحسام السيف مامسى قطع
وأتاني صاحب ذو غيث زفيان عند انفاد القرع
قال لييك وما استصرخته حاقرأ للناس قول القذع
ذو عباب زبد أذيه خط التيار يرمي بالقلع⁽¹¹⁾

(10) الأعشى ، ديوانه أ . ق 33 ب 32 - 33 - 34 ، ب - ق 15 ، ب 51 - 52 ، ب 43 :

دعوت خليلي مسحلاً ودعواله جهنم جدعا للهجين المذم

شاصردا : متعلم . مسحل : شيطان الأعشى . سدّي : أحسن . الهوادة : اللين والرفق . المي :
العاجز . الأخرق : الجاهل . جدعاً : جدعه الله والجذع القطع . الهجين : غير الأصيل . أفيح : بحر
واسع الخضم البئر القديم والكثير الماء .. كناية عن الجواد المتفضل .

(11) الضي : المفضليات رقم 40 ب 100 وبعدها . لا ينفعه : إشارة للفرار . موقر : منقل . كتّام الوجع :
صبور . الصيرفي : المحرّب . حسام السيف : شفرته . ذو غيث : سريع الاستجابة . الزفيان : السريع
الخفيف . الإنفاد : الذهاب . النفاذ . القرع : مفردھا قرعة وهي القربة . القذع : قبيح الكلام . ذو =

وقد يستعذب الشاعر وهم الجنى أو الجنية ، ويجد جمهوراً مغرماً بعجائبية الصلة بين الشاعر والجن ، فيجنح إلى أبعد نقطة من الخيال .. فتأبط شراً فخوراً بأنه تزوج من الغيلان :

أنا الذي نكح الغيلان في بلد ماطلّ فيه سماكي ولا جادا
في حيث لا يعتم الغادي عمائته ولا الظليم به يبغى تهياًدا
وقد لهوت بمصقول عوارضها بكر تنازعني كأساً وعنقادا
ثم اتقضى عصرها عني وأعقبه عصر المشيب فقل في صالح بادا⁽¹²⁾

ثم يزعم في موقف آخر أنه صادق الغول مفتخراً بذلك أمام صاحبتة سليبي التي شكت إلى جارتها أن (ثابت) وهو تأبط شراً أصبح شيخاً أقرب إلى القبر منه إلى عشق النساء :

تقول سليبي لـ جارتها أرى ثابتاً يفناً حوقلا
لها الويل ما وجدت ثابتاً ألفّ اليدين ولا زمّلا
ولا رعرش الساق عند الجراء إذا بادر الحملّة الهيضلا
... وأدهم قد جبت جلبابه كما اجتابت الكاعب الخيعلا
إلى أن حدا الصبح أثناءه ومزّق جلبابه الأيللا
على شيم نار تنورتها فبت لها مدبرا مقبلا
فأصبحت والغول له جارة فيا جارتا أنت ما أهولا
وطالبتها... فالتوت بوجه تهوّل فاستغولا
فقلت لها: يا انظري كي تري فولّت فكنت لها أغولا
فطار بقحف ابنة الجن ذو سفاسق قد أخلق الحملا
إذا كلّ أهميته بالصفّا فحدّ ولم أره صيقلا

عباب : موج كثير . الأذى والتيار : الموج . خط : مضطرب . القلع : الصخرة الكبيرة مشبه به للموجة !!

(12) تأبط شراً ، ديوانه وأخباره ق 9 ص 77 .

عظاءة قفر لها حلتان من ورق الطلح لم تغزلا
فن كان يسأل عن جارتي فإن لها باللوى منزلاً⁽¹³⁾

والخلاصة : إن كتب الأخبار ونصوص الشعراء نقلت إلينا أن الجاهليين كانوا يظنون أن الشاعر لا يستطيع أن يقول الشعر دون أن يلهمه الجني شعره ، وأن جن الشعر أو شياطينه وجدوا في وادي عبقر قرية يأنسون إليها ، ويسكنون فيها وذلك جزء من عقيدة ذلك العهد التي توحد بين الشاعر والساحر والنبى ، فللشاعر شيطانه ، وللشاعر رأيه ، وللنبى وحيه ، وقد أبطل الدين الإسلامى العظيم هذه الأوهام والأباطيل .. كما أبطل الكثير من المعتقدات الجاهلية الوثنية⁽¹⁴⁾ !!

(13) المصدر نفسه ق 27 ص 162 وبعدها ص 164 وبعدها .

اليفن : الشيخ الفاني . الحوقل : الزاهد بالنساء . الزمل : الجبان . الجزء : الركض . الهيضل : الجماعة من الناس ، والهيضل من النساء الضخمة والهيضل : الجيش . الخيعل : قيص بلا أكام . الكاعب : البنت . الأدم : الليل . جيته : دخلت فيه الأثناء : النواحي والجوانب . ليل أليل : شديد الظلمة . الشيم : النظر إلى البرق أو النار لمعرفة المصدر . تنور : أبصر النار . مدبراً مقبلاً : كناية عن الحذر والقلق فهو يتحرك حتى لا يفغل أو ينفس . الجارة : الزوج أو الخليفة . استفول : تلون وتغير . أغولا : فتاكاً . التفحف : عظم فوق الجمجمة . ذو سفاسق : السيف والسفاسة شطبة السيف أو طريقتة . أخلق الحمل : بليت حائله لثقله وكثرة لسه . كلّ : التعب والكلال . أمهيته : جعلته رقيقاً حاداً . الصيقل : المغن بشحد السيوف وجلائها . العظاءة : حشرة تشبه أبو بريص . الطلح : شجر . اللوى : موضع .

(14) الصانع : عبد الإله ، الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ص 28 .

الفصل الخامس

المعلقات وشعراؤها

المعلقات قصائد متميزة احتازت أهميتها البالغة في الوسط الأدبي بسبب جمال معانيها ومتانة مبانيها ، أنجزها شعراء كانوا نجوماً ساطعة في الزمن الجاهلي ، ولم يكن حب الناس لها وتعلقهم بها ؛ لأن شعراءها معروفون ومحبوبون ، فمثل هذا لم يكن ضمن مفردات الصلة بين الناس والشعر ، فالناس تبحث عن الشعر قبل الشاعر ، ولم يكن قد ظهر النقد المنافيق بعد ، فأم جندب كما تزعم الأخبار فضلت شعر علقمة على شعر زوجها امرئ القيس ، وعلقمة غريب وامرؤ القيس حبيب ، وعلقمة فقير وامرؤ القيس أمير !! فانتصار الذائقة الجاهلية كانت للشعر قبل الشاعر ، وذلك ما يشجعنا على القول : إن المعلقات هي أجمل قصائد طويلة في رأي جمهور زمانها ، وفي رأي جل الدارسين على تعاقب الأزمنة ومختلف الأمكنة ، فأساليبها مبتكرة حاذقة ، وصورها مؤثرة موقنة ، وعبارتها بسيطة عميقة ، وأخيلتها منجحة ، وعواطفها مشبوبة ، وموسيقاها مانوسة .

أما عدد المعلقات ففيه اختلاف ، جعلها تمتد من ست معلقات إلى عشر !! ولم نقرأ خبراً أتقصها عن الست أو زادها على العشر ! ولنلق نظرة عجلى على العلماء العرب والأجانب الذين اختلفوا في عددها :

☆ المعلقة الست :

1 - ابن الكلبي ، محمد بن السائب (ت 204 هـ) مقدمة شرح المعلقة السبع الطوال الجاهليات (ابن الأنباري) تح عبد السلام هارون ، طب دار المعارف بصر 1963 .

- 2 - الأَصْمعي . أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت 216 هـ) ، كتاب القصائد الست ، انظر الفهرست ص 79 .
- 3 - البطليوسي . أبو بكر عاصم بن أيوب (ت 464 هـ) ، شرح الأشعار الستة الجاهلية ، تح ناصيف عواد ، طب دار الحرية بغداد 1979 .
- 4 - المستشرق الورد . العقد الثين في دواوين الشعراء الستة الجاهلين ، طب ليدين .

☆ المعلقة السبع :

- 1 - أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210 هـ) : أصحاب السبع التي تسمى السمط ، نقلًا عن العمدة 96/1 .
- 2 - ابن قتيبة (ت 216 هـ) الشعر والشعراء 143/1 ، قال في معلقة عمرو بن كلثوم (وهي من جيد شعر العرب القديم وإحدى السبع) .
- 3 - ابن كيسان (ت 299 هـ) ، شرح السبع الطوال الجاهليات مخطوطة برلين رقم 7440 ، نقلًا عن بلاشير ، تاريخ الأدب العربي ص 175 .
- 4 - ابن عبد ربه (ت 327 هـ) ، العقد الفريد 259/2 ، تح أحمد أمين وصاحبيه ، طب لجنة التأليف مصر 1950 .
- 5 - القرشي . أبو زيد (ت القرن الرابع) ، جمهرة أشعار العرب ، طب دار صادر .
- 6 - الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم (ت 328 هـ) ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، تح عبد السلام هارون ، طب دار المعارف بمصر .
- 7 - القيرواني ، ابن رشيقي (ت 456) ، العمدة 96/1 تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، طب دار الجيل بيروت 1972 .
- 8 - الزوزني . أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت 486 هـ) ، شرح المعلقة السبع ، طب دار صادر بيروت 1958 .

- 9 - ابن خلدون . عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ) ، مقدمة ابن خلدون ص 581 ، طب مؤسسة الأعلمي ، بيروت (د : ت) .
- 10 - أبو سعيد الضرير وابن جابر ، شرح المعلقات السبع ، مخطوطة بدار الكتب العربية ، نقلاً عن د . يحيى الجبوري ، الشعر الجاهلي ص 119 .
- 11 - الجبوري ، د . يحيى ، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ص 111 ، طب بيروت 1972 .
- 12 - البهيتي ، نجيب محمد ، المعلقات سيرة وتاريخاً ص 5 ، طب دار الثقافة ، المغرب 1982 .

☆ المعلقات الثمان :

طبانة . د . بدوي معلقات العرب ، طب دار الثقافة بيروت 1974 .

☆ المعلقات التسع :

النحاس . أبو جعفر أحمد بن محمد (ت 338 هـ) ، شرح القصائد التسع المشهورات . تح أحمد خطاب العمر ، مط الحكومة بغداد 1973 .

☆ المعلقات العشر :

- 1 - التبريزي . أبو زكريا يحيى بن علي (ت 502 هـ) ، شرح القصائد العشر ، تح . د . فخري قباوة ، طب المكتبة العربية ، حلب 1973 .
- 2 - الشنقيطي ، أحمد بن الأمين (ت 1331 هـ) ، المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، طب دار الكتب العلمية ، بيروت 1997 .

ونحن نرجح أن عدد المعلقات لا يزيد عن السبع ، بسبب من قداسة رقم سبعة عند العرب ، فثمة أيام الأسبوع ، وسبعة العريس وسبعة الميت ، وسبعة الختان ، وثمة العجائب السبع ، والسموات السبع ، والأرضين السبع ، والقراءات السبع ، حتى قيل :

إن العرب سبعمون⁽¹⁾ وقد تقبل الدارسون فيما بعد الترقيم العشري للمعلقات كما تقبلوا التسميات العديدة للمعلقات ! فهي المعلقات والسموط ، والمذهبات ، والسبعيات ، والمشهورات ، والسبع الجاهليات والمنتقيات ، والسبع الطوال ، والقصائد الطوال .

أما شعراء المعلقات ومطالع قصائدهم فكما يلي :

1 - امرؤ القيس (قفا نيك) :

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

2 - طرفة بن العبد (لخولة أطلال) :

لخولة أطلال ببرقة ثمهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

3 - زهير بن أبي سلمى (أمن أم أوفى) :

أمن أم أوفى دمننة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلّم

4 - لبيد بن ربيعة العامري (عفت الديار) :

عفت الديار محلها فقامها بنى تأبّد غولها فرجامها

5 - عنتره (هل غادر الشعراء) :

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهم

6 - الحارث بن حلزة اليشكري (آذنتنا بينها أسماء) :

آذنتنا بينها أسماء ربّ ثاو يملّ منه الثواء

7 - عمرو بن كلثوم التغلبي (ألا هي) :

ألا هي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

(1) الصائغ ، الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام (سلطان الأعداد) 49 .

- 8 - ميمون بن قيس البكري : الأعشى (ودع هريرة)
 ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطبيق وداعاً أيها الرجل
- 9 - النابغة الذبياني (يادارمية) :
 يادارمية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد
- 10 - عبيد بن الأبرص (أقفر من أهله) :
 أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

ونحن غير ميالين إلى اعتداد عبيد بن الأبرص صاحب معلقة ! لأن بائته ليست بمستوى المعلقات ، فهي محرومة من جمالي المعنى والمبنى وهي إلى هذا مضطربة معنى وإيقاعاً ، وربما وضع اسمه في قائمة شعراء المعلقات نكايه بملك الحيرة الذي رضي لمملكته أن تأتمر بأمر الأكاكرة !! وتعاطفاً مع موت عبيد المأساوي « وكان عبيد شاعراً جاهلياً قديماً من المعمرين وشهد مقتل حجر أبي امرئ القيس ! وقتله النعمان بن المنذر يوم يؤسه ، ويقال : إنه لقيه يومئذ فقال له هلا كان هذا لغيرك يا عبيد ! أنشدني فرمياً أعجبني شعرك ، فقال له عبيد : حال الجريض دون القريض »⁽²⁾ .

يقول ابن سلام : « وشعره مضطرب ذاهب »⁽³⁾ والقدماء يقولون : إن قصيدة (أقفر من أهله) في أصله خطبة ثم استقام لها الوزن !! وقد يلاحظ الدارس انكسارات في الوزن ، وقال فيها أبو العلاء المعري :
 وقد يخطئ الرأي امرؤ وهو حازم كما اختل في وزن القريض عبيد⁽⁴⁾

(2) ابن قتيبة. الشعر والشعراء 166/1 ، الجريض : الموت . القريض : الشعر .

(3) الجمحي . طبقات الشعراء 79 .

(4) التبريزي . شرح القصائد العشر ص 323 قارن هامش (2) .

تقويم المعلقات

قال ابن خلدون (ت 808 هـ) في مقدمته ضمن الفصل التاسع والأربعين الخاص بـ (ترفع أهلى المراتب عن انتحال الشعر) ما يلي :

اعلم أن الشعر كان ديواناً للعرب ، فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم ، وكان رؤساء العرب منافسين فيه ، وكانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده ، وعرض كل واحد منهم ديابجته على فحول الشأن وأهل البصر ؛ لتمييز حوله ، حتى انتهوا إلى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت إبراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والأعشى وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع ، فإنما كان يتوصل إلى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانته في مضر على ما قيل في تسميتها بالمعلقات . ١ . هـ (5) .

وقد مسّ ابن خلدون شغاف المعلقات وأثرها في أفئدة جمهور الشعر عهد ذاك ، بل إن الجماهير العربية الجاهلية كانت جماهير شعر ، وكان الشعر معبراً عن عواطفهم وأحلامهم ورغباتهم ورهباتهم ، ولم يرتق أي فن أو شأن مراقبي الشعر ، وموضع افتراقنا مع ابن خلدون ، رحمه الله ، هو أنه أوكل شهرة المعلقات وتعليقها على قدرة الشاعر (بقومه وعصبيته ومكانته في مصر) وهذا القول ينتقص من قيمة المعلقات وشعرائها بقدر ما ينتقص من ذائقة جمهور الشعر ومروءتهم .

والذي نراه دون تردد هو أن المعلقات كانت ذات جاذبية لا تقاوم ، فأحبها العربي والأعرابي والشامي والجنوبي .. دون أن تتدخل عوامل العصبية القبلية أو المكانية ، قارن رأي الدكتور يحيى الجبوري « المعلقات قصائد طوال جياذ ، اختيرت من أحسن الشعر الجاهلي ، قوة ومثانة وجمال أسلوب ، فهي الصورة الناضجة الكاملة التي انتهت

(5) انظر ص 580 .

إليها تجارب الجاهليين في التعبير الأدبي ، ولذلك غطت شهرتها ما سواها من الشعر الجاهلي ؛ وصار لقائلها من الذكر والشهرة ما لم يظفر به غيرهم من الشعراء ، واتخذها الأدباء والشعراء - قدوة يحاكونها حين ينظمون ، متأثرين بأسلوبها ولغتها ، وطريقة نظمها ، وتسلسل أفكارها ، محاولين أن يبلغوا في قصائدهم مبلغ أولئك الجاهليين في معلقاتهم »⁽⁶⁾ .

وقد ضغطت مقولة الدكتور يحيى الجبوري على ورقة مهمة هي أن جمال المعلقات كان مسوّغ عناية جمهور الشعر بها ، وقد رجّح الدكتور الجبوري المعلقات على سواها من الشعر الجاهلي ، وهو أمر يتفق مع آليات تحليل النص بيد أن غلق الباب وراء المعلقات ، يلحق حيفاً بقصائد غير قليلة سبقتها ، أو عاصرتها أو عقبتهها .. فثمة قصائد كثيرة لها قوة المعلقات وشعريتها .. يقول الدكتور ريجس بلاشير : « إن المكانة التي أفردتها علماء المسلمين لمجموعة المعلقات الصغيرة قد أسهمت إلى حد بعيد في تغبيش الرؤية أمام النقد الغربي ، ولا تعتبر القصائد المذكورة بالرغم من شهرتها أكثر بقايا الشعر الجاهلي قدماً وصحة .. ولعل من الحذر ألا نرجحها على غيرها من النتاج الشعري الذي قد يكون أقل ألقاً ، ولكنه أدل على التفجر العفوي للشعر »⁽⁷⁾ .

إن المعلقات قصائد مهمة حقاً ، يقتضينا تقويمها الإمام بطبيعة هذه المعلقات وشعريتها بمنظور لا يعتسف طريقة الجاهليين في تقويم الشعر .. ولنا أن نقترح عدداً من الإشارات التي تؤوّل أهمية هذه القصائد النفيسة :

1 - أجمع أهل الجاهلية على انتقاء هذه القصائد دون غيرها ، رغم استحالة الإجماع أو صعوبته نظراً للعصبيات وتعدد الولاءات فالمعلقات ثمرة الذائقة الجمعية التي يعتدها المنهج الإحصائي مؤشراً كبيراً .

(6) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ص 111 .

(7) تاريخ الأدب العربي ص 178 (م . س) .

2 - حذق شعرائها لأفانين التأثير في المتلقين بمخاطبة حساسياتهم الجمالية حتى حدا الأمر بعنقته وهو الشاعر الفنان إلى تحدي الشعراء بمعلته :

هل غادر الشعراء من مترد أم هل عرفت الدار بعد توهم

أما الأعشى فقد كان مولعاً بتغريب قصيدته ، حتى لا تشبه القصائد ، وإحكام أسبابها ، لتشغل الملوك والكافة فيتساءلون عن قائلها :

غريبة تأتي الملوك حكيمة قد قتلها ليقال من ذا قائلها

بعض الشعراء وقف باكياً ومستبكياً ! والآخر بدأ معلته بالسؤال ، والثالث توجع وتفجع ، والرابع استرجع الماضي ، والخامس خلط المجاز بالواقع ، والحديث يطول في ابتكارات المعلقات التي استحوذت بها على إعجاب جماهير غفيرة ..

3 - جماليات الموسيقى ، ابتداء بالبحر مروراً بخارج الحروف وصلاتها ببعضها وانتهاء بالثقافية مع ملاحظة التقابلات النغمية بين العبارات والكلمات والصيغات ..

4 - ولع المعلقات بالتصوير الفني فهي تصف بمهارة عالية المفردات التي تدخل في دائرتها ، فنرى مع الشاعر ونسمع ونشم ونذوق ونلمس ، بل نأسى ونفرح أيضاً ، لقد استثمرت المعلقات طاقات الحواس الخمس في استقبال الصور وتلوينها ، وتكفي الإشارة إلى فرس امرئ القيس الذي انحدر من الأعالي مثل صخرة جرفها السيل ..

5 - سلاسة الأسلوب وجزالته ، بالابتعاد عن الكلمات الغريبة الكزة ، وخلوص العبارة من المعاضلة والتعقيد مع وضوح العبارة وذكاء الإشارة .

6 - وحدة البيت ، وهذا الموضوع ليس حكراً على المعلقات ، وإنما هو سمة في الشعر التقليدي بيد أن المعلقات أكثر عناية بوحدة البيت بحيث يبدو البيت مغتنياً بنفسه عن البيت السابق والبيت اللاحق ، ووحدة البيت لا تؤدي إلى تفكيك وحدة الموضوع ، أو الوحدة العضوية كما تهبأ لعدد من الدارسين ، بل إن وحدة البيت تسهم بفاعلية فذة في شد القصيدة إلى بعضها وإحكام بنيتها العميقة والظاهرة ..

7 - وحدة الموضوع ، فكل معلقة ترصد موضوعاً بعينه تدور حول محوره ، وهذه الوحدة لا تلغي وجود وحدات صغيرة تتجادل مع بعضها ، وتتجاوز ثم تتقارب ، وتتكاثر لتشكّل الوحدة الكبرى (القصيدة) ، وما أشبه وحدة القصيدة بالجدار المتناسك المتألف من وحدات أصغر هي الآجرات ! ووحدة الموضوع ليست مقصورة على المملقات ، بل هي مرة أخرى الصفة العامة للشعر الجاهلي لكن المملقات أكثر تشبهاً من سواها بهذه الوحدة .

8 - حافظت المملقات على وحدة اللغة الشعرية ، فتخففت من أعباء اللهجات حين أصّر شعراؤها على كتابتها وفق لغة قريش ، متناسين لهجاتهم واشتراطاتها الدلالية والصوتية ، فشعراء اليمن وكندة والحيرة واليمامة وبصرى ودومة الجندل وغيرهم ، تخلوا عن لغاتهم وكرّسوا لغة قريش حتى يفهم قصائدهم القاصي والداني فأسهلوا في بناء وحدة العرب اللغوية والذوقية .

9 - المملقات (نصوصاً) قدوة الشعراء الذين جايلوها أو جاؤوا بعدها .. فأضحت تقليداً حمل الشعراء على محاكاته وتمثله والإضافة إليه ! ومعلوم أن القصيدة الناضجة جمالياً والناجحة جماهيرياً تكون موضع اهتمام الشعراء الطامحين بمجد كمجدها ، فهم يدرسونها ويحلّلونها ، ليكتشفوا أهم قيمها الدلالية والجمالية ، ليكتشفوا مانسيه الآن (الشعرية) ، وبهذا خلقت المملقات نشاطاً شعرياً وحضارياً منقطع النظير بسبب جاذبيتها !

10 - وجد عدد من علماء النغم (د . إبراهيم أنيس مثلاً) أن للمعلقة وسيلة استثنائية في المزج بين المعنى والمبنى لتوليد حالة ثالثة عالية الشعرية ، فقد تجاوزت البحور والقوافي وعوائل الحروف مع همّي القصيدة : الجمالي والدلالي ، حتى ليكن القول : إن معلقة عمرو بن كلثوم لا يمكن أن تكون بهذه الجودة ، لو لم تكتب على الوافر وتنتقي النون مشبعة الفتحة ، وأن امرأ القيس أحسن تماماً في انتقاء الطويل بجرأ لقصيدته واللام قافية .. وهذه إشارات يفقهها محللو النص ! قارن الآتي :

جدول (١)

المعلقة نسبة الى الشاعر	عدد المعلقات	البحر	الترتيب
امرؤ القيس - زهير - طرفة	3	الطويل	1
النابعة - الأعشى - عبيد بن الأبرص.	3	البسيط	2
لبيد - عنتره.	2	الكامل	3
الحارث بن حلزة.	1	الخفيف	4
عمرو بن كلثوم.	1	الوافر	5

جدول (٢)

المعلقة / الشاعر	العدد	القافية	الترتيب
(لخولة أطلال - طرفة) (يادارمية - النابعة)	2	د	1
(أمن أم أوفى - زهير) (هل غادر الشعراء - عنتره)	2	م	2
(قفا نبك - امرؤ القيس) - (ودع هريرة - الأعشى)	2	ل	3
(عفت الديار - لبيد)	1	هـ	4
(الاهبي - عمرو بن كلثوم)	1	ن	5
(أقفر من أهله - عبيد)	1	ب	6
(آذنتنا بينها - الحارث)	1	د	7

المعلقات بين دلالاتي اللغة والاصطلاح

(فكرة التعليق على أستار الكعبة)

تكتنز مادة (علق) دلالات وفيرة تبدو مؤتلفة أحياناً ، ومختلفة أخرى ، بيد أن لها قواسم مشتركة في الأغلب الأعم نحو :

١ - علق : أمسك وتشبث ... قال الأعشى ، ثم قال امرؤ القيس :

+ علقته عرضاً وعلقت رجلاً غيري وعلق أخرى غيرها الرجل
وعلقته فتاة ما يحاولها من أهلها ميت يهذي بها وهل
وعَلَّقْتَنِي أخيراً ماتلأمني فاجتمع الحب حبا كله تبيل
+ تعلّق قلبي طفلة عربية تنعم بالديباج والحلي والحلل

2 - العَلِقُ (كسر العين سكون اللام) : الشيء النفيس والأعلاق النفائس ويسمى الحجر الكريم الثمين الذي يتوسط القلادة عِلْقاً ، وينقل بلاشير من (Lgall) : « إن المعلقات مشتقة من العَلِقُ وهو ما يضمنُ به من الأشياء والحلي والثياب ، ومما يدعو إلى قبول هذا الرأي أن ابن رُسْتِه أحد جغرافيين العرب في القرن الثالث للهجرة أسمى كتابه (الأعلاق النفيسة) فعنى المعلقات إذن عقود من أحجار كريمة تعلق »⁽⁸⁾ .

3 - العَلَقُ (فتح العين واللام) حشرة دودية طفيلية استعملها الأطباء منذ عهد الأكديين والآشوريين ، لامتصاص القيح من الدملة .

4 - العَلَقُ (فتح العين وسكون اللام) : معضد أو مقلد من قماش أو معدن يتفاءل به الناس ظناً منهم أنه يقيهم شرور الحسد والمرض والجن ولونه الغالب أخضر أو أسود .. وهذه عادة جاهلية ، وقيل : بابلية ، فكان البابلي يلبس معضداً من غصن الغار ، أو يشد به رأسه ، أو وسطه لكي يستجلب الخير لنفسه وأحبائه .

(8) بلاشير ، تاريخ الأدب العربي 176 .

5 - وللتعليق دلالات كثيرة (لسان العرب) علق بينها :

- × بقاء القول في الذاكرة والقلب .
- × كتابة القول المهم وتعليقه على الحائط ، أو وضعه في خزانة .
- × تأجيل البت في الأمر .
- × صناعة هامش تفسيري أو تأويلي للنص الأدبي .

وقد مرّ بنا أن النعمان بن المنذر وسواه من الملوك ، كان شغوفاً بالشعر فإذا سمع قصيدة وأعجبته أمر بتعليقها ، « ويعتقد - فون كيرير - أن الكلمة مشتقة من علق أي كتب ، ويسوّغ ذلك تنقل تلك القصائد عن طريق الرواية الشفهية التي أعقبها التدوين !! » .

ويعلّق المترجم د . إبراهيم الكيلاني على اعتقاد فون كيرير قائلاً : « إن هذا التعليل لا يتفق وعادة العرب المغرمين بالعناوين المجازية ، فإذا كان المستشرق المذكور يعتمد على عبارة ابن النحاس التي وضعها على لسان أحد ملوك العرب القدماء الذي كان إذا استحسن قصيدة قال علقوها ، وأثبتوها في خزانتها (زيدان 90/1) فإنه وضع تسمية مكان أخرى كما أن فعل (علق) بمعنى (دوّن) استعمال متأخر مقصور على أوساط النسخ ، فهي إذن تسمية أطلقها الأدباء ، ولا يسعنا إلا رد مصدر التسمية التي اقترحها أهلوارد القائل بأن المعلقة معناها تعلق معنى البيت بيت يليه ! ليس ذلك ما هو كائن في كل قصيدة ؟ ولماذا نسب هذا الاسم إلى القصائد المذكورة ولم ينسب إلى غيرها ؟ »⁽⁹⁾ .

أما المعلقة في الحقل التواضعي ، الاصطلاحي ، فهي كما أشرنا قصائد جاهلية طويلة وجميلة ، أنجزها شعراء كبار ، فاتفق العرب على جمال عبارتها ، ومعناها ، وموسيقاها ، وجدة أسلوبها ، وقوة أثرها ، واختلف الدارسون قدامى ومحدثون حول عددها فهي كما مرّ بنا ست معلقة ، وسبع ، وثمان ، وتسع ، وعشر ، والاختلاف

(9) المرجع نفسه ص 176 .

رحمة ! واختلف الدارسون أيضاً في تعليقها على أستار الكعبة ، أو على القباطي نسبة إلى قماش مصري تكسى به الكعبة كل عام ، فمن مؤكد على أن هذه القصائد علقّت على أستار الكعبة إلى رافض فكرة التعليق جملة وتفصيلاً .. وإذا اتفق الدارسون على عدد معين للمعلقات فإنهم ضمن هذا العدد لم يتفقوا على الشعراء المنضوين ضمن هذا العدد !! يقول بلاشير : « إن الخلافات عديدة حول عناوين القصائد التي تؤلف مجموعة المعلقات ، وكذلك حول أسماء الشعراء ، فإن قصائد امرئ القيس وزهير وليبد موجودة في المجموعات كافة شكلاً وترتيباً ، ولعل ذلك يؤلف النواة الأصلية للمجموعة التي أضيفت إليها فيما بعد قصائد أخرى بدوافع ونوازع أدبية وسياسية ، والأصمعي عرف في زمنه مجموعة مؤلفة من ست قصائد ، كما أن أبا عبيدة عرف مجموعة مؤلفة من سبع قصائد ، وأيد ابن قتيبة وصاحب الجهرة هذا العدد ، غير أن الأخير يستثني منها قصيدة عنتره فيكون التحقيق كما يلي : قصيدة امرئ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والأعشى ، وليبد ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة بن العبد . ويظهر على هذا الإحصاء سلطة أبي عبيدة الذي أوجد في هذا التسلسل نوعاً من التسلسل القيمي .

ونجد عدد السبعة عند ابن النحاس ، ولكن التحقيق يختلف عنده فهو يذكر قصائد امرئ القيس ، وطرفة ، وزهير ، وعبيد ، وعمرو بن كلثوم ، والحارث ، وعنتره ، مستثنياً قصيدة النابغة لشكه في صحتها والتي استعيض عنها بقصيدة عنتره المشهورة ، كما أنه لأسباب سياسية ألحقت بقصيدة عمرو بن كلثوم المجدة لتغلب قصيدة الحارث المجدة لبني بكر ، ونجد عند الزوزني تأكيداً لعدد السبعة مستنداً بذلك على تحقيق ابن النحاس ، وأخيراً ففي زمن يصعب تحديده ، ولعله زمن ابن النحاس نفسه مزج بين تحقيق الجهرة وتحقيق ابن النحاس ، وأصبح ما جمعه وحققه الأخير بداية المعلقات مضافاً إليها المعلقة الثامنة والتاسعة ، وقصيدتي النابغة والأعشى اللتين هما الثالثة والرابعة في الجهرة وبعد مضي عشرين عاماً جاء شارح آخر هو التبريزي (ت 502) فأحصى عشر معلقات ، سبعة من جمع ابن النحاس مضافاً إليها قصيدتا

الناطقة والأعشى ثم قصيدة مشهورة للبيد⁽¹⁰⁾ ، أما فكرة تعليق المعلقات على أستار الكعبة فلا يوجد دليل علمي قاطع على أنها علفت أو أنها لم تعلق ، وكل فريق من هذين الفريقين (الذي يقول بالتعليق والذي لا يقول) إنما اعتمد على أدلة تخمينية يؤدي الحدس فيها وظيفة لا تخفى وإن تطرف كل فريق إلى الحد الذي يقذف فيه الفريق الآخر بالعمه والضلال والسخف ، قارن تعبيرات العلامة نجيب محمد البهيتي وهو من الفريق الذي يقول بتعليق المعلقات على أستار الكعبة !!

1 - أثبت للرافعي ولأتباعه أنهم خدعوا أنفسهم حين استندوا في إنكارهم (فكرة تعليق المعلقات على أستار الكعبة) على توقف الشراح عند تسميتها بـ (السبع الطوال) وعدم تسميتها بـ (المعلقات) ..

2 - وقد لجأ تابعوه إلى محاولة باغية برمي ابن الكلبي المؤرخ بالكذب .

3 - إنه (ابن الكلبي الذي قال بالتعليق) كان عرضة لطمع سفیه باطل في القديم وفي الحديث المعاصر .

4 - اتهم البهيتي الفريق الذي لا يرى تعليق المعلقات على أستار الكعبة بـ « فساد المنهج وفساد في القياس والاستدلال وجهل بمنزلة المراجع والمصادر »⁽¹¹⁾ . فإذا كان الأستاذ البهيتي ، وهو العالم الجليل يعبر عن حماسه لفكرة تعليق المعلقات على أستار الكعبة بعبارات قاسية ومتحاملة فما بالنا بأولئك الذين يقرزمون الكتابة في الأدب الجاهلي ، ويتعلمون الكتابة فيه كما يتعلم الصبي الضال أسباب النضج والبلوغ !! ولسوف نقتبس توليف الدكتور يحيى الجبوري الخاص بفكرة التعليق نظراً لأهميته وريادته « إن أقدم الرواة الذين أشاروا إلى التعليق صراحة هو ابن الكلبي (ت 204)

(10) بلاشير . تاريخ الأدب العربي ص 177 وبعدها ، وإنما تمادينا في الاقتباس لاكتشافنا أن معظم الدارسين العرب اعتمدوا كلياً أو جلياً أو بعضياً على جهد بلاشير دون أن ينهوا بجهوده القيمة !!

(11) البهيتي ، نجيب محمد ، المعلقات سيرة وتاريخاً ص 6 - 8 ، طب دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب

فقد قال : أول شعر علق في الجاهلية شعراً مريئ القيس ، علق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نظر إليه ثم أحدر فعلمت الشعراء بعده ، وكان ذلك فخراً للعرب في الجاهلية ، وعدوا من علق شعره سبعة نفر « ا. ه .

وقال¹² بالتعليق كذلك ابن عبد ربه (ت 327 هـ) : « لقد بلغ من كلف العرب به وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تختيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة ، وعلقتها بين أستار الكعبة » ا. ه .

ونص على التعليق أيضاً ابن رشيح القيرواني (ت 456 هـ) فقال : « وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب ، وعلقت على الكعبة » ا. ه .

وتابعهم بعد ذلك ابن خلدون (ت 808 هـ) الذي قال : « إن التعليق كان بأركان البيت الحرام » ا. ه .

وقد شرح البغدادي (ت 1093 هـ) معنى المعلقة بأنه الشعر المعلق على ركن من أركان الكعبة ا. ه .⁽¹²⁾

ويسلّط الدكتور الجبوري الضوء على أن هذه النصوص أعلاه التي أوردتها تشير علانية إلى فكرة تعليق المعلقات على أستار الكعبة ، بيد أن هناك نصوصاً أخرى لعلماء تكلموا في المعلقات لم تشر إلى فكرة التعليق ، وهؤلاء هم ابن سلام الجمحي (ت 232 هـ) ، والجاحظ (ت 255 هـ) ، وابن قتيبة (ت 276 هـ) ، والمبرد (ت 285 هـ) ، وابن الأنباري (ت 328 هـ) ، وأبو جعفر النحاس (ت 347 هـ) ، والأصفهاني (ت 356 هـ) ، والباقلاني (ت 403 هـ) وغيرهم .

ولاحظ أن هناك فريقاً ثالثاً من العلماء أنكروا فكرة التعليق تماماً وفي طبيعة أولئك أبو جعفر النحاس الذي قال في شرحه للمعلقات : « إن الملك إذا استحسّن

(12) الجبوري . د . د . يحيى ، الشعر الجاهلي ص 116 .

قصيدة قال : علقوا لنا هذه وأثبتوها في خزانتي ، وأما قول من قال : إنها علقت بالكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة .

وقد استفاد أبو البركات بن الأنباري من جهد النحاس فقال : « ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة » .

وقد استفاد من جهد النحاس كذلك ياقوت الحموي في مبحث ترجمته لمحامد .

أما المعاصرون فثمة من أنكر فكرة التعليق مثل مصطفى صادق الرافعي في تاريخ آداب العرب 192/3 ، وأحمد الحوفي ، وشوقي ضيف .

أما المستشرقون الذين أنكروا فكرة التعليق فهم نيكلسون وهنجستنبرج وهوار⁽¹³⁾ . وقد حاول الدكتور بدوي طبانة إثبات فكرة تعليق المعلقات على أستار الكعبة وتفنيد الآراء التي رفضت فكرة تعليق المعلقات وساق أدلة عقلية وعقلية⁽¹⁴⁾ ، لكن المحاولة الكبرى كانت من نصيب الأستاذ البهبهتي ، فقد ذكر الآراء التي اعترضت على فكرة تعليق المعلقات على أستار الكعبة ، وحاول تنفيذها بالأدلة العقلية والنقلية ، ثم عدّد الأسباب التي تجعله موقفاً بفكرة تعليق المعلقات على جدران الكعبة ، وذكر التقليد القديم في تعليق الأشياء المقدسة والجميلة في أبواب المعابد ، والقصور الملكية . مذكراً بأسطورتني جلجامش وحيخافي العلي ، فأصدر كتاباً باسم (المعلقات سيرة وتاريخاً) ، وأصدر كتاباً آخر بجزأين أسماه (المعلقة العربية الأولى) .

إن كتابنا ميّال إلى فكرة تعليق المعلقات على أستار الكعبة لأنها توافق المزاج العربي ، وطبيعة ذلك الزمان ، فعندما دخل النبي ﷺ يوم الفتح إلى الكعبة وجد على جدرانها رسومات لسيدنا إبراهيم وهو يستقسم بالأزلام ووجد أيضاً قرن الكباش معلقاً في أعلى الجدار ! وثمة أشياء عزيزة على الجاهليين أخرى كانت معلقة ، وقد ذكرها

(13) نفسه ص 116 وبعدها ..

(14) طبانة ، د . بدوي ، معلقات العرب ، طبعة الرسالة مصر 1958 .

الأزرقى في كتابه (أخبار مكة) ، بيد أننا لانرجح التعصّب لهذا الرأي أو تقيضه ، لعدم توفر وثيقة علمية تثبت فكرة التعليق أو تنفيها . وسواء علقت المعلقات أو لم تعلق فإن المهم هو أن هذه القصائد خلدت ، وعلقت في قلوب العرب على اختلاف الأزمنة والأمكنة وذلك حسبها ..

المعلقات : تراجم ومختارات

لا يمكن لأي دارس الاكتفاء بالجانب التشريحي من تاريخية اللغات والاختلافات والائتلافات بشأن عددها ، وتعليقها ، وأسامي شعرائها ، فذلك أمر يمثل هامشاً في ظاهرة المعلقات ، ويبقى الجانب الأكثر أهمية هو تسليط الضوء على شعرائها ، وأجوائها ، ومنتخبات منها .

وقد رأينا من باب إتمام الفائدة صناعة جدول بالمظان التي توفر المعلومات عن الشعراء وأجواء المعلقات وتثبت النصوص لكي يعود إليها الراغب في الاستزادة ..
قارن :

التسلسل	اسم القاع	ابن سلام الجمعي	ابن قتيبة	ابو الفرج الاصبهاني	شرح القصائد العشر	العلقات العشر	جورجي زيدان	بطرس البستاني
1	امرؤ القيس	59	73/1	6/8	2	15	93/1	ت: 1389 الشعر الجمالي
2	طرفة بن العبد	78	108/1	-	55	27	109/1	
3	زهر بن أبي سلمي	59	84/1	139/9	101	41	98/1	
4	ليبد بن ربيعة	77	171/1	90/14	129	51	105/1	
5	عنزة العسبي	86	157/1	141/7	176	83	111/1	
6	عمرو بن كلثوم	85	141/1	؟	215	67	107/1	
7	الطارت بن حلزة	85	116/1	171/9	249	97	108/1	
8	الأعشى	59	159/1	50/5 . 74/8	287	107	103/1	
9	النايعة الديلمي	59	87/1	154/9	307	127	100/1	
10	عبيد بن الأبرص	79	166/1	84/19	323	143	114/1	

إشارة : المصادر أعلاه لا تعني عن الدواوين الخفية والدواوين الخفية لا تعني عن المصادر العبيدة.

جدول (أ)

التسلسل	اسم الشاعر	وفاة الشاعر بعد الميلاد استناداً إلى لويس شيخو وجرجي زيدان	وفاة الشاعر قبل الهجرة وبعد الميلاد، استناداً إلى الشقيطي
1	امرؤ القيس	540-	565-80
2	طرفة بن العبد	500-	552،550-70
3	زهر بن أبي سلمى	615-	608-14
4	ليبد بن ربيعة	662-	660-40
5	عنبرة العيسى	615-	600-22
6	عمرو بن كلثوم	600-	570-52
7	الحارث بن حلزة	580-	570-52
8	الأصمى	629-	629-7
9	النايفة الذيباني	604-	604-18
10	عبيد بن الأبرص	555-	565 (!!) -- 605 (!!)

جدول (ب)

امرؤ القيس

أشهر شعراء عصره ، وهو ابن ملك كندة وجده حجر بن عمرو آكل المرار ، وكندة بطن من كهلان ، موطنهم البحرين والمشقر ، ثم أجلوا عنها إلى حضرموت ، وقد نزع حجر إلى نجد ، ونزل بطن عاقل أوائل القرن الخامس ميلادي ، ونافسهم اللخميون (المناذرة) على النفوذ والجاه بين العرب ، وما إن تغير كسرى قباد على المنذر بن ماء السماء حتى وثبت كندة على بني المنذر ، فتملك الحارث بن عمرو بن حجر ملك المناذرة بأمر من كسرى ، وقد دانت العرب للحارث ، فولّى أولاده الأربعة على القبائل ! وانتقل الأمر على الحارث بعد موت قباد ، وتولى أنوشروان حكم فارس ، وكان أنوشروان ميالاً للمناذرة فاقتتل الكنديون والمناذرة فقتل الحارث ، واختصم أولاده الأربعة بعده على الجاه والأموال واقتتلوا ، فقتل اثنان ، وبقي اثنان : هما حجر والد امرئ القيس ومعد يكر ب أمير قيس وانتهز بنوأسد السانحة فثاروا على حجر وقتلوه ، وكان امرؤ القيس حين بلغه نبأ مقتل أبيه في ناد للهو ... فنسب إليه قوله : « اليوم خمر وغداً أمر » .

وحيث أراد امرؤ القيس استنصار القبائل العربية على قتلة أبيه ومساعدته في عودة ملك كندة تخلت عنه العرب ، وتذكرت عبثه ومجونه واستهتاره بنسائهم ، وكيف ضاق به أبوه ، وطلب إلى الجلاد أن يذبحه على قنة الجبل ، ويجلب له عينيه على طبق . وقد تجول في اليمن ونجد والحجاز متنكراً يبحث عن النصير ، فأخفق وتعرض للقتل وخشي على حياته وعائلته وأمواله .. فلجأ إلى السموءل بن عادي صاحب حصن الأبلق فأحسن السموءل استقباله وأجاره .. ثم ترك أمواله وعائلته وديعة عند السموءل وغادر هو وصديقه الشاعر عمرو بن قميئة إلى الروم لطلب النجدة من قيصرها وقد

توسط بين القيصر وامرئ القيس الحارث بن شمر الغساني صديق الاثنين .. وقد رحب القيصر بالشاعر الكندي ووعده بجيش جرار وأموال حتى يعيد الملك لكندة ويعاقب بني أسد قتلة أبيه .. إلا أن القيصر كان متقلباً ، ويعتمد على جيش من الجواسيس ونقله الأخبار .. فأنهاى إليه أن امرأ القيس شتم القيصر وأباه وأنه أقام علاقة غير شرعية بابنته .. وهكذا أعلن القيصر أمراً وأبطن آخر ، فطلب إلى امرئ القيس أن يعود إلى بلاده وأن يقيم في أنقرة بعض الوقت حتى يلتحق به الجيش الرومي ! ثم أهدى له حلة مسمومة ، وحين أقام في أنقرة جنب جبل عسيب .. اغتسل وارتدى الحلة ، فتناثر لحمه وتقرّح فسُمّي ذا القروح ، وذكر لويس شيخو نقلاً عن كتاب قديم مخطوط .. أن القيصر ندم على غدره بمن استجار به وحزن (يوستانيوس) وهذا اسم القيصر حزناً عظيماً وقتل الوشاة ، وأقام له تمثالاً على قنة جبل عسيب شاهده المأمون عندما غزا تلك الديار .

أما المعلقة فهي مجموعة صور تنقل لنا لقاء مع حبيبته وابنة عمه عنيزة بنت شرحبيل ، وكان أمر حبهما قد افتضح فتعذّر اللقاء وكان من عادة الظاعنين أن تسبق جمال الرجال هودج النساء فتخلف الشاعر وانتظر حتى نزلت النساء عند غدير تحيطه دائرة من الرمال المرتفعة يسمى دارة جلجل ، وهو قريب من منازل كندة فالتقى عنيزة وصويجاتها ونحرهن ناقة وسوى خدمه اللحم لهن .

☆ معلقة (قفا نيك) . عدد أبياتها (77) بيتاً . البحر : طويل . القافية : ل

- 1- قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل
 - 2- فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
 - 3- ترى بعرا الأرام في عرصاتها
 - 4- كأني غداة البين يوم تحملوا
 - 5- وقوفاً بها صحي علي مطيهم
 - 6- وإن شفائي عبرة إن سفحتها
 - 7- كدأبك من أم الحويرث قبلها
 - 8- ففاضت دموع العين مني صباة
 - 9- ألا ربّ يوم لك منهن صالح
 - 10- ويوم عقرت للعذارى مطيتي
 - 11- فظل العذارى يرتمين بلحمها
 - 12- ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة
 - 13- تقول وقد مال الغبيط بنا معاً
 - 14- فقلت لها سيري وارخي زمامه
 - 15- ويوماً على ظهر الكثيب تعذرت
 - 16- أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل
 - 17- وإن كنت قد ساءت مني خليقة
 - 18- أغرك مني أن حبك قاتلي
 - 19- وماذرفت عيناك إلا لتقدحي
 - 20- وبيضة خدر لا يرام خباؤها
 - 21- تجاوزت حرّاساً وأهوال معشر
 - 22- إذا ما ظلثريا في السماء تعرّضت
- بسقط اللوى بين الدخول فحومل
لما نسجتها من جنوب وشأل
وقيعانها كأنه حب فلفل
لدى سمراة الحي ناقف حنظل
يقولون لا تهلك أسى وتجمل
وهل عند رسم دار من معول
وجارتها أم الرباب بمأسل
على النحر حتى بلّ دمعي عملي
ولاسيا يومّ بدارة جلجل
فيا عجباً من رحلها المتحمل
وشحم كهذاب الدمقس المفتل
فقال لك الويلات إنك مرجلي
عقرت بعيري يا أمراً القيس فانزل
ولا تبعديني من جناك المعلل
عليّ وآلت حلقة لم تحلل
وإن كنت قد أزمت قتلي فأجلي
فسليّ ثيابي من ثيابك تنسل
وأنك مها تأمري القلب يفعل
بسهميك في أعشار قلب مقتل
تمتعت من لهو بها غير معجل
عليّ حراسٍ لو يسرون مقتلي
تعرض أثناء الوشاح المفصل

- 23- فجئت وقد نضت لنوم ثيابها
 24- إذا التفتت نحوى تضحوى ريجها
 25- مهفهفة بيضاء غير مفاضة
 26- تصد وتبدي عن أسيل وتتقي
 27- وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش
 28- وفرع يزين المتن أسود فاحم
 29- غدائره مستشزرات إلى العلا
 30- وكشح لطيف كالجديل مُخصر
 31- تضيء الظلام بالعشي كأنها
 32- وتضحى فتيت المسك فوق فراشها
 33- إلى مثلها يرنو الحليم صباة
 34- وليل كموج البحر أرخى سدوله
 35- فقلت له لما تمطى بجوزه
 36- ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
 37- فيالك من ليل كأن نجومه
 38- كأن الثريا علقت في مصامها
 39- وقد أعتدي والطير في وكناتها
 40- مكر مفر مقبل مدبر معاً
- لدى الستر إلا لبسة المتفضل
 نسيم الصبا جاءت برياً القرنفل
 ترائبها مصقولة كالسجنجل
 بناظرة من وحش وجرة مطفل
 إذ هي نصته ولا يعطّل
 أثيث كقنو النخلة المتعثل
 تضل المداري في مثنى ومرسل
 وساق كأنبوب السقي المذل
 منارة حُمس راهب متبتل
 نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
 إذا ما اسبكرت بين درع ومجول
 عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
 وأردف أعجازاً وناء بكلكل
 بصبح وما الإصباح فيك بأمثل
 بكل مغار الفتل شدت بيذبيل
 بأمراس كتان إلى صم جنديل
 بمنجرد قيد الأوابد هيكل
 كجامود صخر حطه السيل من عل

☆ معاني الكلمات :

- 1 - سقط اللوى : الرمل الرقيق الذي يتساقط ويتلوى . الدخول وحومل وتوضح والمقراة مواضع .
 2 - يعف ، ينطمس ويختفي . الرسم : الأثر . نسجتها : تعاقبت عليها فجعلتها مثل النسيج ، جنوب وشمال : رياح تهب من الجنوب وأخرى من الشمال .

- 3 - الآرام : الظباء البيض .
- 4 - البين : الفراق والمصيبة . السمرات : شجيرات يستخرج منها الصمغ . الناقف : المستخرج حبّ الحنظل .
- 5 - المطي : الإبل .
- 6 - رسم دار : آثار مطموسة .
- 7 - المعول : الأمل والرجاء .
- 8 - الصبابة : برقة الشوق . الحمل : حزام يحمل به السيف .
- 9 - الدارة : الأرض المحاطة بكثبان الرمل وهي أخفى للخائف أو الكامن .
- 10 - عقرت : نحرت .
- 11 - يرتقين بلحمها : يتهادين اللحم بينهن على سبيل المزاح الواحدة ترمي الأخرى باللحمة .. الهداب : غزل الإبريسم المقتول . ظل : بقين النهار كله . الدمقس : الحرير الأبيض المصنوع بدمشق .
- 12 - الخدر : الهودج . مُرجلي : إنك ستضطرني للمشي على رجليّ .
- 13 - الغبيط : خشب الهودج .
- 14 - الزمام : حبل يقاد به البصير . الجنى : العسل . المعلل : المأمول والعلل الشرب المتكرر .
- 15 - الكثيب رمل مرتفع . تعذّرت : امتنعت . آلت حلقة : أقسمت يميناً ..
- 16 - أزمعت : قررت . صرمي : مقاطعتي . اجلي : اقصري أو أحسني .
- 17 - الخليقة : الخلق ساءتك : آذتك . سَلِي : اسقطي من سلّ ريش الطائر سقط .
- 19 - ذرفت : دمعت أو سال دمعها . تقدحي : تقامري . وكان الجاهليون يضعون في الكيس سبعة أسهم مكتوب على الأول (الفذ) له نصيب واحد والتوأم (نصيبان) والرقيب (ثلاثة) والجلس (أربعة) والنافس (خمسة) والمسبل (ستة) والمعلّ (سبعة) ويقسمون الشيء المراهن عليه عشرة أقسام !! كأن الشاعر يخاطب فتاته قائلاً : أنت لم تبكين حزناً علي وإنما بكيت فرحة لأنك كسبت الرهان على قلبي . والسهان كناية عن العينين .
- 20 - الفتاة تشبه البيضة بياضاً ونعومة ونفعاً . الخدر : الخدرع : مخدع المرأة . الخباء ما كان

على عمودين أو ثلاثة ، والبيت ما كان على ستة أعمدة إلى التسعة ، والخيمة ما كانت على جذع شجرة . تمتعت : انتفعت .

21 - يَسْرُونَ مقتلي : يكتنون قتلي ليضيع دمي .

22 - تعرّضت الثريا أي أرتك عرضها وهي دلالة المغيب والظلام الدامس وشبه اجتماع نجوم الثريا بالثوب أو قطعة قماش مخزّزة متعددة الألوان والمفصل بالزبرجد ، وأثناء الوشاح نواحيه .

23 - نضت : ألت أو نزعت . المتفضل : المكتفي بثوب واحد للنوم .

24 - تَضَوَّع : عبق شذاه . الريا : العطر .

25 - المهفهفة : الرشيقة . المفاضة : المسترخية البطن . التريبة : موضع القلادة من الصدر السجججل : صحيفة فضة تستعمل مرآة .

26 - الأسيل : خد أملس مستو . الناظرة : العين . وحش وجرة : ظبية نادرة يصعب صدها . مطفل : أم طفل .

27 - الجيد : العنق . الرّم : الظبي الأبيض . نصته : رفعته : المعطل . الذي لاحلي عليه . الفاحش : الكريه المنظر .

28 - الفرع : الشعر الطويل الكثيف . الفاحم : الشديد السواد . أثيث : ذو خصل كثيرة . القنو : العنق . المتعثل : الكثير المتداخل .

29 - الغدائر : الخصل . مستشررات : مفتولة . المداري (أو العقاص على رواية) المشطبة مفردتها مدرأة .

30 - الكشح : الخصر . اللطيف : الصغير الضامر الحسن . الجديل زمام من سيور مضفورة . مخصر : واضح النحافة . والخصر مكان يشدّ عليه الحزام . أنبوب السقي : قناة من القصب أو النخل .. المذلل : الذي أزيلت عنه النتوءات والعقد فهو قريب الدلالة من المثقف .. والكناية عن الامتلاء والنعموة والارتواء ..

31 - المنارة : المصباح . ممسى راهب : وقت إمساء الراهب . المتبتل : المنقطع عن الناس المتصل بالله بالعبادة والتقوى .

32 - نُؤوم الضحى : تنام الضحى لأنها منعمة وثمة من يقوم على خدمتها . تنتطق : تلبس النطاق (الحزام) . عن تفضل : فيها معنيان الأول أنها لاتشد الحزام على ثوب واحد للقيام بأعباء

- البيت والآخر .. أنها تشد الحزام على بطنها لكي تزدان وليس شد الحزام لإمساك البطن المترهل ..
 فهي ذات خصر نحيل ليس في بطنها فضلة أو زيادة أو ترهل .
- 33 - يرنو : يديم النظر . الصباية : رقة الشوق وشدته ، اسبكرت اعتدلت وبان قوامها الطويل . الدرع ثوب الفتاة الناضجة . والمحول ثوب خفيف تلبسه الصبية .
- 34 - السدول : التسور . يبتلي : يمتحن ويحرب .
- 35 - الجوز : الوسط . ناء بكلكل : نهض بصدرة . أردف أعجازاً : رجع .
- 36 - انجلي : انكشف . أمثل : أحسن .
- 37 - مغار الفتل : المحكم الفتل من الحبال . يذبل : اسم جبل .
- 38 - المصام : المكان مثل خيول لم تبرح مصامها . المرسل : الحبل . الجندل : الحجارة .
- 39 - الوكنات : الأعشاش . المنجرد : الفرس ذو الشعر القصير ، الأوابد : الوحش قيد الأوابد : كأنها في الطراد يقيدها عن اللحاق به . هيكل : فرس ضخيم مثل هيكل النصارى .
- 40 - مكر مفر : صفة الفرس المدرب على الإقدام والإحجام (المناورة) . جلود صخر : صخرة قوية . حطه : ألقاه إلى أسفل . السيل : الماء الدافق وإذا انحطّ من الأعلى فهو الشلال ..
 فقد شبه الشاعر فرسه بصخرة ألقى بها الشلال من الأعلى .

٢ - طرفة بن العبد

وهو شاب قال الشعر في صباه ، فاعتزت به قبيلته بكر بن وائل (من ربيعة) ،
وخاله المتلمس (جرير بن عبد المسيح) الشاعر المعروف ، وكان منذ حادثة سنه
مهموماً ، فقد ذاق اليتيم صغيراً وسرق أعمامه أموال أبيه طمعاً وجشعاً ونكاية بأمه
(وردة) ، أما سبب كتابته المعلقة فهو التنفيس عن همومه الشخصية والوجودية ،
وسخطه على ابن عمه مالك الذي رضع كراهية طرفة وأخيه معبد وأمه وردة ! وكأن
القدر كان لطرفة بالمرصاد فحينما دعا عمرو بن هند ملك الحيرة طرفة وخاله إلى مأدبته
الخاصة . لاحظ اعتداد طرفة بنفسه حين يتحدث ناسياً أنه يتحدث مع ملك ،
ولاحظ أيضاً أنه طرفة يمشي أمامه مشية الخيلاء فنظر إليه الملك نظرة (كادت أن
تبتلعه من مجلسه) ، ولاحظ المتلمس تلك النظرة فتطير منها .. ثم إن الملك حفظها في
نفسه ، وكتب إليها كتابين وطلب إليها إيصال الكتابين إلى المكعبر عامله على
البحرين وعمان .. وزعم لها أنه طلب من عامله تقديم الهدايا لها ... فتوجس المتلمس
خيفة .. وقد لاحظ بعض العيون تراقبها من بعيد ؛ فوصلا النجف وجلسا .. فإذا
بغلام عبادي يسقي غناً له من نهر الحيرة .. فسأله المتلمس (أتعرف القراءة) فأجاب
الغلام : نعم فطلب إليه قراءة صحيفته فقرأ (باسمك اللهم من عمرو بن هند إلى المكعبر
عاملنا على البحرين وعمان .. إذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه
وادفنه حياً) ففرغ المتلمس وألقى الصحيفة في نهر الحيرة ، وطلب إلى ابن أخته طرفة
أن يصنع مثله فأبى ، لقلته خبرته فافترقا .. ووصل طرفة إلى المكعبر ، وما كان يظن
القدر بعمرو بن هند وسلم الصحيفة إلى العامل فقرأها وأعلمه بمضمونها واعتذر المكعبر
لطرفة قائلاً : لا أستطيع سوى تنفيذ أوامر الملك فقطع يديه ورجليه ودفنه وهو
حي .. وأصبحت صحيفة المتلمس مضرب المثل .

- 1- لخولة أطلال ببرقة شمّد
- 2- وقوفاً بها صحي عليّ مطيهم
- 3- كأن حدوج المالكية غدوة
- 4- عدولية أو من سفين ابن يامن
- 5- يشق حباب الماء حيزومها بها
- 6- وفي الحي أحوى ينفض المرّد شادن
- 7- خذول تراعي ربرباً بخميلة
- 8- وتبسم عن ألمى كأن منــــوراً
- 9- سقته إيأة الشمس إلا لثاته
- 10- ووجه كأن الشمس ألقّت رءاءها
- 11- وإني لأمضي لهمّ عند احتضاره
- 12- أمون كألواح الإران نسأتها
- 13- على مثلها أمضي إذا قال صاحبي
- 14- إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني
- 15- ولست بجلال التلاع مخافة
- 16- فإن تبغني في حلقة القوم تلقني
- 17- متى تأتني أصبحك كأساً روية
- 18- وإن يلتقي الحي الجميع تلاقني
- 19- نداماي بيض كالنجوم وقينة
- 20- إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا
- 21- إذا رجّعت في صوتها خلت صوتها
- 22- وما زال تشرابي الخمورَ ولذتي

- 23- إلى أن تحامتي العشيرة كلها
- 24- ألا أيها اللائي أحضر الوغى
- 25- فإن كنتَ لاتستطيع دفع منيتي
- 26- ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى
- 27- فمنهن سبقي العاذلات بشربة
- 28- وكري إذا نادى المضاف مجنباً
- 29- وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
- 30- كريم يروي نفسه في حياته
- 31- أرى قبر نحام بخيل بماله
- 32- ترى جثوتين من تراب عليها
- 33- أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي
- 34- أرى العيشَ كنزاً ناقصاً كل ليلة
- 35- لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى
- 36- متى ما يشا يوماً يقده لحتفه
- 37- فإلي أراي وابن عمي مالكا
- 38- يلوم وما أدري علام يلومني
- 39- وأياسني من كل خير طلبته
- 40- على غير ذنب قلتـه غير أنني
- 41- وإن أدع للجلي أكن من حماها
- 42- وإن يقدفوا بالقذع عرضك أسقهم
- 43- فلو كان مولاي امرأ هو غيره
- 44- ولكن مولاي امرؤ هو خاتقي
- 45- وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة
- وأفردت أفراد البعير المعبد
وأن أشهد اللذات هل أنت مغلدي
فدعني أبادرها بما ملكت يدي
وجدك لم أحفل متى قام عودي
كيت ماتعل بالماء تزبد
كسيد الغضا نبهته المتورد
ببهكنة تحت الأطراف المعمد
ستعلم إن متنا غداً أينما الصدي
كقبر غوي في البطالة مفسد
صفائح صم من صفيح منضد
عقيلة مال الفاحش المتشدد
وما تنقص الأيام والدهر ينفد
لكالطول المرخي وثنياه باليد
ومن يك في حبل المنية ينقد
متى ادن منه ينأ عني ويبعد
كلامني في الحي قرط بن أعبد
أنا وضعناه إلى رمس ملحد
نشدت فلم أغفل حولة معبد
وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد
بكأس حياض الموت قبل التهدد
لفرج كربي أو لأنظرنني غدي
على الشكر والتسأل أو أنا مفتدي
على المرء من وقع الحسام المهند

- 46- أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه
 47- إذا ابتدر القوم السلاح وجدتي
 48- فإن متّ فانعيني بما أنا أهله
 49- ولا تجعليني كامرئ ليس همّه
 50- بطيء عن الجلى سريع إلى الخنا
 51- لعمرك ما أمرني عليّ بغمّة
 52- أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى
 53- على موطن يخشى الفتى عنده الردى
 54- ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
 55- ويأتيك بالأخبار من لم تبع له
 56- لعمرك ما الأيام إلا معارة
 57- عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه
- خشاش كرأس الحية المتوقد
 منيعاً إذا بلّت بقائه يدي
 وشقي عليّ الحيب يا ابنة معبد
 كهمي ولا يغني غنائي ومشهدي
 ذلول بأجماع الرجال ملهّد
 نهاري ولا ليالي عليّ بسرمد
 بعيداً غداً ما أقرب اليوم من غد
 متى تعترك منه الفرائض ترعد
 ويأتيك بالأخبار من لم تزود
 بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد
 فما اسطعت من معروفها فتزود
 فإن القرين بالمقارن مقتدي

☆ معاني الكلمات :

- 1 - الطلل : ما بقي من آثار الدار . البرقة : ربوة مختلطة الطين والرمل والحجارة . ثمّمد :
 اسم موضع . الوشم : نقوش في جلد الإنسان تنقش بفرز الإبر في الجلد ، ثم يذر عليه الكحل أو
 دخان الشحم .
 3 - الحدج مركب خاص بالنساء . الخلية : الجزء وقيل السفينة العظيمة !! . الناصفة : رجة
 واسعة وسط الوادي . دد : اسم موضع . المالكية : منسوبة إلى مالك بن سعد بن ضبيعة !
 4 - عدولية : منسوبة إلى جزيرة عدول ، وقيل : منسوبة إلى قوم نزلوا بهجر ! . ابن يامن
 أو بنيامن : تاجر سفن من أهل هجر ، وقيل : إن اسمه ابن تليل أو بننتيل . يجور : يعدل بها
 ويميل . يهتدي : يصل إلى قصده . الطور : الوقت .
 5 - حباب الماء : أمواجه . الحيزوم : مقدم السفينة . المغايل : الصبي الذي يلعب مع
 أصحابه لعبة الغيال والمغايلة وهي تراب يكومونه ثم يخبثون فيه خاتماً أو قطعة نقدية أو حصة

معلّمة ! ثم يشق المغايل تلك الكومة بيده فيقسمها قسمين ثم يقول : في أي الكومات خبأت الخبأ فإن عرف صاحبه ظفر !! وإن أخطأ خسر .

6 - أحوى : ظبي له خطتان من سواد ! أي شبه المرأة بالظبي الأحوى على سبيل الاستعارة التصريحية (أظهر المشبه به وأخفى المشبه) . المرء : مفردها مرءة وهي ثمرة الأراك . ينفص : يخضّ لیتساقط عليه الثمر والأوراق . الشادن : الطيبة التي قويت فاستغنت عن أمها . السمط : النظم من اللؤلؤ (مظاهر سمطي) لبست واحداً فوق الآخر . الزيرجد : حجر كريم .

7 - خذول : خذلت صواحبها وانصرفت لولدها . تراعي : ترعى . ررب : قطيع الطباء أو البقر . والحذول الفزعة الخائفة على خشفها (صغيرها) فهي تشرّوب وقد عنقها وترتاع لأنها وحيدة منفردة . الخميلة : الأرض السهلة اللينة ذات الشجر . البرير : ثمر الأراك .

8 - ألمى : ثغر أسمر اللثة . المتورّ : الأقحوان المتفتح . تحلل : تداخل فيه أو دخل فيه . حر الرمل : خالسه . الدعص : كيشب الرمل .

9 - إياة الشمس : ضوءها وشعاعها . سقته : جعلته أبيض حسناً . وكان الجاهليون إذا سقطت سن أحدهم يرميها تجاه عين الشمس ويقول : خذي سن الحمار وأعطيني سن الغزال . لأن أسنان الغزال لاتتساقط كما يزعم ، أو يقول : ياشمس أو ياألهة الشمس أبدليني سناً من ذهب أو فضة ! قال طرفة في موضع آخر :

أبدلته الشمس من منيتها برداً أبيض مصقــــــــــــــــول الأشر

أسفّ : ذرّ عليه بأثمّد (كحل) . الكدم . العض . أي إن الطيبة لم تعض عظاماً فيؤثر في ثغرها .. وصورة اللثة السمراء التي تحاكي تلك التي رشّ عليها الكحل ، فهم يتمدحون سُمرة الشفة فمن خلالها يبين بياض الأسنان .

10 - التخذد : التجعّد والاضطراب .

11 - أمضي لهم : أطرده . احتضاره : شعوري به . العوجاء : الناقة الضامرة . المرقال : السريعة وصيغة مفعال للتكثير والمبالغة . والإرقال : ضرب من السير السريع . والمعنى الكلي أن أكافح لهم والكأبة بالسفر على ظهر ناقة معتادة على السفر .

12 - أمون : أمنية الآران : تابوت فخم خاص بالأثرياء والسادة . نسأتها : ضربتها بالنسأة . اللاحب : الطريق المهيأ الواضح . وقيل قد يكون الطريق لاحقاً لأنه يلحّب أخاف الإبل فتتأكل .. البرجد : ثوب مخطط .

- 13 - على مثلها : على مثل هذه الناقاة .
- 14 - يعد هذا البيت مثلاً كبيراً في الفتوة والثقة بالنفس .
- 15 - التلاع : مجاري الماء من رؤوس الجبال إلى الأودية (الشلالات) يسترفد القوم : يطلبون مني المعونة .
- 16 - هناك كلام مسكوت عنه مثلاً حلقة القوم أي القوم السادة والأشراف ! والحوانيت هي حوانيت الخمرة واللهو .
- 17 - قال الفراء الكأس الإناء الذي فيه لبن أو ماء أو خمر وإن كان فارغاً لا يقال له كأس .
غانيا : مستغنياً . اغن وازدد : اغن بما عندك وزد .
- 18 - المصمّد والصد الذي يصمد إليه في الحوائج .
- 19 - النديم صاحب الذي لا يندم صاحبه إذ أسرّه أو شرب معه . وقيل : الندامى هم الذين يجتمعون على ما يندم عليه من إتلاف المال والوقت . القينة الخادمة والمغنية ، وقيل لها قينة لأنها تعمل بيديها مع غنائها . وكل مشتغل بيديه قين . الجسد الثوب المصبوغ بالزعفران ويلامس الجسد . والبرد : الثوب الذي يكون تحته الجسد .. وقيل : إن المعنى كامن في أن المغنية تستبدل ملابسها في كل وصلة غنائية فتبدو بالبرد مرة والجسد أخرى ..
- 20 - أسمعينا : غنينا . رسلها : هيئتها . مطروفة : فاترة الطرف .
- 21 - رجعت : كررت النعمة فجاءها الصدى . خلت : حسبت . الأظآر : الصغار المتقاربين بالعمر . الرّبَع : ضم الراء المشددة وفتح الباء : الفصيل ينتج في الربيع وهو أول النتاج . دد : عابث لاه .
- 22 - الطريف : الجديد . المتلد : القديم .
- 23 - تحامتني : تركتني : أفردت : تركتُ وحيداً : البعير . المعبد : الأجر ب .
- 24 - الوغى : الحرب والخطر .
- 26 - وجدك : وحقك . أحفل : أبالي . العود مفردها عائد : الذي يزور المريض في بيته للاستفسار عنه ، أو الميت للترحم عليه .
- 27 - العاذلات مفردها عاذلة وهي التي تمنع الشاعر عن شرب الخمر . الكميت لون أصفر فيه

سواد .

- 28 - كري : عطفي وقتالي للنجدة . المضاف : الذي زارته الهموم . المنجب : فرس بعيد ما بين الرجلين . السيد : الذئب . الغضا : ضرب من الشجر وذئابه أخبث الذئاب . نيهته : هيجته . المتورد : العطشان .
- 29 - الدجن : المطر وغياب الشمس في الظهيرة . البهكنة التامة الخلق . الطرف المصد . خباء من قماش في وسطه عمود .
- 30 - الصدي : العطشان ويزعم الجاهليون أن الرجل إذا قتل ولم يدرك بثأره خرج من رأسه طائر يشبه البوم فيصيح اسقوني اسقوني فإذا أخذ بثأره سكن وقد يكون الصدى بمعنى الصديء أي الرجل ذو المعدن الصديء . يرؤي نفسه : أي يرتوي من الخمر وحذف الخمر لعلم المخاطب .
- 31 - النحام : الرجل إذا طلبت منه حاجة كثر نحامه (سعاله) لبخله . الغوي : المحب للهو .
- 32 - الجثوة : التراب المجموع .. كناية عن القبر .
- 33 - يعتام : يختار . العقيلة : جوهر الشيء وأنفس ما فيه . الفاحش : القبيح الخلق . المتشدد : البخيل .
- 34 - ينفد : ينتهي .
- 35 - الطول : الحبل .
- 36 - يشاء : يشاء .
- 38 - قرط بن أعبد : كان صاحب طرفة ونفر عنه لأن يحسده فيلومه على ما فعل وعلى ما لم يفعل .
- 39 - الرمس : القبر . الملحد : اللحد .
- 40 - معبد : أخو طرفة .. أضاع حولته أي إبله فشمت به وبطرفه ابن عمه مالك .
- 41 - الجلى : الأمر العظيم .
- 42 - القذع : الشتم والبذاءة .
- 43 - الكرب : الكآبة والضيق .
- 45 - مضاضة : حرقه .
- 46 - الضرب : الخفيف . خشاش : سريع النفاذ في الأشياء لذكائه . (رأس الحية) يقال لكل رجل نشط دؤوب . المتوقد : الذي .

- 47 - ابتدر : أسرع . والبدرى المبكر . المنيع : المحصن الذي لا يصل إليه أحد . قائمه : قائم
السيف مقبضه .
- 48 - ابنة معبد : ابنة أخيه .
- 50 - الحنا : فساد المنطق . الذليل : المقهور . أجماع : أكف . ملهد : المضروب .
- 51 - الغمة : التباس الأمور . السرمد : الطويل بلا انتهاء .
- 53 - الردى : الهلاك . الفرائص : مفردها فريضة وهي الموضع تحت الثدي مما يلي الجنب
عند مرجع الكتف ، وهي أول ما يرتعش في الإنسان عند الفزع !
- 55 - البتات : الزاد .
- 57 - القرين : الصديق .

٣ - زهير بن أبي سلمى

وهو من مزينة ، وهي بطن من مضر ، وكان يقيم مع أبيه بالحجاز من نجد ، وكان أبو سلمى أول من استوطن نجداً حين تزوج من بني فهر بن مرة بن ذبيان بن غطفان فولدت له زهيراً ، وتزوج زهير امرأة من بني سحيم بن مرة ، وذكر صاحب الأغاني 140/9 : « أن رسول الله ﷺ نظر إلى زهير وله مئة سنة ، فقال : « اللهم أعذني من شيطانه » فما لأك بيتاً حتى مات » .

وكان زهير قد رأى حلاًماً في شيخوخته أن شبهاً أتاه فحمله إلى السماء ثم تركه فهوى إلى الأرض ، فلما احتضر قص رؤياه على ولده كعب !

ونحن نشك برواية الأغاني فزهير لم يدرك الإسلام من جهة ، وإن أخلاق نبينا العظيمة تمنعه من مواجهة شاعر دعا لله والسلام على هذا النحو !! وزهير أحد الشعراء الثلاثة المقدمين على كل شعراء الجاهلية وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة وكان زهير متأهلاً أي إنه كان في شعره داعية للتأمل بخلق الله فهو القائل :

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى من الأمل أو يبدو لهم ما بدا ليا

وقد أعجب الخليفة عمر رضي الله عنه بشعره فاعتده أشعر العرب ، لأنه لا يعاقل في الكلام ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه .

وقال ابن سلام الجمحي طبقات الشعراء ص 62 « وقال أهل النظر زهير أحكمهم شعراً ، وأبعدهم من سخف ، وأجمع لكثير من المعنى في قليل من المنطق ، وأشدهم مبالغة في المدح » .

وهو عريق في الشعر ، فأبوه شاعر وخاله بشامة ابن الغدير شاعر ، وزوج أمه أوس بن حجر شاعر ، وأختاه شاعرتان وابناه شاعران ، وقد أثر شعره في الحياة الاجتماعية

فقربه أمراء القبائل ، ومنهم أمراء ذبيان وبخاصة هرم بن سنان والحارث بن عوف ،
ومعلقته (أمن أم أوفى) نظمتها تحية لموقفها من الحرب الغبية المدمرة بين عبس وذبيان :

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما تبزل ما بين العشيرة بالدم
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم
مينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم

ويقول جرجي زيدان (تاريخ آداب اللغة العربية 98/1) : « وكان لزهير
أخلاق عالية ونفس كبيرة مع سعة صدر وحلم ، فرفع القوم منزلته وجعلوه سيداً ،
وكثر ماله واتسعت ثروته » . ومع كل ذلك فقد كان زهير بذيء اللسان حين يُستفز ،
وربما فحش في شعره بطريفة لا يدانية فيها سواء .. فقد هجا الحارث بن ورقاء
الصيداوي حين أسر غلامه (يسار) ديوانه ق 25 ب 1 وبعدها ص 220 :

تعلّم أن شرّ الناس حي ينادي في شعارهم يسار
ولولا عبسه لرددتموه وشرّ منيحة ... مُعار
إذا جمحت نساؤكم إليه أشظّ كأنه مسدّ مغار

وقد امتدح هرمًا بقصائد جميلة ، فأقسم هرم ألا يمده زهير إلا أعطاه ولا يسأله
إلا أعطاه ، ولا سلّم عليه إلا أعطاه ذهباً أو خادماً أو وليدة أو فرساً أو إبلاً .. فنجل
زهير من قسمه ، فكان إذا رأى هرمًا بين الناس يقول : « عمو صباحاً غير هرم ..
وخيركم استثنيت » . وحين اختصمت ابنتا زهير وهرم .. فقالت ابنة هرم كان أبي
يعطيكم المال ، وقالت ابنة زهير : كان أبي يقول فيكم الشعر ، فسمع عمر واستقدمها
وقال لابنة هرم : « قد ذهب ما أعطيتوه وبقي ما أعطاكم » ، وعرف عن زهير عنايته
بالقصيدة فقد ينفق في كتابتها حولاً كاملاً .. ونسب إليه أنه قال : خير الشعر الحولي
المحكك .. وقد أطلق على اتجاهه الشعري الشعر المصنوع ، وعدّ زهيراً وابنه والحطيئة
(عبيد الشعر)

☆ معلقة (أمن أم أوفى) . عدد الأبيات : 63 . البحر : الطويل . القافية : (م)

- 1- أمن أم أوفى دمننة لم تكلم
 - 2- ديار لها بالرفقتين كأنها
 - 3- بها العين والأرام يشين خلفه
 - 4- وقفت بها من بعد عشرين حجة
 - 5- أثافي سفعاً في معرسٍ مرجل
 - 6- فلما عرفت الدار قلت لربعها
 - 7- تبصر خليلي هل ترى من ظعائن
 - 8- جعلن القنان عن يمين وحزنه
 - 9- علون بأنطاكية فوق عقمة
 - 10- بكرن بكوراً واستحرن بسحرة
 - 11- فلما وردن الماء زرقاً جامه
 - 12- وفيهن ملهى للطيف ومنظر
 - 13- كأن فتات العهن في كل منزل
 - 14- سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما
 - 15- فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله
 - 16- ييناً لنعم السيدان وجدتما
 - 17- تداركتما عبساً وذبيان بعدما
 - 18- وقد قلتما إن ندرك السلم واسعاً
 - 19- فأصبحتما منها على خير موطن
 - 20- عظيمين في عليا معد هديتما
 - 21- وأصبح يحدى فيهم من تلاككم
 - 22- تعفى الكلوم بالمئين فأصبحت
- بجومانة الدراج فالمتثلّم
مراجيع وشم في نواشر معصم
وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم
فلأياً عرفت الدار بعد توهم
ونؤياً كجذم الحوض لم يتثلّم
ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلم
تحملن بالعلياء من فوق جرثم
وكم بالقنان من محلٍ ومحرم
وراد حواشيتها مشاكهة الدم
فهنّ وادي الرّس كاليسد للغم
وضعن عصيّ الحاضر المتخيّم
أنيق لعين الناظر المتوسّم
نزلن به حبّ الفنالم يحطم
تبزل ما بين العشيرة بالدم
رجال بنوه من قريش وجرهم
على كل حال من سحيل ومبرم
تفانوا ودقّوا بينهم عطر منشم
بمالٍ ومعروف من القول نسلم
بعيدين فيها من عقوق ومأثم
ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم
مغانم شتى من إفال مزنّم
ينجمها من ليس فيها بمجرم

- 23- ينجمها قوم لقوم غرامة
- 24- ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة
- 25- فلاتكتمن الله ما في صدوركم
- 26- يؤخر فيوضع في كتاب فيدّخر
- 27- وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم
- 28- متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
- 29- فتمركم عرك الرحي بثفالها
- 30- فتنج لكم غلمان أشأم كلهم
- 31- فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها
- 32- لعمرى لنعم الحي جرّ عليهم
- 33- وكان طوى كشحاً على مستكنة
- 34- وقال سأقضي حاجتي ثم أتقي
- 35- فشد ، ولم يفزع بيوتاً كثيرة
- 36- لدى أسد شاكى السلاح مقاذف
- 37- جريء متى يُظلم يعاقب بظلمه
- 38- لحيّ حلال يعصم الناس أمرهم
- 39- كرام فلا ذو التبيل مدرك تبليه
- 40- سمّت تكاليف الحياة ومن يعيش
- 41- رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
- 42- ومهما تكن عند امرئ من خليقة
- 43- وأعلم ما في اليوم والأمس قبله
- 44- ومن لا يصانع في أمور كثيرة
- 45- ومن يك ذا فضل ويبخل بفضله
- ولم يهريقوا بينهم ملء محجم
- وذيان هل أقسمت كل مقسم
- ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
- ليوم الحساب أو يعجل فينقم
- وما هو عنها بالحديث المرجم
- وتضّر إذا ضريتوهما فتضرم
- وتلقح كشافاً ثم تنتج فتتم
- كأحر عاد ثم ترضع فتفطم
- قري بالعراق من قفيز ودرهم
- بما لا يواتيهم حصين بن ضضم
- فلا هو أبداها ولم يتقدم
- عدوي بألف من ورائي ملجم
- لدى حيث ألت رحلها أم قشعم
- له لبد أظفاره لم تقلم
- سريعاً وإلا يُبد بالظلم يظلم
- إذا طرقت إحدى الليالي بمعظم
- لديهم ولا الجاني عليهم بمسلم
- ثمانين حولاً لأبأ لك يسأم
- تمته ومن تخطئ يعمر فيهم
- وإن خالها تخفى على الناس تعلم
- ولكنني عن علم ما في غد عمي
- يضرس بأياب ويوطأ بمنسم
- على قومه يستغن عنه ويذمم

- 46- ومن يجعل المعروف من دون عرضه
 47- ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه
 48- ومن هاب أسباب المنايا ينلنه
 49- ومن يعص أطراف الزجاج فإنه
 50- ومن يوف لا يُذم ومن يفيض قلبه
 51- ومن يغترب يحسب عدواً صديقه
 52- وكائن ترى من صامت لك معجب
 53- لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
 54- وإن سفاه الشيخ لا حِلِّم بعده
 55- سألنا فأعطينم وعدنا فعدتم

☆ معاني الكلمات :

1 - أم أوفى : المرأة الحبيبة التي أهتمته أجمل قصائده ، وقد تزوجها وأصاب أبناءه منها ، وفي لحظة طيش طلقها ، فندم وذهب إلى أهلها معتذراً فقبلوا اعتذاره وأكرموه ، إلا أن أم أوفى الحبيبة والزوجة (المطلقة) لم تقبل اعتذاره ونهرته وأياسته منها ، قارن :

لعمرك والخطوب مغيرات	وفي طول المعاشرة التقالي
لقد باليت مظعن أم أوفى	ولكن أم أوفى لا تبالي
فأما إذ ظعنيت فلاتقولي	لذي صهر: أذلت ولم تُذالي
أصبتُ بني منكِ ونلتُ مني	من اللذات وأحلل الغوالي

قال ابن الأعرابي (أم أوفى التي ذكرها زهير في شعره كانت امرأته فولدت منه أولاداً ماتوا ، ثم تزوج بعد ذلك امرأة أخرى ، وهي أم بنيه كعب وبجير ، فغارت من ذلك وأذته فطلقها ثم ندم) الأغاني (كتبخانة) 150/9 . دمنة : البعر والسرجين وزعم أن الدمنة هي آثار الناس وماسودوا بالرماد وغيره !! وإذا قبلنا هذا الزعم فالمعنى الأول هو هو لأن الناس كانوا يطبخون ويوقدون بالبعر والسرجين فرمادهم منه . . الحومانة : الأرض الحشنة الغليظة . حومانة الدراج والمتثلث : موضعان في عالية نجد قريبان من المدينة .

- 2 - الرقتان واحدة قرب المدينة وأخرى قرب البصرة وقوله بالرقتين ان بالمنتجع او المرتجع
 مواقع بينها . المراجع : المتكرر . الوشم : الخضرة التي تحدث من غرز الأبر . النواشر : عروق
 لماهر الذراع . المعصم : موضع السوار .
- 3 - العين : البقر واحدها أعين وعيناء وقيل لها ذلك لسعة عيونها . الآرام : الأطباء .
 لأطلاء : مفردها طلا وهو الولد . الهثم مكان الاستراحة أو الانطلاق .
- 4 - الحجة : السنة . اللأبي : البطء والعناء .
- 5 - الأثافي : الحجارة التي تجعل عليها القدر الواحدة أنفية . السفع ، السواد . المعرس :
 لموضع الذي يحتمل القدر أو المرجل والمرجل قدر يطبخ فيها من حجارة أو حديد أو خزف أو
 نحاس أو فضة . النؤي : حاجز يجعل حول البيت أو الخيمة يمنع السيل ، أو يشعر الغريب بحدود
 لبيت الحرمة التي لا ينبغي اقتحامها !! جذم الحوض : بقيته . لم يتثلم : ذهب أعلاه وليث
 باقيه .
- 6 - الربع : المنزل في الربيع ثم كثر استعمالهم إياه حتى قيل لكل منزل ربع (أنعم صباحاً أو عم
 صباحاً أو مساء) تحية الجاهلية وتحية الإسلام (السلام عليكم) .
- 7 - الظعائن : النساء في الهوادج واحدها ظعينة . والمرأة وهي في بيتها ظعينة ! العلياء :
 بلدة جرثم : آبار لبني أسد .
- 8 - القنان : جبل لبني أسد . الحزن والحزم : الموضع الغليظ . المحل والمحرم أي الداخل في
 أشهر الحل ، والمحرم الداخل في الأشهر الحرم .
- 9 - الأنطاكية : أنماط توضع على الخدور نسبها إلى أنطاكية وكل شيء جاء من الشام فهو
 عندهم أنطاكي . عقمه مفردها عقم : أصل الاعتقام اللبي ، أراد أن تظهر خيوط أحد النيرين
 فيعمل به وإذا أريد الوشي بغير ذلك اللون لوى وعُصم . المشاكهة : المشابهة .
- 10 - الرس : واحة ذات آبار لبني أسد .
- 11 - الماء الأزرق : الصافي جمام مفردها جم وجمه : الماء المجتمع الكثير . الحاضر : النازل على
 الماء . المتخيم : المقيم وأصله من تخيم إذا نصب الخيمة . والعرب تقول لمن يترك السير (وضع
 عصاه) .
- 12 - الملهى واللهو واحد . اللطيف : الرقيق الطبع الذي ليس فيه جفاء واللطيف الذي

يتلطف في الوصول إلى الحبيبة . أنيق : مونتق أي معجب . المتوسم : الناظر الذي يتفترس . وقيل المتوسم الذي يشغف بالوسامة وهي الحسن .

14 - الساعيان هما : الحارث بن عوف وهم بن سنان وسعيها كان في السلام وجمع الديات . تبزل : تشقق .

15 - البيت : الكعبة المشرفة . جرم : كانوا ولاة الكعبة قبل قريش ، وبغوا واستحلوا حرمتها وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها حتى بلغ بهم البغي أن الرجل إذا لم يجد مكاناً يزني فيه أسرع إلى الكعبة ، والعرب تقدس مكة فلا يفي فيها ، ولاقتل ، ولاسرقة ، ولا كذب ، وسميت بكة لأنها تبك أعناق البغايا .

16 - أي على كل حال من شدة الأمر وسهولته والسحيل الحبل المبرم من خيطين والسحيل خيط واحد ..

17 - منشم امرأة تبيع العطر .. تحالف قومٌ عندها فأدخلوا أيديهم في عطرها ليتحرّموا به ثم خرجوا إلى الحرب فقتلوا جميعاً فتشاءمت العرب بها ! وقيل : منشم امرأة من خزاعة كانت تبيع عطراً فإذا حاربوا اشتروا منها كافوراً لموتاهم فتشاءموا بها .. وقيل هي منشم ابنة الوجيه الحميري كانت تنتجع العرب وتبيعمهم عطرها ، فأغار عليها قوم فسرقوا عطرها ! فبلغ ذلك قومها .. فهاجموا الموضع الذي يقيم فيه سارقو عطر منشم ، وأعملوا السيف في رقابهم وبلغ الحد أنهم كانوا يقطعون رقبة كل من شم العطر إذ لم يكتفوا بقتل السراق .. فقتل الحي بكامله فصار عطر منشم رمزاً للشؤم .

18 - السلم بكسر السين وفتحها : الصلح والطبائنة يذكر ويؤنث .

19 - العقوق : قطيعة الرحم . منها : الضمير عائد إلى الحرب .

20 - عليا مصر : أشرفها .

21 - التلاد : ما ولد عندهم والتلاد الملك والإفال ؛ الفصلان ، الواحد أفيل والأثنى أفيلة .

التزيم : وسم أو علامة تجعل على جلد الإبل الكريمة بتقشير ظاهر جلدة الأذن ثم تفتل فتبقى زمنة تنوس أي تضطرب .

22 - تعفى : تمحى الجراح . الكلوم مفردها الكلم وهو الجرح . المئين : الإبل . التنجيم

تعاقب وقت الأداء وتراتبه ومعنى ينجمها من ليس فيها مجرم : أي يدفع ثمن الجريمة البريء الذي لم يجرم !!

23 - يهريقوا : لغة في يريقوا والمسكوت عنه الدم . المحجم : آلة الحجامة وهي بحجم قبضة اليد أو تزيد قليلاً .

24 - الأحلاف : أسد وغطفان .

25 - معنى البيت : لا تظهروا الصلح وتبطنوا الغدر كما فعل حصين بن ضمضم حين قتل ورد بن حابس بعد الصلح .

27 - المعنى لقد ذقم مرارة الحرب وجريتم خرابها وقسوتها ، فتحذيري منها ليس ظناً وحسناً ، ولست راجماً كلامي بظهر الغيب !! وزهير شاعر السلام في الجاهلية دون منازع ! إلا أن العربي يكره الحرب ، ومعظم الحروب الجاهلية أشعلتها عنجهية الأعراب واسترخاصهم لأرواحهم .. امرؤ القيس وبثلاثة أبيات صور بشاعة الحرب (ديوانه ق 96 ب 1-3 ص 353) :

الحرب أول ماتكون فتية تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا استعرت وشبّ ضرامها عادت عجوزاً غير ذات خليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت مكروهة للشمّ والتقبيل

28 - تضرّ : تشتعل .

29 - عركَ : ذلك الشيء ليلين . الثفال : جلدة تكون تحت الرحى يقع الطحين عليها . تلحح كشافاً : لحتت الناقة كشافاً إذا حمل عليها في دمها كل عام ، وذلك أراداً النتاج والحمود أن يحمل على الناقة سنة وتجم سنة ، وإنما شبه الحرب بالناقة لأنه جعل ما يجلب منها من الدماء بمنزلة ما يجلب من الناقة .. وربما شبه الحرب بالناقة إذا حملت وأرضعت وفطمت لطول المدة . تتمّ : تأتي بتوأمين . الذكر توأم والأنثى توأمة .

30 - نتجت الناقة : إذا استبان حملها . أشأم : شؤم . كأجر عاد : مثل قدار عاقر الناقة ، وقال الأصمعي : إن زهير أخطأ فعاقر الناقة ليس من عاد وإنما هو من ثمود . وقال المبرد : لم يغلط زهير ؛ لأن ثمود تدعى عاد الأخيرة ، ويقال لقوم هود عاد الأولى ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾ [النجم : ٥٠/٥٣] .

ولنا أن نلاحظ أن الجاهليين وزهير بينهم كانوا مسكونين بهاجس التاريخ ورموزه !!

31 - معنى البيت غلال الحرب هي الدم والدمار بينما غلال العراق محصولات القمح والتمر والدرهم .. والقفيز : مكيال .. وأراد زهير التهكم المرّ .. فأنتم تزرعون الحرب وتقطفون الدم والدمار وغيركم يزرع البذور ويقطف الخير والثراء .

- 32 - أقسم بعمره !! حصين بن ضمض من مرة أبي أن يدخل في صلحهم ، فلما اجتمعوا للصلح شدّ على رجل منهم فقتله ، كدأب بعض المؤرّين لا يهدؤون إلا بالدم والخراب ، فالحرب سعادتهم والسلام خوهم !! وحصين بن ضمض ابن عم النابغة الذبياني ! النابغة بن معاوية بن ضباب بن جابر أما حصين فهم ابن ضمض بن ضباب بن جابر !!
- 33 - الكشح : الجنب ! طوى كشحه : أبطن الأمر في سره ولم يظهره . المستكنة : الغدرة .
- 34 - أتقي : أدفع . ألف : أي ألف فرس بلجامة .
- 35 - شدّ : هجم وقتل على خصم بعينه ولم تعلم به بيوت الحي . أم قشعم : المنية أو الحرب . وقال أبو عبيدة : أم قشعم العنكبوت .
- 36 - اللبد : الشعر المتراكب على زبرة الأسد ما بين الكتفين . أظفاره لم تقلم . كناية عن أنه تام السلاح . الأسد : الجيش على سبيل الاستعارة التصريحية . شاي السلاح : أي إن سلاحه شائك ذو شوك . المقاذف : غليظ اللحم وموّره .
- 37 - جريء صفة الأسد الذي هو صفة الجيش الذي يهجم لثأر أو دون ثأر .
- 38 - حي حلال : كثير البيوت . الحلال : جماعة البيوت والحلة : مئة بيت . وقوله يعصم الناس أمرهم معناه أن الناس يعتمنون به ويستسكون فإذا ائتمروا أمراً كان عصمة للناس ، أي سبباً لتقوتهم بمعظم ، بأمر عظيم .
- 39 - التبل : غل في الصدر يجده الإنسان على صاحبه .
- 40 - التكاليف : المشتقة .
- 41 - خبط الجمل خبط عشواء .. أي مشى على غير بصر .. فالمنايا مثل الناقة التي تعشو ولا تميّز فن أخطأته عاش وهرم .
- 42 - الخليقة : الطبيعة . خال : ظن .
- 44 - يصانع : يجامل ويداري . يضرس : بمضغ بالأضراس . المنسم : خف البعير ويراد به النعال .
- 46 - يفره : يجعله وافرأ .
- 47 - ومن لا يظلم الناس يظلم أي من يكن ضعيفاً وتحاشى مواجهة الناس ركبه وظلموه ، ولا يمكن تفسير البيت على أنه دعوة لظلم الناس ، فالعربي يكره الظلم . قال قيس بن زهير : باكياً صديقه وسيده (حمل بن بدر) ومعاتباً له بسبب ظلمه :

تعلم أن خير الناس ميت على جفر الهباءة لا يريم
ولولا ظلمه ما زلت أبكي عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر بغى والبغى مرتعه وخيم⁽¹⁵⁾

وقال الفند الزماني :

أقيدوا الظلم إن الظلم لا يرضاه ديّان
فإن النار قد تصبح يوماً وهي نيران⁽¹⁶⁾

48 - أسباب مفردها سبب وهو الجبل أو الناحية .

49 - الزجاج مفردها زج وهو أسفل الرمح . واللهمزم : اللحاد ، قال أبو عبيدة ؛ معنى هذا

أن من لا يقبل الصلح وهو الزجاج الذي لا يقاتل به فإنه يطبع الحرب وهو السنادة العالي الذي يقاتل به .

50 - يفضي : يصير . مطمئن البر : خالسه . لا يتجمجم : لا يتردد (في الصلح) .

55 - سيحرم : سيمنع .

(15) قيس بن زهير ، شعره ، صنعة عادل البياتي ، مط الآداب في النجف ، 1972 ، ص 33 وبعدها .
(16) الفند الزماني ، شعره ص 294 ، ضمن : قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب ،
لمحمد بن ميمون البغدادي ت 589 هـ ، تج : حاتم صالح الضامن ، مجلة المورد العراقية عدد 3 مجلد 8
عام 1979 .

٤ - لبيد بن ربيعة العامري

لبيد سليل عائلة عرفت بالكرم والفروسية والسيادة ، وكان أبوه يسمى ربيعة المقترين لجوده وسخائه ، وعمه ملاعب الأسنة (عامر بن مالك) وكان ملاعب الأسنة قد أخذ أربعين مرباعاً في الجاهلية ، ولما كبر عامر واهتر تنازع عامر بن الطفيل وعلقمة بن علانة الجعفریان في الرئاسة حتى تنافرا إلى هرم بن قطبة الفزاري . وعامر بن الطفيل الشاعر الفارس هو ابن عم لبيد ، أما أخوه من أمه فهو (أربد) الذي وفد مع عامر بن الطفيل على النبي ﷺ وكان ينوي الغدر ، أما أمه فقد تزوجت بعد وفاة أبيه الربيع بن زياد العبسي !! وهذا يفسر حقد لبيد على زوج أمه ، وقد نهد لإتلاف سمعة الربيع ، وهز مكانته في بلاط النعمان حين حلق جانباً من رأسه وصبغ جانباً من وجهه ، ودخل على النعمان ، والربيع يتناول الطعام معه فأنشد أرجوزته المشهورة (الأغاني 91/14) وقد نبغ لبيد منذ نعومة أظفاره ! فقد نظر النابغة إلى لبيد وهو صبي مع أعمامه على باب النعمان ، فقال له (يا غلام إن عينيك لعينا شاعر أفقرض من الشعر شيئاً ؟ قال : نعم يا عم ، قال : فأنشدني شيئاً مما قلت ، فأنشده قوله : (ألم تر بع على الدمن الخوالي) فقال له النابغة يا غلام أنت أشعر بني عامر ، زدني يا بني فأنشده (طلل لحولة بالرئيس قديم) فضرب النابغة بيده على جبينه وقال للبيد اذهب فأنت أشعر قيس كلها وهوازن كلها ، وحين كبر لبيد التقاه النابغة فقال له أنشدني يا لبيد ، فأنشده (عفت الديار محلها فقامها) فقال له النابغة : اذهب فأنت أشعر العرب كلها ! وحين كان لبيد صبياً وطلب من قومه مساعدته لهجاء زوج أمه (الربيع العبسي) شك قومه في موهبته ، فأرادوا أن يمتحنوه حتى لا يُخرجوا في مجلس النعمان بن المنذر وطلبوا إليه وصف بقله أمامهم فقال على الفور : (هذه الثرية التي

لاتذكي ناراً ولا توهل داراً ولا تسرّ جاراً ، عودها ضئيل ، وفرعها كليل ، وخيرها قليل ، أقبح البقول مرعى ، وأقصرها فرعاً ، وأشدها قلعاً ، بلدها شاسع وأكلها جائع والمقيم عليها قانع ، فألقوا بي أبا عبس أرده عنكم بتعس وأتركه من أمره في لبس .

وذكر المفضل الضبي : (الأغاني 95/14) : قدم الفرزدق فرّ بمسجد بني أقيصر وسمع فيه رجلاً ينشد قول لبيد :

وجلا السيول على الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

فسجد الفرزدق ، فقليل له : ما هذا يا أبا فراس ، فقال أنتم تعرفون سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر . ١٠ هـ .

ومع هذه الشهادة المهمة فإن لبيداً لم يفضل نفسه على الشعراء : « مرّ لبيد بالكوفة على مجلس بني نهل ، وهو يتوكأ على محجن له ، فبعثوا إليه رسولاً يسأله عن أشعر العرب : فسأله ، فقال : الملك الضليل ذو القروح فرجع فأخبرهم فقالوا هذا امرؤ القيس ، ثم أرجعوه إليه ليسأله ثم من ، فقال له الغلام المقتول من بني بكر ، فرجع فأخبرهم فقالوا : هذا طرفه ثم أرجعوه إليه ليسأله ثم من ؟ فقال : صاحب المحجن يعني نفسه) ، وقد أدرك لبيد الإسلام وأسلم وهاجر وحسن إسلامه وصار من الصحابة ويكفيه شرفاً أن أشرف الأنبياء قال : أجمل كلمة قالها لبيد إشارة إلى قوله :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ثم نزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب ، فأقام بها حتى مات في أوائل خلافة معاوية . وذكر ابن سلام في (طبقات الشعراء 77) : وكتب عمر (رضي الله عنه) إلى عامله أن سل لبيد أو الأغلب ما أحدثنا من الشعر في الإسلام فقال الأغلب :

أرجزاً سألت أم قصيذا فقد سألت هيناً موجودا

وقال لبيد : قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران . فزاد عمر في عطائه فبلغ ألفين ، وأراد معاوية أن ينقص من عطاء لبيد ؛ لأنه كان وعطاء معاوية سواء ..

فحزن لبيد وقال له لا تعجل ساموت ثم تضم عطائي إلى عطائك فتأخذه أجمع ... ولم يلبث حتى مات فندم معاوية .. وكان المغيرة بن شعبة إذا هبت الريح صبا قال أعينوا لبيداً على مروءته ! إشارة إلى أن لبيد أقسم في الجاهلية أن لا تهب الريح صباً إلا أطعم ! وقد هبت الريح صباً . والوليد بن عقبة على منبره يخطب الناس فقال : « إن أخاكم لبيد بن ربيعة قد نذر في الجاهلية أن لا تهب صباً إلا أطعم وهذا يوم من أيامه قد هبت صباً ، فأعينوه وأنا أول من يفعل » .

ثم أرسل إليه مئة ناقة وأبيات شعر منها :

أرى الجزار يشخذ شفرتيه	إذا هبت رياح أبي عقيل
أشم الأنف أصيد عامري	طويل الباع كالسيف الصقيل
وفي ابن الجعفري مجلقتيه	على العلات والمال القليل
بنحر الكوم إذ سحبت عليه	ذيولُ صبا تجاذب بالأصيل

فلما استلم لبيد النوق وقرأ الأبيات قال لابنته وكانت شاعرة مجيدة : أجيبيه فوالله لقد عشت في الإسلام وغادرتني شيطاني ، وما أستطيع معه جواباً .. فقالت ابنته سمعاً وطاعة وكتبت :

إذا هبت رياح أبي عقيل	دعونا عند هبتها الوليدا
أشم الأنف أروع عشمي	أعان على مروءته لييدا
بأمثال الهضاب كأن ركبا	عليها من بني حمام قعودا
أبا وهب جزاء الله خيراً	نخرناها فأطعمنا الثريدا
فعد إن الكريم له معاد	وظني لا أبالك أن تعودا

فقال لها لبيد : أي بنية . قد أحسنت لولا أنك استزدت عطاءه ، وأبوك لا يسأل الناس .. فقالت ابنته : أبت إن الملوك لا يستحى من مسألتهم ، فأعجب بجوابها لبيد وقال لها : لأنت في سرعة بديهتك أشعر منك في شعرك .

وكان لبليد استناداً إلى الشعر والشعراء 175/1 قبل إسلامه يؤمن بالله ويوم القيامة والحساب وهو القائل :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل
إذا المرء أسرى ليلة ظن أنه
جائله مبثوثة بسبيله
فقولاً له : إن كان يقسم أمره
فإن أنت لم تصدقك نفسك فاتسب
فإن لم تجد من دون عدنان والداً
وكل امرئ يوماً سيعلم سعيه
وكل نعيم لا محالة زائل
قضى عملاً والمرء ما عاش أمل
ويبقى إذا ما أخطأته الجبائل
ألماعك الدهر أمك هابل
لعلك تهديك القرون الأوائل
ودون معد فلتزعك العواذل
إذا كشفت عند الإله المحاصل

ويقال : إنه عمر خساً وأربعين ومئة سنة أمضى منها تسعين سنة في الجاهلية .. وقد استوحش من الناس في أخريات أيامه ، وكانت السيدة عائشة (رضي الله عنها) حين تستوحش تردد بيت لبليد ، وتبكي ، ثم تقول : كيف بلبيد لو أدرك زماننا ؟ والبيت هو :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم
وبقيت في خلف كجلد الأجر

وكان أبو عمرو بن العلاء ، إذا استوحش يردد بيت لبليد ثم يقول : وكيف بالسيدة عائشة لو أدركت زماننا !! ولبيد آخر من مات من شعراء المعلقات ! وروي أن ابنتيه كانتا تذهبان إلى قبره كل يوم وتترحان عليه وتبكيان من غير صياح ولا لطم ، ثم تمران بنادي بني كلاب تذكran مآثره وتنصرفان إلى تمام الحول كأنها استجابتا إلى وصية أبيهما (المشنقيطي ، المعلقات العشر 58) :

إذا حان يوماً أن يموت أبوكما
وقولا هو المرء الذي ليس جاره
مضاعاً ولا خان الصديق ولا غدر
ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

وقيل إنه كتب معلقته لينشدها في سوق عكاظ على النابغة ، وقد توجه النابغة

أميراً للشعراء !!

- 1- عفت الديار محلها فقامها بنى تأبد غولها فرجامها
- 2- فدافع الريال عزي رسمها خلقاً كما ضمن الوحي سلامها
- 3- دمن تجرم بعد عهد أنيسها حجج خلون حلالها وحرامها
- 4- رزقت مراييع النجوم وصاها وذق الرواعد جودها فرهامها
- 5- من كل سارية وغاد مدجن وعشية متجاوب إرزامها
- 6- فعلا فروغ الأيهقان وأطفلت بالجلهتين ظباؤها ونعامها
- 7- والعين ساكنة على أطلانها عوداً تأجل بالفضاء بهامها
- 8- وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها
- 9- أو رجع واشمة أسيف نؤورها كففا تعرض فوقهن وشامها
- 10- فوقفت أسألها وكيف سؤلنا صماً خوالد ما بين كلامها
- 11- عريت وكان بها لجميع فأبكروا منها وغودر نؤيها وثامها
- 12- شافتك ظعن الحي يوم تحملوا فتكنسوا قطناً تصر خيامها
- 13- من كل محفوف يظل عصيه زوج عليه كلة وقرامها
- 14- زجلاً كان نعاج توضح فوقها وظباء وجرة عطفاً آرامها
- 15- حفزت وزايلها السراب كأنها أجزاع بيشة أثلها ورضامها
- 16- بل ما تذكر من نوار وقد نأت وتقطعت أسبابها ورمامها
- 17- مريّة حلت بفيد وجاورت أهل الحجاز فأين منك مرامها
- 18- فأقطع لبانة من تعرض وصله ولخير واصل خلّة صرامها
- 19- وأحب المجامل بالجزيل وصرمة باق إذا صلعت وزاغ قوامها
- 20- بطليح أسفار تركز بقية منها فأحنق صلبها وسنامها
- 21- فلها هباب في الزمام كأنها صهباء راح مع الجنوب جهامها
- 22- أو ملّم وسقت لأحقب لآخه طرد الفحول وضرها وكدامها

- 23- يعلو بها حَدَبُ الأكام مُسحجاً
- 24- بأجزة الثلبوت يربأ فوقها
- 25- حتى إذا سلخا جُمادى ستّة
- 26- رجعا بأمرهما إلى ذي مرّة
- 27- ورمى دوابرها السفا وتبيّجت
- 28- فتنازعا سبُطاً يطيرُ ظلاله
- 29- مشمولة غلثت بنابت عرفج
- 30- فضى وقدمها وكانت عادة
- 31- أفتلك أم وحشية مسبوعة
- 32- خنساءً ضيعتِ الفريرَ فلم يرم
- 33- لمعفر قهْدٍ تنازعَ شلّوه
- 34- صادفن منها غرّة فأصبنها
- 35- باتت وأسبل واكفّ من ديمة
- 36- تجتاف أصلاً قالصاً متنبّذاً
- 37- يعلو طريقة متنها متواتراً
- 38- وتضيء في وجه الظلام منيرة
- 39- حتى إذا انحسر الظلام وأسفرت
- 40- غلثتُ تَبَلْدُ في نهاء صُعائد
- 41- حتى إذا يئست وأسحق حالق
- 42- وتسمعت رِزّ الأنيس فراعها
- 43- ففدتُ كلا الفرجين تحسبُ أنّه
- 44- حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا
- 45- فلحقن واعتكرت لها مديرية
- قد رابه عصيانها ووحامها
- قفر المراقب خوفها آرامها
- جزءاً فطال صيامه وصيامها
- حصدٍ ونجح صريمة إبرامها
- ريح المصايف سومها وسهامها
- كدخان مشعلة يشبُّ ضرامها
- كدخان نار ساطع أسنامها
- منه إذا هي عرّدت إقدامها
- خذلت وهادية الصّوار قوامها
- عرض الشقائق طوفها وبغامها
- غُبسٌ كواسبٌ ما يمين طعامها
- إن الناي لا تطيش سهامها
- يروى الخوائل دائماً تسجامها
- بعجوب أنقاء يميل هيامها
- في ليلة كفر النجوم غمامها
- كجانة البحري سل نظامها
- بكرت تنزل عن الثرى أزلامها
- سبعاً تؤاماً كاملاً أيامها
- لم يبيله إرضاعها وفظامها
- عن ظهر غيب والأنيس سقامها
- مولى الخفاة خلفها وأمّامها
- غضفاً دواجن قافلاً أعصامها
- كالسهرية حدّها وتمامها

- 46- لتذودهنّ وأيقنت إن لم تذذ
47- فتقصّدت منها كسابٍ ففصّرت
48- فبتلك إذ رقص اللوامع بالضحى
49- أقضي اللبانة لأفرط ربيّة
50- أو لم تكن تدري نوازٍ بأنفي
51- تراك أمكنة إذا لم أرضها
52- بل أنت لا تدرين كم من ليلة
53- قد بت سامرها وغاية تاجر
54- أغلي السباء بكلّ أدكن عاتق
55- سماع مدجنة وجذب كرينة
56- باكرت حاجتها الدجاج بسخرة
57- وغداة ريح قد وزعت وقرة
58- ولقد حيت الخيل تحمل شكتي
59- فعلوت مرتقباً على مرهوبة
60- حتى إذا ألفت يــــداً في كافر
61- أسهلت وانتصبت كجذع منيفة
62- رفعتها طرد النعام وفوقه
63- قلقت رحالتها وأسبل نحرها
64- ترقى وتطعن في الغنان وتنتحي
65- وكثيرة غرباؤها مجهولة
66- غلب تشذّر بالذحول كأنها
67- أنكرت باطلها وبوت بحقها
68- وجزور أيسار دعوت لحقها
- أن قد أحمّ على الختوف حيامها
بدم وغودر في المكرّ سخامها
واجتاب أودية السراب إلحامها
أو أن يلوم بحاجة لوامها
وصال عقد حبال جذاّمها
أو يعلّق بعض النفوس حمامها
طلق لذيد لهُوها وندامها
وافيت إذ رُفعت وعزّ مدامها
أو جونة قدحت وفصّ ختامها
بموتّر تأتأله إهّامها
لأعلّ منها حين هبّ نيامها
إذ أصبحت بيد الشمال زمامها
فرطّ وشاحي إذ غدوت لجامها
حرج إلى أعلامهنّ قتامها
وأجنّ عورات الثغور ظلامها
جرداء يحصرّ دونها جرّامها
حتى إذا سخنت وخفّ عظامها
وابتلّ من زبد الحميم حزامها
وردة الحمامة إذ أجدّ حمامها
ترجى نوافلها ويخشى ذامها
جنّ البديّ رواسياً أقدامها
يوماً ولم يفخر عليّ كرامها
بغالقي متشابهٍ أعلامها

- 69- أدعو بهنّ لمأقِرٍ أو مُظفَلٍ
70- فالضيفُ والجَارُ الغريبُ كأننا
71- تأوي إلى الأطنابِ كلُّ رذِيّة
72- ويكَلِّلون إذا الرِيّاحُ تناوحت
73- إنا إذا التقتِ المِجامعُ لم يزل
74- ومقسّمٌ يُعطي العِشيرةَ حقّها
75- مِن معشرٍ سنّتُ لهم أبـاءُؤم
76- إن يَفزَعوا تلقّ المغافِرَ عندهم
77- لا يطيعون ولا يبورُ فعالمهم
78- فبنوا لنا بيتاً ربيعاً سَمَكه
79- فاقنع بما قسمَ المليكُ فإنما
80- وإذا الأمانةُ قسّمتُ في معشر
81- فهم السعـاءةُ إذا العِشيرةُ أفضعت
82- وهم ربيعٌ للمجاورِ فيهم
83- وهم العِشيرةُ أن يُبّطيء حاسدٌ
- بُذلت لجيران الجميع لحامها
هبطا تبالة مُخصباً أهضامها
مثل البلية قالصٍ أهدامها
خَلَجاً تَمَدُّ شوارعاً أيتامها
منا لزاز عظمة جشامها
ومغذمٍ لحقوقها هضامها
ولكلّ قومٍ سنّة وإمامها
والسنُّ يلع كالكواكب لامها
إذ لا يبيل مع الهوى أحلامها
فما إليه كهلها وغلأمها
قسمَ الخلائقَ بيننا علامها
أوفى بأوفر حظنا قسامها
وهم فوارسها وهم حكّامها
والمرماتُ إذا تطاول عامها
أو أن يلوم مع العدا لؤامها

☆ معاني الكلمات :

- 1 - عفت : طمست معالمها . منى : موضع معروف . تأبّد : توحش والأوابد الوحوش .
الغول : موضع فيه ماء . الرجام مفردتها رجمة وهي الهضبة ، ولها دلالة أخرى فالرجام أحجار
تجمع لتكون أنصاباً ينسك الجاهليون عندها ويطوفون بها .
- 2 - المدافع : مجاري المياه والريان . الريان : واد ببلاد بني عامر . عري رسمها : أي إن الماء
جف فتعرّى مكان المجرى . خلقاً : من أخلق : بلي لكثرة الاستعمال أو التّقدم أو الإقامة فيه .
الخلق : الناس الكثير . الوحي : مفردها الوحي وهو الكتاب أو الكتابة إطلافاً . والسلام الحجارة
مفردتها سلمة والمعنى العام أن آثار هذه المنازل المظموسة التي لا تكاد تبين تشبه سطوراً على صخرة .

3 - دمن : رماد ودخان وسواد من البعر والسرجين . تجرّم : تجرّم : تقطّع ، أومرّ أو اكتمل . الأنيس : المصاحب . الحجج : السنون . خلون : مررن . حلاها وحرامها : الأشهر الحل والأشهر الحرم : وكل أشهر السنة عند الجاهليين حلّ عدا أربعة هي أشهر حرم وهي : رجب وذوالقعدة وذوالحجة والحرم .

4 - مرايبع النجوم : مطر أول الربيع ، وأضاف الشاعر المرايبع إلى النجوم لأن الجاهلي كان يقول : مطرنا بنوء كذا !! (والأنواء منازل القمر وهي ثمان وعشرون ويسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر ، وقطع أخرى مقابلها ذلك الوقت في الشرق فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة . وكانت العرب تزعم أن سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر وينسبونه إليها فيقولون مطرنا بنوء كذا ... انظر كتابنا : (الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ، فقرة الأنواء) . الودق : المطر القريب من الأرض . الرواعد : السحب ذوات الرعد . الجود : المطر الكثيف . الرهام المطر اللين مفردتها رهمة . + أي إن الأمطار أسهمت في طمس آثار الديار .

5 - سارية : سحابة الليل . الغادي : مطر الغداة . والمدجن : التباس الغيم بالسماء . الإرزام : صوت الرعد وإرزام الناقة حينها على ولدها .

6 - علا : ارتفع . الفروع : الأعالي . الأيقهان : جرجير الصحراء مفردتها أيقهانة . الجلهتان : جانبا الوادي . + أي إن هذه الديار الخالية جذبت إليها الوحوش ، لأنها تجد أمانها فيها .

7 - العين : البقر واحدها عينا والذكر أعين . ساكنة من السكينة : مطمئنة . أطلاؤها : أولادها ، الواحد طلا . والعود : الحديثات النتاج . تأجل واحدها أجل وهو قطع الظباء والبقر والشاء . الفضاء : المتسع من الأرض . البهام مفردتها بهمة وهي من الضأن خاصة أو من أولاد البقرة الوحشية .

8 - جلى السيول : جلت السيول التراب عن الأطلال والأطلال ما شخص من آثار الدار . الزبر مفردتها زبور وهو الكتاب وزبرت الكتاب ككتبته . تجد : تجده المتون : كناية عن الكل .. والمعنى : هذه السيول كشفت بياض الأطلال وسوادها مثل كتاب مطموس أعيد بعضه وترك الآخر .

9 - الرجع : التردد مرة بعد أخرى . الواشمة التي تشم جسدها بالإبرة ثم تحشو غرزة الإبرة

بالنؤور (مادة سوداء) . أسَفّ : دُر عليه النؤور . الكفف : الدارات من النقش الواحد ،
واحدتها كفة والكف : المنع . تعرّض : أقبل وأدبر . والمعنى : هذه الديار مثل هذا الكتاب أو هذا
الوشم .

10 - الخوالد : البواقي .

11 - عريت : خلت من أهلها . أبكروا : ارتحلوا منها في أول الوقت . غودر : ترك
النؤوي : حاجز حول البيت أو الخيمة لئلا يصل السيل إليه . الثام : نبت يجعل حول البيت فيه
شوك ، يقي من الحر والحشرات والحيوانات .

12 - الظعن : النساء في الهودج . تحملوا : ارتحلوا بأحالمهم . تكنسوا : دخلوا في الهودج
(الكناس ملجأ الطيبي يقيه الشمس) . القطن : الجماعة مفردها قطين ، وقد تنصرف إلى الجيران أو
العبيد . وربما يكون الشاعر قد أراد أن النساء استظلت بأغشية القطن . تصرّ : من الصرير وهو
صوت يصدر عن الخيام لأنها جديدة أو لأن الإبل سريعة فتهاز خشبه الخيام (الهودج) .

13 - المحفوف : الهودج المحفوف بالقماش . العصي : الحشب . الزوج : النمط المتشابه . الكلة :
الستر الرقيق . القرام شرافش تجعل فوق الفراش أو تجعل غطاء .

14 - الزَجَل : الجماعة مفردها زجلة . النعاج : البقر الوحشي . توضح مع وجرة :
موضعان . عَطَفَ : ملتفتات أو متحننات على أولادهن . فوقها : فوق الهودج ، الأرام : الأطباء
البيض ومفردها رُم .

15 - حفزت : استحثت في السير . زايِلها : دفعها مرة بعد أخرى وربما يكون المعنى
فارقها . السراب : لمعان الشمس في الفضاء كأنه ماء . أجزاع : مفردها جزع وهو منعطف الوادي
أو وسطه . بيشة : موضع . الأثل : ضرب من الشجر معروف . الرضام : تلال رملية أو صخرية
مفردتها رخمة . والمعنى : حين فارقها السراب تراءت مثل شجر قد ضربته الريح فهو يخفق أو
تلال .

16 - نوار : اسم حبيبة الشاعر . والنوار الوحش النافر . نأت : بعرت . أسباها : حبالها
والمقصود حبال المودّة . رمام مفردها هارمة (كسر الراء أو ضمّها) وهي القطة من الحبل القديمة .

17 - مرية : منسوبة إلى قبيلة مرة بن عوف . مرامها : مطلبها . فيد : موضع في طريق
مكة . وهي مجاورة أهل الحجاز أعداء الشاعر .

18 - اللبانة : الحاجة . تعرّض وصله : تعيّر وحال كأنه أخذ ميمناً وشالاً . الخلة : الصداقة . صرامها ! الصرم : القطع والمعنى : إذا أردت أن تدوم لك مودة صديقك فاقطع حوارجك عنه إذا كرهت أن يردّك .

19 - المجامل : الذي يظهر المودة ويبطن البغض . احب : اعطى . ضلعت : مالت وجارت . زاغ : مال والزيغ الميل . أي عامل المجامل بالمودة الظاهرة واخف بغضه على سبيل المعاملة بالمثل .

20 - الطليح : الناقة المهزولة من السفر . أحنق : ضم ... أي اقطع حاجتك وحاجة غيرك بهذه الناقة . تركن بقية : الأسفار تركن بقية من هذه الناقة فلم تأكل لحمها أجمع . الصلب : الجميع القوي .

21 - هباب : نشاط . صهباء : سحابة صفراء مسودة لأنها قليلة الماء سريعة العبور .. أي إن ذهاب لحم الناقة جعلها نشطة مثل السحابة الصهباء التي تخلصت من مائها فهي أسرع من سواها ..

22 - الملمع : التي استبان حملها . وسقت : جمعت ماء الفحل أو حملت . الأحقّب : الحمار ترى البياض فيه بموضع الحقب منه . لاحه : أضمره وعيره . طرد الفحول : أي إن الحمار يطرد الحмир (الفحول) عن أثنه فيناله من الفحول الضرب بالحوافر والعض (الكدام) : والحمار يطرد الفحول عن أثنه لتكون أكثر رغبة فيه حين لا يكون ثمة فحل غيره .

23 - الحذب : ما ارتفع من الأرض . الأكام : الجبال الصفار مفردها أكمة . المسحج : المعضض بأسنان الحмир . رابه : استبان الريب . عصيانه : امتناع الأتان عليه . وحامها : الوحم الشهوة في الحمل . يعلو بها : يعسفها ولا يهتم إلا بطردها لا يبالي أين سلكت وإنما يعلو بها خوف الرامي .

24 - الأحزة مفردها حزيز وهو ما غلظ من الأرض . الثلبوت : ماء لبني ذيبان . يربأ : يعلو ويشرف وربيئة القوم : طليعتهم والمراقب هي المراصد . الآرام : حجارة تجعل علامة يعرف بها الطريق . أي إن الحمار يخاف هذه الحجارة حين يراها متوهماً أنها مما يخاف منه .

25 - سلخاً : أي خرجاً منها والتثنية عائدة حمار الوحش وأتانه ، جمادى : شدة البرد ، وقوله جمادى ستة : جعل الشتاء كله جمادى لأن الماء يجمد فيه . جزءاً : اكتفاء بالرطب واستغناء عن الماء . والجزء الوقت الذي يتجزأ فيه بالرطب عن الماء وجمادى ستة : ستة أشهر تمام الشتاء .

26 - المرة : القوة والمرة في اللغة إحكام القتل والمرير : الحبل المحكم . أي رجعا الحمار والأتان بأمرها إلى رأي قوي أي عزمياً على ورود الماء بعد طول صيامها وقيامها . الحصد : المحكم .

الصريمة : العزيمة كأنه قطع الأمر وأصل الصرم القطع . الإبرام : الإحكام أي إن نجاح الأمر في إحكامه .

27 - الدوابر : مآخير الحوافر واحدها دابرة . السفا : شوك مثل السنايل له ثمر ترعاه الإبل . المصايف مفردها مصيف . الموضع الذي يمضي فيه الكائن صيفه . السوم : الحر . السهام : الريح الحارة أي إنها تركت لترعى حيث شاءت .

28 - تنازعا : الحمار وأنشاه . سبطاً : غباراً مرتفعاً . ظلالة : ما يظل منه . المشعلة : النار . يشب : يوقد . الضرام : الحطب الرقيق أي إنها تنازعا غباراً ممتداً طويلاً طائراً ظلالة كأنه دخان نار أوقدت .

29 - مشبولة : أي أصابتها ريح الشمال . غلثت : خلط ما أوقدت به بنابت عرفج : وهو كثير الدخان . أسنامها : ارتفاع لهبها .

30 - أي إن الحمار قدم الأتان حتى لا تعند عليه . عردت : تركت الطريق وعدلت عنه وأصل التعرید : الفرار . وهذه عادة الحمار .

31 - يقول لبيد : أفتلك الأتان هي التي تشبه ناقتي أم البقرة الوحشية المسبوعة التي أكل السبع ولدها فهي مذعورة . وخذلت : تأخرت عن القطيع وأقامت على ولدها . هادية الصوار : متقدمته . الصوار : القطيع من البقر .

32 - خنساء : صفة البقرة الوحشية والخنس تأخر الأنف في الوجه وقصره . الفرير : ولد البقرة وأصل الفرير الخروف وهو من ولد الضأن والبقرة تجري مجرى الضائنة . الشقائق مفردها شقيقة : أرض غليظة بين رملتين . الطوف : الذهاب والهيء . بغامها : صوتها أي إن البقرة لا تبرح هذه الرملة تطلب ولدها لأن في هذه الرملة نباتاً فهي تصيح بولدها لئلا يكون النبات قد غطاه ، ولو كانت مصحرة لما ثبتت في موضع واحد .

33 - المعفر : التعفير هو أن تعفر ولدها إذا أرادت فطامه والمعفر هو الذي سحب في العفر (التراب) . القهد : الأبيض وقيل هو الأبيض الذي يخالط بياضه صفرة أو حمرة . تنازع : تعاطى . الشلو : بقية الجلد أو بقية الجسم . الغبس : الذئب . والغبسة لون الرماد ، وهو بياض فيه كدره . الكواسب : المتدربات على الصيد فهن يكسبن الصيد ولا يخفقن . ما يمين طعامها : لا يمين عليها أحد بالطعام فهي تكسبه بنفسها لنفسها .

يومها تَوَاماً . كاملاً أيامها : أي لا ينقص جزعها في هذه الأيام !! والمعنى أن هذه البقرة المفجوعة بوليدها جزعت وقلقت لفقد وليدها فتحيرت مترددة تبحث عنه في موضع (نهاء صعائد) مدة سبع ليال كاملة .

41 - حتى إذا يُسْت من ولدها . أسحق : ارتفع . حالق : ضامر من الجوع والإعياء والقلق ، وقيل ممتلئ لبناً وأصله من الارتفاع ، لم يبيله إرضاعها وفضامها : لم تذهب به كثرة إرضاعها ولا فطامها ولكن ذهب به فقد ولدها وتركها العلف .

42 - ويروى (وتوجست كز الأنيس) سمعت : ركزت لتسمع . راعها : أفزعها ولم تره الناس . الرز والركز : الصوت الخفي . عن ظهر غيب : من وراء حجاب أي تسمع الذي لا تراه . الأنيس : الصياد وتسميته الأنيس ضرب من السخرية المرّة فهي تبحث عن أنيس وليس ثمة غير الصياد . سقامها : هلاكها لأنه يصيدها .

43 - الفرجان : الجانبان ، الفرج الواسع من الأرض ، والبقرة تخاف من كل شيء تراه ولا تراه . مولى المخافة : صاحب الخوف وسببه وقيل : إن المقصود بالمخافة الكلاب ... أي غدت البقرة لا تدرك لقلقها موضعها من الخطر فتحسبه أمامها وخلفها وفي جانبها .

44 - الرماة : الصيادون . الغضف : الكلاب المسترخية الآذان . الدواجن : الضاريات المدربات التي لا تغادر أصحابها . القافل : اليابس . الأعصام : قلائد من الجلد تجعل على أعناق الكلاب مفردتها عصام وعصمة وعصم والمعنى أن الرماة يؤسوا من أن تنال سهامهم البقرة فأرسلوا في إثرها كلابهم المدربة الضارية .

45 - أي فلحقت الكلاب هذه البقرة فرجعت البقرة عليهن تطعنهن . اعتكرت : رجعت المدرية : القرون الحادة . السهرية : الرماح الصلبة المنسوبة إلى رجل مشهور بتقويم الرماح اسمه سمهر فشبّه قرنها بالرمح لصلابته وحدّته ألا ترى أنه قال : حدها وتامها يعني بتامها : طولها .

46 - تذودهن : تطردهن وتمنعهن . الحمام : الموت .. فالبقرة تعلم أن الكلام يحملن موتها إليها ، فهي تمنعن بقرونها وكل ما تبقى من قوتها .. وكل شيء حان وقته تقول فيه أحم يحم .

47 - تنصدت : اختارت أو قتلت . كساب : اسم كلبة كانت في طليعة الكلاب عدواً عليها وفتكاً بها . ضرجت : لطخت بالدم . غودر : ترك . سخام كلب والهاء تعود على الكلاب .

48 - معناه فتلك الناقة أفضي اللبانة (الحاجة) . لأفرط : لأقصر أي أمضي في الحاجة

ولأقصر فيها . لئلا أشك وأقول إذا فاتتني : ليتني تقدمت أو يلومني لائم على تقصيري ، فهذه الناقاة تعين الشاعر على من أراد مواصلته أو مصارمته (تركه) .

50 - نوار : حبيبة الشاعر وهي من بني جعفر . جذام : قطاع .. أي إن الشاعر يصل من يستحق المواصلة ويقطع من يستحق القطيعة .

51 - يقول لبيد : إنه يترك الأمكنة إذا رأى فيها ما يكره إلا أن يدركه الموت فيحبسه . يعتلق : يحبس . الحمام : الموت أو القدر .

52 - كم : للتكثير . ليلة طلق : معتدلة ليس فيها حر ولا برد . الندام : المنادمة .. مجالسة أخلائه من الشاربيين .

53 - سامر من السر وهو حديث الليل . التاجر : الخمار أو بائع الخمر . عزّ : ارتفع وغلا . المدام الخمر والغاية السوم .

54 - السباء : شراء الخمر . أدكن : زق أدكن . عاتق : عتيق . الجونة : الخاوية السوداء . قدحت : عزف منها ومزجت أو بزلت . فضّ : كسر أو فتح . ختامها : خاتمها أو الختم الذي عليها .

55 - المدجنة : التي تغني في يوم المطر . الكرينة : صاحبة الكران والكران هو البربط . آلة وترية تشبه العود . تأتلة : تصلحه وتعمله (تدوزنه) قبل الاستعمال وفي أناة .

56 - باكرت حاجتها : باكرت حاجتي في الخمر . الدجاج : الديكة والدجاج بكسر الدال وفتحها تقع على الذكر والأنثى وتاؤه للواحدة ! والمعنى باكرت بشرها صياح الديكة . أعلّ منها : العلل هو الشرب الثاني وقد يقال للثالث والرابع علل من قولهم تعللت به انتفعت به مرة بعد مرة . هبّ النائم : استيقظ . والمعنى : أن الشاعر شرّبها قبل صياح الديكة ليشرب منها المرة تلو الأخرى حين استيقظ نيام السحر .

57 - وزعت : كفتت ويروى كشفت أي بالطعام والكسوة وإيقاد النيران . القرّة : البرد . وقوله إذا أصبحت بيد الشمال زمامها أي إذا أصبحت الغداة الغالب عليها الشمال ، وهي أبرد الرياح وجعل للشمال يداً وللغداة زماماً .

58 - ويروى ولقد حميت الحي أي منعت عنه الأذى . الشكة : اسم لجميع السلاح . فرط : فرس متقدم وقوله وشاحي لجامها معناه أن الفرسان كان أحدهم يتوشّح للجام ليكون ساعة يفرع قريباً منه وتوشحه إياه هو أن يلقيه على عاتقه ويخرج يده منه .

- 59 - المرتقب الموضع الذي يرقب فيه . الهبوة : الغبار والمعنى أن القتام كثر حتى بلغ إلى الأعلام وهي الجبال . المرهوبة : الخيفة . الحرج : الضيق والقتام : الغبار أيضاً .
- 60 - أَلقت يعني الشمس : وألقت يداً أي بدأت في المغيب . الكافر الليل لأنه يغطي الأشياء . أجن : ستر . عورات الثغور : المواضع التي تؤتى الخفاة منها ، وكل مكان يتخوف منه فهو ثغر وفرج ومدينة معورة : إذا كان فيها مكان يتخوف منه .
- 61 - أسهلت : نزلت من الرقبة إلى السهل فنصبت عنقها من مرحها ولم تكسرهما حين غربت الشمس ، ولم أتمكن من حراسة أصحابي على المرتقب وسرت على السهل من الأرض والفرس يقع على الذكر والأنثى . جذع منيفة : جذع نخلة منيفة . الجرام : القطاع ، وهم صرام النخلة . يحصر : يكل . منيفة : نخلة طويلة مشرفة . جرداء : انجرد عنها السعف .
- 62 - رَفَعْتها : رفعتها في السير . طرد النعام : عدوه . سخنت : حميت من العرق . خف عظامها : إذا كثر عرقها خف عظامها ، وربما تكون كناية عن السرعة .
- 63 - الرحالة : سرج كان يعمل من جلود الشاء بأصوافها يتخذ للجري الشديد . أسبل نحرها : سال بالعرق . الحميم : العرق أو الماء الحار والقريب والمعنى أسرعت فقلقت رحالتها والرحالة تشبه السرج لاقربوس لها ولا مؤخرة وربما كان من لبود وقلقت جواب حتى إذا في البيت السابق .
- 64 - يصف أنها ترفع رأسها فكأنها تصعد وتطعن أي تعتمد في العنان كما يعتمد الطاعن ، تنتحي : تقصد . الحماقة : القطة يعني أنها تمر كما تمر القطة إلى الماء وبين يديها قطا قد انكش فهي في أثره وهو أسرع لها ويريد بالحمام هنا جماعة ، لأنه يقال للذكر والأنثى حمامة . ومعنى البيت : إن فرسه تسرع كما تسرع هذه القطة إلى شرب الماء وهي في أثر قطا بعد الكلال والتعب . ورد الحمامة : أي ترد كما ترد الحمامة .
- 65 - المعنى رب حرب كثيرة غرباؤها وجعلها كثيرة الغرباء لما يحضرها من ألوان الناس وغيرهم وجعلها مجهولة لأن العالم بها والجاهل يجهلان عاقبتها . النوافل : الفنية والظفر . ذامها : عيبها وهناك تأويلان آخران هما :
- أ - ورب جماعة كثيرة الغرباء والمقصود قبة النعمان وجعلها كثيرة الغرباء لاجتماع الناس عندها وجعلها مجهولة لأن بعضهم لا يعرف بعضاً إلا بالسؤال .

ب - أرض كثيرة الغرباء يضل بها من يسلكها إذا جهل طرقها .

والتأويل الأخير (ب) أقرب إلى روح النص من سواه .

66 - الغلب : الغلاظ الأعناق . تشذر : يوعد بعضهم بعضاً والتشذّر رفع اليد ووضعها كما

كانوا يفعلون إذا تفاخروا وتثالبوا ، وتشذرت الناقة إذا شالت ذنبها . الذحول مفردها ذحل وهو الحقد . البدي : البادية وقيل : إن البدي موضع . الرواسي : الثوابت وقال ابن الأنباري : البدي وإد لبني عامر .

67 - بؤتُ : انصرفت وفي الحديث الشريف : « بَاءَ طَلْحَةَ بِالْجَنَّةِ » أي انصرف بها وهذا

البيت متعلق بقوله وكثيرة غرباؤها . والمعنى وكثيرة غرباؤها أنكرت باطلها ، أي رددته وبؤت بحقها أي احتملته ولزمته ولم يفخر عليّ كرامها أي إن فخري ظاهر واضح وقيل بؤت بحقها أي بحقي لأنّي فخرت بحق وأصل الفخر الارتفاع والتعظيم يقال ذر فاخرة أي مرتفعة عظيمة وناقاة فخور أي عظيمة الضرع وأنكرت باطلها : أنكرت ما فخر به الوفود من الباطل .

68 - الجزور الناقة تشتري لتجزر أي تذيب وجمعها جزائر وجزر . الأيسار : مفردها يسر

وهو الذي يضرب بالقداح ويقال له أيضاً ياسر . لحتفها : لنحرها . المغالق : القداح التي يضرب بها الواحد مغلق ومغلاق وإنما سميت مغالق لأنه يجب بها غلوق الرهن ، يقال غلق الرهن يغلق غلقاً وغلوقاً إذا لم يقدر على فكه . الأعلام : العلامات واحدها علم .

69 - يقال أدعو بهذه المغالق لأيسر بها على ناقة عاقر أي لا تلد . ناقة مطفل : معها ولد

صغير . والعاقر أسمن ، والمطفل أعلى ، واللحام مفردها لحم ، وأدعو بهن لعاقر ولطفل أي أنخرهن من أجل هؤلاء النسوة . ويروى : (لجيران الشتاء ولجيران العشي) والمعنى يكون أبلغ وأدلّ .

70 - الضيف : النازل غير المقيم ويروى (والجار الجنيب) وهو الغريب أيضاً . تباله : اسم

موضع كثير الخصب يقع في اليمن . الإهضام : بطون الأودية منهضة واحدها هضم وفيها نخل كثير ، يقول فإذا نزل بهم الضيف صادف عندهم من الخصب والفواكه ما يصادفه بتباله إذا هبطها وإنما يعني نفسه . مخصب : ما تطامن من الأرض لأن السيل إليه أوصل وهو أخصب ، ومعنى البيت إن ضيفه وجاره بمنزلة من نزل تباله من الخصب .

71 - تأوي : تلوذ ، تدخل الرذية : الناقة المهزولة التي تركت لهاها والرذية هنا المرأة التي

قد أرذاها أهلها أي ألقوها والمراد بقوله : كل رذية : الأرامل واليتامى فيقول منزلنا تأوي إليه

الفقيرات والفقراء الذين يشبهون البلية هزالاً . البلية : الناقة التي يموت صاحبها فيشد وجهها بكساء وترتبط عند قبره ولا تطعم ولا تسقى حتى تموت فإذا صار الحشر فإن صاحبها (كما يزعمون) يحشر عليها . القالص : المرتفع . الأهدام : مفردها هدم وهو الثوب الخلق البالي . ويريد أن أطنابه وهي حبال الخيام تأتي إليها الفقراء والأرامل ، لأنه يطعمهم ويعطيهم .

72 - التكليل : نضد اللحم بعضها على بعض أي يكللون الجفان (الصحون) باللحم وأصل معنى كلل ألبسه الإكليل وهو عصابة مزينة بالجواهر ، وأما ما كلل الجفنة باللحم فجاز . تناوحت : قابل بعضها بعضاً وذلك في الشتاء ! وشبه الجفان بالخلج لسعتها . تمد : يزداد فيها ، الشوارع : الهيئات والمعنى يطعمون الطعام في الشتاء ووقت الجهد .

73 - ويروى (كنا إذا التقت الجماع) ويروى المحافل ، قال ابن كيسان : (إنا) أبلغ في المدح من كنا يعني أن كنا إنما تدل على ماضى فقط فلهذا صار (إنا) أمدح ، وجاز كنا ؛ لأنه إذا أخبر عما مضى فليس فيه دليل على أنه نفى غيره وأيضاً فإن كنا يجوز أن تؤدي عن معنى : مازال ، قال تعالى : ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ [النساء : 96/4] . اللزاز : الذي يلزم الشيء ويعتمد عليه فيه ومنه سميت الحشبة التي يشد بها الباب لزازاً وهي المترس ولز فلان بفلان إذا لزمه . والجشام المتكلف للأمر القائم بها . ومعنى البيت : أنه إذا اجتمع الناس للفخار أو لعظيم من الأمر كان الذي يقوم بذلك ويحكمه منهم .

74 - مقسم : يقسم بالعدل . المغذمر : الذي يضرب بعض حقوق الناس ببعض فيأخذ من هذا ويعطي هذا أو هو الذي لا يعصى ولا يرد ، قوله والهضام الذي ينقص قوماً ويعطي قوماً بتدبير ، وقد وثق به في ذلك ، وأصله الهِضْم بالكسر يقال : اهضِم له من حنك ، أي اكسره له ، ومن ثم قيل رجل هضوم الشتاء أي يكسر ماله في الشتاء ، ومنه هضم الحشا وفي الأرض هضوم أي مطبانات .

75 - يقول : هؤلاء الذين ذكرت من معشر هذه العادة فيهم سنة ولكل قوم سنة ، معناه سن لهم آباؤهم سنة وعلومهم مثال السنة والإمام : المثال أو القدوة والسنة الطريق والأمر الواضح ، أي ورثنا هذه الأفعال عن آباؤنا ولم يزل هذا الشرف فينا متقدماً .

76 - السن : الأسنة . اللام : مفردها لأمة وهي الدرع .

77 - لا يطبعون : أي لا تندس أعضاهم ولا يبور فعالهم أي لا يهلك وبار الطعام : كسد والمعنى : أنا لا اغيل مع هوانا وإن عقولنا تغلب هوانا .

- 78 - بنوا : يعني الأبناء البيت كناية عن الشرف .. السمك : الارتفاع .
- 79 - أقنع : أرضى . الخلائق : الطبائع والأخلاق الحسنة . العلام : الله سبحانه .
- 80 - معشر : قوم لا يقلون عن العشرة . الحظ : الحصة والنصيب .
- 81 - أفضت : حل بها أمر عظيم ، ومعناه أنهم السعاة في صلاح الحي من الديات وغيرها وهم فوارسها الذين يمنعونها وحكامها الذين يرجع إلى رأيهم ، ويقبل قولهم ولا يرد فيما أصدره وأوردوه .
- 82 - أي هم بمنزلة الربيع في الخصب لمن جاورهم والمرملة اللواتي لا زاد لهن ، ولا مأوى ، قد مات أزواجهن ، قوله : إذا تناول عامها : إذا توفي زوج المرأة أقامت عاماً ، ونزل بذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة : 240/2] ثم نسخ هذا بقوله ﴿ وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة : 234/2] .
- 83 - وهم العشرة فيه مدح كما تقول : هو الرجل : أي هو الرجل الكامل ، ومعناه : هم العشرة التي لا يقدر حاسد أن يبطئ الناس عنهم بسوء ، ولا يقدر لائمهم على لومهم من كرمهم ، ويروى : إن تَنْبَطَ حاسدٌ ، أي استخرج أخبارهم ليجد فيها عيباً ..

5 - عنترة العبسي

عني الشارع الثقافي بعنتره شاعراً وإنساناً منذ سطوع نجمه في الجاهلية وحتى يومنا هذا ، وهو عنتره بن عمرو بن شداد بن عمرو بن قراد وصولاً إلى عبس بن بغيض ، وقيل : إن شداد هو جده أبو أييه ، وقيل : إن شداداً عمه ، وكان عنتره نشأ في حجره فنسب إليه دون أييه (الشعر والشعراء 153/1) . وله لقب (عنتره الفلحاء) وذلك لتشقق شفثيه !

وأمه أمة غنمها أبو عنتره في واحدة من غزواته ، حبشية يقال لها : زبيبة . وكان لها ولد عبيد من غير شداد فكانوا إخوة عنتره لأمه ، وهو يحبهم ويحنو عليهم .

وذكر أبو عمرو الشيباني أن عنتره كان شريفاً في نفسه ، لا يكذب ، ولا يخون ، ولا يغدر .. وكان عنتره قبل أن يدعيه أبوه حرشت عليه امرأة أييه (سمية) فنهرها عنتره وشمها ، فشكت أمره إلى أييه (إنه يراودني عن نفسي) فغضب أبوه غضباً شديداً ، وقال لا جرم فهذه أخلاق عبيد السوء فضربه ضرباً مبرحاً بالسوط والعصا ، فلم يتأوه عنتره أو يطلب العفو .. فأراد أبوه أن يتخلص منه فشهّر سيفه ليضربه به .. فوقعت عليه سمية امرأة أييه وكفته عنه بما يشبه الاعتراف ببراءة عنتره ، ولما رأت ما نال عنتره بسبب كذبها وظلمها بكته عليه ومسحت عرقه ودمه بمنديلها .. فقال
عنتره :

أمن سمية دمع العين مذرروف لو أن ذا فيك قبل اليوم معروف
تجلتني إذ أهوى العصا قبلي كأنها صنم يعتاد معكوف

وأشده النبي ﷺ قول عنتره :

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل
وأغض طرفي ما بدت لي جارقي حتى يوارى جارقي مثواها
فقال عليه السلام : « ما وصف لي أعرابي في الجاهلية فأحببت أن أراه إلا عنترة » . ا. هـ .

وشهرة عنترة الشجاع غلبت كثيراً من صفاته الأخرى ، فعنترة إنسان رقيق الطبع
طموح ، وذو حساسية عالية ، وعنترة ذو الأخلاق العالية ، والشائل السامية ، وثمة
عنترة الشاعر المبدع المبتكر !! لكن لشجاعته مذاقاً مختلفاً .. حتى بات بطلاً
أسطورياً ، « قيل لعنترة أنت أشجع العرب وأشدها قال لا ، قيل فهاذا شاع لك هذا في
الناس ؟ قال كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزمًا ، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزمًا ،
ولا أدخل موضعاً إلا إن أرى لي منه مخرجاً ، وكنت أعمد الضعيف الجبان فأضربه
الضربة الهائلة التي يطير لها قلب الشجاع ، فأثني عليه فأقتله » .

وكان عمرو بن معد يكرب يقول : ما أبالي من لقيت من فرسان العرب ما لم يلقيني
حراها وهجيناها يعني بالحريين عامر بن الطفيل وعتبة بن الحارث وبالعبدین عنترة
والسليک بن السلکة . ا. هـ .

وقال ابن الكلبي : عنترة أحد أغربة العرب ، وهم ثلاثة عنترة وأمه زبيبة ،
وخفاف بن عمير الشريدي وأمه ندبة ، والسليک بن عمير السعدي وأمه السلکة وإليه
ينسبون ، وفي ذلك يقول عنترة :

إني امرؤ من خير عبس منصباً شطري وأحمي سائري بالمنصل
وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ألفت خيراً من معم مـغـول

ويعلل الأصهباني (الأغاني 7/ 143) ذلك على هذا النحو : يقول إن أبي من أكرم
عبس وهو شطري ، والشطر الآخر ينوب عن كرم أمي فيه ضربي بالسيف ، فأنا خير
من قومي ممن عمه وخاله منهم وهو لا يفني غنائي ... وهذه الأبيات قالها في حرب
داحس والغبراء . ا. هـ .

وقد شغف القصاص بسيرة عنتره لما تثيره من الأخيلة التي تستحيل مغامرات ومفاجآت ، يقول جرجي زيدان (تاريخ آداب اللغة العربية 113/1) : « وكان من عادة المسلمين في صدر الإسلام أن يستنهضوا هم الجند للحرب بتلاوة أخبار الشجعان وفرسانهم الجاهليين ، وقد رأيناهم يفعلون ذلك في القرن الأول للهجرة في زمن الحجاج سنة (77 هـ) في الواقعة التي قتل فيها شبيب عتاب بن ورقاء ، ذكر ابن الأثير أن عتاباً سار في أصحابه قبل المعركة يحرضهم على القتال ، ويقصّ عليهم ، ثم قال : أين القصاص ؟ فلم يجبه أحد ! فقال أين من يروي شعر عنتره ؟ فلم يجبه أحد » ويضيف زيدان إلى ذلك أخباراً أخرى تنفعنا في أن سيرة عنتره كانت مركز اهتمام الناس والقادة معاً ...

وقد جاء في سبب جمع سيرة عنتره وتدوينها أن رجلاً اسمه الشيخ يوسف بن إسماعيل كان يتصل بالعزيز بالله الفاطمي ، فاتفق أن حدثت ريبة في دار العزيز لهجت الناس بها في المنازل والأسواق فساء العزيز ذلك ، وأشار على الشيخ يوسف المذكور أن يطرف الناس بما عساه أن يشغلهم عن أهل بيته ... وكان الشيخ يوسف هذا واسع الرواية في أخبار العرب ، كثير النوادر والأحاديث ، وكان قد أخذ روايات شتى .. فأخذ يكتب قصة عنتره ويوزعها في الناس فأعجبوا بها وشغلوا بها عن سواها ، ومن تطفه في الحيلة أنه قسمها إلى (72) كتاباً والتزم في آخر كل كتاب أن يقطع الكلام في حادث مهم يشتاق القارئ والسامع إلى الوقوف على تمامه ، وقد أثبت في هذا الكتاب ماورد من أشعار العرب المذكورين فيها ، ولكن تداول النساخين الجهلاء للقصة أفسد روايتها . ١ . هـ .

ولنتابع كتاباً تضمن سيرة عنتره يذكر حكاية غزو شداد وقومه لقبيلة جديدة واستحواده على الغنائم واستئثاره بأمة سوداء !! (شداد بن قراد فارس جرورة وهي فرسه ، كانت من أحسن خيول العرب ، حسده عليها الفرسان فسار هؤلاء الغزاة من أرض بني عبس التي تسمى الشربة القريبة من جبل العلم السعدي حتى جاوزوا أرض

بني عدنان إلى أرض بني قحطان ، ثم أشرفوا على جبلي أجا وسلمى ، وهناك رأوا قبيلة جليلة عندها أموال جزيلة ووجدوا لهم مضارب وخياماً ، وكان مضاربهم بجر متلاطم من كثرة الغلمان والجواري الحسان والعبيد والولدان والخيول مختلفة الألوان ، فلما رأوا كثرة القوم ، لم يهجموا عليهم ، وارتدوا إلى مراعيهم فوجدوا ألف ناقه ترعى وفي تلك البطاح تسعى . وكان مع تلك الجماعة أمة سوداء ترعى الإبل في ذلك البر الفسيح ومعها غلامان يدوران حول الجمال إذا قعدت أمهما تستريح . وكانت تلك الجارية رقيقة الأكتاف كثيفة الأرداف مليحة الاعتدال ، كأنها غصن إذا تحرك ومال ، فلما نظر بنو عيس إلى تلك النياق انطلقوا إليها كخيل السباق وساقوها أمامهم ومعها الأمة والولدان .. ولما ابتعدوا عن الديار ثار من خلفهم الغبار وأدركهم فرسان جديدة واشتبكوا معهم في معركة طويلة ، ولم يلبثوا أن أدركتهم الهزيمة ، ومضى بنو عيس بالغنية ، ولما أقبل المساء نزلوا على بعض الغدران طلباً للماء فنظر شداد إلى تلك الأمة فحلت في عينيه وأراد أن يبلغ منها أمراً فاستعصت عليه ، وقالت له : حاشى أن يأخذ مثلك امرأة شريفة بالسفاح ، فوضع يده في يدها وأشهد القوم على عقد النكاح ، وتنازل لرفاقه عن حقه في غنية بني جديدة ، حتى لا ينازعه تلك الأمة الجميلة (17) .

ويضيف الشيخ يوسف بن إسماعيل صوراً كثيرة عن نشأة عنتره وما دار حوله من المبالغات (فلما سمع به الملك زهير بن جذيمة وكان كاملاً في شجاعته وكرمه أمر بإحضار الغلام ، فلما جاؤوه به رآه من أعجب الغلمان ، وكان عمره لا يزيد عن أربعة أعوام ، فخاف الملك أن يسطو عليه وأرعبته نظرة عينيه ، فرمى له قطعة من اللحم ، فسبقه إليها كلب خطفها ، وإذا بالغلام يلحق به ، ويمسك بعرقوبه ، ويحاول استخلاص اللحم من فمه فلما استعصى عليه ، أمسك الكلب فمزق شذقيه إلى نصف لوحيه وأخذ قطعة اللحم منه ووضعها في فمه ورجع يطلب غيرها فتعجب الملك زهير ،

(17) يوسف بن إسماعيل ت 635 (من أدباء الدولة الفاطمية) ، عنتره بن شداد 8/1 ، الطبعة الثانية توز (يوليو) 1981 ، طبعة دار الكتب الشعبية بيروت .

وبهت الحاضرون ، وقال الملك : والله ما هذا إلا أشجع الشجعان وينبغي أن يسمى هذا الغلام عنتره الفرسان (18) .

عنتره الشاعر :

عنتره شاعر مهم ، له أسلوبه المتميز بصدق النبوة وجمال الصورة وبساطة العبارة وعمقها ، وذكاء الإشارة وحذقها ، ويكفي أنه تحدّى الشعراء بمعلقته فقال في استهلالها ما يوحي أن الشعراء لم يتركوا فتقاً لمن جاء بعدهم لكي يرتقه ، أي إنهم قالوا كل شيء فليس ثمة زيادة لمستزيد ، وأراد عنتره بذلك أن يقول : ورغم ذلك فأنا الوحيد القادر على الإتيان بالجديد الجميل ... ومعلقته واحدة من أجمل المعلقات إن لم تكن أجملها طراً ، فهي تبدأ بتحدي الشعراء وتثني بغزل عفيف صادق موجه إلى حبيبة قلبه وابنة عمه (عبلة) التي أعجبت بالإنسان فيه ، ورأت الجمال الكامن في نفسه الأبية ، وفي المعلقة لوحات فنية لا يستطيعها شاعر سوى عنتره ومنها وصف فرسه وسط الدماء ، ومنها أيضاً وصف ثغر عبلة الذي شبهه بروضة غناء لم تطأها قدم وأشكل على الدارسين أنه جعلها كثيرة الذباب ، فقالوا : كيف لعاشق أن يجعل شبهه ثغر الحبيبة روضة كثيرة الذباب ، وتوهوا أن عنتره بسبب جفاء طبيعه لم يجد في الذباب ما يشين لأنه اعتاده وبات شيئاً من مباحجه (كذا) والذي نراه أن عنتره لم يكن قليل ذوق حين جعل الذباب غرواً هزجاً في الروضة التي أشبهت ثغر عبلة فلو استثمرنا نظرية بافلوف (الاقتران الشرطي) لوجدنا أن الأمر على غير ما توهمه بعض الدارسين . فالذباب الذي اقترن في ذاكرتنا الجمعية الآن بالجراثيم والمزابل والجيف ، لم يكن كذلك في العصر الجاهلي ، لأن الذباب لا يرى زمناً في الصيف المحرق الذي تنيق فيه الإبل والناس ، ولا يرى أيضاً في زهرير الشتاء الذي تتثلج فيه الإبل وتموت أحياناً .. وكان الذباب حاضراً في الربيع مقترناً بالدفء والخصب وعلاقات الحب بين الفتیان حين تقيم القبائل جنب الغدران والكلأ .. فالذباب في الذهن الجمعي الجاهلي لم يكن مقترناً بالقذارة

(18) المصدر نفسه 9/1 .

والشر .. وإنما بالفضارة والخير .. وهذا تأويل نقترحه لهذه الإشكالية ، ولاندعي أن تأويلنا أصاب كبد الحقيقة .

وثمة في المعلقة أبيات يضع فيها عنتره أصابعنا على مواضع جروحه وهمومه ويعترف فيها أنه مريض نفسياً بسبب قسوة المجتمع عليه .

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتره أقدم

كما أنه خائف تماماً من أن يموت قبل أن يؤدب ابني ضمضم هذين الجبانين اللذين أساءوا إلى سمعته وتوعدها وهدداه وطعنا في شرفه ومروءته .. تماماً كما فعل أبوها :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشامتي عرضي ولم أشتها والناذرين إذا لم ألقيها دمي
إن يفعلوا فلقد تركت أباهما جزر السباع وكل نسر قشعم

وثمة اعتراف جميل يشيعه عنتره في معلقته ، وهو يخاطب الحبيبة .. فهو يدعوها أن تشكره وهذه دعوة لم تصدر من شاعر سوى عنتره ولكنه يريد منها أن تشكره بما علمت فقط ، فهو إنسان متسامح يحب العفو ، ولكن الويل ثم الويل لمن يظلمه :

+ هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
يخبرك من شهد الواقعة أنني أغشى الوغى وأعف عند المغنم
+ أثني علي بما علمت فإنني سمح مخالقي إذا لم أظلم
فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل مر مذاقته كقطع العلقم

ودعوة عنتره لحبيبتة إلى أن تشكره تحمل من الصدق الشيء الكثير ، فكل عاشق ميال في حقيقته إلى أن تعجب به حبيبتة وتشكر خصاله بل إن الشكر عادة عربية أصيلة تم عن الوفاء ، فالجنة لا يدخلها إلا الشكور ، ولئن شكرتم لأزيدنكم ، وبالشكر تدوم النعم ، فالشكر تقليدي عربي عرفه ذوو المروءة من عرب الجاهلية وكرسه الدين الإسلامي .

يحكى أن عنتره ، الذي اعترف به أبوه بعد أن بانث مخايل نجابته وتجلت آيات فروسيته وإقدامه ، كان محسوداً من قبل سادات قبيلته أولاً ، فهم يرون فيه عبداً أسود تفوق عليهم ، وبات ذكره على كل لسان ، فبعد أن كان أبوه منكرأ أبوته له وبعولته لأمه ، اعترف به وبأمه على أثر حادثة مشهورة ذكرها الأصبهاني : « وكان سبب ادعاء أبي عنتره إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على بني عبس فأصابوا منهم واستاقوا إبلأ فتبعهم العبيسون فلحقوهم فقاتلوهم عما معهم وعنتره يومئذ فيهم ، فقال له أبوه : كر يا عنتره ، فقال عنتره : العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلاب والصر . فقال له أبوه : كر وأنت حر ، فكر عنتره وقاتل قتالاً حسناً فادعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه . » 143/7 .

وقد كثر مبغضوه كما قدّمنا وكانوا يستفزّونه ، فشمته رجل عسبي وعيّره بسواده وبأمه وإخوته ، فشمته عنتره وفخر عليه وقال له : « إني لأحضر البأس وأوفي المغنم وأعف عند المسألة وأجود بما ملكت يدي وأفضل الخطّة الصماء » . فقال له العسبي إمعاناً في استفزازه : « أنا أشعر منك يا عنتره » . فقال له عنتره وقد استشاط غضباً : « ستعلم غداً من الأشعر منا وكتب معلقته » !.

☆ معلقة (هل غادر الشعراء) . البحر : الكامل . القافية : م عدد الأبيات ...
التبريزي 81 . الشنقيطي 84 الديوان تحقيق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام
الكاتب 86 .

- 1- هل غادر الشعراء من متردّم
 - 2- أعياك رسم الدار لم يتكلم
 - 3- يادار عبلة بالجواء تكلمي
 - 4- دار لآنسة غضيض طرفها
 - 5- فوقفت فيها ناقتي وكأنها
 - 6- ولقد حبست بها طويلاً ناقتي
 - 7- وتحمل عبلة بالجواء وأهلنا
 - 8- حييت من طلل تقادم عهده
 - 9- حلت بأرض الزائرین فأصبحت
 - 10- علقتهأ عرضاً وأقتل قومها
 - 11- ولقد نزلت فلاتظني غيره
 - 12- كيف المزار وقد تربّع أهلها
 - 13- إن كنت أزمعت الفراق فإنما
 - 14- ماراعني إلا حولة أهلها
 - 15- فيها اثنتان وأربعون حلوبة
 - 16- إذ تستييك بذی غروب واضح
 - 17- وكان فارة تاجر بقسيمة
 - 18- أو روضة أنفأ ترضن نبتها
 - 19- جادت عليه كل بكر حرة
 - 20- سحاً وتسكاباً فكل عشية
- أم هل عرفت الدار بعد توهم
حتى تكلم كالأصم الأعجم
وعمي صباحاً دار عبلة واسمي
طوع العناق لذينة المبتسم
فدن لأقضي حاجة المتلوم
أشكو إلى سفع رواكد جثم
بالحزن فالصمان فالمتثلم
أقوى وأقفر بعد أم الهيثم
عسراً عليّ طلابك ابنة مخرم
زعماً لعمراً أيبك ليس بمزعم
مني بمنزلة الحب المكرم
بعنيزتين وأهلنا بالغيلم
زمت ركابكم بليلاً مظلم
وسط الديار تسف حب الخنجم
سوداً كخافية الغراب الأسحم
عذب مقبله لذيد المطعم
سبقت عوارضها إليك من الفم
غيث قليل الـدمن ليس بعلم
فتركن كل قرارة كالـدرم
يجري عليها الماء لم يتصرّم

- 21- وخلا الذباب بها فليس بيارح
22- هزجا يحك ذراعه بذراعه
23- تسي وتصبح فوق ظهر حشية
24- وحشيتي سرج على عبل الشوى
25- هل تبلغني دارها شدينة
26- خطارة غب السرى زيافة
27- فكأننا أقصى الأكام عشية
28- تأوي له قاص النعام كما أوت
29- يتبعن قلعة رأسه وكأنه
30- صغل يعود بذى العشيرة بيضه
31- شربت بماء الدحرضين فأصبحت
32- وكأنا تنأى بجانب دقها ال
33- هر جنيب كلما عطفت له
34- أبقى لها طول السفار مقرمدا
35- بركت على جنب الرداع كأننا
36- وكان ربا أو كحيلاً معقدا
37- ينباع من ذفري غضوب جسة
38- إن تغدفي دوني القناع فإني
39- أثني علي بما علمت فإني
40- فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل
41- ولقد شربت من المدامة بعدما
42- بزجاجة صفراء ذات أسرة
43- فإذا شربت فإني مستهلك
- غرداً كفعل الشارب المترنم
قدح المكب على الزناد الأجدم
وأبيت فوق سراة أدم ملجم
نهد مراكله نبيل المحزم
لغنت بحروم الشراب مصرم
تطس الأكام بوخذ خق ميثم
بقريب بين المنسجين مصم
حزق يمانية لأعجم طمطم
حرج على نعش لمن مخيم
كالعبد ذي الفرو الطويل الأصل
زوراء تنفر عن حياض السديم
وحشي من هزج العشي مؤوم
غضبي اتقاها باليدين وبالضم
سندا ومثل دعائم المتخيم
بركت على قصب أجش مهضم
حش الوقود به جوانب قمم
زيافة مثل الفنيق المكدم
طب بأخذ الفارس المستلم
سبح مخالطتي إذا لم أظلم
مر مذاقته كطعم العلقم
ركد الهواجر بالمشوف المعلم
قرنت بأزهر في الشمال مفدم
مالي وعرضي وافر لم يكلم

- 44- وإذا صحوّتُ فما أقصرَ عن ندى
45- وحليل غانية تركتُ مجدلاً
46- سبقت يداي له بعاجل طعنة
47- هلا سألت الخيل يا ابنة مالك
48- إذا لا أزالُ على رحالةٍ سابحٍ
49- طوراً يجرّد للطعمان وتارة
50- يخبزك من شهد الوقيعة أني
51- فأرى مغامٍ لو أشياءٍ حويتها
52- ومدجج كره الكاة نزاله
53- جادت له كفي بعاجل طعنة
54- برحبية الفرغين يهدي جرسها
55- فشككت بالرمح الأصم ثيابه
56- فتركته جزر السباع ينشئه
57- ومشكٍ سابغة هتكت فروجها
58- زبيد يدها بالقفاح إذا شتا
59- لما رأني قد نزلت أريده
60- فطعنته بالرمح ثم علوته
61- ياشاة ما قنص لمن حلت له
62- فبعثت جاريتي وقلت لها اذهبي
63- قالت رأيت من الأعادي غرة
64- وكأنما التفتت بجيد جدية
65- نبئتُ عمراً غير شاكراً نعمتي
66- ولقد حفظتُ وصاة عي بالضحى
- وكما علمتِ شمالي وتكرمي
تمكو فريصته كشدق الأعلم
ورشاش نافذة كلون العندم
إن كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي
نهد تعاوره الكاة مكلم
يا أوي إلى حصد القسي عَمرم
أغشى الوغى وأعفاً عند المغنم
فيصدي عنها الحيا وتكرمي
لامعنٍ هرباً ولا مستسلم
بمثقفٍ صدق الكعوب مقوم
بالليل مَعْتَسُ الذئاب الضرم
ليس الكريم على القنصا بحرم
ما بين قلة رأسه والمعصم
بالسيف عن حامي الحقيقة معلم
هتاك غايات التجار ملوم
أبدي نواجذه لغير تبسم
بمهندي صافي الحديدة مخدم
حرمت علي وليتها لم تحرم
فتجسسي أخبارها لي واعلمي
والشاة ممكنة لمن هو مرتم
رشاً من الفزلان حرّ أرثم
والكفر مخبثاة لنفس المنعم
إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم

- 67- في حومة الحرب التي لا تشكي
68- إذ يتقون بي الأسنة لم أحم
69- لما رأيتُ القومَ أقبل جمعهم
70- يدعون عنتر والرماحُ كأنها
71- ما زلت أرميهم بثغرة نخره
72- فازورّ من وقع القنا بلبانه
73- لو كان يدري ما المحاورة اشتكى
74- ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها
75- والخيل تقتم الغبار عوابساً
76- إني عداني أن أزورك فاعلمي
77- حالت رماح بني بغيض دونكم
78- ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر
79- الشـامتي عرضي ولم أشتها
80- إن يفعلوا فلقد تركت أباهما
- غمراتها الأبطال غير تغمغم
عنها ولكني تضايق مقدمي
يتذامرون كررتُ غير مذم
أشطانَ بُرّي لبيان الأدم
ولبانه حتى تسربل بالدم
وشكى إليّ بعبرة وتحمحم
ولكان لو علم الكلام مكلمي
قيل الفوارس ويك عنتر أقدم
من بين شيطمة وأجرد شيطم
ما قد علمتِ وبعض ما لم تعلمي
وزوت جواني الحرب من لم يجرم
للحرب دائرة على ابني ضمضم
والنـاذرين إذا لم ألقها دمي
جزر السباع وكل نسرقشعم

معاني الكلمات :

- 1 - مترّد: ردمت الثوب أصلحته ، والمعنى : هل أبقى الشعراء معنى لم يطرقوه أو هل يتهدأ لشاعر لاحق أن يأتي بمعنى لم يسبقه إليه شاعر سابق ؟ ثم قال عنتره : (أم هل) وهما أداتا استفهام فكيف جمع بينهما ؟ الجواب لأن هل ضعيفة في حروف الاستفهام فأدخلت عليها أم وروي (من مترّم) والترنم صوت خفي يرجعه الإنسان بينه وبين نفسه وروي (أم هل عرفت الربع) ، والربع المنزل في الربيع والدار من التدوير ، ولكثرة الاستعمال أطلقت الدار على البيت المدور وغير المدور ! والتوهم هنا الإنكار والظن والإعياء .
- 2 - أعيك : أتعبك وأياسك رسم الدار : بقايا الدار وأثاره . الأصم : الذي لا يسمع . الأعجم : الأخرس أو الذي لا يتكلم العربية .

- 3 - الجواء : هو البطن المنخفض الواسع من الأرض وقيل هو جواء عدنه (موضع) عمي صباحاً أو انعمي : تحية أهل الجاهلية فيما بينهم .
- 4 - الأنسة : العذراء والفتاة التي تؤنس من حولها . غضيض طرفها : كناية عن الحياء تخفض نظرها ولا تمنع النظر في عيون الناس وذلك أدعى للأثوثة والجمال .. المبتسم : الثغر أو الابتسامة .
- 5 - وقفت لغة في أوقفت . الغدن : القصر . المتلوم : المتكث والمتردد وقد عنى نفسه .
- 6 - جست : منعتها عن الحركة وأبركتها . السفع : السفعة السوداء ويريد هنا أحجار الموقد وهي الأثافي . رواكد مفردها راكدة وهي الثابتة التي لا تقوى على الحركة . جثم مفردها جائثة : وهي المستقره أو اللصيقة بالأرض وفي التنزيل العزيز ﴿ وَأَصْبَحُوا فِي ديارهم جاثئين ﴾ [الأعراف : ٧٨٧] .
- 7 - تحل : تنزل أو تسكن . الجواء : موضع في نجد . الحزب ديار لبني يربوع والصمان لبني تميم ، والمتلم مكان ، والصمان والصوان في الأصل الحجارة والصوان : يستعمل لحجارة النار خاصة ، وكانت العرب تذبح به .
- 8 - حبيت من التحية ! تقادم عهده . أصبح قديماً . أقوى : صار خالياً وقيل : الإقواء نفاذ الزاد . وأقفر معناه مثل معنى أقوى إلا أن العرب تكرر إذا اختلف اللفظان وإن كان المعنى واحداً . أم الهيثم : كناية عن عبلة ، والشعراء يسمون الحبيبات بأسمائهن أو بالأدواء فقد ورد في معلقة امرئ القيس أم الرياب ، وفي معلقة زهير أم أوى ، ومعلقة عنتره هذه (أم الهيثم) ، وهي حالة يراد بها التعلل أو التحبب أو تجنب الريبة .
- 9 - الزائرین : مفردها زائر وهو العدو الشبيه بالأسد فكأنه يزأر ؛ فإن قيل كيف قال الشاعر حلت بأرض الزائرین فذكرها غائبة ، ثم قال : طلابك ، فجعلها مخاطبة ؟ فالجواب إن الأسلوب العربي يرجع من الغيبة إلى الخطاب كما في هذا البيت . الطلاب : المطلب والمقصود اللقاء (ابنة مخرم) كناية عن الحبيبة أيضاً !!
- 10 - علقتها : أحببتها . عرضاً : جاءني حبها مصادفة ولم أطلبه !! قال الأعشى :
- علقتها عرضاً وعلقت رجلاً غيري وعلق أخرى غيرها الرجل
- الزعم : الكلام فيه منازعة أو ادعاء غير قار ، والمعنى أنني أحبها ، ولكنني أقتل فرسان قومها فكأنني أزع الحب أي أدعيه ولكنه يستدرك بشكل جميل (زعماً لعمر أبيك ليس بزعم) .

- 11 - المعنى : لقد نزلت يا عبلة مني منزلة المحبوب المكرّم فلا تطني غير هذا .
- 12 - والمعنى كيف أزورها وقد بعدت عني بعد قربها . تربع : نزل القوم في الربيع .
عنيزتان والغيلم : موضعان .
- 13 - أزمعت : قررت . زمت ركبكم أي شدت إيلكم بالأزمة والركاب لا يستعمل إلا في الإبل والركب الجماعة الذين يركبون الإبل والمعنى أن هذا أمر تدبرتموه في الليل وهيام الجمال في الظلام فكأنكم تريدون التستر ومفاجأة الناس بالسفر ، وكانت العرب تفعل ذلك درأً للخطر المحتمل .. وآية ذلك لم يكتف بالليل ، وإنما جعله ليلاً معتماً بلا قر ولا أضواء .
- 14 - راعني : أفزعني . الحولة : الإبل التي يحمل عليها . تسفّ تأكل الخنم : بقلة لها حب أسود إذا أكلته الغنم قلت ألبانها وتغيّرت ، وإنما يصف أنها تأكل حب الخنم لأنها لم تجد غيره ومعنى البيت : أن عنتره فرع وهو يرى الإبل تأكل حب الخنم الذي لم تجده غيره ، وهذه دلالة على انقضاء الربيع وضرورة المغادرة فقد يبس البقل وشح الكلاً .
- 15 - الحلوبة : المحلوبة . الخوافي : أواخر ريش الجناح مما يلي الظهر . الأسحم : الأسود .
- 16 - تستبيك : تذهب بعقلك . غرب كل شيء حده والمراد بشغري غروب . وغروب الأسنان حدّها . الواضح : الأبيض ويريد بالعذب : أن رائحته طيبة .
- 17 - الفأرة : المسك . التاجر : العطار . العوارض : منابت الأضراس واحدها عارض .
القسيمة : الجونة وقيل سوق المسك أو الناقة التي تحمل المسك وهناك تأويلات أخرى للقسيمة: أ - امرأة جميلة . ب - الساعة التي تقسم بين الليل والنهار ففي ذلك الوقت تتغير الأفواه .
- 18 - معناه : كأن رائحتها عطر المسك ، أو أشداء روضة (الروضة الحديقة الغناء المنعمة بالماء الوفير والنبات النضير) . الأنف : التام من كل شيء وقيل : هو أول كل شيء . الغيث : المطر . المعلم والعلم والعلامة واحد في الدلالة . والمعنى : أن هذه الروضة ليست في مكان قريب أو معروف حتى يقصدها الناس للرعي والروضة البعيدة عن الناس كناية لطيفة عن الطهر والبركة والمنعة .
- 19 - البكر : السحابة أول الربيع التي لم تطر . الحرة : البيضاء . القرارة : الموضع المظمن من الأرض يجتمع فيه السيل ، والقرارة دخيلة الشيء ، وقيل شكله فكأن القرارة مستقر السيل . وإنما شبه القرارة في بريقتها وهي مفعمة بالماء بالدرهم : لأن الدرهم الجاهلي كان يصنع من الفضة الخالصة النقية فبياضه واضح يخلب النظر !!

20 - السحّ : الصب . التسكاب : الصب أيضاً . لم يتصرّم : لم ينقطع ولم ينفد . وقال ابن الأعرابي : خص مطر العشي لأن عنترة أراد الصيف وأكثر ما يكون مطره بالعشي .

21 - الفرد : الطرب . المترنّم : الذي يرجع الصوت بينه وبين نفسه . ليس ببارج : ليس بزائل . الذباب مفرد وجمعه أذبة في أقل العدد ودّبان في الكثرة . وقال البغدادي في خزنة الأدب : « هذا من عجيب التشبيه ، ويقال : إنه لم يقل أحد في معناه مثله وقد عدّه أرباب الأدب من التشبيهات العقم ، وهي التي لم يسبق إليها ولا يقدر أحد عليها » . فعل الشارب : أي إنه يحاكي تصرفات الخمر الذي لعبت الخمرة في رأسه !

22 - الهزج : الحقة والفرح ، والهزج صوت الفرح أيضاً ، وتروى بفتح الزاي وكسرهما وكسر الزاي أجود ويريد (قح المكب الأجمد على الزناد) فقدّم وأخرّ . الأجمد : المقطوع اليد وزعم أن الأجمد هو الزناد القصير فهو أشد لانكيا به عليه ، والمعنى أن عنترة شبه الذباب إذا سنّ ذراعه بالأخرى برجل أجمد قاعد يقده ناراً بذراعيه .

23 - هنا مقارنة بين صباح عبلة ومسائها وبين صباح عنترة ومسائه ، فهي منعمة تحتها الفراش المحشو وسمي القطن أو الصوف أو الريش حشواً أما عنترة ففراشه (المجازي) ظهر حصانه .

24 - وحشيتي : فراشي . عبل الشوى : فرس غليظ القوام والعظام كثير العصب . الشوى : القوائم هنا ، وفي غير هذا الموضع مفردتها شواة وهي جلدة الرأس . النهد : القوي الصلب الضخم المنتفخ الجنين . المراكل مفردتها مركل ، وهو حيث تبلغ رجل الرجل من الدابة والحزم موضع الحزام .

25 - شدنية : ناقة منسوبة إلى موضع (أوحى) باليمن ! وزعم أن شدن جبل عربي أصيل وقديم تنسب إليه الإبل الأصيلة . لعنت : يدعو عليها بانقطاع لبنها أي أن يحرم ضرعها اللبن فيكون أقوى لها . محروم الشراب : الشراب المنوع . المصرّم : الذي أصاب أخلافه شيء فقطعه من صرار ، والأخلاف مفردتها خلف بالكسر وهو حلمة الضرع ، وقيل هو الضرع نفسه ، والصرار خيط يشد فوق خلف الناقة لئلا يرضعها ولدها .

26 - خطارة : تخطر بذنبها وتحركه وترفعه وتضرب به حاذيها . والحاذيان حافتا الإليتين وإنما تفعل ذلك لنشاطها ، غب السرى : أي بعد السرى : زيافة : تزييف في سيرها أي تسرع . الوطس : الضرب الشديد والوطس وطء الخيل ثم استعمل في الإبل . الخف الميثم : الشديد الوطء . الإكام : المضاب . وخذ : وخذ البعير ، أسرع ووسع الخطو ورمى بقوائمه كمشي النعام .

27 - أَيْصُ : أَكْبَرُ ! والمعنى كأننا أكرس الأكام (التلال) بظلم قريب بين المنسمين يقال ليس بأفروق . والصلم : قطع كل شيء من أصله والظلم مصلم لأنه ليس له إذن ظهاهرة ومنسماه ظفراه المقدمان في خفه فإذا كان بعيد ما بينها قيل منسم أفروق وإذا لم يكن أفروق كان أصلب لخفه .

28 - تأوي : تأتي وتلوذ . قلص : أولاد النعام . الحزق : الجماعات . أعجم طمطمم وطمطماني : الذي لا يفهم الكلام ! أي تأوي إليه صغار النعام حين ينقنق لمن كما أوت فرق الإبل لا يفهم الكلام ولا يحسنه .

29 - يتبعن : النعام يتبع الظلم ، قلة رأسه : أعلاه . الحرج : مركب من مراكب النساء ومعناه الأول هو النعش ثم صاروا يشبهون به المركب . مخيم : يظلّ مثل الخيمة أي إن صغار النعام تنظر إلى أعلى رأس هذا الظلم فتتبعه .

30 - الصعل : الصغير الرأس الدقيق العنق . يعود : يأتي إلى بيضه . ذو العشيرة : اسم موضع . الأصلم : المقطوع الأذنين شبه الظلم براع أسود يلبس رداء من الفراء .

31 - الدحرضان : اسم لموضعين هما دحرض ووسيع فغلب أحدهما على الآخر . الزوراء : المائلة المعوجة . تنفر : تأتي وترفض . الديلم : الأعداء والظلمة والداهية وقرى النبل والمعنى أن الناقة شربت مياهاً عربية وتجانفت عن شرب مياه غير العرب . وبعض الدارسين تلبثوا كثيراً عند هذا البيت واعتدوه وعياً عروبياً مبكراً .

32 - ينأى : يبعد . الدف : الجنب . الوحشي : الجانب الأيمن من البهائم وإنما قيل (وحشي) لأن الراكب لا يركب من جهته والحالب لا يحلب من جهته !! هزج العشي : هر يموء بالعشيات . المؤوم : الكبير الرأس المشوّه الخلق . الهزج تدارك الصوت والمعنى أن الناقة مستفزة نشطة كأنها تخشى هراً وضع إلى يمينها والهزج يكون أكثر صياحاً في العشيرة فهي تخاف أن يخذلها . وقال صاحب اللسان : إن هزج العشي هو الذباب الذي يترنم في طيرانه والناقة تخشى لسع الذباب ، وابن الأعرابي زعم أن الهزج العواء والعشي الليل ، وزعم غيره أن هزج العشي هو السوط يبين الشاعر والناقة تميل على ميامنه مخافة السوط !!

33 - جنيب : مصاب في جنبه . عطفت له : انحنت نحوه . اتقاها : دفعها .

34 - المقرمد : المبني من القرمد وهو الآجر والطابوق ، والمراد به سنام الناقة السند : العالي أو الوتد القوي الذي تنهض به الخيمة وسواها : المتخيم : صاحب الخيمة .

35 - برکت : البروک جلوس الناقة . رداع : اسم مكان . الأَجَش : ذو الصوت الغليظ فيه بحة يخرج من الخياشيم . المهظم : المحرَّق أو المكسَّر والمعنى أنها بكرت فحنت فشبّه صوت حنينها بصوت المزامير ! والقصب الأَجَش معروف أنه من قصب الزمر فنه تصنع المزامير ولهذا قيل هو المحرَّق .

36 - الرُّب : عصارة التمر المطبوخة وهو أيضاً : دخان الشحم الأسود يطلى به . القطران والقطران في معنى واحد ، والكحيل هو القطران الرديء يضرب إلى الحمرة ثم يسودّ إذا أعقِد وتنهأ به الإبل من الجرب . والكحيل شبيه بالنفط ويسمى الخصخاض والمعقد الذي أوقد تحته حتى انعقد وغلظ . حشّ : اتقد . والقمقم : وعاء لتسخين الماء وسواه . الوقود : الحطب .

37 - ينباع : يلين ويتلوى . الذفريان : الحيدان الناتئان بين الأذن ومنتهى الشعر وأول ما يعرق من البعير الذفريان . الجسرة : الناقة الماضية والمجرّبة في السير والجسرة أيضاً الضخمة القوية . الزيافة : السريعة . الفنيق : الفحل . المكدم : الكدم العض . والمعنى أن هذا الطلاء الذي يشبه الدبس الأسود أو القطران يسيل ويتلوى على رقبة الناقة كتلوي الحية .

38 - الإغداف : إرخاء القناع على الوجه ، وترجيل الرأس بالدهن . القناع : مشتق من العلو . الطب : الحاذق . المستلم : الذي يلبس اللامة وهي الدرع والمعنى إن زاغت عينك عني فأغدفت دوني القناع فإني حاذق بقتل الفرسان وأسر الأقران .

39 - وهذا البيت تعرّب محلل النص حد الالتصاق أو النفاذ من مكابدات عنتره فهو يطلب إلى عبلة أن تتحدث عنه حديثاً حسناً بين صويحباتها والناس جميعاً وتذكر نعمه ومحاسنه ، فهو يأمرها بشكره وذكر مزاياه الحميدة ولكن بما علمت وليس الشناء الذي يتزيّد وينافق ومخالفتي : امتحان أخلاقي بالصدّاقة أو العداوة ، وما زال أهل الموصل في العراق حتى اليوم يستعملون خالفتي بمعنى خاصني ، ورويت (مخالفتي) ، و (مخالفتي) والسمح . الصبور المتسامح والمعنى : في البيت هذا والذي سبقه إن تغدفي دوني القناع ثم قال : أثني عليّ بما علمت فإذا رآك الناس قد كرهتني وأغدفت دوني القناع ظنوا أنك تحتقرين عنتره وتستقلين شأنه والحقيقة التي بيننا غير ذلك وهنا يكون ثناؤك تبديداً لأوهامهم وتطيبياً لحاظري ، وارسمي صورة لي أمام الناس أنني متسامح إلا في ظلمي .. فالظلم الحيف الوحيد الذي لن أتقبّله من أحد .. وليس عيباً أن يطلب العاشق من معشوقته أن تشكره ، فكل العشاق راغبون في أن تكون منازلهم في قلوب الحبيبات بمستوى الشناء والمديح والعكس صحيح فالمعشوقات يتمنين أن يكن بمستوى يشكرن عليه ، والشكر سلوك

لا يستطيعه إلا الشريف في نفسه ، وقد كرس الإسلام الشكر : لئن شكرتم لأزيدنكم وبالشكر
تدوم النعم وإن الله يحب الشكور .

40 - باسل : كرية ومحرم . العلقم : الخنظل .

41 - المدامة : الحجرة . ركذ : سكن . المشوف : الدينار المجلو أو الدرهم المعلم : الذي فيه
كتابة تصير علامة عليه . ركذ المهاجر : وقوف الشمس في المهاجرة وقيام كل شخص على ظله .

42 - ذات أسرة : ذات خطوط . أزهر : إبريق من الفضة أو إبريق أبيض . المفدّم :
المربوط الفم . والفدام قطعة قماش توضع على الفم والأنف مثل كامة الطبيب الآن ... يرتديها
العمال عهد ذاك الذين يقدمون الشراب والطعام ، والفدام قماش يوضع على الإبريق . قال الأخفش
بزجاجة صفراء صفة للزجاجة ظاهراً ، لأنها صفة الحجرة واقعاً .

43 - العرض : موضع المدح والذم في الإنسان ، لم يكلم ؛ لم يجرح .

44 - الندى : السخاء . الشمائل : الأخلاق .

45 - الحليل : الزوج والمرأة حليّة ، لأن كل واحد منها يحل للآخر . الغانية : الشابة التي
استغنت بحسنها الطبيعي عن التحسين الصناعي . وقيل : إن الغانية هي التي تستغني برجلها عن
سواه . تمكو : تصفر . الفريضة : لحمة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع ، وهما فريستان .
الأعلم : الذي بشفته العليا شق ويريد هنا الجمل . الشدق : جانب الفم مما تحت الخد ، وكانت
العرب تمتدح رحابة الشدقين لدالتهما على جهارة الصوت .

46 - الرشاش : ماتطايير من الدم . النافذة : الطعنة التي نفذت إلى الجانب الآخر أو إلى
الجوف . العندم : صيغ أحمر وهو صيغ شائع بين الأعراب مفرده عنده .

48 - الرحالة : سرج يعمل من جلود الشاء بأصوافها . السابح : الفرس الذي يدحو بيديه
دحواً كأنه سابع في الهواء . النهذ : الغليظ . تعاوره : تتعاوره ، أي تعترض سبيله . الكاة :
مفردها كمي وهو الشجاع والكمي التام السلاح ، وسمي كميّاً لأنه يتكّى الأقران أي يتعمّد لقاءهم ،
أو لأنه يكمي شجاعته لوقت الحاجة فيفاجئ الأقران بها . مكلم : مجرّح .

49 - الطور : المرة أو الحال . يجرد : يهبط . تارة : مرة . الحصد : الكثير وكذلك العرمرم .
القيسي مفردها قوس وقد يكون المعنى المناسب أن هذا الفرس السابح (العرمرم) يذهب إلى حصد
القيسي .

50 - يخبرك جواب لـ (هلا سألت) . الوقية والوقعة . الحرب : أغشى : أقتحم . الوغى

والوعى والوحى : الجلبة من الأصوات كناية عن الحرب . المغم : الريح في الحرب وهو المال
والسلاح والأسرى وقد أضاف شارحا ديوان عنتره (سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب)
هذين البيتين الطريفيين اللذين لم يذكرهما التبريزي :

☆ ولقد ذكرْتُكَ والرماحُ نواهلَ مني وبيض الهند تقطر من دمي

☆ فوددت تقبيل السيوفِ لأنها لمعت كـبـارِقِ ثغرك المتبسم

النواهل من نهل : شرب . بيض الهند : السيوف .

51 - المعنى أنني حين أتصرف في المعركة أعمى عن قتل الجريح والاستحواذ على الأموال

والسبايا ، فهذه المغام لو شاء عنتره لاستولى عليها ولكن له حياء وكرماً يمنعانه عن إيقاع الأذى
بالآخرين وإن كانوا أعداءه .

52 - المدجج : الذي توارى بالسلاح . النزال : المنازلة وهي المبارزة . لاممن هرباً فيبتعد

عن المعركة ولا هو مستسلم فيؤسر ولكنه يقاتل .

53 - المثقف : المصلح المقوم . الكعوب : عقد الأنابيب أي العقد في الأغصان التي تتخذ

رماحاً . الصدق : الصلب .

54 - الرحيبة : الواسعة وكل ما بين العرقوتين . فرغ : مدفع الماء الأودية . الجرس :

الصوت . والمعنى : جرس سيلان دم هذه الطعنة يدل السباع إذا سمعن خريير الدم منها فيأتينه
ليأكلن منه . المعتس : المبتغي الطالب وقيل الاعتساس هو الطلب في الليل . الضرم : الجياح .

55 - شك : شق أو انتظم . ليس الكريم على القنا بحرم : الكريم لا يموت في فراشه وإنما

الكريم الذي يموت في ساحة المعركة .

56 - الجزر : الحيوان المذبوح . ينشئه : يستطعن تناوله بالأكل . القلة : أعلى الشيء .

المعصم : موضع السوار .

57 - المشك : الدرع الذي شك بعضه إلى بعض أو المسامير التي تكون في حلق الدرع ،

والسابغة : الدرع أيضاً !! والكوفيون يجيزون إضافة الشيء إلى نفسه والتقدير في مشك سابغة :

مشك حديدة سابغة . الحامي : المائع . الحقيقة : ما يحق على الرجل أن يمنعه . العلم : الذي وضع

علامة الحرب على نفسه ويريد : لما رأي أني قد نزلت أريده اتقاني بدرعه فهتكت ما استعلق من

حلقات درعه بالسيف .

58 - الربذ : السريع الضرب بالقداح أي هو حاذق بالقمار والميسر : خفيف اليد بضرب القداح . وهذا مما يمتدح به الرجل في الجاهلية . إذا شتا : كناية عن القحط والجذب وهما يتجلبان في الشتاء ، هناك غايات التجار . الغايات : العلامات والرايات . التجار : بائعو الخمر أي إنه يشتري كل ما عندهم من الخمر فيقلعون راياتهم ويذهبون فذلك هو هتكها . الملوم : الذي يكثر لومه على إنفاق ماله في الفتوة .

59 - الناجذ : آخر الأضراس وهي الأسنان الضواحك أي إنه حين رأي استبس للموت .

60 - المخذم : الذي ينتسف الموضع الذي يقع عليه فيقطعه . التهديد : شحد السيوف والعرب تقول ضرب بالسيف وطعن بالرمح ورمى بالنبل وحذف بالعصا .

61 - الشاة : كناية عن المرأة والعرب تكني عن المرأة بالنعجة . والتقدير ياشاة إنسان ذي قنص أو ياشاة القنص لمن حلت له : لمن قدر على اصطياها رغم صعوبة الأمر وإنما حرمت عليه لأن قومها ألد أعدائه وتأول الأخفش .. أنها جارتي وهي حرام عليّ وليتها لم تكن كذلك حتى لا تكون لها حرمة ، وزعم أن هذا البيت في تلميح إلى سمية زوج أبيه وأصل الحرام : الممنوع .

62 - التجسس : هو جَسّ الأخبار غير الواضحة أو الاطلاع على أخبار جديدة عن كُتب (بالجسّ) والتحسس : هو إزالة الغبار عن الخبر أو السر وتلقاه بجواسه وأحس الشيء : علم به .

63 - الغرة : الغفلة .. المرتمي : الذي يرميها بسهمه كناية عن الرغبة بها والمغامرة من أجلها .

64 - الجيد : العنق . الجداية : من الأطباء وهي من الأطباء بمنزلة الجدي من الغنم أي الطبية الصغيرة . الرشأ : الصغير من الأطباء . الأرم : الذي في شفته العليا بياض أو سواد فإن كان في السفلى فهو المظّ ولظّاء .

65 - نُبُت : علمت .

66 - وصاة : وصية . تقلص : ترتفع ! وفي الحرب ترتفع الشفة من الإنسان حتى كأنه

يتبسم .

67 - حومة الشيء : معظمه أو كثرته . الغمرة : الشدة . التغمغم : صوت يسمع ولا يفهم .

68 - يتقون بي الأسنان : يجعلونني بينهم وبينها فهم يريدون لي الموت عنهم . لم أخم : لم

أجبن ، وخام يخم إذا أصاب الكسر رجله أو أية علة .

69 - يتذامرون : يتدافعون والتذامر الشكوى أي يحض بعضهم بعضاً .

- 70 - أشطان : حبال . اللبان : الصدر . الأدهم : فرس عنتره .
- 71 - ثغرة النحر : نقرة النحر ، وقيل مانتأ من النحر ، وهي الموضع الذي ينحرم منه البعير . تسريل : صار بمنزلة السربال .
- 72 - ازور : مال . التحمحم : صوت متقطع للفرس ليس بالصهيل ، وقال الأزهري التحمحم : صوت الفرس إذا طلب العلف أو إذا رأى فارسه فاستأنس به .
- 73 - المحاورة : مراجعة الكلام بين الاثنين .
- 74 - ويك : ويحك ألم تر؟ السقم : المرض . أبرأ : شفى .
- 75 - عبس : جمع جلد ما بين عينيه وجلد جبهته وتجهّم . الشيطمة : الطويلة . الأجرد : قليل الشعر .
- 76 - عداني : اضطرني .
- 77 - حالت : اعترضت : ابنا بغيض . عبس وذبيان . زوت : جمعت . جواني الحرب : مشعلو نارها .
- 78 - ابنا ضمض : وهما هرم وحصين ابنا ضمض المري . تدور : تقوم والدائرة الموت أو القتل .
- 79 - النذر : ما يوجهه الإنسان على نفسه وأندرت دم العدو إذا أبحته .
- 80 - جزر السباع : طعام السباع . القشعم : المسن من الرجال والنسور ، وقيل القشعم الضخم المسن من كل شيء .

6 - عمرو بن كلثوم

قال ابن قتيبة (الشعر والشعراء 1/141) : هو تغليبي من بني عتاب جاهلي قديم ، وهو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة . وكان سبب ذلك أن عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائيه : هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمي ؟ فقالوا : نعم عمرو بن كلثوم ! قال ولم ذلك ؟ قالوا هو ابن ليلى ، ولأن أباه مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل أعز العرب ، وبعلمها كلثوم بن مالك بن عتاب أفرس العرب ، وابنها عمرو بن كلثوم سيد من هو منهم . فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيه ويسأله أن يزير أمه أمه . فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة إلى الحيرة في جماعة من بني تغلب ، وأقبلت ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب . وأمر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا ، وأتاه عمرو بن كلثوم في وجوه بني تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ودخلت ليلى بنت مهلهل أم عمرو بن كلثوم على هند في قبة من جانب الرواق وهند أم عمرو بن هند عمة امرئ القيس الشاعر ، وليلى بنت مهلهل أم عمرو بن كلثوم هي بنت أخي فاطمة بنت ربيعة أم امرئ القيس . وقد كان أمر عمرو بن هند أمه أن تنحي الخدم إذا دعا بالطرف⁽¹⁹⁾ وتستخدم ليلى . فدعا عمرو بن هند بمائدة فنصبها فأكلوا ، ثم دعا بالطرف ، فقالت هند : يا ليلى ناوليني ذلك الطبق ، فقالت ليلى لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها . فأعدت عليها وألحت ، فصاحت ليلى واذا له يالتغلب ! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ، ونظر إلى عمرو بن هند فعرف الشر في وجهه فقام إلى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق ليس هناك سيف غيره فضرب به

(19) يستفاد من لسان العرب (طرف) أن الطرف ويسمى أطراف العذارى : عنب أسود طوال كأنه البلوط يشبه بأصابع العذارى الخضبة لطوله وعنقوده نحو الذراع والطرف بفتح الطاء اللحم المشوي !! .

رأس عمرو بن هند حتى قتله . ونادى في بني تغلب فانتهبوا جميع ما في الرواق ، وساقوا نجائبه ، وساروا نحو الجزيرة ... ويقال : إن أخاه مرة بن كلثوم قتل المنذر بن النعمان بن المنذر .. وابنه عبّاد بن عمرو بن كلثوم هو قاتل بشر بن عمرو بن عدس ولعمرو بن كلثوم عقب منهم العتابي الشاعر المشهور ، واسمه كلثوم بن عمرو ويكنى أبا عمرو .. ا . ه . وقد كتب عمرو بن كلثوم معلقته ليعبر عن حالة الغضب التي اعترته ، وربما نظم شيئاً من المعلقة في هذه المناسبة ، وكان قد كتب شيئاً من المعلقة في مناسبة أخرى إثر حادثة أخرى جرت له مع عمرو بن هند المذكور على أثر خلاف جرى بين قومه التغلبيين وإخوانهم البكريين وتفاضوا إلى عمرو هذا وكان قد أصلح بينها بعد حرب البسوس وشرط عليها شروطاً إذا اختصا . فلما جاؤا للمقاضاة كان ابن كلثوم سيد تغلب والنعمان بن هرم سيد بكر . وجرى بين الأميرين جدال بين يدي صاحب الحيرة . وكان هذا يؤثر تغلباً على بكر فطرد ابن هرم ، فنهض ابن كلثوم وأنشد معلقته ، وكان حاضراً هناك الحارث بن حلزة اليشكري من بكر وائل فأنشد معلقته ! فالغالب أن ابن كلثوم نظم معلقته على مرتين في حادثة أمه وهذه الحادثة ولذلك رأيت فيها إشارة إلى كليهما وقد وقف عمرو بن كلثوم بهذه في سوق عكاظ فأنشدها في موسم مكة⁽²⁰⁾ . والمعلقة مكتوبة على نحو مختلف بعض الاختلاف عن المعلقات الأخرى ، فهي لم تقف على الأطلال للبكاء أو الاستبكاء ، ولعل في اختيار الوافر مجراً لها ما يرمي عن الرغبة في قول الغضب بشكل مباشر ، فاستهلل المعلقة استهلال خمري اكتفى بالأبيات السبعة الأولى ثم حجز بين المقدمة الخمرية ومخاطبة الحبيبة التي شاءت الأقدار أن تكون من قوم يكونون له العداً ثم يصف الحبيبة وصفاً حسياً فيرسم لها صورة تشبه صورة عشتار البابلية آلهة الخصب ، وينتقل بعدد من الأبيات من لغة الحب إلى الغرض الرئيس للمعلقة فكأنه يتوعدّ عدوّه ويذكره بصولاته وقومه في الحروب ، ثم يغلي الغضب في عروقه فيذكر أمجاده واحداً بعد آخر ليصل إلى

(20) زيدان ، جرجي ، تاريخ آداب اللغة العربية 107/1 وبمدها .

قرار اعتبره الدارسون غاية في العتو والغطرسة ، وحق للدارسين أن يعبروا عن قراءاتهم الخاصة للمعلقة ، ولكن علينا أن نتذكر أن الشاعر لم يكن مخاطباً رجلاً اعتيادياً ، ولو خاطب رجلاً اعتيادياً لنالنا شيء من غطرسته فنحن لسنا الآخرين بالنسبة إلى الشاعر ، وهو لا يعني الناس كل الناس بقوله (غيرنا) ، وإنما يعني تحديداً الملك الذي أراد إذلاله لاشيء إلا لأن الشاعر ذو كبرياء واحترام لنفسه ، فالشاعر هنا يتغطرس على المتغطرس ويعلو على المقام العالي .. فهو (الشاعر) جدير وفق آليات تحليل النص باحترامنا لأنفته وتحديه للسلطة والقهر .. وهذا لا يعني خلو معلقته من الإفراط في الفخر .. ففي المعلقة إفراط باد في العتو والفخر .. ولنا أن نتذكر مرة أخرى أن هذه المعلقة تشبه إعلام الحرب في زماننا هذا .. تشبه أناشيد المعركة !! ومع ذلك فثمة إنصاف لم تخل منه المعلقة وهو قوله :

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدي لاعبيننا

وفي المعلقة إلى هذا توصيف دقيق لطرائق العرب في جعل المعلقين يصدون في الحرب .. ومن هذه الطرائق أن قائد المعركة يجعل نساء المقاتلين خلفهم فإذا خسر المقاتلون الحرب خسروا شرفهم في نسائهم أيضاً ، فهم يقاتلون من أجل النصر في الحرب مرة ومن أجل الحفاظ على شرف النساء مرات .. وآه لو كانت حروب الجاهلين من أجل قضية تستحق الحرب ، لو كانت حروبهم ضد عدوهم المشترك الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية .. ولكن وبالأسف كانت الحروب الطاحنة تدور بين الإخوة وأولاد العم .. ولهذا جاء الدين الإسلامي ليوحد العرب ويوعيهم بالخطر الأكيد ويجمعهم على حلم الحرية والأمن والعدالة !!

- 1- ألا هبيِّ بصحنك فاصبحينا
 - 2- مشعشة كأن الحصَّ فيها
 - 3- تجور بذى اللبانة عن هواه
 - 4- ترى اللحز الشحيح إذا أمَّرت
 - 5- صددت الكأس عنا أم عمرو
 - 6- وما شرَّ الثلاثة أم عمرو
 - 7- وإنا سوف تُدركننا المنايا
 - 8- قفي قبل التفرَّق يا ظعينا
 - 9- قفي نسألكِ هل أحدثتِ صرماً
 - 10- بيوم كرهية ضرباً وطعناً
 - 11- تريك إذا دخلتِ على خلاء
 - 12- ذراعي عيطل أدماء بكر
 - 13- وثدياً مثل حقِّ العاج رخصاً
 - 14- وممتني لندنة سمعت ولانت
 - 15- ومأكمة يضيّق الباب عنها
 - 16- وساريتي بلنط أو رخام
 - 17- فما وجدت كوجدي أم سقب
 - 18- ولا شمطاء لم يترك شقاها
 - 19- تذكرت الصِّبا واشتقت لما
 - 20- فأعرضت اليمامة واشمخرت
 - 21- وإن غدأ وإن اليوم رهن
- ولا تبقي خمور الأندرينا
إذا ما الماء خالطها سخينا
إذا مذاقها حتى يلينا
عليه لماله فيها مهينا
وكان الكأس مجراها اليمينا
بصاحبك الذي لا تصبحينا
مقدرة لنا ومقدّرينا
نخبّرك اليقين وتخبرينا
لوشك البين أم خنت الأмина
أقرّ به مواليك العيونا
وقد أمّنت عيون الكاشحينا
هجان اللون لم تقرأ جنينا
حصاناً من أكفّ اللامينا
روادفها تنوء بما يلينا
وكشحا قد جنت به جنونا
يرنُّ خشاش حليها ريننا
أضلّته فرجعت الحيننا
لها من تسعة إلا جنينا
رأيت حولها أصلاً حدينا
كأسياف بأيدي مصلتينا
وبعد غد بما لا تعلمينا

- 22- أباهند فلاتعجل علينا
 23- بأنا نورد الرايات بيضاً
 24- وأيام لنا غير طوال
 25- وسيّد معشر قد توجوه
 26- تركنا الخيل عاكفة عليه
 27- وقد هرت كلاب الحيّ منا
 28- متى ننقل إلى قوم رحانا
 29- يكون ثفالها شرقي نجد
 30- نزلتم منزل الأضياف منا
 31- قرينام فعجلنا قرام
 32- نعم أناسنا ونعم عنهم
 33- نطاعن ماتراخي الناس عنا
 34- بسر من قنا الخطي لكدن
 35- نشق بها رؤوس القوم شقاً
 36- كأن جماجم الأبطال فيها
 37- وإن الضغن بعد الضغن يفشو
 38- ورثنا المجد قد علمت معد
 39- ونحن إذا عماد الحي خرت
 40- نجذ رؤوسهم في غير بر
 41- كأن سيوفنا فينا وفيهم
 42- كأن ثيابنا منا ومنهم
 43- إذا ماعي بالإنساف حي
 44- نصبنا مثل رهوة ذات حد
- وأنظرنا نخبرك اليقيناً
 ونصدرهنّ حمراً قد روينا
 عصينا الملك فيها أن ندينا
 بتاج الملك يحمي المحجرينا
 مقلدة إعتتها صفونا
 وشذبنا قتادة من يلينا
 يكونوا في اللقاء لها طحينا
 ولهوتها قضاة أجمعينا
 فأعجلنا القرى أن تشتونا
 قبيل الصبح مرداة طحونا
 ونحمل عنهم ما حملونا
 ونضرب بالسيوف إذا غشنا
 ذوابل أو بيض يعتليننا
 ونخليها الرقاب فيختلينا
 وسوق بالأماعز يرتميننا
 عليك ويخرج الداء الدفيننا
 نطاعن دونه حتى بيننا
 على الأحفاض نمنع من يلينا
 فإ يدرون ماذا يتقونا
 مخاريق بأيدي لاعبيننا
 خضبن بأرجوان أو طليننا
 من الهول المشبه أن يكوننا
 محافظة وكنا السابقينا

- 45- بفتيان يرون القتل مجداً
46- حُدياً الناس كلهم جميعاً
47- فأما يوم خشيتنا عليهم
48- وأما يومٍ لا نخشى عليهم
49- برأسٍ من بني جشم بن بكر
50- ألا لا يعلم الأقبوامُ أننا
51- ألا لا يجهلُ أحدٌ علينا
52- بأيّ مشيئة عمرو بن هند
53- بأيّ مشيئة عمرو بن هند
54- تهددنا وتوعدنا رويداً
55- فإن قناتنا يا عمرو أعت
56- إذا عضّ الثِقافُ بها اشأزت
57- عشوزنة إذا انقلبت أرنت
58- فهل حدثت في جشم بن بكر
59- ورثنا مجد علقمة بن سيف
60- ورثت مهلهلاً والخير منه
61- وعتاباً وكلثوماً جميعاً
62- وذا البرة الذي حدثت عنه
63- ومنا قبله الساعي كليب
64- متى نعقد قرينتنا بجبل
65- ونوجدُ نحن أمنعهم ذماراً
66- ونحن غداة أقعد في خزاز
67- ونحن الحابسون بذي أراطي
- وشيب في الحروب مجرينا
مقارعةً بنهم عن بنينا
فمنعُ غارةً متلبيننا
فنصبحُ في مجالسنا تبينا
ندقُّ به السهولة والحزونا
تضعضنا وأنا قد وينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا
نكون لقيلكم فيها قطينا
تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
متى كنا لأمك مقتوينا
على الأعداء قبلك أن تلينا
ولتهم عشوزنة زبونا
تشجُّ قفا المثقف والجبيننا
بنقص في خطوب الأولينا
أباح لنا حصون المجد دينا
زهيراً نعم دُخْرُ السذاخرينا
بهم نلنا تراث الأكرميننا
به نحمي ونحمي الملجئينا
فأيُّ المجد إلا قد ولينا
نجدُ الوصل أو تقصُ القرينا
وأوفاهم إذا عقدوا يميننا
رفدنا فوق رفد الرافديننا
تسفُّ الجلة الخور الدريننا

- 68- ونحن الحاكمون إذا أطعنا
69- ونحن التاركون لما سخطنا
70- وكننا الأيمنين إذا التقينا
71- فصالوا صولة فيمن يليهم
72- فأبوا بالنهابِ وبالسبايا
73- إليكم يابني بكر إليكم
74- ألما تعرفوا منا ومنكم
75- علينا البيضُ واليلبُ الياني
76- علينا كلُّ سابغةٍ دلاصٍ
78- إذا وُضعتُ عن الأبطالِ يوماً
79- كأن متونهن متونُ غُدرٍ
80- وتحملننا غداةَ الروعِ جُرْدَ
81- وردنَ دوارعاً وخرجنَ شعثاً
82- ورثناهنَّ عن آباءِ صدقٍ
83- على آثارنا بيضَ حسان
84- أخذن على بعولتهنَّ عهداً
85- لتستلبنَّ أفراساً وبيضاً
86- ترانا بارزين وكلُّ حيٍّ
87- إذا مارحنَ يمسين الهوينا
88- يقتن جيانداً ويقلن لستم
89- إذا لم نغمهن فلابقينا
90- وما منعَ الظعائنَ مثلُ ضرب
91- كأننا والسيوف مسلاتٌ
- ونحن العازمون إذا عصينا
ونحن الآخذون لما رضينا
وكان الأيسرين بنو أيينا
وصلنا صولة فيمن يلينا
وأبنا بالملوك مصفدينا
ألما تعرفوا منا اليقينا
كتائب يطعنٌ ويرتمينا
وأسيافٌ يقمن وينحنينا
نرى فوق النجاد لها غضونا
رأيت لها جلود القوم جونا
تصققها الرياح إذا جرينا
عرفن لنا تقائدً وافتلينا
كأثال الرصاص قد بلينا
ونورثها إذا متنا بنينا
نخاذر أن تقسم أو تهونا
إذا لاقوا كتائب معلمينا
وأسرى في الحديد مقريننا
قد اتخذوا مخافتنا قرينا
كما اضطربت متون الشاريننا
بعولتنا إذا لم تمنعوننا
لشيء بعدهن ولا حيننا
ترى منه السواعد كالقلينا
ولدنا الناس طراً أجمعينا

- 92- يدهدون الرؤوس كما تهدي حزاورةً بأبطحها الكرينا
- 93- وقد علم القبائل من معدّ إذا قبت بأبطحها بنينا
- 94- بأنا المطعمون إذا قدرنا وأنا المهلكون إذا ابتلينا
- 95- وأنا المانعون لما أردنا وأنا النازلون بحيث شينا
- 96- وأنا العاصمون إذا أطعنا وأنا العارمون إذا عصينا
- 97- ونشرب إذ وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدرأً وطينا
- 98- ألا أبلغ بني الطّاح عتّنا ودغمياً فكيف وجدتمونا
- 99- إذا ما الملّك سامّ الناس خسفاً أيّنا أن تقرّ الـذّلّ فينا
- 100- لنا الدنيا ومَن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
- 101- بغاةً ظالمين وما ظلمنا ولكننا سنبدأ ظالمينا
- 102- ملأنا البرّ حق ضاق عنا وظهر البحر نملؤه سفينا
- 103- إذا بلغ الرضيع لنا فطاماً تخزله الجبار ساجدينا

معاني الكلمات :

- 1 - ألا : حرف تنبيه واستفتاح . هبّي : قومي من نومك . الصحن : القدر الواسع الضخم . الصبوح : شرب الغداة والصبح . الأندرين قرية بالشام .
- 2 - المششعة : الرقيقة من العصر والمزج . الحص هو الورس ضرب من الورد ولونه أصفر وزعم أن الحص هو الزعفران . سخينا : كانوا يسخنون لها الماء في الشتاء ثم يمزجونها به .
- 3 - تجور : تعدل . اللبانة : الحاجة . الهوى : الرغبة والحاجة .
- 4 - اللحز : البخيل اللئيم . الشحيح : المقلّ المُعسر في العطاء . أمرت : أديرت أو قدّمت . المهين لاله : السخي .
- 5 - زعم أن هذين البيتين (6/5) لعمرو ابن أخت جذيمة الأبرش وذلك لما وجده مالك وعقيل في البرية وكانا يشربان وأم عمرو التي صدّت عنه الكأس ، لأنها لم تعرف حقيقته ! فلما قال هذين البيتين سقيه وحمله إلى خاله جذيمة ! هذا ما حكاه التبريزي .

- 7 - المنايا : الأقدار .. أي أصبحينا قبل حضور الأجل فإن الموت مقدر لنا ونحن مقدرّون له .
- 8 - ياطعينا : المرأة في الهودج .
- 9 - الصّرم : القطع . وشك البين : سرعته والمعنى : هل أحدثت قطيعة لقرب الفراق وجعل ماتخبّره به خيانة ، وجعل نفسه أميناً يحفظ السرّ ، إذا لم تتغير عواطفه نحوها ، رغم الحروب التي كانت بين أهله وأهلها .
- 10 - الكريمة : اسم لشدة البأس في الحرب . الموالي : العصبية والقوم .
- 11 - تريك : تربي (علي سبيل التفريع البلاغي) . الكاشح : المبعّض الذي يضرر العداوة في كشحه والكشح : الجنب . الخلاء : مكان خال من الرقباء .
- 12 - عيطل : طويلة قامة وعنقاً . الأدماء : البيضاء : البكر : التي لم تلد . الهجان : المتزوجة قبل سن البلوغ . لم تقرأ جينياً : لم تلد .
- 13 - الحق : ما ينحت من الحشب أو العاج والفضة . الرخص : اللين . الحصان : العفيفة التي تحصنت من الريب . اللامسين : أهل الريبة !
- 14 - اللدنة : اللينة . تنوء : تنهض بمشقة . المتن : الجانب الصلب .
- 15 - المأكمة : الكفل . الكشح : ما بين الخاصرة والضلوع .
- 16 - البلنط : حجر مثل الرخام إلا أنه دونه في الهشاشة واللين والرخاوة . السارية عمود من الحشب ينصب عليه الشراع أو العلم وقوله (وساريقي ..) استعارة تصريحية لمشبهه محذوف هو (الساقان !!) .
- 17 - أم سقب : الناقة . السقب : ولدها الذكر . أضلّته : أضاعته . رجّعت : رددت . وجدت : حزنت .
- 18 - الشمطاء : المرأة التي ابيضّ شعر رأسها والمعنى : إن حزني على الحبيبة أكبر من حزن ناقة ضيعت صغيرها وأكبر من حزن امرأة أجنّت (دفنت) أولادها التسعة !! .
- 19 - المحول : الإبل التي يحمل عليها الأثقال . الأصل : مفردها أصيل : وهو حين تصفر الشمس وتحمّر لمفرها . حدينا : أمرت بالانطلاق ، والحادي هو الذي يغني للإبل ، ثم صار المعنى هو الذي يقود الإبل !
- 20 - أعرضت : بدت . اشمخرت : طالت . المصلت : الشاهر سيفه .

24 - ندين : نخضع .

25 - المحجرون : الذين أُلجئوا إلى المضيق والمجور الذي لا يستطيع مغادرة مكانه .

26 - عاكفة : مقيمة . الصفون مفردها صافن وهو القائم أو الذي رفع إحدى قوائمه بسبب

التعب . مقلدة أعنتها : شدت على رقابها الأعنة ومقلدة من جعل الشيء مثل القلادة !

27 - هرّ الكلب : لم يستطع النباح فأخرج صوت المرقور أو المدعور ، وقوله : هرّت كلاب

الحيّ منا ، كناية عن خضوع كل الحي لنا بشراً وكلاباً . شدّبنا : التشذيب قطع الأغصان

والتخلّص من عقدها وشوكها . القتادة : شجرة لها شوك . من يلينا : من يريد حربنا أو يقترب

منا ! وقوله : وشدبنا قتادة من يلينا ، كناية عن تفريق قوم الشاعر لمجموع الأعداء فصاروا مثل

شجرة بلاغصان ولاشواك .

29 - الثفال : جلدة أو خرقة تجعل تحت الرحى يسقط عليه الطحين . اللهوة : قبضة من

الحبوب تلتقى في فم الرحى . والمعنى : إن كيدنا وحربنا تشبه الرحى ، وهذه الرحى تستوعب هذا

الموضع العظيم ، وتهلك هذا الحي الكبير ، فيكون بمنزلة هذه القبضة التي تلتقى في فم الرحى إشارة

إلى هلاكهم .

30 - القرى : إكرام الضيف والقرى هنا على سبيل الكناية !

33 - تراخى : تباعد . غشينا : دنا بعضنا من بعض .

34 - السمر من القنا : أجمدها . لدن : لئّن . ذوابل : فيها بعض اليبس . يعتلين : يعلون

رؤوسهم .

35 - غخليها الرقاب : نجعل الرقاب لها كالخلاء والخلّى الرطب من النبات واحدها خلاة .

والخلاة هنا موضع السيوف وزعم أن الشاعر أراد بـ (غخليها .. فيختلينا) أن السيوف سريعة في

قطع الرقاب كما هي سريعة في قطع الحشيس .

36 - الوسوق مفردها وسق وهو الحمل . الأماعر مفردها أمعر : الأرض الصلبة الكثيرة

الحصى .

39 - الهاد مفردها عود . الأحفاض مفردها حفص وهو متاع البيت ، ويسمى البصير الذي

يحمل المتاع حفصاً . يلينا : يجاورنا ، يوالينا ، يحالفنا . ننع : نحمي والمعنى أن الأعمدة حين

تسقط على المتاع فهذا التعبير كناية عن الرحيل والرحيل لا يكون إلا في الخوف أو الانتجاع ،

ونحن نكفيهم ذلك فأعدتهم لن تسقط فلاخوف عليهم ولا حاجة لطعام .

40 - نجذ : تقطع . غير برّ : بلاشفقة ويروى : (نجز) ، أي نجزنواصيهم كما يفعل بالأسرى ، .. أي إننا تقطع الرؤوس في نسك .. ولا يريدون أن يتقربوا إلى الله بها كما يتقربون في النسك عند المناسبات الدينية !! يتقي : يدفع .

41 - المخاريق واحدها مخراق وهو الكرة المصنوعة من الخرق المفتولة يلعب بها الصبيان في العصر الجاهلي وزعم أن المخاريق عصي ملفوفة بالخرق تشبه السيوف يلعب بها الأطفال ! والبيتان (41 - 42) فيها اعتراف بقوة العدو وسطوته وقد أطلقت العرب على القصائد التي يعترف فيها الشعراء بأعدائهم (المنصات) .

42 - الأرجوان : صبيح أحمر .

43 - الأسناف : التقدّم في الحروب وأنسف البعير إذا قدّم عنقه ليتقدّم في السير والفرس المسنف : إذا كانت تتقدم الخيل . عيّ : العيّ العجز والتعب لهول الحرب . المشبه : أن يشبهه الأمر عليهم ، فلا يدرون كيف يتوجهون له ؟

44 - الرهوة : أعلى الجبل . ذات حد : كتيبة ذات بأس ومعنى البيتين (43 - 44) إذا أحجم الناس عن التقدّم إلى الحرب فنحن لها فنشبهها حرباً تعلق الجميع مثل قمة الجبل .

46 - حدّياً الناس : فوق الناس والحدّيّ : الغاية ، وحدياً : أحدو الناس أسوقهم إلى الحرب وحدّياً تصغير حدوي . مقارعة : مقاتلة .

47 - التلبب : التحزّم بالسلاح . نمنع : نندفع ونتمادى .

48 - نصيح : متيقظين مستعدين . والثبون : الجماعة وثبون وثبين مثل سنون وسنين .

49 - الرأس : الحي العظيم أو الرجل العظيم والمعنى أنا ندقّ بهذا الرأس كلّ صعب ولين .

50 - تضعضنا : ضعفنا . ونيئا : أبطأنا وفترت قوتنا .

(52+53) المشيئة : القوة والإرادة . الوشاة : مفردها واش وهو الجاسوس وناقل الخبر دون

رضاء صاحب الخبر وعلمه . زريت : عبت . الثقل : العبيد والخدم . القطين : المقيم .

54 - الوعد : في الخير والشر . قال الأزهري تقول العرب وعدت الرجل خيراً ووعدته شراً ، وأوعدته خيراً وأوعدته شراً فإذا لم يذكروا الخير قالوا وعدته وإذا لم يذكروا الشر قالوا أوعدته نظير قول عامر بن الطفيل :

وإني إذا أوعدته ووعدته لأخلف إيمادي وأنجز موعدتي !

مقتونينا : بفتح الميم والقنو : الخدمة ثم اختصت بخدمة الملوك .

- 55 - القناة : الرمح (كناية عن الأصل والمنعة والعزة) .
- 56 - الثفاف : تقويم الرمح وتعديله . اشأزت : نفرت وتقززت . عشوزنة : صلبة شديدة . الزبون مفردها زين وهو الدفع . والزبانية : الأشداء وسموا زبانية ، لأنهم يعملون بأرجلهم كما يعملون بأيديهم .
- 57 - أرنت : صوتت وشجّت قفا من يثقفها .
- 58 - يخاطب عمرو بن هند : هل سمعت أن أحداً اضطهدنا في قديم الزمان . الخطوب مفردها خطب وهو الأمر .
- 59 - الدين : الطاعة . علقمة بن سيف : زعيم قديم من زعماء قوم الشاعر التغلبيين . أباح الحصون : فتحها واستولى عليها وتركها مباحة لنا وتنقل الأخبار أن علقمة بن سيف هو الذي أنزل بني تغلب الجزيرة .
- 60 - مهلهل : صاحب حرب وائل أربعين سنة وهو جد عمرو بن كلثوم من قبل أمه فهو سبطه ، وزهير جده من قبل أبيه فهو حفيده . الذخر : الشيء المهم الخبأ لوقت الحاجة وفي البيت إشارة ضمنية إلى حرب البسوس التي جعلها مهلهل ثأراً لمقتل أخيه كليب وهي حرب (داخلية) بين بكر وتغلب ابني وائل !! .
- 61 - التراث : ما يخلفه الإنسان لمن يخلفه .
- 62 - ذو البرة : رجل تغلبي وسمي ذا البرة لظهور شعر كثيف خشن على منخريه والبرة حلقة في أنف البعير ، بروت البعير وأبريته جعلت في أنفه برة ! الملجئون : الذين يطلبون حمايتنا .
- 63 - الساعي : الرجل المهم .
- 64 - القرينة : التي تقرن إلى غيرها والمعنى متى تقرن إلى غيرنا بأي حبل مكان .. فإننا تقطع الحبل وندق عنق القرين إذ ليس لنا قرين وأصل القرينة الناقة والجل تكون فيها خشونة فيربط أحدها إلى الآخر حتى يلين أحدهما .
- 65 - الذمار : حريم الرجل وما يتوجب على الرجل أن يحميه .
- 66 - خزازى : جبل أو موضع . رفدنا : أعطينا والمعنى إذا أوقدت الحرب في خزاز كنا الوحيديين في الإعانة والعطاء ..

- 67 - أراطي : مكان وقيل ماء . الجلة : العظام من الإبل . الخور : الغزار الكثيرة الألبان والمفرد خوراء وخوارة . تسفّ : تأكل . الدرين : حشيش يابس قديم قلما تنتفع به الإبل .
- 70 - العرب تتفاءل باليهين وتتشاءم باليسار ! الأيمنين : أصحاب المينة فهم المتقدمون والمقدمون وأصحاب المشأمة وهم المتأخرون والمؤخرون والمعنى كنا في الحرب على المينة ، وكان بنو عينا في الميسرة .
- 71 - صال : ارتفع على والمقصود غزا والصولة الهجوم .
- 72 - أبوا : رجعوا . النهاب : مفردها النهب : الغنية . السبايا مفردها سبية : المرأة المنهوبة . الأصفاد : الأغلال الواحد صفد أي حين انتصرنا لم نلتفت إلى الغنائم من أسلاب وسبايا فجعلنا (من باب السخرية) غنية أعدائنا النهب والسبي الذي وقع عليهم ! أما غنيتنا فهم الملوك الذين وضعنا الأغلال والحديد في أيديهم وأعناقهم .
- 73 - إليكم : ابعدوا عنا إلى أقصى ما يكون من البعد . اليقين : الجد .
- 74 - الكتيبة من الكتب وهو اقتراب الأبعاض فيما بينها وجمع الشئيين وسميت الكتيبة لأنها تكتبت فاجتمعت والكتاب معناه أنه يجمع حرفاً إلى حرف وكلمة إلى كلمة . يطعنٌ : تتطاعن فيما بينها . يرتمينا : من الترامي فيما بين الكتائب ويمكن اعتداد هذا البيت ضمن الأبيات (المنصفات) ونضّه إلى البيتين (41+42) .
- 75 - البيض مفردها بيضة وهي الحديد الذي يقبى الرأس . اليلب : الدرع وقيل الديباج وقيل ترسة تصنع في الين من جلود الإبل وقيل اليلب جلود يخرز بعضها إلى بعض وتلبس تحت الدروع .
- 76 - السابغة : التامة من الدروع . الدلاص : اللينة أو الملساء التي تزل عنها السيوف . النجاد : حمائل السيف . الغضون : التكتّر .
- 78 - الجون : السود أي تسود جلودهم من صدأ الحديد .
- 79 - المتون : الأوساط . العُدر : جمع غدِير فشبهه الدروع في صفائها بالماء في الغدير وربما شبه تشنج الدروع بالماء في الغدير إذا لامست سطحه الرياح فصارت له طرائق ! وقوله : جَرَيْنَا سناد لأن الياء إذا انفتح ما قبلها لاتلين فقوله جرينا مع أندرينا عيب الشعر والسناد : المخالفة بين الحركات التي تلي الإدراف في الروي .

80 - الأجرد من الخيل : القصير الشعر الكريم وطول الشعر هجنة . تقائذ مفردتها تقيذة والنقائذ ما استنقذت من قوم آخرين . الروع : القتال المرّوع . افتلينا : اشتد عصبنا واندمجنا وقوينا .

83 - بيض كرام : نساؤنا . على آثارنا : خلفنا .

84 - البعل : الزوج وأصله في اللغة ما علا وارتفع ومنه قيل للسيد بعلأ ... والزرع الذي يروى بالمطر بعل أو بعلي .

87 - أي : إذا ماراحت النساء يمشين الهوينا (لا يعجلن في مشيهن) كما اضطربت متون الشاربيينا أي يتثنين في مشيهن ويثايلن كما يفعل السكارى وصف الصورة كناية عن نعمة النساء .
88 - يقتن : يقدم العلف للجياد ، وكان الفارس لا يرضى أن يقوم الخدم بقوت الفرس .
فإما أن يقدم القوت بنفسه لفرسه أو يكلف أهله بتقديمه .

90 - القلون مفردها قلة وهي الخشبة التي يلعب بها الصبيان يضربونها بالملقلاة وهي أطول من القلة .

92 - يدهرون : يدحرجون . الحزاورة مفردها الحزور : الغلام الذي شبّ وقوي .
البطحاء : بطن الوادي أو المكان المتسع الذي يمرّ به السيل . الكران العود أو الصنج وربما أراد بكرين الكرات !!

94 - ابتلينا : امتحنا واعتدي علينا .

95 - شينا : لغة في شئنا . العاصمون : الذين يمنعون من اعتصم بهم ولاذ . العارمون : الأشداء الذين لا يقدر علينا أحد .

99 - الخسف : الظلم والنقصان .

7 - الحارث بن حلزة اليشكري

هو الحارث بن حلزة بن مكروه ، ويصل نسبه الكريم إلى جشم بن ذيبان بن كنانة بن يشكر بن وائل بن قاسط وينتهي عند جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان (الجمحي ص 85 ، الأصبهاني 171/9 والتبريزي ص 249 والشنقيطي ص 99) وقد اشتهر بمعلقته التي نال بها مجداً وبات الحارث مثلاً في الفخر حتى قالت العرب : « أفخر من الحارث بن حلزة » . وقيل : إنه ارتجلها في حكاية مشهورة جمعت بينه وبين عمرو بن كلثوم في بلاط ملك الحيرة عمرو بن هند ، وكانت أم الملك موهلة بالشعر وحين سمعت إنشاد الحارث أعجبت بشعره أشد العجب ، وقالت : (تالله ما رأيت ولا سمعت كالיום قط رجلاً يقول مثل هذا القول) .

والسبب الذي دعا الحارث إلى ارتجال معلقته أن عمرو بن هند ملك الحيرة المعروف بمجروته وعدوانيته قرر إجراء الصلح بين بكر وتغلب ابني وائل ، فاستجاب الحيان لقراره ، بيد أنه (الملك) خشي أن ينقض أحد الحيين الصلح ، فتزول هيئته بين العرب فأخذ من كل حيّ رهينة قوامها مئة غلام ليكفّ بعضهم عن بعض ، وقد تصرّف الملك بالرهائن وهم أمانة في عنقه ، فكانوا معه في مسيره وغزوه ، ولم يكتف بذلك فقد أرسل ركباً من بني تغلب إلى جبل طيء في شأن من شؤونه الخاصة فنزل الرهائن التغالبة في منطقة الطرفة المحمية من قبل بني شيبان وتيم اللات فطردوا من الطرفة ومنموا عنهم الماء ، وأرسلوهم في الصحراء فات الرهائن التغلبيون عطشاً (الأغاني 171/9) .

يقول التبريزي في شرح القصائد العشر ص 251 : (وكان عمرو بن هند سُريراً !!) وقد غضبت تغلب غضباً شديداً ، ولم يعبأ عمرو بن هند بما جرّه سوء

تصرفه على بعض رهائن تميم ، فما إن كسرت كندة الخراج على مملكته حتى بعث إليهم البعض الآخر من الرهائن التغلبيين ليستحصلوا من كندة الأموال فقتلتهم كندة !! وكان الملك قد بعث الرهائن ومثلي الحيين في أول الأمر إلى مكة ليتعاهدوا في الكعبة على أن لا تبقى في نفوس المتعاهدين غائلة أو رغبة في الانتقام ففعلوا ، ثم قال الملك للمتعهدين : « أي رجل وجد قتيلاً في دار قوم فهم ضامنون لدمه ، وإن وجد بين القتيل بين المثلتين ، قيس ما بينها فينظر أقربها إليه فتضمن ذلك القتيل » . فرضي الطرفان ، ثم إن الأحياء من رهائن تغلب اقتيدوا مع الملك في واحدة من حروبه فأصيبوا . والغريب حقاً أن يتصرف عمرو بن هند مع التغلبيين على هذا النحو من السوء وهو الذي يميل إليهم ويفضلهم على بكر !! فا كان من التغلبيين إلا أن ذهبوا إلى البكرين وطالبوهم بديات الرهائن فأبت بكر بن وائل !! فاجتمعت تغلب إلى عمرو بن كلثوم وأخبروه بالظلم الذي حاق برهائنتهم وتوقع عمرو بن كلثوم أن يكون (للأحر الأصلاح الأضم من بني يشكر) يد في ذلك ، وقد صدق توقعه إذ مثل بكرأ النعمان بن هرم الإشكري وهو على الصفة التي ذكرها عمرو بن كلثوم ، وحين اجتمع عمرو بن كلثوم والنعمان الإشكري عند الملك لم يتالك عمرو بن كلثوم مشاعره فنافر النعمان قائلاً : « يا أضم جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم ، وهم يفخرون عليك » . فقال النعمان : « يفخرون عليّ وعلى من أظلت السماء كلها ، يفخرون ولا ينكر عليهم أحد ذلك » . فقال ابن كلثوم : « أما والله لو لطمتك لطمه ما أخذوا لك بها » فقال النعمان : « والله لو فعلت ما ادّعت ، لما أفلتت بها قيس فحولة أبيك » . فغضب الملك عمرو بن هند ، وكان يؤثر بني تغلب على بكر ، فأراد الانتقاص من عتو النعمان الإشكري فطلب إلى مغنية كانت في مجلسه ، أن تكلم الإشكري بلسان أنثى شبيهة بلسان الإشكري !! فقال النعمان وقد نسي أنه يخاطب الملك : « أيها الملك اعطِ أمرَك أجباً أهلك إليك » . فغضب الملك من الإشكري وتصابر عليه وعابثه مغتاضاً قائلاً : يا نعمان أيسرّك أني أبوك فقال لا ولكن وددت أنك أمي . فندم الملك على معايبته ،

و غضب غضباً شديداً حتى هم بقتل النعمان في مجلسه ، فأدرك الحارث بن حلزة
 اليشكري وكان حاضراً حراجه الموقف الذي أضحي فيه قومه . فارتجل قصيدته هذه
 ارتجالاً .. وكان من شدة تأثر الشاعر بموقفه الصعب وانشغاله بارتجال قصيدة تشفع
 لقومه أن توكل على قوسه وهو ينشد فاقتطم القوس كفه وهو لا يشعر من الغضب حتى
 فرغ منها !! وروي عن أجواء ارتجال المعلقة خبر آخر ، هو أن الشاعر قال لقومه : إني
 قد قلت خطبة فمن ألقاها عني ظفر بجحته ، و فلج على خصمه ، ولقننا أناساً منهم فلما
 مثلوا بين يدي الملك وأنشدوها لم يرق له إنشادهم وأعجب بالقصيدة ، فقال الحارث إني
 لأرى أحداً يقوم بإنشادها مقامي لكنني أكره أن أنشد قصيدي من وراء سبعة ستور كما
 أكره أن يغسل أثري بالماء إذا انصرفت عنه ، وكان الملك يفعل ذلك لعظم سلطانه
 ولا يجمعه مجلس مباشر بأي شاعر فيه برص ... ثم تنازل الحارث عن ترده ورضي
 احتمال ذلك لخوفه على قومه من بطش الملك الذي استفزه النعمان اليشكري ! ثم قيل
 للملك : إن بالشاعر برصاً فأمر أن تحجز بينه وبين الحارث سبعة ستور وكان عمرو بن
 كلثوم حاضراً فسره ذلك واستهزأ بالحارث ، وقال للملك : أهذا يناطقني وهو الذي
 تطيقه راحلته ، فقال له الملك : انتظر حتى أفحمه ! وكان الحارث يصغي لحوار ابن
 كلثوم مع ابن هند ... فأنشد قصيدته :

أذنتنا بينها أسماء ربّ ثاوٍ يَمَلُّ منه الشواء

وكانت هند أم عمرو كما ألحنا سابقاً مولهة بالشعر ، وتعطي الجوائز للشعراء ،
 وحين سمعته ينشد قالت تالله ما رأيت ولا سمعت كاليوم قطّ شاعراً يقول مثل هذا
 القول ، وينشد من وراء سبعة ستور فقال الملك ارفعوا ستراً واحداً وقربوا موقف
 الشاعر فلم يزل عمرو يقول أدنوه أدنوه حتى أمر بطرح جميع الستر وأقعده بجانبه ،
 وبالغ في إكرامه وأكل معه في جفنة واحدة وأمر أن لا ينضح أثره بالماء ثم جزّ نواصي
 رهائن بكر ودفعهم إلى الحارث إكراماً له ، ثم أمره أن لا ينشد قصيدته (إلا
 متوضئاً !!) ولم تزل تلك النواصي في بني بكر يفتخرون بها وبشاعرهم وكان أبو عمرو

الشيواني يعجب لارتجال هذه القصيدة في موقف واحد ويقول : « لو قالها الحارث في حول لم يلم » . وقد جمع منها الشاعر ذكر عدة أيام من حروب العرب عرض في بعضها ببني تغلب وعيّرهم صراحة كما عرض بعمر بن هند ! وعاش بعد ذلك مدة طويلة وهو من المعمرين مات وله مئة وخمسون سنة (الشنقيطي 98) .

وذكر الأصبهاني 171/9 أن الحارث بن حلزة لما ارتجل هذه القصيدة بين يدي عمرو بن هند قام عمرو بن كلثوم فارتجل معلقته !! وقد أفاض الأصبهاني في خبر الحارث وقومه وقصيدته ، بل وذهب إلى أكثر من ذلك ، حين نجم بعض أبيات القصيدة ليحلل إشاراتها ويذكر دلالاتها ويقابلها بالأسماء والأيام والأحداث !! ومن الملفت للانتباه أن الجمحي جعل الحارث في الطبقة السادسة وحشر معه عمرو بن كلثوم وعنزة وسويد بن أبي كاهل (ص 85) وأن القرشي لم يشر إليه في جبهة أشعار العرب كما أن ابن قتيبة لم يول الحارث مقداره من الأهمية ، فخصص له نصف صفحة على أنه انفرد بخبرين هما :

1 - أقوى الحارث بن حلزة في قصيدته التي ارتجلها ولن يضّر ذلك في هذه القصيدة لأنه ارتجلها فكانت كالخطبة .. أما البيت فهو :

فلكنّا بذلك الناس إذما ملك المنذر بن ماء السماء

2 - وكان الحارث متوكئاً على عنزة (عصا) فارتزت في جسده وهو لا يشعر . (116/1) .

- 1- أذنتنا بينهما أسماء رَبِّ ثاوٍ يَمَلُّ منه الثواء
- 2- بَعْدَ عَهْدِ لَهَا بِبِرْقَةِ شَاءِ فَأَدْنَى دِيَارِهَا الْخُلُصَاءِ
- 3- فَالْحَيَاةُ فَالصَّفَاخُ فَأَعْلَى ذِي فَتَاقٍ فَعَاذِبٌ فَالْوَفَاءِ
- 4- فَرِيَاضُ الْقَطَا فَاوْدِيَةِ الشُّرِّ بُبٍ فَالشَّعْبَتَانِ فَالْأَبْلَاءِ
- 5- لَا أَرَى مَنْ عَهَدْتَ فِيهَا فَأَبْكِي الـ يَوْمَ دَلَّهَا وَمَا يَزِدُّ الْبِكَاءِ
- 6- وَبِعَيْنِكَ أَوْقَدْتَ هِنْدَ النَّا رَ أَصِيلاً تُتْلَوِي بِهَا الْعِلْيَاءِ
- 7- أَوْقَدْتَهَا بَيْنَ الْعَقِيقِ فَشَخْصِيـ نِ بَعُودِ كَمَا يَلُوحُ الضِّيَاءِ
- 8- فَتَنَوَّرَتْ نَارَهَا مِنْ بَعِيدِ بَخْزَازِيهِياتٍ مِنْكَ الصَّلَاءِ
- 9- غَيْرَ أَنِّي قَدِ اسْتَعِينُ عَلَى الْهَمِّ إِذَا خَفَّ بِالثَّوِيِّ النَّجْواءِ
- 10- بِزَفَوْفٍ كَأَنَّهَا هِفْلَةٌ أَمْ رُئُيَالٍ دَوِيَّةً سَقْفَاءِ
- 11- أَنْتِ بِنَاءٌ وَأَفْزَعُهَا الْقَنَاصُ عَصراً وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءِ
- 12- فَتَرَى خَلْفَهَا مِنَ الرَّجْعِ وَالْوَقِّ عِ مَنِيناً كَأَنَّهُ إِهْبَاءِ
- 13- وَطِرَاقاً مِنْ خَلْفِهِنَّ طِرَاقَ سَاقِطَاتِ أَلُوتِ بِهَا الصَّحْراءِ
- 14- أَتَلَهَى بِهَا الْهَواجِرَ إِذْ كُلُّ ابْنِ هَمْ بَلِيَّةً عَمِيَاءِ
- 15- وَأَتَانَا عَنِ الْأَرَاقِمِ أَنْبَا ءٌ وَخَطْبُ نَعْنَى بِهِ وَنَسَاءِ
- 16- أَنْ إِخْوَانِنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلَوِ نَ عَلَيْنَا فِي قَيْلِهِمْ إِحْفَاءِ
- 17- يَخْلُطُونَ الْبَرِيءَ مِنْنا بِذِي الـذَنْبِ وَلَا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخِلَاءِ
- 18- زَعَمُوا أَنْ كُلُّ مَنْ ضَرَبَ الْعِيدَ رَمَوا لَنَا وَأَتَا الْوِلْواءِ
- 19- أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ بَلِيلَ فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءِ
- 20- مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مَجِيبٍ وَمِنْ تَصِ هَالِ خَيْلٍ خِلالِ ذَاكَ رُغْواءِ
- 21- أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُرْقَشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍ وَهَلْ لَذَاكَ بَقْواءِ
- 22- لَا تَخْلُنَا عَلَى غَرَاتِكَ إِنَّا طالما ما قَدِ وَشَى بِنَا الْأَعْداءِ

- 23- فبقينا على الشنأة تني
- 24- قبل ما اليوم ييُضت بعيون الناس فيها تَعِيْطٌ وإِباء
- 25- وكانَّ المنون تردي بنا أر
- 26- مكفهِراً على الحوادثِ ماطر
- 27- أيّا خطّةِ أردتَم فأدو
- 28- إن نبشتم ما بين ملحّة فالصّا
- 29- أو نقشتم فالنقش يجمُة النا
- 30- أو سكتم عنّا فكنّا كمن أغ
- 31- أو منعم ما تُسألون فَمَن حُدثتوه له علينا العلاء
- 32- هل علمت أيام ينتهب النّا
- 33- إذ رفعنا الجمال من سعف البحد
- 34- ثمّ ملنا على تيمم فأحرم
- 35- لا يقيمُ العزيزُ بالبلدِ السه
- 36- ليس ينجي موائلاً من حذارٍ
- 37- فلكنّا بذلك الناسَ حتى
- 38- وهو الرّبُّ والشهيدُ على يو
- 39- ملكٌ أضلعُ البريةِ مايو
- 40- فاتركوا الطيخَ والتعدي
- 41- واذكروا حلفَ ذي المجاز وما
- 42- حَذَرَ الجور والتعدي ولنَ يند
- 43- واعلموا أنّنا وإيّاكم فيما
- 44- أعلينا جناحُ كندة أن يف
- 45- أم علينا جرى حنيفة أو ما
- نا جُدودٌ وعزّةٌ قعساء
- عنّ جوناً ينجابُ عنه العماء
- توهُ للدهرِ مُؤيدٌ صمّاء
- ها إلينا تمشي بها الإملاء
- قَب فيه الأمواتُ والأحياء
- سُ وفيه السقامُ والأبراء
- مضَ عيناً في جفنها أقذاء
- حُدثتوه له علينا العلاء
- سُ غواراً لكلّ حيٍّ غواء
- رينَ سيراً حتى نهاها الحساء
- نا وفينا بناتٌ مرُّ إماء
- لِ ولا ينفع الذليلُ النجاء
- رأسُ طوؤٍ وحرّةٌ رجلاء
- ملكُ المنذرُ بنُ ماء السماء!!
- مِ الحيارينِ والبلاءُ بلاء
- جَدُ فيها لما لَدَيْهِ كِفَاء
- وإمّا تَعاشوا ففي التعاشي الداءُ
- قُدّمَ فيه العهودُ والكفلاء
- قُضَ ما في المهارقِ الأهواء
- اشترطنا يومَ اختلفنا سواء
- ثمّ غازيهمُ ومنّا الجزاء
- جَمَعَتُ من محارب غبراءُ

- 46- أم جنايا بني عتيقٍ فمن يغـ
47- أم علينا جرّى العباد كما نـ
48- أم علينا جرّى قضاة أم ليـ
49- أم علينا جرّى إياد كما قيـ
50- ليس منا المضربون ولا قيـ
51- عننا باطلاً وظلماً كما تُعـ
52- وثمانون من تميم بأيديـ
53- لم يخلوا بني رزاح ببرقـ
54- تركوهم ملحّبين وأبـ
55- ثم جاؤوا يسترجعون فلم تـ
56- ثم فاءوا منهم بقاصمة الظهـ
57- ثم خيل من بعد ذلك مع
58- ما أصابوا من تغلي فطلو
59- كتكاليف قومنا إذا غزا المـ
60- إذ أحلّ العلاة قبّة ميسو
61- فتأوت لهم قراضة من
62- فهدام بالأسودين وأمر الله
63- إذ تمنونهم غروراً فسـ
64- لم يغروركم غروراً ولكن
65- أيها الشانئ المبلغ عـ
66- إن عمراً لنا ليديه خلال
67- ملك مقيطٍ وأتحمل من يـ
68- إرمي بمثله جالت الجن فـ
- سـدر فإنا من حرهم أبراء
سط يجوز المحمل الأعباء
سن علينا فيما جنّوا أنداء
سل لطمم أخوكم الأبناء
سن ولا جنّدل ولا الحداء
تتر عن حجرة الربيض الظباء
هم رماح صدورهن القضاء
نطاع لهم عليهم دعاء
بنهاب يضمّ منها الحداء
جع لهم شامة ولا زهراء
ر ولا يترّد الغليل الماء
الغلاق لا رافة ولا إبقاء
ل عليه إذا تولى العفاء
ذر هل نحن لابن هند رعاء
ن فادنى ديارها العوصاء
كل حي كأنهم ألقاء
بلغ تشقى به الأشقياء
هم إليكم أمنيّة أشراء
يرفع الأل جمعهم والضحاء
عند عمرو وهل لذلك انتهاء
غير شك في كلهن البلاء
شي ومن دون مالدیه الثناء
فأبت لخصهـ الأجلـاء

- 69- مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ أَيَا
تَ ثَلَاثٌ فِي كَلِمَةٍ الْقَضَاءُ
70- آيَةٌ شَارِقٌ الشَّقِيقَةُ إِذْ جَا
وَأَوْ جَمِيعاً لِكُلِّ حَيٍّ لَوَاءُ
71- حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْمِينَ بِكَبْشٍ
قَرظِيٌّ كَأَنَّهُ عِبْلَاءُ
72- وَصَتَيْتَ مِنَ الْعَوَاتِكِ مَاتِنْدُ
هَاهُ إِلَّا مَبِيضَةً رَعْلَاءُ
73- فَجَبِهِنَّ سَامٌ بِضَرْبٍ كَمَا يَخُذُ
رَجٌّ مِنْ خُرْبَةِ الْمَزَادِ الْمَاءُ
74- وَحَمَلْنَا هُمْ عَلَى حَزْنٍ ثَمَلَا
نَ شِلَالاً وَدُمِّي الْأَنْسَاءُ
75- وَفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَلَّمَ اللَّهُ وَمَا
إِنْ لِلْخَائِنِينَ دِمَاءُ
76- ثُمَّ حَجْرًا أَعْيَى ابْنَ أُمِّ قَطْرَامٍ
وَلَهُ فَارَسِيَّةٌ خَضْرَاءُ
77- أَسَدٌ فِي اللَّقَاءِ وَرَدَّ هَمُوسٍ
وَرَبِيْعٌ إِنْ شَنَعْتُ غِبْرَاءُ
78- وَرَدَدْنَا سَامَ بَطْعَنِ كَمَا تَنْدُ
هَزُّعَنْ جَمِيَّةِ الطَّوِيِّ الدَّلَاءُ
79- وَفَكَكْنَا عُلَّ أَمْرِئِ الْقَيْسِ عَنْهُ
بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَالْقَنَاءُ
80- وَأَقْدَنَاهُ رَبِّ غَسَّانٍ بِالْمَنْدِ
ذَرُّ كَرْهًا إِذْ لَا تَكَالُ الدِّمَاءُ
81- وَفَدَيْنَاهُمْ بِتَسْمِعَةِ أَمْلَا
كِرَامٍ أَسْلَابِهِمْ أَغْلَاءُ
82- وَمَعَ الْجَمُونَ جُونَ آلِ بَنِي الْأَوْ
سِ عَنُودٌ كَأَنَّهُمْ دَفُوءُ
83- مَا جَزَعْنَا تَحْتَ الْعَجَاجَةِ إِذْ
وَلَّتْ بِأَقْفَائِهَا وَحَرَّ الصَّلَاءُ
84- وَوَلَدْنَا عَمْرَ بْنَ أُمِّ أَنْسَاسٍ
مِنْ قَرِيبٍ لِمَا أَتَانَا الْحَبَاءُ
85- مِثْلَهَا يُخْرِجُ التَّصِيحَةَ لِلْقَوِ
مِ فَلَاةٌ مِنْ دُونِهَا أَفْلَاءُ

☆ معاني الكلمات

- 1 - أَدْنَتْنَا : أَعْلَمْتْنَا . الْبَيْنَ : الْفِرَاقَ . الثَّوَابِي : الْمَقِيمَ .
- 2 - شَمَاءُ : هَضْبَةٌ مَعْرُوفَةٌ . الْبَرْقَةُ : رَابِيَةٌ فِيهَا رَمْلٌ وَطِينٌ أَوْ طِينٌ وَحِجَارَةٌ . الْخُلُصَاءُ : آبَارُ مَاءٍ بِالْبَادِيَةِ .
- 3 - الْحَيَاةُ وَالصَّفَاحُ وَذُو فِتَاقٍ وَعَاذِبٌ وَالْوَفَاءُ : أَسْمَاءُ مَوَاضِعٍ لِلشَّاعِرِ فِيهَا ذِكْرِيَّاتٌ مَعَ الْحَبِيْبَةِ .

- 4 - رياض القطا وأودية الشريب والشعبتان والأبلاء : أسماء مواضع أيضاً .
- 5 - الدّلة : الباطل والحيرة .
- 6 - العلياء : المرتفع من الأرض .
- 7 - شخصان : أكمة لها شعبتان . العقيق : موضع . العود : البخور . الضياء : الفجر .
- 8 - تنورت : نظرت لأعرف القرب من البعد والكثرة من القلة . خزازى : موضع .
- 9 - الثوي : المقيم . النجاء : السرعة .
- 10 - الزيف : السرعة . الهقلة : النعامة . الرأل : ولد النعامة . الدوية : الأرض البعيدة الأطراف . سقفاء : مرتفعة .
- 11 - آنتس : أحست . النبأة : الصوت الخفي . العصر : آخر النهار .
- 12 - المنين : الغبار الدقيق وكل ضعيف منين . الرجع : رجع القوائم . الوقع : وقع الخفاف . الإهباء : إثارة التراب والغبار .
- 13 - الطراق : مطارقة نعال الإبل . الساقطات : ماتساقط من الأرجل . تلوي : تذهب وتفرّق .
- 14 - ابن هم : صاحب الهم . البلية : ناقة الرجل إذا ماتت عقلت عند القبر مما يلي رأسه ، وعكس رأسها إلى ذنبها فتترك لا تأكل ولا تشرب حتى تموت فهي عمياء لا تتجه لأمرها ويظن الجاهليون أن صاحبها إذا قام من قبره حين ينشر ركبها !
- 15 - الأرقام : أحياء من بني تغلب بن وائل وقيل في سبب الاسم أن ناظراً نظر إليهم تحت الدثار وهم صفار فقال كأن أعينهم أعين الأرقام أي الأفاعي ! نعى به : تتهّم أو نهّم به . نساء : يساء بنا الظن أو نساء ..
- 16 - يغلون علينا : يظلموننا والغلو الارتفاع والزيادة . أحفاء : استقصوا علينا ونقصوا العهد أو أنهم كلفونا فوق ما نطبق .
- 17 - الخلاء : البراءة والترك .
- 18 - العير : الوتد والحمار . إنا الولاء : نحن ولاتهم وأهل الولاء .
- 20 - الرغاء : أصوات الإبل .
- 21 - المرقش : الذي يزيّن القول بالباطل ويخاطب هنا الشاعر عمرو بن كلثوم .
- 22 - لا تخلنا : لا تحسبنا . غراتك : إغراء الملك بنا .

- 23 - الشنأة : البغض . الجدود : الحظوظ . القعاء : الثابتة . تنينا : ترفعنا .
- 24 - بيضت : غطت على أبصارهم . اعتاطت الناقة : إذا لم تحمل وامتنعت عن الفحل ورجل أعيط وامرأة عيطاء إذا كانا طويلين ، وزعم أن العيط طول العنق .
- 25 - المنون : المنية والدهر لأنه يذهب بمنة كل شيء والمنة بالضم قوة الجسد وبخاصة القلب .
الأرعن : الجبل والجيش . الجون : الأسود والأبيض ، والمراد به هنا الأسود . ينجاب : ينشق .
العماء : السحاب الأبيض .
- 26 - المكفهر : الغليظ المتراكب بعضه على بعض . ترتوه : تنقصه أو ترميه أو تشده .
المؤيد : الشديد الأيد ، أي القوي والداهية . صماء : لاتسمع فيعتذر لها .
- 27 - الخططة : الأمر يقع بين القوم يشتجرون فيه . أذوها إلينا : أضحوها مع سفرائكم
والسفير : المصلح . الأملاء : الجماعات .
- 28 - ملححة : موضع . الصاقب : جبل . نبشتم : أثرتم .
- 29 - تقشتم : استقصيتم وهي وناقش واحد . يحشمه : يكلفه بشقة .
- 30 - القذى : الشيء الذي يسقط في العين .
- 31 - الرفعة والتفوق والأمر وإن رويت الغلاء فالمعنى هو هو .
- 32 - أيام ينتهب الناس : إشارة إلى هزيمة كسرى وضعفه .
- يقول التبريزي : « وكانت العرب من نزار تملكهم الأكاسرة ، وهم ملوك فارس وتملك عليهم
من شاعت وكانت غسان تملكهم ملوك الروم » .
- العواء : الصياح مما ينزل بهم من الإغارة .
- 33 - رفعنا : سيرنا . السعف : كناية عن النخل . الحساء : مياه لبني فزارة بين الربذة
وفخل يقال لمكانها ذو حساء .
- 34 - ملنا : بلغنا . أحرمتنا : دخلنا في الأشهر الحرم فكففنا عن قتالهم . إماء : سبيناهن .
- 36 - الموائل : الذي يطلب مؤثلاً يفزع إليه . الطود : الجبل . الحرة : كل موضع فيه
حجارة سوداء . الرجلاء الصلبة الشديدة .
- 37 - 38 - كان المنذر بن ماء السماء غزا أهل الحيادين ومعه بنو يشكر فأبلوا ! الرب : في
هذا الموضع السيد .

- 39 - أضلع البرية : أشد البرية أضلعاً وليس في الناس أحد يكافئه أي يصنع مثله .
الكفاء : المثل والنظير .
- 40 - الطيخ : قبيح الكلام وهو في الأصل الكبر والعظمة . التعاشي : التعامي . الداء : الشر .
- 41 - ذو الحجاز : سوق في الجاهلية وفيه أصلح عمرو بن هند بين بكر وتغلب ، وأخذ عليهم المواثيق والرهائن من كل حي ثمانين .
- 42 - المهارق : الصحف واحدا مهرق فارسي معرب ، أو خرزة يصقلون بها ثياباً كان الناس يكتبون فيها قبل أن يصنع القراطيس بالعراق ، كما يقول التبريزي .
- 44 - كانت كندة قد أخذت خراج الملك وهربت فوجه إليهم من قتلهم ، وقيل : بل كانت كندة قد غزت تغلب ، وقتلت منهم وسبت .
- 45 - الغبراء : الصعاليك والفقراء . والمعنى : هل علينا في العهود والمواثيق التي أخذتموها علينا أن تأخذونا بذنوب حنيفة ، وما أذنت لصوص محارب .. انظر خبر حنيفة : التبريزي ص 270 .
- 47 - العباد : العباديون وهم نصارى الحيرة ، وقد أصابوا من بني تغلب دماء ولم يدرك بنو تغلب ثأرهم منهم . نيط : علق . جوز الحمل : ظهر البعير .
- 48 - الأبيات من 44-48 تعبير لبني تغلب ، وكان عمرو بن كلثوم جالساً يسمع الشعر !!
- 49 - كانت إياد بن نزار تنزل سندان ، وهو نهر بين الحيرة والأبلة وعليه قصر منيف تحج إليه العرب في الجاهلية وكانت إياد الإتاوة أجداً من الملوك ، ومن قوتهم أنهم أغاروا على فارس وغنموا امرأة لكسرى أنوشروان وأموالاً .. وغزاهم كسرى غزوتين أخفق في الاثنتين . أما طسم وجديس فهما أخوان أخذ جديس خراج الملك وهرب ، فأخذ الملك طسماً بما ليس عليه . الإباء : عدم طاعة الملك .
- 50 - المضربون : قوم من بني تغلب ضربوا بالسيف . الحداء قبيلة من بني ربيعة .
- 51 - عنناً : اعتراضاً . العتر : الذبح في رجب والذبيحة تسمى العتيرة أو الرجبية ، وربما بخل الجاهلي فلم يصدق بنذره فيصيد طيبة ليدبجها عوضاً عن الشاة . الحجرة : موضع يحجر فيه الغنم . الرييض : جماعة الغنم .

- 52 - إن عمراً من بني سعد بن زيد مناة بن تميم خرج في ثمانين رجلاً من تميم فأغار على تغلب وكانوا ينزلون (نطاع) قرية من اليمن وبنو رزاح شعبة من تميم .
- 53-54 - ملحين : مقطعين بالسيوف . يسم : لكثرة رغاء الإبل والضجة لا يسمع الحداء .
- 55 - يعني بني رزاح . الشامه : السوداء . الزهراء : البيضاء .
- 56 - فإؤوا : رجعوا . قاصمة الظهر : الخيبة . الغليل : شدة العطش .
- 57 - الغلاق : تميمي من بني حنظلة كان على هجائن النعمان غزاً بني تغلب فقتل فيهم وسبي .. ويريد : ليس لأصحاب الغلاق رافة بهم ولا إبقاء عليهم .
- 58 - مطلول عليه : لا يدرك بثأره . العفاء : الدروس والاختفاء .
- 59 - لما قتل المنذر بن ماء السماء اعتزلت طائفة من تغلب وقالوا لا نطيع أحداً من ولده فلما ولي ابنه عمرو بن هند وجه إليهم فقالوا : أراء الخن ؟ فنقل الحارث قولهم ، فوجه إليهم عمرو بن هند من قتل فيهم وسبي ويعني الشاعر أن قتل عمرو بن هند فيكم كفعل الغلاق وتكاليف مفردها تكليف .
- 60 - العلاة : أرض . إن عمرو بن هند وجه أخاه النعمان للأخذ بثأر أبيه وأمره أن يقاتل بني غسان . ومن خالف من بني تغلب ، فلما بلغ الشام قتل ملكاً من غسان واستنقذ أخاه امرأ القيس بن المنذر ، وأخذ بنتاً للملك في قبة لها وهي ميسون والعلاة قرية من العوصاء .
- 61 - تأوت : تنادت وتجمعت . القراضبة : الصعاليك ويريد أولئك الذين ناصرُوا عمرو بن هند . ألقاء : أشياء مطروحة كناية عن التافهين من الأزام .
- 62 - الأسودين : التمر والماء والأبيضين : الخبز والماء ، والأسودين أيضاً الليل والنهار أي هدى عمرو بن هند أصحابه وجمعهم حين غزا بهم .
- 63 - غروراً : جهلاً وغطرسة . أشراء : بطيرة .
- 64 - الضحاء : ارتفاع النهار . لم يغروكم غروراً : ما أتوكم على غرة .
- 65 - الشانيء : العدو المبغض ، والمقصود الشاعر عمرو بن كلثوم التغلبي .
- 66 - عمراً : يعني عمرو بن هند .
- 67 - المقسط : العادل . من دون ما لديه الثناء : الثناء منا عليه لا يوفي حقه .
- 68 - إرمي : نسبة إلى إرم عاد كناية عن قدم ملكه . الجن : هنا دهاة الناس وأبطالهم .

جالت : كاشفت أي بمثل عمرو بن هند كاشفت الجن الناس . آبت : رجعت . الإجلاء : انكشاف الأمر .

69 - الرايات : العلامات .

70 - الشقيقة : رهط من شيبان . جاءوا جميعاً : يعني قيس بن معد يكرب ورهطه أغاروا على إبل لعمر بن هند . شارق : جاء من قبل المشرق . الشقيقة : صخرة بيضاء . لكل حي لواء : أي إن لكل حي رأياً وقوة .

71 - المستلم : لابس اللأمة . قرظى : من بلاد ينبت فيها القرظ (شجر كبير سيقانه غليظة وورقه أصفر ، والين : منابت القرظ) .

72 - الصتيت : الجماعة . العواتك : نساء من كندة وهن الأميرات . الرعاء : الضربة المسترخية اللحم من الجانبين ، وبنو العواتك خرجوا مع قيس بن معد يكرب .

73 - الجبة : من الهجامة وهي الرّد الضيق . الخربة : فم المزاغة (القربة) .

74 - الحزن ، ماغلظ من الأرض . ثهلان : اسم موضع مرتفع . شلالاً : هرباً كأنهم مطرودون . دَمَى الأنساء : أي دفعناهم محرّحين .

75 - الحائن : الذي جاء حينه (أجله) . دماء : كناية عن الثأر بالدم أو طلب الدية .

76 - ثم حجراً : صنعنا بحجر مثل صنيعنا في البيت 75 وكان حجر قد غزا امرأ القيس أبا المنذر بن ماء السماء بجمع من كندة كثير ، وكانت بكر بن وائل مع امرئ القيس ، فخرجت بكر بن وائل فردته وقتلت جنوده وقوله (وله فارسية) أي معه كتيبة خضراء من كثرة السلاح فارسية أي سلاحها من عمل فارس .

77 - الغبراء : السنة الشديدة ، القليلة المطر . أسدّ : صفة لحجر في البيت 76 . الهموس :

الحفي الوطاء . الربيع : الخصب .

78 - تنهز : تتحرك . جمة الماء : الموضع العذبي يبلغه الماء من البئر ولم يبلغ أكثر منه .

الطوي : البئر المطوية التي لم يستق منها .

79 - يعني امرأ القيس بن المنذر بن ماء السماء أخا عمرو بن هند لأبيه ، وكانت غسان

أسرته يوم قتل المنذر أبوه ، فأغارت بكر بن وائل مع عمرو بن هند على بعض بوادي الشام فقتلوا ملكاً لغسان واستنقذوا امرأ القيس وأخذ عمرو ابنة ذلك الملك وهي ميسون كما مرّ بنا .

80 - رب غسان : الملك أبو ميسون . لا تكال الدماء : لأنها كثيرة أو أنها ذهبت هدراً .

81 - كان المنذر بن ماء السماء قد بعث خيلاً من بكر بن وائل في طلب بني حجر آكل المرار حين قتل حجر ، فظفر بهم بكر وقد دنوا من بلاد اليمن فأتوا بهم المنذر بن ماء السماء فأمر بذبحهم (كذا) ، وهو بالحيرة فذبحوا (!!) عند منازل بني مرينا وكانوا ينزلون الحيرة وهم قوم من العباد وفي ذلك يقول امرؤ القيس :

ألا ياعين بكّي لي شنيناً	وبكي للملوك الذاهيناً
ملوك منى بني حجر بن عمر	يساقون العشيّة يقتلوننا
فلو في يوم معركة أصيبوا	ولكن في ديار بني مرينا
فلم تغسل جماجمهم بغسل	ولكن بالدماء مرليننا
تظل الطير عاكفة عليهم	وتنتزع الحواجب والعيوننا

82 - الجون : ملك من ملوك كندة ، وهو ابن عم قيس بن معد يكرب وكان غزا بني بكر في كتيبة خشنة فقاتلته بنو بكر وهزمته وأخذوا ابنه وجاؤوا به إلى المنذر . العنود هنا الكتيبة كأنها تعند في سيرها والدّفواء المنحينة يصف كثرتها وجعل الكتيبة دفواء من بغيتها .

83 - الصلاة : النار . أقفاء : أعجاز .

84 - يريد عمرو بن حجر الكندي وكان جد الملك عمرو بن هند ، وهند هي بنت عمرو بن حجر آكل المرار ، وكانت أم عمرو بن حجر أم أناس بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة وعمرو بن أم أناس هذا هو جد امرئ القيس الشاعر . من قريب : النسب بيننا وبينه وأمه بنت ذهل بن شيبان وهي جدة أم عمرو بن المنذر . لما أتانا الحباء : حين أتانا حباء الملك عمرو بن حجر ورأنا أهلاً لمصاهرته .

85 - أفلاء : مفردتها فلاة وقيل : إن مفردها فلو ، لأن الفلو يخدع بالشيء بعد الشيء حتى يسكن ثم يفلى عن أمه أي يفطم !!

8 - ميمون بن قيس البكري (الأعشى الكبير)

شاعر جاهلي مطبوع ، جعله ابن سلام في الطبقة الأولى التي جمعتها بامرئ القيس والنابغة وزهير ، قال بشار بن برد (نحن حاكة الشعر في الجاهلية والإسلام ونحن أعلم الناس به : أعشى بني قيس بن ثعلبة أستاذ الشعراء في الجاهلية) وشهادات علماء الشعر في نبوغ الأعشى وجمال شعره لا تكاد تعد ..
فمن هو ؟

هو من سعد بن ضبيعة بن قيس ، وكان ضعيف البصر ، وكنيته أبو بصير ، وأبوه يدعى قتيل الجوع وحكايته أنه دخل غار جبل فوقعت صخرة من ذلك الجبل فسدت فم الغار فات فيه جوعاً ! وكان جاهلياً قديماً أدرك الإسلام ، وسمع اليهود والنصارى يتحدثون بأمر الدين الجديد ، فأراد أن يعرف ذلك بنفسه ، وقد راقته فكرة العدالة والتوحيد في الدين الجديد ، فكتب قصيدة يمدح فيها النبي محمد ﷺ جاء فيها :

ألا أيها السائلي أين يمت	فإن لها في أهل يثرب موعدا
فأليت لأرثي لها من كلاله	ولا من حفى حتى تزور محمدا
مق ماتناخي عند باب ابن هاشم	تريحي وتلقي من فواضله يدا
نبي يرى مالا ترون وذكره	أغار، لعمرى، في البلاد وأنجدا

وتوجه الأعشى إلى حيث يقيم النبي ﷺ فبلغ خبره قريشاً فرصدوه في الطريق ونادى أبو سفيان يا قوم : هذا صناجة العرب مامدح أحداً إلا رفع في قدره والرأي أن نجمع له مئة ناقة حمراء لنصرفه عن مبتغاه ... والله لئن أتى محمداً واتبع دينه ليضرم

عليكم نيران العرب بشعره ، فجمعوا له مئة من الإبل ... ثم أخذها أبو سفيان واعترض
سبيل الأعشى ، وسأله أين أردت يا أبا بصير ؟

قال أردت صاحبكم هذا لأسلم ، فقال أبو سفيان إن دينه ينهك عن خلال كلها
بك ويحرمها عليك ! قال الأعشى ما هن ؟ فقال أبو سفيان : إنه يحرم الزنا ، فقال
الأعشى : لقد تركني الزنا ، ولم أتركه ثم ماذا ؟ قال : القمار ، قال الأعشى : لعلي إن
لقيته أصيب منه عوضاً ثم ماذا ؟ قال الربا ؟ قال الأعشى : ما هذا فما أسلفت
ولا استلفت ثم ماذا ؟ قال : إنه يحرم الحجرة . قال الأعشى : وي إذن أرجع إلى صباية
بقيت لي في المهراس فأشربها وأرجل هامتي ، فقال له أبو سفيان : هل لك في خير مما
همت به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن ومحمد الآن في هدنة فتأخذ هذه الإبل وترجع
إلى بلدك سنتك هذه وتنظر ما يصير إليه أمرنا فإن ظهر علينا آتيته ، وإن ظهرنا
عليه كنت قد أخذت حلفاً ، فوافق الأعشى فأخذ الإبل وانطلق إلى بلده ، فلما كان في
مدخل قرية منفوحة وفيها معاصر للخمرة يمتلكها الأعشى عثر بعيره وسقط الأعشى
فدقّ عنقه ومات ولم يسلم !! والأعشى مغامر ، جاب أصقاعاً من الدنيا كثيرة ، ولديه
صداقات مع الملوك والأمراء من البلاد البعيدة ، قارن لوم ابنته له لكثرة أسفاره فهي
مثل اليتيمة وأبوها على قيد الحياة :

تقول ابنتي حين جد الرحيل	أرانا سواء ومن قد يتم
أرانا إذا أضمرتك البلا	د نجفى ويقطع منا الرحم
أفي الطوف خفت عليّ الردى	وكم من رد أهله لم يرم
وقد طفت لئال آفاقه	عُمان فحمص فأويرشلم
أتيت النجاشي في أرضه	وأرض النبيسط وأرض العجم
فنجران فالسرو من حمير	فأي مرام له لم أرم
ومن بعد ذلك إلى حضرموت	فأوفيت هي وحيناً أهم

وحين ذهب إلى فارس وسمعه كسرى فقال : (إين كيست ؟) أي من هذا ؟

فقالوا له (إين كويد سرود تازي) هذا عربي يقول الشعر وقيل له : إنه (مغني العرب) فطلب أن ينشده أحسن ما عنده فأنشد الأعشى قصيدته المشهورة في الحلق ! ومطلعها :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي معشوق

فقال كسرى ترجموا لنا ما قاله المغني ! فقالوا له : إن الشاعر يقول : إنه سهر ليله من غير سقم ولا عشق . فضحك كسرى ومازح الأعشى قائلاً : اللصوص فقط هم الذين يسهرون الليل دون سقم أو عشق !!

وكان يفد أيضاً على ملوك الحيرة ويمدح الأسود بن المنذر أخاً النعمان وفيه يقول :

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وهل ترد سؤالي
أنت خير من ألف من النا س إذا ما كبت وجوه الرجال

وقال له النعمان بن المنذر معاشاً وقد أعجب بجمال شعره : لعلك تستعين على شرك هذا ؟ أي تسرقه ؟ فقال له الأعشى احبسني في بيت حتى أقوله ، فحبسه في بيت فقال قصيدته :

أأزمت من آل ليلي ابتكارا وشطت على ذي هوى أن تزارا
وقيدي الشعر في بيته كما قيد الأسرات الحارار
فأنا أم ما انتحالي القوا في بعد المشيب كفى ذاك عارا
ولو رمت في ليلة قادحاً حصاة بنبع لأوريت نارا

وقيل : إن علماء الشعر في العصر الجاهلي اعتدوا له معلقتين دون سواه من شعراء المعلقات الأولى هي : (ودع هريرة) ، والأخرى هي : (ما بكاء الكبير) وكان أبو عبيدة مولعاً بشعر الأعشى ويفضله على طرفة ؛ لأنه كما يقول : أكثر عدد طوال جياذ ، وأوصف للخمر والحمر ، وأمدح وأهجى .

واختلف علماء الشعر الإسلاميون في : أيها أشعر امرؤ القيس أم الأعشى ؟

قال الجمحي : « أخبرني يونس بن حبيب أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس ، وأن أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى » .

وكان يونس إذا سئل من أشعر العرب ؟ يقول : « امرؤ القيس إذا غضب والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب » .

ويقول الأصبهاني : « وهو أول من سأل بشعره وانتجع به أقاصي البلاد ، وكان يغني في شعره ، فكانت العرب تسميه صناجة العرب » . وأبو عمرو بن العلاء يقول : « عليكم بشعر الأعشى فياني شبهته بالبازي الذي يصيد ما بين الكركي إلى العندليب » .
وحين سئل أبو عمرو أيها الشاعر لبيد أم الأعشى ؟ قال : « لبيد رجل صالح والأعشى رجل شاعر »⁽²¹⁾ .

وكان الأعشى مثابة مؤسسة إعلامية كبرى ذات فروع متعددة ومؤسسة أخرى للدعاية ، وترويج السلع ، وقد استثمر شعره تجار عكاظ ، وذوي مجنة ، والشحر ، والحيرة ، واليامة ، فروج لها أنماطاً من الأقمشة والسيوف والخمور .. بل وقد بلغ الحد أبعد من ذلك ، فكان بمقدوره تزويج العوانس من البنات والبائرات ، ولنا أن نتذكر حكاية المخلّق ابتلي بشقيقات لم يقدم على خطبتهن أحد ، كما ابتلي بنات لم يخطنهن أحد من العرب .. وقد اتفق المخلّق مع زوجه لاستدراج الأعشى إلى بيته ... فجاء الأعشى ودخل بيته ، فنحر له ناقته وكشط له عن سنامها وكبدها ثم أحاطت به بنات

(21)

الصائغ د . عبد الإله ، الصورة الفنية معياراً نقدياً ، انظر الفصل الأول ص 33-103 ويتضمن ثلاثة مباحث :

أ - ملامح الصورة الشخصية للأعشى .

ب - تقويم النقاد لشعر الأعشى .

ج - أصالة شعر الأعشى وأثره في الشعراء .

ثم انظر كتابنا الآخر : الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية ، الفصل السادس ص 237 ، صناجة العرب بين نقاد الكوفة وشعرائها .

المحلق ، فقال ما هذه الجواري حولي ؟ قال المحلق : بنات أخيك فلما رحل من عنده
ووافى سوق عكاظ جعل ينشد قافيته التي مدح بها المحلق :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار في يفاع تحرق
تشبّ لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق
رضيعي لبان ثدي أم تحالفا بأسحم داج عوض لا تتفرّق

فتسابق الفتيان والفرسان إليهن حتى تزوجن عن آخرهن واستغنى بعد فقره .

قال الشعبي حين سئل عن تقويم شعر الأعشى : « الأعشى أعزل الشعراء في بيت ،
وأخنتهم في بيت ، وأشجعهم في بيت .. وذكر الأبيات :

× غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحل
× قالت هريرة لما جئت زائرها ويلى عليك وويلى منك يارجل
× قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا أو تنزلون فإننا معشر نزل

والذي تقترحه أن أغزل ما قاله الأعشى هو :

وتبرد برد رداء العروس بالصيف رقرقت فيه العبيرا
وتسخن ليلة لا يستطيع نباحاً بها الكلب إلا هريرا

وأشجع بيت قاله الأعشى هو :

لما التقينا كشفنا عن جماجنا ليعلموا أننا بكر فينصرفوا

قيل توفي سنة (7 للهجرة 629 ميلادية) .

- 1- ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل
- 2- غراء فرعاء مصقول عوارضها تشي الهويني كما يشي الوجي الوحل
- 3- كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لاريث ولا عجل
- 4- تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل
- 5- ليست كمن يكره الجيران طلعتها ولا تراها لسر الجار تختل
- 6- يكاد يصرعها لولا تشددها إذا تقوم إلى جاراتها الكسل
- 7- إذا تعالج قرناً ساعة فترت واهتز منها ذنوب المتن والكفل
- 8- صفر الوشاح وملاء الدرع بهكنة إذا تأتي يكاد الخصر ينخزل
- 9- صدت هريرة عنا ماتكلنا جهلاً بأم خليد، حبل من تصل
- 10- أن رأيت رجلاً أعشى أضرب به ريب المنون ودهر مفند خبل
- 11- هركولة فنق دُرْمَ مرافقها كأن أخصها بالشوك منتعل
- 12- إذا تقوم يضوع المسك صورة والزنبق الورد من أردانها شمل
- 13- ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسيل هطيل
- 14- يضحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعيم النبات مكتهل
- 15- يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل
- 16- علقتها عرضاً وعلقت رجلاً غيري وعلق أخرى غيرها الرجل
- 17- وعلقته فتاة ما يحاولها من أهلها ميت بهذي بها وهل
- 18- وعلقتني أخيري مائلاني فاجتمع الحب جأ كُله تبل
- 19- فكلنا مغرم بهذي بصاحبه ناء ودان ومحبول ومحتبل
- 20- قالت هريرة لما جئت زائرهما ويلى عليك وويلى منك يا رجل
- 21- يامن يرى عارضاً قد بت أرقبه كأنما البرق في حافاته شعل
- 22- له رداف وجوز مفأم عمل منطق بسجال الماء متصل

- 23- لم يلهني اللهو عنه حين أرقبُهُ
- 24- فقلتُ للشُّربِ في (دُرني) وقد ثملوا:
- 25- برقاً يضيء على الأجزاء مسقطه
- 26- قالوا نمارٌ فبطن الخال جادها
- 27- فالسُفح يجري فخنزير فبرقته
- 28- حتى تحمّل منه الماء تكلفَةً
- 29- يسقي دياراً لها قد أصبحت عُزباً
- 30- وبلدةٍ مثل ظهر الترس موحشة
- 31- لا ينتهي لها بالقيظ يركبها
- 32- جاوزتها بطليح جرة سُرح
- 33- أما ترينا حفاةً لانعال لنا
- 34- فقد أخالسُ ربُّ البيت غفلته
- 35- وقد أقود الصبي يوماً فيتبعني
- 36- وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني
- 37- في فتيةٍ كسيوف الهند قد علموا
- 38- نازعتهم قُضْب الريمانٍ متكئاً
- 39- لا يستفيقون منها وهي راهنةٌ
- 40- يسعى بها ذو زجاجات له نطفٌ
- 41- ومستجيبٍ تحال الصنَج تسمعه
- 42- من كل ذلك يومٌ قد لهوتُ به
- 43- والساحباتُ ذيولُ الخزّ أونةٌ
- 44- أبلغ يزيد بني شيانَ مألَكةٌ
- 45- أَلستَ منتهيّاً عن نحتِ أثلتنا
- ولا اللذادةُ من كأسٍ ولا الكَسَلُ
شيموا، وكيف يشيم الشاربُ الثمِلُ؟
وبالجنيّةِ منه عارض هطل
فالعسجديةُ فالأبلاء فالرجل
حتى تدافع منه الربو فالجبل
روضُ القطا فكثيبُ الغينة السهل
زوراً تجانف عنها القودُ والرسلُ
للجنّ بالليلِ في حافاتها زجلُ
إلا الذين لهم فيما أتوا مهل
في مرفقيها إذا استعرضتها قتلُ
إنا كذلك ما نحفى ونتعل
وقد يحاذرُ مني ثم ما يئل
وقد يصاحبني ذو الشرة الغزل
شاوٍ مثلُ شلولٍ شلُشَل شولُ
أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيلُ
وقهوةٌ مُزّةٌ راووقها خضيلُ
إلا بهات، وإن علّوا وإن نهلوا
مقلّصٌ أسفل السربال معتل
إذا ترجّع فيه القينةُ الفضلُ
وفي التجارب طول اللّهُو والغزلُ
والرافلاتُ على أعجازها العجل
أبا ثبيتُ أما تنفكُ تأكلُ
ولست ضائرُها ما أطّت الإبلُ

- 46- تغري بنا رهط مسعود وإخوتهِ
 47- لأعرفنك إن جدّ النفيّر بنا
 48- كناطح صخرةً يوماً ليفلقها
 49- لأعرفنك إن جدّت عداوتتنا
 50- تلزم أرماح ذي الجدّين سورتنا
 51- لا تقعدنّ وقد أكلتها حطباً
 52- قد كان في أهل كهف إن همّ قعدوا
 53- سائل بني أسدٍ عنا فقد علموا
 54- واسأل قشيراً وعبد الله كلّهم
 55- إنا نقاتلهم حتى تقتلهم
 56- كلا زعمتُ بأننا لا نقاتلكم
 57- حتى يظلّ عيدُ القوم متكئاً
 58- أصابه هندوايُّ فأقصده
 59- قد نخضبُ العيرَ من مكنون فائله
 60- هل تنتهون ولا ينهى ذوي شطط
 61- إني لعمرُ الذي خطتْ مناسمها
 62- لكن قتلتُم عيماً لم يكن صدداً
 64- لكن منيتُ بنا عن غبّ معركةٍ
 64- نحن الفوارسُ يومَ العين ضاحيةً
 65- قالوا الركوبَ فقلنا تلك عادتنا
- عند اللقاء فتردي ثم تعزل
 وشبّت الحربُ بالطوّاف واحتملوا
 فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
 والتمس النصر منكم عؤُض تحتمل
 عند اللقاء فترديهم وتعزل
 تعودُ من شرّها يوماً وتبتهل
 والجاشرية من يسعى وينتضل
 أن سوف يأتيك من أبنائنا شكلاً
 واسأل ربيعةً عنا كيف نفعل
 عند اللقاء وهم جاروا وهم جهلوا
 إنا لأمثالكم يا قومنا قتل
 يدفعُ بالراح عنه نسوة عجل
 أو ذابل من رماح الخطّ مُعتدل
 وقد يشيط على أرماحنا البطل
 كالطعن يذهبُ فيه الزيت والقتل
 تخدي وسيق إليه الباقر الغيّل
 لنقتلنّ مثلثة منكم فنبثّل
 لم تُلّفنا من دمائِ القوم ننتقل
 جنبّي فطيّة لا ميل ولا عزّل
 أو تنزلون فإننا معشر نزل

☆ معاني الكلمات :

- 1 - قال أبو عبيدة : هريرة قينة (الأمة صانعة أو غير صانعة وغلب على المغنية) كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد أهداها إلى قيس بن حسان بن ثعلبة بن عمرو بن مرثد فولدت له

خليداً ، وقيل : إن هريرة وخليدة أختان كانتا مغنيتين لبشر بن عمرو وحين هرب إلى اليمامة خوفاً من النعمان بن المنذر كانتا معه ، وقيل أيضاً : إن هريرة أمة سوداء ، وزعم أن الأعشى تبرأ من معرفته لها ، وقال : إنه لا يعرفها وإنما ذكر اسمها لاعلى التعيين ، وأراد التشبيب بأخرى خشي ذكر اسمها .

يقول صاحب العمدة 121/2 : « وللشعراء أسماء تخف على ألسنتهم وتحلو في أفواههم فهم كثيراً ما يأتون بها زوراً ... وربما أتى الشعراء بالأسماء الكثيرة في القصيدة إقامة للوزن وتحلية للنسب » .

ونحن نميل إلى أن هريرة لم تكن كما أشار أبو عبيدة أو سواه ، وآية ذلك ما يلمسه محلل النص من صدق العاطفة ، ومضاء الإشارة ، وربما تأول أبو عبيدة وسواه في اسم هريرة لغرابة اسمها ! وقد ذكر صاحب العمدة (122/2) الأسماء التي كثر استعمالها في الغزل ولم يذكر هريرة والأسماء هي (ليلي ، هند ، سلمى ، دعد ، لبنى ، عفراء ، أروى ، ريا ، فاطمة ، مية ، علوة ، عائشة ، الرباب ، جمل ، زينب ، ونعم » !!

والركب : أكثر ما يستعمل للإبل ومن عليها وما عليها !!

2 - غراء : بيضاء . فرعاء : طويلة الشعر كثته . العوارض : ما يبدو من الأسنان عند الابتسام . مشي الهويني : الاعتيادي . الوجي : الذي حفي قدمه أو حافره . الوحل : الملطخ بالوحل والإشارة هنا للأقدام والحوافر .

3 - الريث : البطء . الوسواس : صوت الحلى . العشرق : شجيرة طولها ذراع فيها حب كثيرة فإذا يبست واخترقتها الريح تحرك الحب فاستخرج خشخشة على الحصى . انصرفت : تقلبت . الزجل : رفع الصوت عند الطرب ونبت زجل صوتت فيه الريح .

5 - تختتل : تسرق السمع .

7 - قرناً : صاحباً . ذنوب المتن : لحم المتن . الكفل : العجيزة .

8 - صفر الوشاح : خميصة البطن . دقيقة الخصر . الوشاح قماش عريض مطرز بخيوط ملونة أو مرصع بالأحجار الكريمة أو الذهب تضعه المرأة على عاتقها وكشحتها . الدرع القميص وقوله ملء الدرع إشارة إلى الضخامة . البهكنة : الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الجميلة . تأتي : تتأق أي تتحرك . ينخزل : ينقطع .

10 - مفند : فاسد . ريب المنون : مصائب الزمان . الخبل : فساد العقل .

11 - الهركولة : الهركلة ضرب من المشي فيه اختيال ، وقيل هي الضخمة الوركين الحسنة القوام . الفنق : الفتية المنعّمة . الدم : التي لاتبين عظامها أو عروقها . الأخص : باطن القدم . المرفق : عظم المفصل في الذراع . كأن أخصها بالشوك منتعل : إنها متقاربة الخطول لأنها ضخمة كأنها تمشي على الشوك لمكاببتها في المشي .

12 - الأصورة مفردها صوار : القليل من المسك . وقيل : إنه الوعاء الذي يحرق فيه المسك (كذا) وهذا المعنى بعيد وقد ذهب إليه محقق الديوان ! الزنبق الورد : زهر طيب الرائحة طويل مائل إلى الحمرة حين يقرب بـ (الورد) . الأردن : أطراف الأكام . شمل : منتشر .

13 - رياض الحزن أي الحدائق التي تقوم على أرض مرتفعة وهي أحسن من الرياض في الأرض المنخفضة ، لأن الرياح تهب على المرتفعات فتهدج عبقتها . مسبل : صفة المطر النازل .

14 - يضحك الشمس : يدور معها حيثما دارت . كوكب : كوكب الشيء معظمه أو أطوله أو زهره والمراد هنا البريق . الشرق : الريان المملئ ماء . مؤزّر : مرتد إزاراً . العميم : التام السن . مكتهل : اكتهل النبات أي طال وبلغ منتهاه .

15 - النشر : العبق الفوّاح . الأصيل : من العصر إلى العشاء والمقصود هنا الغروب وإنما خص الأصيل لأن الدنيا تكون فيه أحسن ماتكون لتباعد الشمس وتلون المرئيات باللون الأحمر !

16 - عرضاً : مصادفة ودون عمد .
17 - ما يحاؤها : لا يريد لها أو لا يقدر عليها . ميت : رجل ميت . الوهل : الزاهب العقل .

18 - التبل : الذي يؤذيه الجرح حدّ ذهاب العقل !
19 - الاحتيال : العمل بالحبال . المحبول : الذي وثقته الحبال كناية عن أنه بات صيداً . والمحتبل : الصائد .

21 - العارض : السحاب المعترض .
22 - رداف : سحاب من خلقه كأنه ذيل . الجوز : الوسط . المفأم : العظيم الواسع . عيل : دائم البرق . منطق : النطاق الحزام . السجال : الدلاء .

23 - درني : ورسمها معجم الأدباء 298/2 (درنا) موضع باليامة على طريق فارس ، وذكر الهمداني أن أنثافت الينية كان يقال لها في الجاهلية درنا . شيمو : انظروا وتفحصوا البرق أو السحاب وقدرّوا أين سيطر .

26/25 - الأجزاء مفردها جرز ، وهو منعطف الوادي أو المشرف من الأرض . الجنية : موضع بين الكوفة والشام . نمار : جبل لبني سليم . بطن الخال : موضع . جادها : أمطرهما . العسجدية (معجم البلدان 326/3) سوق جاهلية مشهورة ببيع العسجد وهو الذهب وزعم أنه ماء لبني سعد ! الرجل : موضع باليامة . وقال التبريزي : إن الرجل مسایل الماء واحدها رجلة . الأبلأ : اسم بئر .

28/27 - السفح وخنزير : موضعان . البرقة : أرض ذات حجارة ورمل وطين . الربو والريوة : مرتفع من الأرض . تكلفة : مشقة . الغينة الواحة الموتقة أو الأرض ذات أشجار . روض القطا (معجم البلدان 440/2) من أشهر رياض العرب وقد كثر ورودها في الشعر وتقع بناحية كتلة وجدود فإذا كانت النسبة إلى القطا فهذا الطائر يكثر في الرياض ، وإن كانت النسبة إلى موضع فهو في اليامة .

29 - عزباً : بعيدة . زوراً : بعيدة . تجاتف : تنحرف . القود : الخيل . الرُسل : الجماعة من كل شيء .

30 - الترس : الدرع . الزجل : الأصوات المختلفة .

31 - ينتمي : يمتنى ركوبها أو يقدر عليه . المهل : التقدم في الأمر والهداية قبل ركوبها .

32 - طليح ناقة أضمرها السفر . جسرة : ضخمة . سرح : سهلة السير . القتل تباعد مرفقي الناقة عن زورها .

33 - المعنى سبيلنا هكذا مرة نحفي ، ومرة ننتعل كناية عن الفقر والمشقة (لانعال لنا) وكناية عن النعمة واليسر (وننتعل) .

34 - خلس : سرق الشيء وأخذه خفية . مايئل : لا ينجو .

35 - ذو الشرة : ذو الشارة والشارة الهيئة الجميلة . الغزل : قال ابن الأعرابي : غَزَل الكلب بالكسر أي فتر .. أن يطلب الغزال فإذا ثبت الغزال انصرف عنه الكلب ، فيقال : غزل الكلب ، ويقال الضعيف الفاتر عن الشيء غزل ، وقيل لصاحب النساء غزل لضعفه .

36 - الحانوت : بيت الخمار . الشاوي : الذي يشوي اللحم . المشل والشلول : الذي يحسن سوق الإبل من شلّ طرد وساق . الشلشل : السريع الحركة والاستجابة وهو الخادم الخبير . شول : قادر على احتمال الأشياء ، كقولهم : فلان يشول في حاجته إذا اعتنى بها وتحرك فيها ، وثمة

مقاربات لهذه الألفاظ مثل النشول : الذي ينشل اللحم من القدر برفق لخبرته ، والشمل : الطيب النفس والرائحة .

يقول الدكتور محمد النويهي : يريد الأعشى أن يحكي ترنح السكرى حين تأخذهم النشوة يمثلها هذه الكلمات الخمس في تتابع إيقاعها في الشطر الثاني ، وعليك كلما قرأت كلمة منها أن تميل ميلاً إلى الإمام أو الخلف أو اليمين أو اليسار ثم يريد أخيراً أن يحكي حديثهم المتلعم الذي تختلط فيه مخارج الحروف إذ يجعل الثمل لسانهم ثقيل الحركة كثير التعثر ، ولذلك يكثر الأعشى من حرف الشين خاصة لأن السكرى يحولون جميع سيناتهم وكذلك الحروف ذات المخارج المقاربة لمخرج السين شين . ا. هـ . (21)

38 - 39 - نازعتهم : أي استتعت معهم بحسن الأحاديث وظيفها . وقال الأصمعي : نازعتهم قضب الريحان .. أي إن التحية بينهم بالورد والريحان . المُرّة : التي فيها مزازة والمُرُّ بضم الميم ما كان طعمه بين الحلو والحامض . الراووق : إناء الخمر وقيل : إن الراووق والناجود ما يخرج من ثقب الدن . الخضل : الندي بشكل دائم ، وزعم أن الراووق المصفاة والشراب يتروّق منه !!
39 - العلل : الشرب الثاني . النهل : الشرب الأول . راهنة : المهينة لكل الأوقات .

40 - يسعى بها : يقدمها . ذو زجاجات : حامل الأواني الزجاجية . له نطف : يضع اللؤلؤ الصافي أقرطاً على أذنيه . مقلص : مشتمر . السربال القميص وكل ما يغطي أعلى الحزام ، والسراويل البنطال وكل ما يغطي أسفل الحزام . معتل : دائب نشيط محب لعمله .

41 - المستجيب : العود يجيب الصنج فكان الصنج دعاه فأجاب . الصنج : صفيحة مدورة من النحاس يضرب بها على أخرى أو صفائح صفر صغيرة مستديرة تثبت في أطراف الدف أو في أصابع الراقصة تدق بها عند الطرب أو آلة موسيقية وترية . القينة : الخادمة مغنية كانت أو غير مغنية . الفضل : التي ترتدي ثوباً واحداً شفيفاً كأنها متبذلة .

43 - الخز : ثياب من الإبريسم الخالص . أونة : حيناً . الرافلات : اللواتي يرفلن ثيابهن أي يجبرنهن . أعجازها العجل : ذهب أبو عبيدة إلى أنه شبه أعجازهن لضخامتها بالعجل بالمزادة أو قرية الماء .

(21) النويهي . د . محمد ، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه 67/1 وبعدها ، طب الدار القومية في مصر (د : ت) ، وانظر من الكتاب نفسه 820/2 ، الفصل السابع عشر معلقة الأعشى (الجد المازل والهزل الجاد) !!

- 44 - مألقة : رسالة ، تأكل ، تتأكل من الغيظ أي كاد أن يأكل بعضه بعضاً !! .
- 45 - النحت : التقشير . والبري . أثابنا : شجرتنا ، ويعني أصلنا . ضائر : ملحق بها الضرر . أطت : أنت من الحنين أو التعب
- 46 - تفري : تضرب بيننا وبينهم . تردي : تهلك .
- 47 - النفير : القتال أو المقاتلون . الطواف : الطائفون يملؤون المكان مثل الطوفان . احتملوا : صبروا على الشدة .
- 49 - عوض : اسم للدهر ، وتأتي بمعنى أبداً . تحتل : تذهب وتخلي قومك . واحتمل الرجل : استفرّ وغضب .
- 50 - ذو الجدين : قيس بن مسعود . السّورة : الغضب .
- 51 - أكلتها : أحببتها . تعوذ : تلجأ وتعتم وتعود : التمية والرقية يرقق بها الإنسان من فزع أو جنون . الابتهاج : الدعاء إلى الله لدفع الشر .
- 52 - أهل كهف : قوم من بني سعد بن مالك بن ضبيعة . قعدوا : لم يطلبوا بشأهم . الجاشرية : امرأة من إياد وهي ابنة كعب بن مامة . ينتضل : يجهد ويكابد .
- 53 - شكل : صور متوالية .
- 57 - العميد : السيد . الراح مفردها راحة وهي باطن اليد . عجل : نساء ثكالى مفردها عجول بفتح العين .
- 58 - هندواني : مصنوع في الهند . أقصده : أصابه ولم يخطئه الخط بلدة في البحرين مشهورة بصناعة الرماح .
- 59 - العير : حمار الوحش . الفائل : عرق يمتد من الجوف إلى الفخذ ومكنون الفائل : الدم .
- 60 - الشطط : الغلو والخطأ . الزيت والقتل : كناية عن ذهاب كل شيء .
- 61 - خطت : تركت أثراً في التراب . المناسم : مفردها منسم وهو طرف الحنف . تخدي : تسرع في السير مضطربة . الباقر : البقر . الغيل مفردها غيول : الكثير من الإبل والبقر ونحوهما .
- 62 - الصدد : المقارب . تمتثل : تقتل الأمثل أي الأفضل .
- 63 - مني : ابتلى وعاد بالشيء . غب : بعد . تلفنا : تجدنا ، ننتفل : ننتفي أي لا نهرب من القتال والواجب .

64 - ضاحية : علانية . فطيمة : فاطمة بنت حبيب بن ثعلبة زوج رجل من بني سيار ،
ولها ضرة من قوم زوجها . فتعايرتا فعمدت السيارة فحلقت ذوائب فطيمة ، فتدخل الحيان
واقنتلا فهزم بنوسيار وانتصر قوم الأعشى (بنو سعد بن قيس) . الميل : الخائف الذي يميل عن
السرّ ولا يثبت . عزل : مفردها أعزل الذي لا سلاح له .
65 - الركوب : ركوب الخيل . تنزلون : أي تترجلون وتبازر بالسيوف ، فالراكب
يستعمل رمحاً غالباً والراجل يستعمل سيفه غالباً .

9 - النابغة الذبياني

هو زياد بن معاوية ويكنى أبا أمامة وتنبى أصوله إلى عوف بن سعد بن ذبيان وصولاً إلى غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر ! وقد ذكر جل مؤرخيه أنه أحد الأشراف الذين غض الشعر منهم !! ذكر ذلك مثلاً ابن قتيبة والأصبهاني وكرر لقول المعاصرون أيضاً مثل جرجي زيدان ! ولاندري كيف غض الشعر من قدره وعرب الجاهلية كانوا يسعدون بالشاعر ويؤمروه ، فإذا نبغ شاعر في القبيلة نحرت لجزور وخرجت النسوة تغني وتنفخ في المزامير بينما تقدم القبائل المجاورة التهاني بالمناسبة ، لاندري لماذا غض الشعر من قدره وكيف ؟! ومن هولولا الشعر ؟! والنابغة لقب شهرة لحقه ولم يقطع أحد في سبب التسمية ونذكر الآتي :

1 - سمي النابغة لقوله :

وحلّت في بني القين بن جسر فقد نبغت لنا منهم شؤون

2 - وقيل لقب النابغة اشتقاقاً من نبغت الحمامة إذا تغنت ، ونبغ الماء .

3 - قال الأصمعي : أول ما تكلم به النابغة من الشعر أنه حضر مع عمه عند رجل وكان عمه يشاهد به الناس ، ويخاف أن يكون عيباً فوضع الرجل كأساً في يده وقال :

تطيب كؤوسنا لولا قذاها ويحتمل الجليس على أذاها

فقال النابغة وقد حمي لذلك :

قذاها أن صاحبها بخيل يحاسب نفسه بكم اشتراها

4 - قال ابن قتيبة 87/1 : « ونبغ بالشعر بعدما احتنك » . أما المرزوقي ص 63 فقد وضّح الحكاية التي تزعم أن النابغة قال الشعر بعدما احتنك أي جاوز الأربعين :

« مكث النابغة دهرأ لا يقول الشعر ، ثم أمر بثيابه فغسلت وعصب حاجبيه على جبهته
فلما نظر إلى الناس أنشأ يقول :

المراء يأمـل أن يعيـ ش وطول عيش قد يضره
تفنى بشاشته ويبـ قى بعد حلو العيش مره» ا. هـ

أما مكانته في الوسط الشعري فكبيرة وقد عدّه ابن سلام في الطبقة الأولى وقرنه
بامرئ القيس والأعشى وزهير .

قال الأصمعي كان النابغة يضرب له قبة حمراء من آدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء
فتعرض عليه أشعارها وأول من أنشده الأعشى ، ثم حسان بن ثابت ، ثم أنشدته
الشعراء ، ثم أنشدته الخنساء بنت عمرو بن الشريد :

وإن صخرأ لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فقال النابغة : لولا أن أبا بصير أنشدني أنفاً لقلت : إنك أشعر الجن والإنس فقام
حسان وقال : والله لأنا أشعر منك ومن أييك ، فقال له النابغة يا ابن أخي أنت
لا تحسن أن تقول :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها أيـد إليك نوازع
فحنس حسان لقوله وانصرف .

وقيل : إن الخنساء احتجت على قوله لها : والله ما رأيت أنثى أشعر منك . فقالت
له : لا والله ولا ذكراً ! وكان النابغة ذكياً يحلل النصوص وفق آليات النقد في زمانه ،
وحين تجرأ حسان على النابغة في سوق عكاظ على ملأ من الشعراء وجمهور الشعر قائلأ
له : أنا ، والله ، أشعر منك ، ومن الخنساء ، ومن أييك ، وجدك ، ابتسم النابغة
وقبض على لحيته وقال لحسان : حيث تقول وأنت حر ، ولكن حيث تقول ماذا ؟
قال حسان حيث أقول :

لنا الجففات الغرّ يبرقن بالضحي وأسيفنا يقطنن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرّق فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابناً

فقال له : إنك شاعر ، ولكنك أقللت جفانك وأسيفك وفخرت بمن ولدت ولم
تفخر بمن ولدك ، وقلت : يبرقن ولم تقل يلمعن ، وقلت بالضحي ، ولو قلت
بالدجى لكان أبلغ في المديح ؛ لأن الضيف في الليل أكثر ، وقلت يقطنن من نجدة
دما ، فدللت على قلة القتل ، ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم !!

وقد أعجب أهل زمانه بشعره . وكان النعمان بن المنذر مهووساً بشعر النابغة ،
وقد نقل أن حسان بن ثابت قصد النعمان فنصحه رجل قريب من بلاط النعمان :
« فإن أنت خلوته وأعجبتة فأنت مصيب منه خيراً فأقم ما أقمت فإن رأيت أبا أمامة
النابغة فاطعن فلا شيء لك عنده » .

وينقل الأصبهاني هذا الخبر : « قال النعمان أليس بأبي أمامة ؟ قالوا : بلى .
قال : فأذنوا له . ودخل فحياه وشرب معه ، ثم وردت النعم السود ، ولم يكن لأحد من
العرب بعير أسود يعرف مكانه ولا يفتحل أحد بعيراً أسود غير النعمان فاستأذنه النابغة
في أن ينشده كلمته التي على الباء ، فأذن له فأنشده قصيدته التي يقول فيها :
فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ووردت عليه مئة من الإبل السود الكلبية فيها رعاؤها وبيتها وكلبها ، فقال
النعمان : شأنك يا أبا أمامة فهي لك بما فيها .

وكتب الخيل تزعم أن كل ناقة سوداء من عسافير النعمان كانت تباع بثمن أربعين
ناقة سواها . وقد انتجع النابغة بشعره وأثرى ، « وكان النابغة لا يأكل ولا يشرب إلا في
أنية الفضة والذهب من عطايا النعمان وأبيه وجده ولا يستعمل غير ذلك » .

أما الغساسنة فقد أثقلوه بالهدايا والعطايا ، وكانوا يمنحونه المحفزات ليلبث عندهم

ويزهده بسواهم ، وقد صار النابغة إلى غسان ونزل عند ملكها عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر وأم الحارث الأعرج هي مارية بنت ظالم بن وهب الكندية ، وهي ذات القرطين اللذين يضرب بها المثل ، فيقال لما يغلى به الثمن بقرطي مارية وأختها هند الهنود امرأة حجر أكل المرار ! وكان النابغة مبتكراً في شعره فهو أحسن شعراء زمانه ديباجة وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتاً فشعره مطبوع غير متكلف قال أبو عبيدة : « يقول من فضل النابغة على جميع الشعراء إنه أوضحهم كلاماً وأقلهم سقطاً وحشواً وأجودهم مقاطع وأحسنهم مطالع ولشعره ديباجة إن شئت قلت : ليس بشعر مؤلف من تأثته ولينه ، وإن شئت قلت : صخرة لو رديت بها الجبال لأزالتها » .

وكان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد قال : يا معشر غطفان من الذي يقول :

أتيتك عارياً خَلِقاً ثيابي على خوف تظن بي الظنون ؟

قلنا : النابغة .

قال : ذاك أشعر شعرائكم .

ثم قال : من أشعر الناس ؟ قالوا : أنت أعلم يا أمير المؤمنين ، قال الذي يقول :

الإسليمان إذ قال الإله له قم في البرية فاحدها عن الفند
وخيس الجن إني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد

قالوا : النابغة . قال : فمن الذي يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشي أغشّ وأكذب
ولست بمستبق أخاً لآتله على شعث أي الرجال المهذب

قالوا : النابغة . قال : فهو أشعر العرب .

وقام رجل إلى ابن عباس فقال : أي الناس أشعر ؟ فقال ابن عباس : أخبره
يا أبا الأسود الدؤلي فقال الذي قال :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقد بلغ من إعجاب الناس بشعر النابغة أن اختلق خيالهم حكايات عن الجن أبينا
نحن نسير بين أتقاء الأرض وقد تذاكرنا الشعر والشعراء فإذا راكب أطيلس يقول :
أشعر الناس زياد بن معاوية ثم تملس فلم نره وقال الشنقيطي : « واسم هاجس النابغة
هاذر ، قال رجل من أهل الشام في قصة مع جني اجتمع به فسأله من أشعر العرب
فأنشد :

ذهب ابن حجر بالقرىض وقوله ولقد أجاد فما يعاب زياد
لله هاذر إذ يجود بقوله إن ابن ماهر بعدها لجواد

فقال له الشامي : من هاذر ؟ قال : حاجب زياد الذبياني وهو أشعر الجن
وأضنهم شعره ، فالعجب له كيف سلس لأخي ذبيان .

وعلماء الشعر يقولون (يونس بن حبيب) : أشعر الناس امرؤ القيس إذا
ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب !

وسئل حماد الراوية بم تقدم النابغة ؟ فقال : باكتفائك بالبيت الواحد من شعره
لا بل بنصف بيت لا بل بربع بيت قوله :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

وقال الأصمعي سمعت أبا عمرو يقول : ما كان ينبغي للنابغة إلا أن يكون زهير
أجيراً له ! وكان عبد الملك المروان وهو أحد أهم علماء الشعر حين يسمع : (حلفت فلم
أترك ..) يقول : النابغة أشعر العرب ، وهذا أحسن الشعر .

وقال الشعبي : « دخلت على عبد الملك بن مروان وعنده الأخطل ، وأنا
لأعرفه ، فسأل عبد الملك الأخطل : من أشعر الناس ؟ قال : يا أمير المؤمنين الذي

أمامك يعني نفسه . فقلت لعبد الملك : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فتبسم وقال : هذا الأخطل . فقلت في نفسي : خذها ثنتين على وافد العراق ، فقلت أشعر منك الذي يقول :

هذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير سريع التام

والشعر للنابغة ، فقال الأخطل إن أمير المؤمنين إنما سألني عن أشعر أهل زمانه ، ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنت حرياً أن أقول كما قلت أو شبيهاً به !

إن عملية تجميع شهادات علماء الشعر التي صدرت بحق الأعشى أمر فوق طاقة منهجنا ولن يريد الاستزادة فثمة كتب الأدب حافلة ماثلة ، قال أبو عبيدة : فحلان في الجاهلية يقويان النابغة وبشر بن أبي خازم .

أما بشر فقد قال له أخوه سواده : إنك تقوي . قال : وما ذاك ؟ قال قولك (من الأحلام إذ صبحي نيام) ثم قلت بعده (إلى البلد الشام) ففطن فلم يعد .

وأما النابغة فقد دخل يثرب فهابوه أن يقولوا له : لخت ، أو أكفأت . فدعوا قينة وأمروها أن تغني في شعره ففعلت ، فلما سمع الغناء (وغير مزود) و (الغراب الأسود) وبان له ذلك في اللحن فطن لموضع الخطأ ، فلم يعد . إ. ه .

والمدهش حقاً أن النابغة استشعر وجود عاهة في شعره بيد أنه لم يصل إلى تحديدها . قال خلاد الأرقط : « كان النابغة يقول إن في شعري لعاهة ما أقف عليها فلما قدم المدينة غني في شعره فلما سمع قوله : (واتقتنا باليد) و (يكاد من اللطافة يعقد) تبين له لما مدّت باليد فصارت الكسرة ياء ومدت يعقد فصارت الضمة كالواو فطن فغيره وجعله (غم على أغصانه لم يعقد) وكان يقول : وردت يثرب وفي شعري بعض العاهة فصدرت عنها وأنا أشعر الناس . إ. ه . الأغاني 157/9 » .

إن علو كعب النابغة في الحياة وكونه واحداً من الأشراف ، وعذوبة شعره وقوه

أسره ، وتسابق الشارع الثقافي لحفظ شعره أو تلقيه ، وانشغال المجالس بذكره ، فضلاً عن حكومة الشعر التي انفرد بها دون غيره ، ومبالغة ملوك الحيرة في الشرق وملوك بصرى في الغرب في إكرامه بحيث كان يكافأ على القصيدة الواحدة بهدايا تزيد على ما يتقاضاه خمسة شعراء مهمين . ولنا أن نقل مشاعر حسان بن ثابت وهو يرى إلى ضالة جائزته قياساً إلى حجم جائزة النابغة .

قال حسان بن ثابت فحسدته على ثلاث لأدري على أيتها كنت له أشد حسداً ، على إيداء النعمان له بعد المباحدة ومسامرته له وإصغائه إليه ، أم على جودة شعره ، أم على مئة بعير من عصافيره أمر له بها .

وقد جلبت نجومية النابغة متاعب لا حصر لها ، فقد كثر حساده ومبغضوه ولنا أن نورد الآتي دليلاً على حجم الأذى الذي نال النابغة بسبب نجاحه وتمييزه !! نقلاً عن الأغاني 158/9 وبعدها .. كان النابغة مخنثاً أما سمعت قوله :

سقط النصف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

لا والله ما أحسن هذه الإشارة ، ولا هذا القول إلا مخنث ، وأنشدها النابغة مرة بن سعد القرَيعي ، فأنشدها مرة النعمان فامتلاً غضباً ، فأوعد النابغة وتهده ، فهرب فأتى قومه ، ثم شخص إلى ملوك غسان بالشام فامتدحهم وقيل : إن عصام بن شهبان الجرمي حاجب النعمان أنذره وعرفه ما يريد النعمان فهرب . إن السبب في هرب النابغة من النعمان أن عبد القيس التميمي ومرة السعدي عملا هجاء في النعمان على لسان النابغة وأنشد النعمان منه أبياتاً يقول فيها :

☆ ملك يلاعب أمه وقطينه رخو المفاصل كالمرود

☆ قَبَّحَ اللهُ ثم ثنى بلعن وارث الصائغ الجبان الجهولا

من يضّر الأذى ويعجز عن ضرّ الأقاصي ومن يخون الخليلا ، يعني بوارث الصائغ النعمان ، وكان جده لأمه صائغاً بفدك . يقال له : « عطية وأم النعمان سلمى بنت

عطية « إن مرة القرعبي الذي وشي بالنابعة كان له سيف قاطع يقال له : ذا الريقة من كثرة فرنده وجوهره فذكره النابعة للنعمان فأخذه فاضطغن ذلك القرعبي حتى وشي به إلى النعمان وحرّضه عليه « إن الذي من أجله هرب النابعة من النعمان أنه كان والمنخل بن عبید بن عامر اليشكري جالسين عنده ، وكان النعمان دميماً أبرش قبيح المنظر . وكان المنخل اليشكري من أجل العرب وكان يرمى بالمتجرده زوجة النعمان ويتحدّث العرب أن ابني النعمان منها كانا من المنخل ، فقال النعمان للنابعة يا أبا أمامة صف المتجرده في شعرك ، فقال قصيدته التي وصفها فيها - جزءاً فجزءاً - فلحقت المنخل من ذلك غيرة ، فقال للنعمان : ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلا من جرّبه ، فوقر ذلك في نفس النعمان ، وبلغ النابعة ، فخافه ، فهرب فصار في غسان ، وكان المنخل يهوى هنداً بنت عمرو بن هند وفيها يقول :

ولقد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم المطير

فبلغ عمراً خبر المنخل فأخذه فقتله « ، ثم إن النعمان اطلع على ما بين المتجرده امرأته والمنخل من الريبة فقتلها في قصة طويلة « ويبدو أن النعمان كاتب النابعة سراً يوم كان مقيماً في ديار آل جفنة بالشام ودعاه إلى العودة ، مؤكداً له أن جديداً جد .. فبانت براءة النابعة ولقي الوشاة والخونة جزاءهم .. فعاد النابعة إلى بلاط النعمان ثانية ليجده مكتئباً مريضاً بعد قتله زوجته وصديقه لخيانتهما قال أبو عبيدة كانت ملوك العرب إذا مرض أحدهم حملته الرجال في سرير على أكتافها يتعاقبونه ... عاد النابعة ليجد مليكه وصديقه محمولاً على سرير المرض والكآبة والعبید يتنقلون به ما بين الغمر وقصور الحيرة وقد حزن النابعة ، وقال شعراً جميلاً يخاطب فيه عصام حاجب النعمان :

أحْمُول على النعش الهمام	ألم أقسم عليك لتخبرني
ولكن ما وراءك ياعصام	فإني لألومك في دخولي
ربيع الناس والشهر الحرام	فإن يهلك أبو قابوس يهلك

أما معلقته فقد كتبها ليسترضي النعمان بالمديح ، ويدافع عن براءته ، ويعتذر إليه نافياً وشاية المنخل بشأن العلاقة المزعومة بين النابغة والمتجرده أو في الأقل بشأن التأويل الماكر الذي لجأ إليه خصومه حين حللوا شعره !! وقد بدأت المعلقة بالوقوف على الأطلال والحنين إلى الماضي ثم أمر الشاعر نفسه بالكف عن الحنين (فعدا عما ترى) لينطلق على ناقته وسط الصحراء مشبهاً الناقة بثور الوحش على طريقة الشعراء الجاهليين ليصطنع صراعاً دمويماً بين ثور الوحش من جهة والصيد وكلابه من جهة واحدة .. وبعد أن ينتصر الثور في المعركة لأن القصيدة في المديح يقول الشاعر : إن هذه الناقة التي أشبهت ثور الوحش المنتصر المجرّح هي التي ستوصلني إلى الممدوح . وفي المعلقة استثمار للرموز التاريخية والدينية مثل (سليمان) و (لبد) و (الجن) و (تدمر) و (فتاة الحي / الزرقاء) و (الحج إلى الكعبة) و (الأنصاب) ليصل إلى ضرب من الاعتذار الشجي . ثم أخيراً إلى المديح المبتكر .

- 1- يادار مية بالعلياء فالسند
 - 2- وقفت فيها أصيلاً كي أسائلها
 - 3- إلا الأواري لأياً ما أئينها
 - 4- ردت عليه أقاصيه ولبده
 - 5- خلت سبيل أتي كان يجسسه
 - 6- أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا
 - 7- فعدّ عما ترى إذ لا ارتجاع له
 - 8- مقذوفة بدخيص النحض بازلهما
 - 9- كأن رحلي وقد زال النهار بنا
 - 10- من وحش وجرة موشي أكارعه
 - 11- سرت عليه من الجوزاء سارية
 - 12- فارتاع من صوت كلاب فبات له
 - 13- فبشهنّ عليه واستمر به
 - 14- وكان ضميران منه حيث يوزعه
 - 15- شك الفريصة في المدري فأنفذها
 - 16- كأنه خارجاً من جنب صفحته
 - 17- فظل يعجم أعلى الروق منقبضاً
 - 18- لما رأى واشيق إقعاص صاحبه
 - 19- قالت له النفس إني لا أرى طمعاً
 - 20- فتلك تبلفني النعمان إن له
 - 21- ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه
 - 22- إلا سليمان إذ قال الإله له
- أقوت وطال عليها سالف الأبد
عيت جواباً وما بالربع من أحد
والنوي كالحوض بالمظلومة الجلد
ضرب الوليدة بالمسحاة في الشاد
ورقته إلى السجفين فالنضد
أخني عليها الذي أخني على لبد
وانم القتود على عيرانة أجد
له صريف صريف القعو بالمسد
بذي الجليل على مستأنس وخذ
طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد
تزجي الشمال عليه جامد البرد
طوع الشوامت من خوف ومن صد
صع الكعوب بريئات من الجرد
طغن المعارك عند الموحجر النحد
شك المبيطر إذ يشفي من العضد
سفود شرب نسوه عند مفتاد
في حالك اللون صدق غير ذي أود
ولا سبيل إلى عقل ولا قود
وإن مولاك لم يسلم ولم يصد
فضلاً على الناس في الأدنى وفي البعد
وما أحاشي من الأقوام من أحد
قم في البرية فاحدثها عن الفند

- 23- وخيَّسَ الجَنُّ أَنِي قَدِ أَذْنَتْ لَهُمْ
24- فَمَنْ أَطَاعَ فَأَعَقِبْهُ بِطَاعَتِهِ
25- وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبْهُ مَعَاقِبَةً
26- إِلَّا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ
27- وَاحْكَمْ كَحِكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرْتَ
28- قَالَتْ: أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا
29- يَحْفَهُ جَانِبَا نَيْقِي وَتَتَبَعُهُ
30- فَحَسَبُوهُ فَالْفَوْهُ كَمَا حَسَبَتْ
31- فَكَلَّتْ مِئَةَ فِيهَا حَامَتُهَا
32- أَعْطَى لِفَارِهِةٍ حَلِوًا تَوَابِعُهَا
33- الْوَاهِبُ الْمِئَةَ الْأَبْكَارَ زَيْنَهَا
34- وَالسَّاحِبَاتِ ذِيوَلِ الْمِرْطِ أَتَقَهَا
35- وَالخَيْلُ تَمزَعُ غَرِبَاءَ فِي أَعْتَتِهَا
36- وَالْأَدْمُ قَدِ خَيَّسَتْ فُتْلًا مِرَافِقُهَا
37- فَلَالِعَمْرُ الَّذِي مَسَّحَتْ كَعْبَتَهُ
38- وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِدَاتِ الطَّيْرِ يَمَسُّهَا
39- مَا إِنْ أَتَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ
40- إِذْنِ فَعَاقِبْنِي رِي مَعَاقِبَةٍ
41- هَذَا لِأَبْرَأَ مِنْ قَوْلِ قَذِفَتْ بِهِ
42- مَهْلًا فِدَاءً لَكَ الْأَقْوَامُ كُلَّهُمْ
43- لَا تَقْذِفْنِي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ
44- فَا الْفِرَاتُ إِذَا جَاشَتْ غَوَارِبُهُ
45- يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُزْبِدٍ لَجِبِ
- بينون تدمر بالصَّفاحِ وَالْعُمْدِ
كما أطاعك وادلُّه على الرَّشْدِ
تنهى الظُّلومَ وَلَا تَقْعُدِ عَلَى ضَمْدِ
سُبُقِ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمْدِ
إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمْدِ
إِلَى حَامَتِنَا وَنِصْفِهِ فَقَدْ
مِثْلَ الزَّجَاجَةِ لَمْ تَكْحَلِ مِنَ الرَّمْدِ
تَسْعَاءُ وَتَسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ
وَأَسْرَعَتْ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ
مِنَ الْمَوَاهِبِ لَا تُعْطَى عَلَى نَكْدِ
سَعْدَانٍ تَوْضِحَ فِي أَوْبَارِهَا اللَّبْدِ
بُرْدُ الْهَوَاجِرِ كَالْغَزْلَانِ بِالْجَرْدِ
كَالطَّيْرِ تَنْجُو مِنَ الشُّبُوبِ ذِي الْبَرْدِ
مَشْدُودَةً بِرِحَالِ الْحَيْرَةِ الْجُدِّ
وَمَا هَرِيقَ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ
رِكَبَانٍ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْضِ وَالسَّنْدِ
إِذْنِ فَلَارَفَعْتَ سَوْطِي إِلَيَّ يَدِي
قَرَّتْ بِهَا عَيْنٌ مِنْ يَأْتِيكَ بِالْحَسَدِ
طَارَتْ نَوَافِذُهُ حَرًّا عَلَى كَبْدِي
وَمَا أَثْمَرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدِ
وَلَوْ تَأَثَّفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرَّفْدِ
تَرْمِي أَوَاذِيَهُ الْعَبْرِينَ بِالزَّبْدِ
فِيهِ حَطَامٌ مِنَ الْيَنْبُوتِ وَالخُضْدِ

- 46- يظلُّ من خوفه الملاحَ معتصماً
 بالخيرانة بعد الأين والنجد
 47- يوماً بأجود منه سيبَ نافلةٍ
 ولا يجولُ عطاءَ اليومِ دون غد
 48- نبئتُ أن أبا قابوسَ أوعدي
 ولا قرارَ على زارٍ من الأسد
 49- هذا الثناءُ فإن تسمعُ لقائله
 فما عرضتُ آيتَ اللعنِ بالصفد
 50- ها إن تا عذرةً إلا تكنُ نفعتُ
 فإن صاحبها قد تاه في البلد

☆ معاني الكلمات

- 1 - مية : اسم امرأة . العلياء والسند : موضعان أقامت فيها مية ، وزعم أن العلياء مكان مرتفع والسند سند الوادي في الجبل وهو ارتفاعه !! أقوت : خلت من أهلها . السالف : الماضي . الأبد : الدهر .
- 2 - الأصيل وقت غروب الشمس وتلون الأفق والمرئيات بلون أصفر فيه حمرة . عيت : عجزت عنه . الربيع : ديار الحبيبة استحالت آثاراً .
- 3 - الأواري مفردها آري وهو محبس الدابة . اللأي : البطء . النووي : حاجز ترابي يعمل حول البيت أو الخيمة لمنع وصول الماء إلى أي منها . المظلومة : الأرض التي حفر فيها في غير موضع الحفر . الجلد : الأرض الغليظة الصلبة من غير حجارة .
- 4 - أقاويه : ماشدٌ منه . لبدته : التلبدة التراكم . الوليدة : الخادمة . الثاد : التراب الندي . المسحاة : آلة زراعية لشق الطين وجرفه .
- 5 - الأتيّ : السيل الجارف أو النهر الصغير . السجفان : ستران رقيقان يكونان في مقدمة البيت . النضد : مانضد من متاع البيت والضمير في (خلت) يعود إلى الخادمة في بيت 4 .
- 6 - الخلاء : الخلو والفراغ . احتملوا : سافروا . أخنى عليها : نزل بها وغير سعدتها نحساً . لبد : آخر نسور لقمان فلما أهلك الله عاداً طلب إلى لقمان أن يختار مدة بقائه من اثنين : أن تفتي سبع بعرات لا يمسه المطر أو إلى أن تنتهي أعمار سبع نسور كلما هلك واحد خلفه آخر ، فاختر النسور ولبد هو اسم آخر النسور السبعة ، وحين كبر لبد وعجز عن النهوض قال له لقمان : انهد لبد فأنت الأبد .
- 7 - عدّ : اترك هذا الأمر أي الحنين والشوق للماضي وهذا تقليد شاع في القصيدة الجاهلية ،

يمثل نقله فنية بين الوقوف على الأطلال وممارسة الحنين والبكاء وبين الانتقال إلى السفر بواسطة ناقة قوية تشبه ثور الوحش أو حمار الوحش⁽²²⁾. ام : ارفع . القتود : خشب الرحل . العيرانة : الناقة المشبهة بالعرأي الحمار . الأجد : الناقة القوية الموثقة الخلق .

8 - مقذوفة : مرمية باللحم . الدخيص : الكثير المتداخل . النحض : اللحم . البازل : الكبير . الصريف : الصياح من شدة الإعياء أو النشاط !! القعو : ما يضمّ البكرة إذا كان خشباً . المسد : الحبل المفتول القوي من ليف أو خوص أو شعر أو وبر أو صوف .

9 - زال : انتصف . رحلي : ناقتي . الجليليل : واد قرب مكة يكثر فيه نبات الثمام . المستأنس : الناظر بعينه . الواحد : المنفرد .

10 - وجرة : موضع بين مكة والحيرة وهي أربعون ميلاً ليس فيها منزل ولا نبات ولا ماء يكثر فيها الوحش . الموشي : الملون بالأبيض والأسود . الأكارع : القوائم . طاوي المصير : ضامر المصران . كسيف الصيقل : كناية عن اللعان . الفرد : الذي ليس له نظير .

11 - سرت عليه : أمطرت عليه بنوء الجوزاء (كما يزعم) . تزجي : تسوق برفق . الشمال : ريح الشمال .

(22) رومية . وهب ، الرحلة في القصيدة الجاهلية ، طب اتحاد كتاب فلسطين 1975 . القيسي . د. نوري ، وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، طب دار الكتب ، الموصل 1974 .
أ - زهير

- (دع ذا وعدّ القول في هرم
خير الكهول وسيّد الحضر)
ب - أوس بن حجر
(فدعها وسلّ الهّمّ عنك بجسرة
عليها من الحول الذي قد مضى كتر)
ج - لبيد
(فاقطع لبانة من تعرّض وصله
ولشراً واصل خلة صرامها)
د - سلامة بن جندل
(دع ذا وقل لبني سعد بفضلهم
مدحاً يسير به غادي الأراكيب)
هـ - الأعشى
(فدعها لما يعنيك واعمد لغيرها
بشعرك واعلب أنف من أنت واسم)
و - امرؤ القيس
(فدع ذا وسلّ الهّمّ عنك بجسرة
ذمول إذا صام النهار وهجرًا)

- 12 - ارتاع : خاف . كلاب : صياد يعتمد على الكلاب . الشوامت : القوائم . الصرد : البرد الشديد .
- 13 - بثن : فرقهن . الصع : الضوامر . الكعوب : مفاصل العظام . الحرد : مرض يصيب أرجل البعير بالاسترخاء .
- 14 - ضران : اسم كلب وربما صفة له لأنه يضمر أي يدرّب فهو ضامر من الرياضة !! . يوزعه : يفريه . منه : الضمير عائد إلى الثور . الحجر : الملجأ . النجد : ذو المروءة والقوة والنجدة .
- 15 - شك : جرح وأنفذ . الفريضة : اللحم الذي بين الصدر والكتف من الإنسان والدابة وهي ترعد عند الخوف قبل سائر الأعضاء . المدرى : القرن . المبيطر : طيبب الحيوان . العضد : داء يصيب العضد من الجمل .
- 16 - السنود : بفتح السين وضمها قناة رفيعة من الحديد ذات شعب معقفة لشيء اللحم . الشرب : رفاق الحمرة . المفتاد : النار المخصصة لشيء اللحم .
- 17 - يعجم : يعضّ أو يمضغ . الروق : القرن . الحالك : الشديد السواد . الصدق : الصلب . الأود : العوج .
- 18 - واشق : اسم الكلب الآخر . الإقعاص : القتل المعجل في المكان عينه . العقل : دفع دية القتيل وقد يكون الحبس والتقييد عقلاً !! القود : قتل النفس بالنفس وهو القصاص .
- 20 - فتلك : الناقة المشبهة بالثور .
- 21 - أحاشي : استثنى من حاش فلاناً .
- 22 - أحدها : أمنعها . الفند : الخطأ والضلالة .
- 23 - خيسّ : ذلل وأمر وأخبر . تدمر (معجم البلدان 433/1) مدينة قديمة مشهورة في برية الشام في طريق حلب وهي من عجائب الأبنية موضوعة على العمدة الرخام زعم قوم أنها مما بنته الجن لسليمان عليه السلام ، وأهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل سليمان بن داود بعشرات القرون ولكن الناس إذا رأوا بناءً عجيباً وجعلوا بانيه أضافوه إلى سليمان وإلى الجن ، وتقل ياقوت الحموي كلاماً لحالد بن عبد الله القسري يقول فيه : « كنت مع مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية حين هدم حائط تدمر دون إذنه بسبب خلاف بين جماعتين فقتل الجماعتين وفرق الخيل عليهم تدوسهم وهم قتلى فطارت لحومهم وعظامهم في سنايك الخيل ، وقد أفضى هدم حائط المدينة إلى

جرف عظيم فكشفوا عنه صخرة فإذا ببيت مجصصٌ يُن يد البناء رفعت عنه تلك الساعة وإذا فيه سرير عليه امرأة مستلقية على ظهرها وعليها سبعون حلة وإذا لها سبع غدائر مشدودة بخلخالها ! قال فذرعت قدمها طولها ذراعاً من غير الأصابع وإذا في بعض غدائرها صحيفة ذهب فيها مكتوب : باسمك اللهم ، أنا تدمر بنت حسان أدخل الله النذل على من يدخل بيتي هذا فأمر مروان بالجرف فأعيد كما كان ، ولم يأخذ مما كان عليها من الحلي شيئاً ، قال : فوالله ما مكثنا على ذلك إلا أياماً حتى أقبل عبد الله بن علي فقتل مروان وفرّق جيشه واستباحه وأزال الملك عنه وعن أهل بيته .

وكان من جملة التصاوير التي شوهدت بتدمر صورة جاريتين من حجارة وهي بقية صور كانت هناك ... 433/1 .

وتعليقنا على تلك المزاعم أنها مزيج من خيال وواقع ، ويبدو أن مثل هذه القصص العجائبية كانت تلقى رواجاً بين الناس والأمراء على حد سواء مما حَبَّذَ للقصاص خلط الواقع بالأسطورة !! إ.هـ . الصفاح : مفردتها صفاحة وهي حجارة رقيقة وعريضة . العمدة مفردتها عمود : أسطوانة من الرخام .

25 - الضمد : الحقد .

26 - مثلك : من كان من نسلك أو شبيهاً لك . الأمد : الغاية .

27 - احكم : كن حكيماً . فتاة الحي : زرقاء اليمامة . الثد : الماء .

28 - فقد : فحسب .

29 - يحفه : يقاربه أو يحيط به . النيق : أعلى الجبل . مثل الزجاج : أي إن عينها صافية

مثل الزجاج لم تكحل من الرمد : كناية عن صحتها وجمالها .

30 - حسبوه : أحصوه . ألفوه : وجدوه .

31 - الحسبة : الجهة التي يحسب منها زنة اللبسة والجلسة والحسبة المرة الواحدة . وقصة

زرقاء اليمامة المذكورة تفصيلاً في معجم البلدان باب الياء والميم وما يليها ، اليمامة 505/4 وما بعدها حتى ص 509 .

32 - الفارحة : الكريمة من الإبل والفتية أيضاً . توابعها : العطايا الممنوحة معها . النكد :

الشؤم والضيق . المواهب مفردتها موهبة وهي الهبة .

- 33 - السعدان : نبت تسمن عليه الإبل وتغزر ألبانها ويطيب لحمها . توضح : اسم موضع .
اللبد : ماتلبدة من الوبر واحدها لبدة .
- 34 - الساحبات : الجواري . المرط : ثوب أخضر من ثمن الخز أو الصوف أو الكتان جمعه مروط . أتقها : أعطاها ما يعجبها ، أو يجعلها موضع إعجاب . الهواجر مفردها هاجرة : حرّ منتصف النهار وهو أشدّ الحر ، وهذه الجواري الحسان لاتسير في شدة الحر . الجرد : الموضع الذي لا نبت فيه ولا ظل .
- 35 - تمزج : تُسرع . غرباً : حدّة : الشؤبوب . السحاب العظيم المطر ، ولا يقال للمطر شؤبوب إلا وفيه برد .
- 36 - الأدم : النوق . خيست : ذلت . فتلاً مرافقها : مرافقها مفتولة مما يعيقها في السير . الجدد : الرحل يوضع على ظهر الدابة وقوله الحيرة الجدد إشارة إلى أنها مصنوعة في الحيرة إشارة لغلائها .
- 37 - صدر البيت قسم بالله تعالى رب الكعبة . وعجز البيت (!!) هريق : لغة في أريق الأنصاب حجارة كانت الجاهلية تنصبها وتذبح عندها . الجسد : الدم والصبغ .
- 38 - العائذات : ما عاذ بالبيت . الغيض والسند مرتفعان يتألف منها جبل أبي قبيس وقيل : إن الغيض الماء ينزل بهيمة شلال من أبي قبيس .
- 39 - فلارفعت سوطي إليّ يدي : عبارة شائعة في الجاهلية تحل محل القسم ، وهي كناية عن الشلل ، والمعنى شلت يد الشاعر إن أتى بشيء يكرهه النعمان .
- 40 - قرّت العين : بردت والقرور الدمع البارد .
- 41 - النوافذ : جراح عميقة . قذفت به : أتهمت به إتهاماً باطلاً .
- 43 - الكفاء : الشبيه . تأثفك : قاربوك فاستندت إليهم كما يستند القدر على الأثافي .
الرفد : العطاء أو المساعدة .
- 44 - جاشت : فارت . الغوارب : الأعالي ومعناها هنا الأمواج والفيضان . الأواذي : الأمواج . العبرين : الضفتين .
- 45 - اللجب : ذو الصوت والتكاثف . الينبوت : شجر الخشخاش ، وقيل غير ذلك : شجرة شوكية لها فروع كثيفة الورق ، وقيل : هو الخروب ثمرته مثل التفاحة فيها حب أحمر والجاهليون

يتداون بها من أوجاع البطن ، وقيل الينبوتة تشبه شجرة التفاح الكبيرة ، لها ورق أصفر من ورق التفاح ، وثمرها أصفر من الزعرور شديدة السواد والحلاوة ويستعمل نواها مثاقيل في الموازين . الخضد : ماثي وتكسر من النبات .

46 - الخيزرانة عصاة مرنة تتثنى وأراد المردي ، وقيل : إن الخيزرانة خشبة في مؤخرة السفينة يسكها الملاح ليمتاسك . الأين : الإعياء . النجد : الكبابة . السيب : العطاء . النافلة : الزيادة .

وقفه فنية : الأبيات (44-47) سلوك جمالي دشتته القصيدة الجاهلية واسمه (النفي والجحود) ، ويقوم هذا النمط الأسلوبى على ترتيب عدة صور لجلاء صورة أو حدث ، وقد أورده ابن معصوم المدني نمطاً ثانياً للتفريع ، فالنمط الأول حدوده بأن يثبت لمتعلق أمر حكماً بعد إثبات ذلك الحكم لمتعلق آخر على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب ، وهذا النمط غير مشهور . أما النمط الثاني فقد قال بشأنه ابن معصوم : وسماه بعضهم النقي والجحود وهو أن يأخذ المتكلم في وصف فيقول : ما كذا ويصفه بمعظم أوصافه اللاتقة به في الحسن أو القبح ثم يجعله أصلاً يفرع منه معنى فيقول .. بأفعل من كذا وهو المعنى المشهور للتفريع ، ومثاله قول الأعشى : (ديوانه ق 4 ب 36-39) :

وما مزبد من خليج الفرا	ت جون غواربه تلتطم
يكب الخليفة ذات القلا	ع قد كاد جوجؤها ينحطم
تكأ ملاحها وسطها	من الخوف كوثلها يلتزم
بأجود منه بما عونه	إذا ساساؤهم لم تغم

والذي نراه أن النفي والجحود نمط من الأسلوب التصويري يتم عن دراية الشاعر بمواضع التأثير في نفس المتلقي ومواضع السحر في الشعر ، فمثل هذا النمط قادر على بث شحنات من الإيحاء تقرب صورة من يجب ثم يجلوها ويزينها ، وقد غلا في ذلك أبو ذؤيب الهذلي حتى لا تكاد تخلو منه قصيدة من قصائده⁽²³⁾ .

48 - أبو قابوس : النعمان بن المنذر ، الزار : صياح الأسد .

(23) الصائغ ، د . عبد الإله ، الصورة الفنية معياراً تقديماً ، انظر مبحث النفي والجحود ، الفصل الخامس ص 383 .

- 49 - والصفد العطية والمكافأة . أبيت اللعن : عبارة يُخاطب بها الملوك ومعناه أيها الملك أنت أبيت أن تأتي شيئاً تلعن عليه .
- 50 - هذا البيت يلخص همّ المعلقة ومعناه .. هذه القصيدة هي اعتذاري إلى الملك فإن لم يقبلها الملك فإن صاحب القصيدة أي النابغة سيضيع في الأرض .

10 - عبّيد بن الأبرص (ت 565 ق.هـ / 605 م)

هو عبّيد (بفتح العين وكسر الباء) بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد على رواية ابن قتيبة ص 166 وعبّيد بن الأبرص بن حنتم بن عامر بن مالك .. بن أسد وصولاً إلى مضر على رواية الأصهباني 84/19 والتبريزي ص 323 .

وهو عبّيد بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر بن مالك وصولاً إلى مضر على رواية الشنقيطي ص 143 .

وقد وضعه الجحفي ص 78 في الطبقة الرابعة مع طرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة وعدي بن زيد .

وذكر جرجي زيدان 114/1 أن عبّيد توفي (555 م) وهو (من شعراء الطبقة الأولى) !! أما أبو زيد القرشي ص 173 فقد وضعه ضمن شعراء المجهرات ، وهو أولهم ، ويتلوه عدي بن زيد ، وبشر بن أبي خازم ، وأمّية بن أبي الصلت ، وخذاش بن زهير ، والنمر بن تولب !! ويعني القرشي بالمجهرات القصائد المحكّة السبّك ، واللفظة مأخوذة من الناقة المجهرة وهي المتداخلة الخلق كأنها جمهور من رمل ، وترتيب أصحاب المجهرات هو أنهم من الطبقة الثانية يأتون بعد شعراء المعلقات المنعمين بالطبقة الأولى ، وهم عند القرشي (امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى ولبّيد وعمرو بن كلثوم وطرفة) !! وكلما اختلف المؤرخون وعلماء الشعر في شاعر فإن ذلك يعني أهمية مقام الشاعر بين شعراء عصره وفي موازين النقد التي سادت في زمانه !!

يقول ابن قتيبة : وكان عبيد شاعراً جاهلياً قديماً من المعمرين وشهد مقتل حجر أبي امرئ القيس وهو القائل لامرئ القيس :

يا ذا الخوفنا بقتل أيه إذلالاً وحيناً
أزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذباً ومينا
هلا على حُجر بن أم قطام تبكي لاعلينا
إنا إذا عضّ الثفاف برأس صعدتنا لوينا
نحمي حقيقتنا وبعض القوم يسقط بين يينا
هلا سألت جموع كندة يوم ولو أين أيننا
أيامَ نضرب هامهم بيواتر حتى انحنينا

وقتلته النعمان بن المنذر يوم بؤسه ، وحين رآه النعمان شيخاً فانياً مرعوباً قال له : هلا كان هذا لغيرك يا عبيد ، أنشدني شيئاً من شعرك فربما راقني شعرك ، فقال له عبيد وهو يرتجف : « حال الجريضُ دونَ القريض » ولم يتركه النعمان ، بل طلب إليه أن ينشده : (أقفر من أهله ملحوب) فأنشده عبيد فرقاً النعمان لحاله ومنحه حرية اختيار الطريقة التي يموت فيها !! وحين أدرك عبيد أنه ميت لا محالة التمس الملك أن يسقيه الراح حتى إذا ثمل وفقد وعيه يقطع له عرقاً في الأكل فاستجاب النعمان لالتماسه ، وجمع دمه في طست ولطّخ به الغريين وموقعه في النجف ، وما زالت النجف تسمى حتى اليوم أرض الغري والغريان طرباً لأنّه كان يلطخها النعمان بدماء ضحاياه يوم بؤسه ، وقد بناها ليكونا نصباً تذكاريّاً فوق مثنوى نديميه اللذين قتلها في لحظة سكر ملعونة وحين أفاق ندم على فعلته وبكائها مرّ البكاء وكانت الكأبة وذكراها تعتاداه فيجعل يوم كآبته يوم بؤس وبدلاً من أن يكفّر عن جريمته ، نراه قد أمعن في القتل فأضاف إليها جيشاً من الأبرياء .. كان عبيد واحداً من هذا الجيش ! ويرى الأصبهاني أن عبيداً فحل فصيح من شعراء الجاهلية ، ونقل خبراً عن أبي عمرو الشيباني : كان من حديث عبيد بن الأبرص أنه كان رجلاً محتاجاً ولم يكن له مال ، فأقبل ذات يوم ومعه

غنية له ومعه أخته ماوية ليوردا غنهما فنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة وجبهه ، فانطلق عبيد حزينا مهموماً وشق عليه أن يهان أمام أخته حتى أتى شجيرات فاستظل تحتها فنام هو ونامت أخته إلى جانبه (فزعموا) أن المالكي نظر إلى عبيد وأخته ماوية إلى جنبه فقال :

ذاك عبيد قد أصاب ميا - ياليتها ألقحها صبيّاً - فحملت فوضعت ضويّاً فسمعه عبيد فرفع يديه إلى السماء ثم ابتهل وقال : اللهم إن كان المالكي ظلمي ورماني بالبهتان فانصرني عليه ، ثم عاد إلى النوم ثانية ولم يكن قبل ذلك قد قال الشعر ، فأتاه آت في الحلم وكبّ في فمه شعراً ثم أمره بالقيام فقام وهو يرتجز ، وأسمع المالكي رجزاً هجاء فيه أقذع الهجاء وأفحم المالكي فاعتذر له ولأخته ، ثم استمر بعد ذلك في قول الشعر ، وكان شاعر بني أسد غير مدافع .

وقد حيكت حول شاعريته حكايات عجائبية أخرى فقليل : إن عبيداً في واحدة من أسفاره رأى شجاعاً (أفعى) يتمتع على الرمضاء ، وكان مع عبيد فضلة من ماء ليس معه ماء غيرها فنزل فسقاه الماء عن آخره حتى روي وانتعش وانساب الشجاع في الرمل .. وقد اتضح أن هذا الشجاع واحد من شياطين الشعر فعقدت بين الاثنين صداقة متينة وصار الشجاع مثل (السوبرمان) ينجد عبيداً في اللحظات المهلكة ، ولا ندري أين كان هذا الشجاع حين قتل عبيد !؟

وقيل في قتله كلام كثير ، يدل أكثره على تفاهه حياة الإنسان في العصر الجاهلي وتسلط الحكام برقاب الناس ، أما شعره فأكثره قد ضاع وذكر جرجي زيدان ما يلي : « ولعبيد ديوان تحت الطبع على يد لجنة تذاكر جيب بإنجلترا مع ديوان عامر بن الطفيل بتصحیح المستشرق LYALL » وقد طبع ديوان عبيد بن الأبرص مفرداً بتحقيق الدكتور حسين نصار عام 1957 بمصر مطبعة مصطفى البابي ، ولكن ديوانه المطبوع لم يتضمن سوى جزء من شعره ! يقول ابن سلام ص 79 : وعبيد بن الأبرص

قديم عظيم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب ذاهب لأعرف له إلا قوله (أقفر من أهله ملحوب) ولا أدري ما بعد ذلك . ا. ه .

وقد شكك د . طه حسين بعبيد وشعره « فالرواة لا يحدثوننا عن عبيد بشيء يقبل الصدق إنما عبيد عند الرواة والقصاص شخص من أصحاب الخوارق والكرامات ، كان صديقاً للجن والسماء معاً .. ولعبيد مع الجن أحاديث لا تخلو من لذة وعجب ، ولكن كل ما نقرأ من أخبار عبيد لا يعطينا من شخصيته شيئاً ، ولا يبعث الاطمئنان إلا في أنفس العامة أو أشباه العامة »⁽²⁴⁾ .

ويلاحظ المتمعن في كلام طه حسين شيئاً من العجرفة التي لا تناسب الخطاب العلمي المستند إلى الأدلة العلمية فهو يتهم خصومه بأنهم من عامة الناس أو أشباه العامة أي إنهم غير مثقفين فضلاً عن لهجة الاستعلاء التي درج عليها رجل من العامة حصل على الدكتوراه من باريس ، ولماذا لا يطمئن طه حسين مثلاً لمعلقة عبيد وهي مضطربة الوزن ، ولو رضينا عن اعتدادها من شغل الوضاح لبلنتنا موزونة مثلاً !! والقدماء يقولون : إن (أقفر من أهله ملحوب) كانت خطبة ألقاها عبيد فاستقام وزنها ثم عدل فيها وتفتح .

(24) حسين . د . طه ، في الشعر الجاهلي ، طبعة دار المعارف سوسة - تونس 1997 ، ص 163 .

☆ معلقة (أقفر من أهله ملحوب) . البحر : مخلج البسيط . القافية : ب .

عدد الأبيات : 48

- 1- أقفر من أهله ملحوب
 - 2- فراكس فتعيلبات
 - 3- فعدرة فقفنا حبر
 - 4- وبدلت منهم وحوشاً
 - 5- أرض توارثها شعوب
 - 6- إما قتيلاً وإما هالكاً
 - 7- عينك ومعها سروب
 - 8- واهيئة أو معين معن
 - 9- أو فلج بيطن وإد
 - 10- أو جدول في ظلال نخل
 - 11- تصبو وأنى لك التصايي
 - 12- فان يكن حال أجمعها
 - 13- أو يك أقفر منها جوها
 - 14- فكل ذي نعمة مخلوس
 - 15- وكل ذي إبل موروث
 - 16- وكل ذي غيبة يؤوب
 - 17- أعاقر مثل ذات رحم
 - 18- من يسأل الناس يجرموه
 - 19- بالله يُدرك كل خير
 - 20- والله ليس له شريك
 - 21- أفلح بما شئت فقد يُبلغ بال
- فالقطييات فالذنوب
فذات فرقين فالقلب
ليس بهما منهم عريب
وغيرت حالها الخطوب
فكل من حلها محروب
والشيب شين لمن يشيب
كان شأنيها شعيب
من هضبة دونها ألحوب
للماء من تحته قسيب
للماء من تحته سكب
أنى وقد راعك المشيب
فلا بسدي ولا عجيب
وعادها المحل والجذب
وكل ذي أمل مكذب
وكل ذي سلب مسلوب
وغائب الموت لا يؤوب
أوغنام مثل من يخيب
وسائل الله لا يخيب
والقول في بعضه تلغيب
علام ما أخفت القلوب
ضعف وقد يخدع الأريب

- 22- لا يَعِظُ النَّاسَ مِنْ لَا يَعِظُ الدَّ
23- إِلَّا سَجِيَّاتٍ مِ الْقُلُوبِ
24- سَاعِدُ بِأَرْضِي إِنْ كُنْتَ فِيهَا
25- قَدْ يَوْصَلُ النَّازِحُ النَّائِي وَقَدْ
26- وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ فِي تَكْذِيبِ
27- بَلْ رَبِّ مَاءٍ وَرَدُّتُهُ أَجِنِ
28- رِيشُ الْحَمَامِ عَلَى أَرْجَائِهِ
29- قَطَعْتُهُ غُدُوءَ مَشِيحاً
30- عَيْرَانَةٌ مُؤَجَّدٌ فَقَارُهَا
31- أَخْلَفَ بِأَزْلاً سَدِيدِ
32- كَأَنَّهَا مِنْ حَمِيرِ عَانَاتِ
33- أَوْ شَبَّ يَرْتَعِي الرُّخَامِي
34- فَذَاكَ عَضُّ وَقَدْ أَرَانِي
35- مُضَبَّرٌ حَلَقُهَا تَضْبِيراً
36- زَيْتِيَّةٌ نَائِمٌ عَرَوْقُهَا
37- كَأَنَّهَا لِقُوَّةِ طَلُوبِ
38- بَاتَتْ عَلَى إِزْمِ عَذُوباً
39- فَأَصْبَحَتْ فِي غُدَاةِ قَرٍّ
40- فَأَبْصَرْتُ ثَعْلِباً سَرِيحاً
41- فَتَنَفَّضْتُ رِيشَهَا وَوَلَّتْ
42- فَاشْتَالَ وَارْتَاعَ مِنْ حَسِيسِ
43- فَتَنَفَّضْتُ نَحْوَهُ حَثِيثاً
44- فَدَبَّ مِنْ خَلْفِهَا دَيْبِيأ
- هُرٌّ وَلَا يَنْفَعُ التَّلْيِبُ
وَكَمْ يُصِيرُنَّ شَانِئاً حَبِيبُ
وَلَا تَقْلَلُ إِنِّي غَرِيبُ
يُقْطَعُ ذُو السُّهُمَةِ الْقَرِيبُ
طَوَّلُ الْحَيَاةِ لَهُ تَعْذِيبُ
سَبِيلُهُ خَائِفٌ جَدِيبُ
لِلْقَلْبِ مِنْ خَوْفِهِ وَجِيبُ
وَصَاحِبِي بِأَدْنِ خَبُوبِ
كَأَنَّ حَارِكَهَا كَثِيبُ
لَا حِقَّةَ هِيَ وَلَا نَيْبُ
جَوْنٌ بِصَفْحَتِهِ نَدُوبُ
تَلْطَطُّ شَمَالٌ هَبُوبُ
تَحْمَلُنِي نَهْدَةَ سُرْحُوبِ
يَنْشَقُّ عَنْ وَجْهِهَا السَّبِيبُ
وَلَيْنَ أَسْرَهَا رَطِيبُ
تَبَيَّنَ فِي وَكْرِهَا الْقَلُوبِ
كَأَنَّهَا شَيْخَةٌ رَقُوبُ
يَسْقُطُ عَنْ رِيشِهَا الضَّرِيبُ
وَدَوْنَهُ سَبَسَبٌ جَدِيبُ
وَهِيَ مِنْ نَهْضَةِ قَرِيبِ
وَفِعْلُهُ يَفْعِلُ الْمَذُوبُ
وَحَرَدَتْ حَرْدَهُ تَسِيبُ
وَالْعَيْنُ جَمَلَاتُهَا مَقْلُوبُ

- 45- فأدرَكْتُهُ فطرَحْتُهُ والصيْدُ من تحتها مكروب
 46- فجَدَلْتُهُ فطرَحْتُهُ فكسدت وجهه الجبوبُ
 47- فعَاوَدْتُهُ فرفَعْتُهُ فأرسلته وهو مكروب
 48- يَضْفُو ومخلَبُها في دَقِّه لابِدٌ حيزومه منقوبُ

☆ معاني الكلمات

- 1 - أفقر : خلا . ملحوب : ماء لبني أسد . القطبيات : بالضم ثم التشديد ثم باء ثم ياء مشددة : اسم جبل . الذنوب : اسم موضع .
 2 - راكس وتهيلبات : موضعان . القليب : البئر . ذات فرقين : هضبات متفرقة مثل الأسنة .
 3 - عردة : هضبة فيها ماء لكعب بن عبد بن أبي بكر . حبر : بكسرتين وتشديد الراء جبل بديار بني سليم . عريب ومعرب : أحد .
 5 - شعوب : اسم للمنية . المحروب : المسلوب .
 6 - والنصب في (قتيلاً وهالكاً) على تقدير ، إما أن يكون ذلك المحروب قتيلاً ، وإما أن يكون هالكاً . الشيب شين : الجاهليون يستحبون أن يموت الإنسان وفيه بقية قبل أن يزري به الكبير .
 7 - سروب : يطلع دون إرادة . الشان : مجرى الدمع . الشعيب : المزادة المنشقة .
 8 - واهية : بالية . المعين : الذي يأتي على وجه الأرض من الماء فلا يرده شيء . المعن والممعن : السريع . اللهوب مفردها لهب : شق في الجبل والمعنى : كأن دمعته ماء يعن من هذه الهضبة منحدرأ وفي أسفله شق !
 11 - تصبو : تعشق من الصبوة . أنى لك : كيف لك بهذا . راعك : أفزعك .
 12 - حال : تغير وانتقل . البدني : المبتدأ وأول الديار ، وتأتي بدني بمعنى غريب وعجيب وفري .
 13 - الجو : الوسط . عاذاها : انتابها وأصابها وأصله من عيادة المريض . الهل والجدوب : واحد .

- 14 - الخلوس : المسلوب على غفلة منه . وكل ذي أمل مكذوب : الأمل الذي لا يتأل يشبه الكذب على النفس أو الآخر .
- 15 - كل من كان له شيء سلبه من غيره فهو يسلب يوماً ما .. وإن لم يسلبه أحد مثله
فلسوف يسلبه الموت ..
- 16 - يؤوب : يعود .
- 17 - العاقر : المرأة التي لاتلد والرملة التي لاتنبت . ذات رحم : المرأة الولود .
- 19 - تلغيب : ضعف والسهم اللغب الذي لا يراهن عليه لتعرجه وانتفاخه .
- 21 - أفلح : من الفلاح وهو البقاء ، أي عش كيف شئت فلاعليك فقد يدرك الضعيف بضعفه ما لا يدرك القوي . الأريب : العاقل وقد سئل الحطيئة من أشعر الناس ؟ قال الذي يقول أفلح بما شئت ..
- 22 - التلييب : تكلف اللب أي العقل من غير طبع ولا غريزة .
- 23 - لإسجيات : إلا أن يكون العقل سجية وليس ادعاء و (م) لغة في من ، والمعنى أن العقل سجية من القلب ، وليس ادعاء من اللسان . الشانيء : المبغض .
- 25 - النازح والنائي واحد . يقطع : يعق . السهمة : النصيب . والمعنى قد يقف الناس القريب ويصلون البعيد فاعلم ذلك أيها الغريب .
- 27 - الآجن : المتغير الطعم والرائحة . خائف : مخوف والعرب تريد أحياناً بصيغة الفاعل المفعول .
- 28 - أرجاؤه : نواحيه . الوجيب : الخفقان . ريش الحمام : كناية ذكية أراد بها أن الحمام يأتي الماء ليشرب فيجد من يختبئ له ويصطاده ويأكله فلا يبقى منه سوى الريش .. وريش الحمام استعارة تصريحية جميلة لمشبه محذوف هو ملابس وأمتعة الناس المقتولين الذي يأتون للحياة فكأنهم يأتون للموت !!
- 29 - قطعته : أي قطعت موضع هذا الماء المفخخ بالقتلة واللصوص وطلاب الثأر . مشيحاً : الحذر الجاد أو الذي لا يلتفت إلى الشيء حتى لا يراه . بادن : ناقة قوية البدن . خبوب : تحبب في سيرها .
- 30 - العير : الحمار المتوحش والأليف ، ووصف الناقة بحمار الوحش يشبه التقليد بما يؤسس قوة الناقة في الذهن .. لأنهم يرون إضفاء صفة الفحول على ناقة إشارة مهمة لقوتها .. فهي عيرانة

وجالية . المؤجد : ناقة قوية موثقة الخلف وأجد متصلة الفقار تراها كأنها عظم واحد . والأجد : اشتقاقه من الإجد والإجاد هو الطاق القصير . الفقار : خرز الظهر . الحارث : المنسج . الكثيب : الرمل وهذه الصورة كناية عن ملاسة ظهر الناقة وقوته .

31 - أخلف : أتى عليها سنة بعد ما بزلت ، والسديس ينبت قبل البازل والسديس السن بعد الرباعية وذلك في السنة الثامنة . وفي الحديث : « إن الإسلام بدأ جذعاً ثم ثنيئاً ثم رباعياً ثم سديساً ثم بازلاً » .

حقة : الناقة ابنة الثلاث التي دخلت في الرابعة سميت بذلك لاستحقاقها أن يحمل عليها وأن ينتفع بها . الناب والنيوب : الناقة المسنة سموها بذلك حين طال نابها وعظم .

32 - عانات : مدينة كأن بيوتها عانات أي قطع من الظباء ، وهي قرى مضمومة إلى هيت . لجون : أبيض وأسود . صفحته : جنبه . ندوب : آثار العض مفردها ندبة .

33 - الشبب : الذي قد تمّ شبابه وسنه . الرخامى : نوع من البقول مغبرّ الخضرة له زهرة بيضاء لها عرق أبيض تحفره الحمر بجوافرها والوحش لتأكله فهو حلو وطيب (كذا) . تلفه : يعني تَلَف الثور واللف الإحاطة بالشيء . الشمال : ريح الشمال . هبوب : الهابة .

34 - عصر : زمان مضى . نهدة : فرس قوية . سرحوب : سريعة سمحة وقيل طويلة الظهر .

35 - مضبرّ : موثّق والإضبارة إضمامة من كتب . أو من صحف أو سهام وضبرت الشيء جمعه . السيبب : شعر الناصية ، يقول هي حادة البصر فناصيتها لاتستر بصرها .

36 - زيتية : لينة الركوب مريحته . نائم عروقتها : ساكنة لصحتها . ليين : مرن . أسرها : خلقها وتكوينها . رطيب : مرن ولين ومتنن وقيل في (نائم عروقتها) إنها ليست ناتئة العروق لأنها مكتنزة لحمًا !!

37 - اللقوة : أنثى العقاب الخفيفة السريعة الإختطاف وقال أبو عبيدة : سميت لقوة لسعة أشداقها ، وقال التبريزي : لأنها سريعة التلقي لما تطلب . وقيل : اللقوة العقاب أنثى كان أو ذكراً . طلوب : لا تخفيء مطلبها . القلوب : هي قلوب الطير .

38 - الإرم : الجبل والمرتفع . العذوب : الذي لا يأكل شيئاً ولا يشرب . الرقوب : التي لا يبقى لها ولد والمعنى استناداً للتبريزي : باتت لاتأكل ولا تشرب كأنها عجوز تأكل يمنعها الثكل من الطعام والشراب .

39 - الضريب : الجليد وضربت الأرض إذا أصابها الضريب .

40 - السبب : الأرض المستوية القفرة البعيدة لأماء بها ولا أنيس .

41 - النهضة : الطيران يقول التبريزي : يقول عبيد : حين رأت الصيد بالغداة وقد وقع عليها الجليد نشرت ريشها وانتفضت رمت بذلك عنها ليكنها الطيران وإنما خص بها الندى والبلل ، لأنها أنشط ما تكون في يوم الطل ، وقيل : لأنها تسرع إلى أفراخها خوفاً عليها من المطر والبرد ، وصفها بأنها أصبحت والضريب على ريشها فطارت إلى الثعلب يقول : هي قريب أن تنهض إذا مارأت صيدها .

42 - اشتال : يعني الثعلب أي رفع ذنبه من حسيس العقاب . المذؤوب : الفزع بكسر الزاي وأصله من خوف الإنسان أو الحيوان من الذئب .

43 - نهضت : طارت . نحوه : أي الثعلب . حثيثاً : سريعاً . حرّدت : قصدت . تسيب : تنساب .

44 - دبّ : يعني الثعلب أي إن الثعلب دبّ حين رآها مقبله نحوه ديبياً . المحاليق : عروق في العين (من الفزع انقلب حملاق عينه وقيل الحملاق جفن العين أو ما غطته العيون ، وقيل بياض العين أو العروق التي في بياض العين) .

46 - جدلته : طرحته بالجدالة وهي الأرض . الجبوب : الحجارة أو الأرض الصلبة وقيل : الجدل شدة القتل وجدل الشيء أحكم قتله ، والجديل : الزمام المجدول من الجلد ، والأجدل هو الصقر صفة غالبية من الجدل الذي هو الشدة . والمجادلة : المصارعة .

47-48- مكروب : محزون ومغموم ويئس . يصفو : الضغاء صوت الثعلب . الخلب : الظفر . دفه : جنيه . الحيزوم : الصدر (لا بد حين وضعت مخلبها في دفه أنه منقوب ولا بد معناها لاشك وقيل البد الفراق ، لا بد اليوم من قضاء هذا الأمر أي لافراق منه) والمنقوب : المتخن بالجراح والثقوب .

الفصل السادس الفروسية وشعراؤها

يتعذّر على دارس الحياة العربية قبل الإسلام وأدبها تجاوزت ظاهرة الفروسية والاستغناء عن تحليلها ، لأنها ببساطة شديدة تمثّل القطب الذي دارت حوله مفردات الحياة وموضوعات الأدب ، فجلّ موضوعات الشعر الجاهلي مثلاً تبدأ بها أو تمرّ أو تنتهي مثل الغزل والفخر والمهجاء والرثاء والنجدة ، فالفارس سيد قبيلة وحلم الصبايا في الحجال وفي الخدور ؛ وهو الجدير بالفخر ، والمصدق في المهجاء ، والفروسية هي الصفة التي يشرف بها الميت حين يرثيه الشاعر ، وسوف نرى امتدادات الفروسية وقيمتها في حيوات الناس .. فهي صفة تنطبق على ممتطي الفرس إذا كان شجاع القلب ، ولا يقال للجناب فارس وإن امتطى أشرف الخيول وأمتلك أعزّها .. ثم تطوّرت دلالة الفروسية في حاضنتي الحرب والسلم فشملت الرجل ذا الخلق السامي ، وإن أمضى حياته راجلاً غير راكب !! وباتت الفروسية مزاجاً من الرأي والشجاعة والكرم والمروءة والسيادة بما هيأ للفارس مكاناً علياً في الضمير الجمعي الجاهلي ، وقد اندغمت دلالتا الفارس والفتى في نسق وحدّ بين الحاملين ، وقد لاحظ المبرّد (ت 285) عدداً من النصوص التي تشاكل بين الفروسية والفتوة من خلال الفخر أو الرثاء ، واستنكر رغبة الرائي في أن يكون موت المرثي في المعركة (فهذا الشعر من أجفى أشعار العرب ، ينبئ صاحبه أن تقديره في المرثي أن تكون منيته قتلاً ، ويتأسّف من موته حتف أنفه ، ويقول في مدحه :

وأمار يارشاد وغي .

وشبيه بهذا قول لبيد في أخيه إربد لما أصابته الصاعقة وأصابت عامراً الغدة بدعوة

رسول الله ﷺ (1) ثم أورد المبرد النص التالي ليعضد مقولته التي حصرناها بين قوسين :

قال أعرابي :

ألا لهف الأرامل واليتامى ولهف الباقيات على قصي
لعمرك ما خشيت على قصي متالف بين حَجْرٍ والسلي
ولكني خشيت على قصي جريرةً رحمه في كل حي
ففي الفتیان محلولٍ ممرٌ وأمّارٌ بإرشادٍ وغي

وقد رثى لبيد أخاه لأمه إربد وقد مات بصاعقة إثر محاولته اغتيال النبي ﷺ ودعوة النبي عليه !!

أخشى على إربد الختوفَ ولا أرهبُ نوءَ السماء والأسد
فجعتني الرعد والصواعق بال فارسِ يوم الكريمة النجد
الحارب الجابر الحريب إذا جاء نكيباً وأن يعد يعد
يعفو على الجهد والسؤال كما أنزل صوب الربيع ذي الرصد
لم يبلغ العين كلَّ نهمتها ليلة تسمي الجياد كالقصد
ياعينُ هلا بكيتِ إربدَ إذ قنا وقام الخصوم في كبد
وعين هلا بكيت إربد إذ ألوت رياح الشتاء بالعضد
فأصبحت لاقحاً مصرّمةً حين تقضت غواير المدد
إن يشغبوا لا يبسال شغبهم أو يقصدوا في الحكوم يقتصد
حلو كريمٍ وفي حلاوته مرّ لطيف الأحشاء والكبد
الباعث النوح في مآتمه مثل الظباء الأبقار بالجرد

(1) المبرد . أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285) ، الكامل في اللغة والأدب 324/2 ، طب مؤسسة المعارف بيروت (5 : ت) .

وقال أيضاً :

يا إربد الخير الكريم جدوده
إن الرزية لارزية مثلها
ذهب الذين يعاش في أكنافهم
يتأكلون مغالة وخيانة
ولقد أراني تارة من جعفر
من كل كهل كالسنان وسيد
من معشر سنت لهم أبائهم
فبرى عظامي بعد لحمي فقدهم
أفردتني أمشي بقرن أعصب
فقدان كل أخ كضوء الكوكب
وبقيت في خلف كجلد الأجرب
ويُعاب قائلهم وإن لم يشغب
في مثل غيث الوابل المتحلب
صعب المقادة كالفنيق المصعب
والعزق يد يأتي بغير تطلب
والدهر إن عاتبت ليس بمعتب⁽²⁾

وقد ينفعنا في درسنا الفروسية تأصيل دلالاتها في اللغة لإضاءة جوانب الائتلاف والاختلاف بين مستويي الفروسية : الاصطلاحي الذي رصدناه في التوطئة واللغوي الذي يرصده الآتي : فرس زيد ، بالضم ، يفرس فروسة . وفراسة إذا حذق أمر الخيل ، والفراسة بالفتح العلم بركوب الخيل وركضها ، وهذه دلالات متحوّلة عن الثابت اللغوي ، أو الجذر الدلالي للمفردة الذي ينشره الآتي . الفارس الحاذق في تصرفه أو تفكيره أو حزمته ، ومنه قولنا : زيد فارس النظر ثم : فرس السبع الشاة أي أخذها ودق عنقها وأكلها ، وهذه هي المعاني البدئية لمادة فرس ثم استيعرت للفرس وصاحبها ، وقال ابن السكيت (ت 244 هـ) إذا امتطى الرجل فرساً أو بغلاً أو حماراً أو بردوناً فهو فارس ، واعترض عمارة بن عقيل (ت 239 هـ) على تأويل ابن السكيت ، وقال : إن راكب البغل هو البغال بالغيين المشددة ، وراكب الحمار حمار ، أما الفروسية فهي فن امتطاء الخيل⁽³⁾ .

(2) لبيد بن ربيعة العامري ، ديوانه ، النص الأول (قافية الدال) ق 12 ص 49 وبعدها ، النص الثاني

(قافية الباء) ق 5 ص 36 وبعدها ، طب دار صادر - بيروت (د : ت) .

(3) اللسان (فرس) .

وقد أفادتنا هذه المقاربات لنفهم أن الفروسية في دلالتها اللغوية الأولى هي الخدق والاستكناه وتمزيق الطريدة وأكلها ، ثم تطورت إلى معاني الخدق في امتطاء الخيل ، ثم تطوّرت وفق متطلبات المصطلح فشملت المروءة والفحولة والقيم النبيلة ، وذلك ما تكفّلت به التوطئة مطلع هذا الدرس .

وتخيّب الفرس في لاوعي النص الشعري مثلاً أعلى للوفاء والجمال والرشاقة والألفة ، فاقترنت صورة الفرس بصورة المرأة الحسنة ، وقد فات هذا الاقتران النقّاد القدامى ، فعاثوا مثلاً على امرئ القيس أنه جعل شعر فرسه كثيفاً ، ولم يحاولوا كشف الصلة في مخيلة الشاعر بين الفرس والمرأة :

وأركب في الروع خيفانة كسا وجهها سعف منتشر

ولا ندري لماذا لم يلاحظوا الأبيات اللاحقة لهذا البيت في القصيدة نفسها :

لها حافر مثل قعب الوليد سد رُكّب فيه وظيف عجر

لوساقان كعباهما أصمعا ن لحم حبايتها منبتر

لها عجز كصفاء المسيد ل أبرز عنها جحاف مضر

لها ذنب مثل ذيل العروس تسدّ به فرجها من دبر

لها عذّر كقرون النساء ء ركّبن في يوم ريح وصرّ

لها جبهة كسراة المجن حدّقه الصانع المقتدر

وعين لها حدرّة بدرّة شقّت مآقيها من آخر

لها وثبات كوثب الأطباء فوادٍ خطاءً ووادٍ مطر⁽⁴⁾

وقد شغف عنتره بفرسه شغفاً كبيراً ، حتى أصبح شغفه شاهداً مهماً على عمق العلاقة بين الفارس الجاهلي وفرسه ، وقد فضل عنتره فرسه على زوجه في الطعام والشراب :

(4) امرؤ القيس . ديوان ق 29 ص 163 وبعدها ، وانظر كتابنا الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ،

مبحث الفرس ص 228 ففيه تفصيل للمستزيد .

لا تذكري فرسي وما أطعمته
إنّ الصبح له وأنتِ مسوءةٌ
فيكون جلدك مثل جلد الأجر
فتأوهي ماشئتِ ثم تحوي⁽⁵⁾
وقد التفت إلى أوجاع حصانه في أشدّ اللحظات هلعاً :

يدعون عنتر والرماح كأنها
فازورّ من وقع القنا بليانه
أشطان بئر في لبان الأدم
وشكا إليّ بعبرة وتحمحم
لو كان يعرف ما المحاورة اشتكى
ولكان لوعلم الكلام مكلمّي

وما ارتباطهم بالخيّل في الجاهلية سوى دليل أكيد على معرفتهم لفضلها فهم
يصبرون على الخمصّة والأواء ولا يصبرون على جوع الفرس أو عطشها فيؤثرونها على
الأهل والولد ، وقد سئل فارس عن بكاء الصبيان فأجاب (وأما بكاء صبياننا فإننا
نبدأ الخيل باللبن قبل العيال)⁽⁶⁾

وقد نسب الأعشى طحن أعدائه إلى (خيل بكر) فكان الخيل وبكر حالة
واحدة :

وخيل بكر فا تنفك تطحنهم
حق تولوا وكاد اليوم ينتصف
وكذلك وحد عنتره بين الخيل والخيالة وهو يناجي عبلة ، ويرسم صورة لمروءته
مرة ولفرسه أخرى !!

هلاً سألت الخيل يا ابنة مالك
يخبرك من شهد الوقعة أنني
إن كنتِ جاهلة بما لم تعلمي
أعشى الوغى وأعفّ عند المغنم
نهد تعاوره الكماة مكلمّ
إذ لا أزال على رحالة سابع

(5) عنتره . ديوانه ق 11 ص 272 تح سعيد مولوي ، مط المكتب الإسلامي 1970 . وانظر مقدمة ديوان
الأعشى ص 22 والمفضليات رقم 41 ب 19 ب 20 شعر الأخنس التغلي .

(6) الأغاني (بولاق) 18/9 (م . س) . القيسي . د . نوري ، الفروسية في الشعر الجاهلي 140 ، طب دار
التضامن بغداد 1964 .

طوراً يجرد للطعان وتارة يأوي إلى حصد القسيّ عرمم
مازلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم

إن وصف عنتره لفرسه القوي الذي يسبح في المعركة ورسمه لتفاصيل حركته عن قرب ، يذكرنا بوصف امرئ القيس لفرسه الذي يمتطيه قبل صحوة الطير متلبثاً عند حركته ومرونتها :

وقد أغتدي والطيّر في وكناتها بمنجرد قيّد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلود صخر هذه السيل من عل

والفرس سياء شجاعة الفارس وعدته في الحرب ، وعبيد بن الأبرص لا يصبر البتة على فرسه :

ولا يفارقني ما عشت ذو حقب نهد القذال جواد غير ملواح
أومهرة من عتاق الخيل ساجدة كأنها سحق برد بين أرماع⁽⁷⁾

أما هند ابنة النعمان نهي توصي فارسها بضرورة الحفاظ على أصله (النفيس الأرفع) بالشجاعة وارتباط الخيل :

حافظ على الحسب النفيس الأرفع بسواعد موصولة لم تمنع
وسلاهب من خيلكم معروفة بالسبت عادية بكل سميع⁽⁸⁾

شغف الفارس بالفرس أصيل عميق ، وليس شعوراً عابراً ، وقد أسبغ عنتره على فرسه مشاعر الإنسان الذي يعبرّ بالنظرة والمحمة عن عذابه ، وثمة نصوص أخرى فعلت الشيء نفسه مع الفرس بحيث صار الأمر ظاهرة :

1 - قيس بن زهير (شعره ب ، ص 41) :

فلاهبطن الخيل حرّ بلادكم لحق الأياطل تنبذ الأمهارا

(7) ابن الأبرص . عبيد ، ديوانه ص 50 ، تح حسين نصار ، مطمصطفى البايي ، مصر 1957 .

(8) الجبلاوي . محمد فتاح ، الموثبات ق 2 ص 336 ، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد 1981 .

2 - مهلهل (شعر المراقسة ق 27 ب 28 ص 272) :

تركنا الخيل عاكفة عليهم كأنّ الخيل تدحض في غدير

3 - المعقر البارقي (العقد الفريد 11/6) :

يفرّج عنا كل ثغر نخافه مسح كسرحان الفطيمة ضامر
وكل طموح في العنان كأنه إذا اغتمست في الماء فتخاء كاسر

4 - خدّاش بن زهير (الحماسة الشجرية 116/1 ق 83 ب 1 ب 2) :

جلبنا الخيل ساهمة إليهم عوابس يدّرعن النقع قودا
تباري في الأعنة مصفيات حداد الطرف يعلكن الحديددا

5 - لبيد (شرح ديوانه ق 3 ص 22) :

يحملن فتيان الوغى من جعفر شعناً كأنهم أسود الغاب

6 - الشنفرى (الطرائف الأدبية ، شعره ق-ح- ص 35) :

إذا انفلتت مني جواد كريمة وثبت فلم أخطر عنان جوادى

وكانت الفرس هاجس أم جندب حين احتكم إليها الغريمان زوجها امرؤ القيس
وعلقمة بن عبدة ، فاقترحت عليها رسم صورة الفرس بالشعر وعلى قافية واحدة ..
فقال امرؤ القيس :

خليلي مرّا بي على أم جندب
فللساق أهوب وللسوط درّة
فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوة
لنقضي لبانات الفؤاد المعذب
وللزجر منه وقع أهوج منعب
يمرّ كخذروف الوليد المثقب

وقال علقمة :

ذهبت من الهجران في كلّ مذهب
فولى على آثارهنّ بحاصب
فأدركهنّ ثانياً من عنانه
ولم يك حقاً كلّ هذا التجنب
وغيبة شؤبوب من الشّد ملهّب
يمرّ كمرّ الرّائح المتحلّب

وقد قرفت أم جندب من سلوك امرئ القيس الخشن مع فرسه الوديع فهو يركلها برجله ، ويلهبها بسوطه ، ويروعها بزجره . فأدرك شأوه بتعنيف الفرس وإيذائها .. بينا هي آنست إلى سلوك علقمة ورحمته بفرسه ، وقد أدرك شأوه ثانياً من عنان الفرس ، تاركاً له حرية الجري ، هكذا انتصرت أم جندب للفرس وتعاطفت مع غريم زوجها ، وفوّزته لحسن سلوكه مع الفرس ، ولاأظن أنها حزنت كثيراً حين طلقها امرؤ القيس ، واتمهما بحب علقمة ، لأنها ذكية تدرك خطورة قولها وأثره ونتائجه⁽⁹⁾ ، والعربي حميم مع الفرس ويأنس للحديث الذي يقول : « خير الأموال فرس يتبعها فرس »⁽¹⁰⁾ فظهرها حرز وبطنها كنز . وسميت بعض الخيول (أزواد الركب) نظراً للخير العميم الذي كانت تجلبه لفرسانها ، وزعم بعض الفرسان أنه يستطيع بوساطة النظر إلى الفرس المهقوع قياس وفاء زوجه له أو خيانتها حتى لو كان بعيداً عنها !! وكل الأخبار القديمة في الخيول تعبر عن النظرة الخاصة إليها المقترنة دائماً بالحبّة والخير والإعجاب ، فلاغربة من اقتران الفرس في الشعر الجاهلي بالرشاقة والمرأة والخير والمطر والأساطير ، وقد تخصص شعراء كبار بوصف الخيل وأبدعوا في صورها الفنية كما أفرطوا في حبّها⁽¹¹⁾ وقد انتقينا لوحة شعرية أنتجها طرفة بن العبد .. عرضت مشاهد قتالية أسفرت عن نصر معقود على نواصي الخيل :

- | | |
|------------------------------|---------------------------|
| 1- سائلوا عَنَّا الذي يعرفنا | بقوانا يوم تحلاق اللهم |
| 2- يومَ تبدي البيض عن أسوقها | وتلفَ الخيولَ أعراج النعم |
| 3- ونكرَ الخيل في أدبارها | يوم لا يعطف إلا ذو كرم |
| 4- أجدرُ الناسِ برأسِ صدم | حازم الأمرِ شجاع في الوغم |
| 5- كاملٍ يجمُلُ آلاءَ الفق | نبيه ، سيّدِ ساداتِ خضمّ |

(9) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء 130/1 وانظر العلوي ، ابن طباطبا ، عيار الشعر ص 96 .

(10) القشيري . أبو الحسين مسلم بن الحجاج ت 261 ، صحيح مسلم 1492/3 باب الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة . وانظر ابن قتيبة ، عيون الأخبار 153/2 ثم انظر ابن الكلبي ، أساب الخيل ص 14 .

(11) الصائغ . د . عبد الإله ، الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ص 228 وبعدها .

- 6- من بني بكر إذا ما نَسَبُوا
7- حين يحمي الناسُ نحمي سربنا
8- بحساماتٍ تراها رُسْباً
9- وفحولٍ هيكلاتٍ وَقَحِ
10- وقنا جُرْدٍ وخيلٍ ضَمِيرٍ
11- أدت الصنعة في أمتنها
12- تتقي الأرضَ بَرْحٍ وَقَحِ
13- وتفري اللحم من تعدها
14- خلع الشدّ ملحّاتٍ إذا
15- قُدماً تنضو إلى الداعي إذا
16- بشبابٍ وكهولٍ نُهْدِ
17- نُمْسِكُ الخيل على مكروها
18- تذر الأبطالَ صرعى بينها
- وَبني تغلب ضَرَّايَ البَهِمِ
واضحى الأوجهُ معروفى الكرم
في الضريباتِ، مَتَرَاتِ العَصْمِ
أعوجياتٍ على الشأو أزمِ
شَرَّبِ من طول تَعلاكِ اللَّحْمِ
فهي من تحت مُشِيحاتِ الحُزْمِ
وَرُقِي، يقعرن أُنْبَاكَ الأَمِّ
وتفـالي في قُبِّ كالعجم
شالت الأيدي عليها بالجذم
خَلَلِ الداعي بدعوئى ثم عم
كليـوثٍ بين عَرَّين الأجم
حين لا يَمْسِكُ إلا ذو كرم
تعكف العقبان فيها والرخم⁽¹²⁾

(١٢) ابن العبد . طرفة ، شرح ديوانه ص 87 وبعدها ، تقديم سيف الدين الكاتب وأحد عصام الكاتب ،

طب دار مكتبة الحياة بيروت (د : ت) .

ب 1 : يوم تحلاق اللم : اليوم معناه الحرب وسمى مقترناً بتحلاق اللم إشارة لنصر بكر على تغلب وقد أمر الحارث بن عباد بجلق رؤوس .

ب 2 - الصدر كناية عن الهرب . الأعراج : أكثر من خمسين وأقل من مئتين .

4 - الصلدم : الصعب الشديد . الوغم والوغى : القتال .

5 - الآلاء : العطايا . الخضم البحر كناية عن الكرم .

6 - البَهِم : أقوياء القلوب الذين لا يخيفهم الموت .

8 - الضريبة : الموضع الذي يضربه السيف . المترات : القواطع . العصم : المعاصم .

9 - الهيكلات : الضخمة . الوقح : ذو الحافر الصلب . الأعوجيات نمط من الخيول الكريمة زعم أن جدّها اسمه أعوج . الشأو : الغاية والمسافة . أزم : تمض اللجام .

10 - القنا : الرماح : جرد : ملساء . الشرب : العنامرة .

١٢ - رَجَّح : متفخخة . وقح : صلبة . ورق : سود . أنباك : مرتفعات .

☆ التماهي بين الفروسية والفتوة :

إذا كانت الفروسية قد تماهت مع القيم النبيلة والأخلاق الجليلة بحيث يكون الرجل ذو البأس والمروءة فارساً وإن افتقد الفرس ، فإن مفهوم الفروسية في العصر الجاهلي قد تماهى مع مفهوم الفتوة !! ولا يمكن لهذا المبحث أن يكون صورة جادة وأكيدة عن الفروسية ، إذا غيّبت عنها صورتها التوأم (الفتوة) ! فالثنتان (الفروسية / الفتوة) تمتلكان قواسم مشتركة في الذهنية الشرعية الجاهلية وفي متخيّل جمهور الشعر عهد ذلك ..

الفتوة

1 - تحمل معاني القوة واليفاعه ثم حملت معاني الخلق النبيل والتفوق

2 - قد يكون فتى من جاوز سنّ الفتوة وقد لا يكون الشاب فتى حين يفتقد المروءة والطموح

3 - الفتوة ذات بعدين : حسي ويتوفّر على شكل الوجه والجسد وصغر العمر ، ومعنوي ويتوفر على الخلق العربي القويم والشهرة بين الفتيان

وبين أيدينا مشهد للفتوة أسسه طرفة بن العبد قائم على سطوع الاسم والقول والفعل ، مندغم مع التفوق على الأقران ونجدة الملهوف ومساندة الغريب ، والكرم ،

الفروسية

1 - تحمل معاني القوة واليفاعه والحدق في امتطاء الفرس .. ثم حملت معاني الخلق الحميد والتفوق

2 - قد يكون فارساً من لم يركب الفرس وليس كل من ركب الفرس فارساً !!

3 - الفروسية ذات بعدين : حسي ويتوفّر على الفرس والفارس ومعنوي ، ويتوفر على المروءة وصاحبها والشجاعة ومالكها ، والشهرة بين الفرسان

= 13 - القَب : الضوامر . العجم : النوى .

14 - الجذم : السوط .

16 - عرين : بيت الأسد .

والسفر ، ومشاكسة الموت ، وفق تضادات فنية دلالية قوامها الشجاعة والخوف ، الكرم والشح ، الحياة والموت ، الكياسة والعبث !! الحب والمقت !!

إذا القوم قالوا من فتي خلت أنني
ولستُ بجلال التلاع مخافة
فإن تبغني في حلقة القوم تلقني
وإن يلتقي الحيّ الجميع تلاقني
إلى أن تحامتي العشيّة كلها
ألا أهذا الزاجري احضر الوغى
فإن كنتَ لاتطيع دفع منيتي
ولولا ثلاثٌ هنّ من عيشة الفتي
فنهن سبقي العاذلات بشربة
وكزّي إذا نادى المضافُ محبباً
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
أرى قبر نحام بخيل بماله
ترى جنّوتين من تراب عليهما
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي
أرى العيش كنزاً ناقصاً كلّ ليلة
لعمرك إن الموتَ ما أخطأ الفتي
متى ما يشا يوماً يقده لحتفه
وإن أدع للجلّى أكن من حماها
وإن يقذفوا بالقذع عرصك أسقيهم
وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة
أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه

عنيت فلم أكسل ولم أتبلد
ولكن متى يسترفد القوم أرفد
وإن تلتسني في الحوانيت تصطد
إلى ذروة البيت الشريف المصد
وأفردتُ أفرادَ البعير المعبّد
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي
فدعني أبادرها بما ملكت يدي
وجدك لم أحفل متى قام عودي
كيت ما تغل بالماء تزبد
كسيد الغضا نبهته المتورد
ببهنّة تحت الطرف العمّد
كقبر غوي في البطالة مفسد
صفائح صمّ من صفيح منضد
عقيلة مال الفاحش المتشدّد
وماتنقص الأيام والدهر ينفد
لكالطول المرخي وثنياه باليد
ومن يك في جبل المنية ينقد
وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد
بشرب حياض الموت قبل التهّد
على المرء من وقع الحسام المهنّد
خشاش كراس الحية المتوقّد

فآليت لا ينفك كشحي بطانة
حسام إذا ماقت منتصراً به
أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة
إذا ابتدر القوم السلاح وجدتي
فإن متّ فنانعيني بما أنا أهله
ولا تجعليني كامرئ ليس هـه
بطيء عن الجلى سريع إلى الخنا
فلو كنت وغلاً في الرجال لضرني
ولكن نفى عني الرجال جراءتي
على موطن يخشى الفتى عنده الردى

لعضب رقيق الشفرتين مهّند
كفى العود منه البدء ليس بمعضد
إذا قيل مهلاً قال حاجزه قدي
منيعاً إذا بلّت بقائه يدي
وشقيّ عليّ الجيب يا ابنة معبد
كهمّي ولا يغني غنائني ومشهدي
ذلول بأجاع الرجال ملهد
عداوة ذي الأصحاب والمتوحد
عليهم وإقدامي وصدقي ومحتدي
متى تعترك فيه الفرائص ترعد

وقد مرت بنا هذه المشاهد ضمن معلقة طرفة في فصل المعلقات ، وإنما : استعدنا بعضاً من الأبيات الخاصة بالفتوة لتعزيز القول بأن صورة الفروسية والفتوة حالة واحدة في المتخيل الجاهلي الإبداعي ، أما دريد بن الصمة سيد بني جشم فهو يقدم بين يدي حزنه مشهداً عريضاً نرى من قراءة تفاصيله صورة الفتى الفارس ، أو الفارس الفتى في إطار قني ودلالي واحد ، وهو الفارس الفتى رغم تجاوزه الثانين ، وقد قاده إحساسه بالفتوة المعنوية إلى الإمعان في تبني الفتوة العمرية وقد غادرته ، فخطب شاعرة في سن بناته وهي تماضر ابنة الشريد (الخنساء) فاعتذرت له عن قبول اقترانها به بأدب جم ، حتى لا تجرح فيه إحساسه المرضي بالفتوة الطاغية فهجاها وجرحها !! وإذا كان أخوه قد قتل في معركة غير متكافئة فلأنه فتى ، والفتى لا يفرّ في المعركة ولا يخشى الموت قدرة خشيته من مغبة الهزيمة ، وقد أسى أخاه بنفسه ولكن قومه خذلوه ، لأنهم لم يروا مثلاً يرى دريد ، فأهلوا نصيحته في حينها وقد ندموا وأرادوا سماعها بعد فوات الأوان ومقتل أخيه عبد الله ، ولكن لماذا ترك دريد قومه (غزيرة) يارسون الخطأ ؟ أما كان بإمكانه إسكات الأصوات المعارضة ، وهو القائد والسيد

والزعيم؟! الجواب إن دريداً فتى فارس وأخلاق الفتيان لا تجبذ للزعاء والقادة الاستعلاء على قرارات القبيلة التي أجمعت عليها ، وإن كانت هذه القرارات من وجهة نظره خاطئة ومضرة ، دريد لم يتعال على قومه ، بل انحنى أمام إجماعهم وهو القادر على فرض رأيه بالسيف أو الذهب ، ولكن إيمانه بالحرية جعله في إطار السرب ، فالقائد الفارس الفتى هو الذي يوحد بين كرامته وكرامة جماعته ، فيكون مع الأكثرية ضد نفسه وقرارها !! أما أخوه عبد الله فقد قتل في المعركة فارساً فتى وآية ذلك :

- 1 - ليس وقافاً ، أي لا يتردد لحظة اتخاذ القرار المنحاز للخير والقرار في المواقف الصعبة .
- 2 - لم يكن عبد الله طائش اليد ، وطيش اليد شيء من طيش العقل ، فهو هادئ وحكيم .
- 3 - كبير الهممة عظيم الطموح بعيد عن الانحطاط الاجتماعي .
- 4 - طلّاع أنجد .. أي مغامر ثابت الجنان .
- 5 - قليل التشكّي حين تحل به المصائب .
- 6 - له وعي مناسب بالزمن فيوازن بين اليوم والغد ..
- 7 - خميص البطن (جائع) وهو القادر على التخمة والتكرّش ، لأن الفتيان ذوو هم عاليه فضلاً عن أنه يؤثر بزاده الآخرين ..

فقال دريد بن الصمة سيد جشم يرثي أخاه الفتى عبد الله وقد قتلته بنوعبس :

- 1- أرث جديد الجبل من أمّ معبد بعاقبة وأخلفت كلّ موعِد
- 2- وبانت ولم أحمل إليك نواها ولم ترج فينا ردة اليوم أوغد
- 3- من الحفرات لا سقوطاً خاها إذا برزت ولا خروج المقيّد
- 4- وكل تباريح الحب لقيته سوى أنني لم ألق حتفي بمرصد
- 5- وأني لم أهلك خفاتاً ولم أمت خفاتاً ، وكلاً ظنه بي عوّدي
- 6- كأن حمول الحيّ إذ تلح الضحى بناصفة الشجناء عصبه مِذود

- 7- أو الأثابُ العمُّ المخرمُ سوقه
8- أعاذلُ مهلاً بعض لومك واقصدي
9- أعاذلتي كلَّ امرئٍ وابن أمه
10- أعاذل إن الرزءَ في مثل خالد
11- علانية ظننوا بألفي مدجج
12- وقلت لهم: إن الأحاليف أصبحت
13- فما فتنوا حتى رأوها مغيرة
14- ولما رأيتُ الخيل قبلها كأنها
15- أمرتهم أمري بمنعرج اللوى
16- فلما عصوني كنت منهم وقد أرى
17- وهل أنا إلا من غزية إن غوتُ
18- دعاني أخي والخيل بيني وبينه
19- أخي أرضعتني أمه بلبانها
20- فجئتُ إليه والرماح تنوشه
21- وكنتُ كذاتِ البوريعت فأقبلت
22- فطاعنت عنه الخيل حتى تنهنت
23- فما رمت حتى حرقتني رماحهم
24- قتال امرئ آسى أخاه بنفسه
25- تنادوا فقالوا: أردت الخيل فارساً
26- فإن يكُ عبد الله خلى مكانه
27- ولا برماً إذا الرياح تناوحت
28- كمش الإزار خارج نصف ساقه
29- قليل تشكّيه المصيبات حافظاً
- بشابة لم يخبِط ولم يتعضد
وإن كان علم الغيب عندك فارشدي
متاع كزاد الراكب المتزود
ولا رزء فيما أهلك المرء عن يد
سراتهم في الفارسيّ المسرد
مطنبّة بين الستار فتهد
كرجل الدبى في كلّ ربع وفدغد
جراداً يباري وجهة الريح مُغتدي
فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد
غوايتهم وأني غير مهتدي
غويتُ وإن ترشد غزية أرشد
فما دعاني لم يجدي بقعد
بثدي صفاء بيننا لم يجدد
كوقع الصياصي في النسيج المدد
إلى جلد من مسك سقب مقدد
وحتى علاني حالك اللون أسود
وغودرتُ أكبوي في القنا المتقصد
ويعلم أن المرء غير مخلد
فقلت: أعبد الله ذلكم الردي
فما كان وقافاً ولا طائش اليد
برطب العضاه والهشيم المعصد
صبوراً على الجلاء طلاع أنجد
من اليوم أعقاب الأحاديث في غد

- 30- صبا ما صبا حتى علا الشيبُ رأسه
 31- تراه خميصَ البطنِ والزادِ حاضرٌ
 32- وإن مسّه الإقواءُ والجهدُ زاده
 33- إذا هبطَ الأرضَ الفضاءَ تزينت
 34- فلا يبعثُك اللهُ حياً وميتاً
 35- رئيس حروب لا يزال ربيئاً
 36- وغارة بين اليوم والأمس فلتة
 37- سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا
 38- يفوتُ طويلَ القومِ عقد عذاره
 39- وهونٌ وجدي أنني لم أقل له
 40- فإن تعقب الأيامُ والدهرُ تعلموا
- فلما علاه قال للباطلِ ابعِد
 عتيد ويغدو في القميصِ المقدّد
 سباحاً وإتلافاً لما كان في اليد
 لرؤيته كالمأمّ المتبدد
 ومن يعله ركنٌ من الأرض يبعُد
 مشيحاً على محقوقِ الصُّلبِ ملبد
 تداركتُها ركضاً بسيدِ عمرّد
 طويل القراء، نهد، أسيل المقلد
 منيفاً كجذعِ النخلة المتجرّد
 كذبت، ولم أبخل بما ملكت يدي
 بني قارب أنا غضابٌ بمعبد⁽¹³⁾

وقد تمادينا في إيراد دالية دريد ، واخترنا أربعين بيتاً منها لتوصلنا إلى أنها نص نفيس يكشف بأمانة نظرة الشاعر الجاهلي للفتوة المتماهية مع الفروسية فثمة مقدمة غزلية رمزية ترينا مكابدة الشاعر مع أم معبد ، الحبيبة الشريفة الجميلة التي شاءت من جهتها ترك الحبيب في أشد أيامه وأصعبها ، وكان عليها الوفاء معه وله ، ونرجح أن (أم معبد) رمز لثلاثة مرموزات هي :

- 1 - المرأة بشكل عام وهي نظرة تقليدية جاهلية قاسية تجرد المرأة من مزية الوفاء وبخاصة إذا شاب حبيبها أو وهنت قواه أو انتصر عليه أعداؤه .
- 2 - الشباب الذي يترك الإنسان في ذروة احتفاله به .
- 3 - الزمان المتقلب .. والملاحظ أن حبيبته (أم معبد) كانت مطلع البيت الأول

(13) ابن الصمة . دريد الجمشي ، ديوانه ق 15 ص 45 وبعدها . تح : محمد خيرى البقاعي ، طب دار قتيبة 1981 . والقصيدا أنحاء مبثوثة كاملة ومنجّمة في الشعر والشعراء 507/2 ، والأغاني (كتبخانه) 2/9 ، وجمهرة أشعار العرب ص 213 .

و (معبد) وهو اسم أخيه الفارس القتيل (عبد الله) وكان اسم معبد قريباً إلى نفس أهل عبد الله بما يشبه عندنا الآن (اسم الدلع) أو اسم التحبب .. فالقصيدَة تبدأ بأَم معبد وتنتهي بمعبد !! ثم إن دريداً لم يكن بكاء فقط ، ولم يهمل شأن فتوته وفروسيته وهو يرثي أحبّ الناس إلى نفسه ، بل فخر بنفسه ، التي لم يعرف قدرها رجاله الأقربون ، ثم تفجّع على مقتل أخيه الذي لم تترك الرماح والسهام موضعاً سليماً في جسده ، بعدها رسم لنا صورة دقيقة وقرينة لأخيه الفتي الذي جمع الشجاعة والمروءة في إهاب واحد .

وهكذا نجد أن الفتي الفارس معنيٌ قبل سواه بحماية قومه والمنافحة عنهم ، وغالباً ما تكون حياة الفتي الفارس ثمناً لمجده وترسيخ منزلته في نفوس الأقربين والأبعدين معاً .

بل إن الفارس (ربيعة بن مكدّم الكناني) فعل أكثر من هذا !! فقد حمى أهله حياً وميتاً ، حتى صار مضرب الأمثال : « أحمى من مُجير الظعن » ، قال أبو عمرو بن العلاء : مانعاً قتيلاً حمى الطعائن غير ربيعة بن مكدّم . ا . هـ .

وهانحن أولاء ننشر حكايته عن طريق أبي عبيدة بنصّها (خرج بنيشة السلمي غازياً فلقى ظعناً من كناية بالكديد فأراد أن يحتويها فأنعه ربيعة بن مكدّم في فوارس وكان غلاماً له ذؤابة ، فشدّ عليه بنيشة فطعنه في عضده فأتى ربيعة أمّه وقال :

شديّ عليّ العصب أمّ سيّار فقد رزئتِ فارساً كالدينار

فقالَت أمه :

إنّا بني ربيعة بن مالك

نرزأُ في خيارنا كذلك

من بين مقتول وبين هالك

ثم عصبتّه ، فاستقاها ماء ، فقالَت له اذهب فقاتل القوم فإن الماء لا يفوتك .

فرجع وكرّر على القوم فكشفهم ورجع إلى الظعن . وقال : إني لمأئت ، وسأحيكن ميتاً
 كما حيثكن حياً ، بأن أقف بفرسي على العقبة واتكئ على رحلي ، فإن فاضت نفسي
 كان الرمح عمادي ، فالنجاء النجاء فيأني أردّ بذلك وجوه القوم ساعة من النهار ؛
 فقطعن العقبة ووقف هو بإزاء القوم على فرسه متكئاً على رحمه ونزفه الدم ففاض
 والقوم بإزائه يججمون على الإقدام عليه ، فلما طال وقوفه في مكانه ورأوه لا يزول عنه
 فرموا فرسه فقمص وخرّ ربيعة لوجهه ، فطلبوا الظعن فلم يلحقونهم . ا . ه . وقد
 رثاه حفص بن الأحنف الكناني بعد أن وسّده بيديه وأمال عليه أحجاراً من الحرّة :

لا يبعدن ربيعة بن مكدّم	وسقى الغواذي قبره بذنوب
نفرت قلوب من حجارة حرة	بُنيتُ على طلقِ اليمين وهوب
لا تنفري ياناق منه فإنه	شَرابِ خمر مسعِرٍ لحروب
لولا السفار وبعده عن مهمه	لتركنها تحبو على العرقوب ⁽¹⁴⁾

إذن يمكن لقصائد الرثاء توليد مؤشرات دقيقة تتلقى بوساطتها صورة الفارس
 الفتي والفتى الفارس في مرآة ذلك العصر المضطرب لأن قصيدة الرثاء حريصة على
 تعداد مزايا المرثي ، لتكون مزايا (الفتوة - الفروسية) في طبيعتها إن لم تتوفر عليها
 كلها .. قالت الخرنق بنت بدر بن هفان أخت طرفة بن العبد ترثي زوجها بشر بن
 عمرو ورهطه الذين قتلوا معه في يوم قَلاب :

لا يبعدن قومي الذين همّ	سُمّ الغداة وآفة الجُرُزُر
النازلون بكلّ معتركٍ	والطيبّيون معاقد الأزر
الضاربون بحومة نزلت	والطاعنون بأذرع شُعُر
والخالطون نحيثهم بنضارهم	وذوي الغنى منهم بذوي الفقر

(14) الميداني ، جمع الأمثال 1/275 .

الصانع . عبد الإله ، الفارس ربيعة الكناني حمى قومه حياً وميتاً ، جريدة القادسية - بغداد ، العدد
 258 ص 6 في 1981/5/30 ، وانظر أيضاً بحثنا : الفتوة العربية (رؤية جديدة) ، جريدة
 الجمهورية - بغداد في 1985/8/23 .

إن يشربوا يهبوا وإن يذروا
 قوومٌ إذا ركبوا سمعت لهم
 يتوافظوا عن منطق الهجر
 لفظاً من التأييه والزجر
 في منتج المهرات والمهر⁽¹⁵⁾

وقد كانت الخنساء ، أكثر الشعراء دقة ومهارة في رسم صورة الفارس الفتي ، إذا جمعت كل السمائل المحببة في الرجل لدى النساء والرجال معاً والأبعاد والأقارب ، ومزجت ذلك بتجربتها الخاصة وحزنها الشخصي ورؤيتها للجبالين الخارجي والداخلي اللذين ينبغي توفرهما في الفارس الفتي !! وسنلاحظ توكيدها (الخنساء) على دلالات الفارس الفتي :

1- بكت عيني وعاودها قذاها
 على صخر وأي فتى كصخر
 فتى الفتيان ما بلغوا مداه
 لئن جزعت بنو عمرو عليه
 له كفّ يَشُدُّ بها وكفّ
 ترى الشَّمَّ الجحاجح من سليم
 على رجل كريم الخيم أضحي
 لبيك الخَيْرِ صخرًا من معدّ
 وخيلٍ قد لفتت بَجُولِ خيل
 ترَفَّعَ فضلُ سَابِغَةِ دِلاص
 وتسعى حين تشتجر العوالي
 فمن للضيف إن هبت شالّ
 وألجأ بردها الأشوال حُدْباً
 بعوَّارٍ فما تقضي كراها
 إذا ما الناب لم ترأْمَ طلاها
 ولا يكدي إذا بلغت كُداها
 لقد رزئت بنو عمرو فتاها
 تحلَّب ما يجفُّ ثرى نداها
 يبيلُ ندى مَدَامِيعِهَا لحاها
 يبطن حفيرة صخب صُداها
 ذووأحلامها وذوونُهاها
 فدارت بين كبشها رحاها
 على خيفانة خفقي حشاها
 بكأس الموت ساعة مصطلاها
 مزعزة تجاوبها صباها
 إلى الحجرات باديّة كُلاها

(15) الخرنوق بنت بدر ، ديوانها ق 4 ص 43 وبعدها ، تح : يسري عبد الغني ، طب دار الكتب

العلمية - بيروت 1990 .

فلم املك غداة نعي صخر
 أمطعمكم وحاملكم تركتم
 حذيفة لاسقيت من الغواصي
 كما أفجعتني بفقى كريم
 ليبيك عليك قومك للمعالي
 وقد فقدتك (طلقة) فاستراحت
 أعيني جودا ولا تجمدا -2
 ألا تبكيان الجريء الجميل
 طويل النجاد رفيع العما
 إذا القوم مدّوا بأيديهم
 فنال الذي فوق أيديهم
 ترى المجد يهوي إلى بيته
 وإن ذكر المجد ألفتيته
 يا عين مالك لا تبكين تسكابا -3
 فابكي أخاك لأيتام وأرملة
 وابكي أخاك لحيل كالقطا عصباً
 يعدو به سابح نهد مراكله
 هو الفقى الكامل الحامي حقيقته
 المجد حلتته والجود علتته
 خطاب محفلة فراج مظلمة
 حال ألوية قطّاع أودية
 سمّ العداة وفكاك العناية إذا

سوابق عبّرة حلبت صراها
 لدى غرباء منهدم رجاها
 ولا روتك هاطلة نداها
 إذا وزنت بنو عبس وفاها
 وللهيجاء إنك ما فتاها
 فليت الخيل فارسها يراها⁽¹⁶⁾
 ألا تبكيان لصخر الندى
 ألا تبكيان الفقى السيدا
 د سادّ عشرته أمردا
 إلى المجد مدّ إليه يدا
 من المجد ثم مضى مصعبدا
 يرى أفضل الكسب أن يحمدا
 تآزر بالمجد ثم ارتدى
 إذ راب دهرّ وكان الدهر ريتابا
 وابكي أخاك إذا جاوزت أجنابا
 فقدن لما ثوى سيباً وأنهاًبا
 مجلبب بسواد الليل جلبابا
 مأوى الضريك إذا ما جاء منتابا
 والصدق حوزته إن قرنه هابا
 إن هاب معضلة سنّى لها بابا
 شهاد أنجية للوثر طلابا
 لاقى الوغى لم يكن للموت هيابا⁽¹⁶⁾

(16) الحنساء . ديوانها ، النص الأول ص 96 ، والنص الثاني ص 35 ، والنص الثالث ص 22 ، تع

عبد السلام الحوفي ، طب دار الكتب العلمية بيروت (د : ت) !!

ولقد حبّدت الشاعرة الفارعة بنت شداد اختصار معاني الفتوة والفروسية في نص قوامه أربعة أبيات ، فحددت ذلك بـ (جماع كلّ خصال الخير) وهي إشارة باللغة الأهمية في مبحثنا هذا فالفارس التفي ليس المقاتل فقط بل هو المقاتل والكرّيم والشريف والأمين والحكيم والقادر على البناء والنقض معاً ، والنفع والإيذاء معاً بيد أنه ميال بطبيعته إلى التسامح والبناء والنفع قبل أي شيء آخر :

أبا زرارة لا تبعّد فكل فتى يوماً رهين صفيحات وأعواد
 نعم الفتى ويمين الله قد علموا يحلو به الحي أو يغدو به الغادي
 قوَال محكّمة نقّاض مبرّمة فتّاح مبهمّة حبّاس أورد
 جمّاع كل خصال الخير قد علموا زين القرين نكال الظالم العادي⁽¹⁷⁾

ولقد اختلط شعر الفروسية بكثير من فنون الشعر الجاهلي ، فأنت واجد الفارس في الغزل ، والحبيبة لا تحب الجبان ، وتعشق الجريء الذي تشدو بذكره الركبان ، وفي الفخر ، فإذا فخر الشاعر بنفسه ذكر مناقب الفارس وشمائله ، وفي المهجاء .. فالمهجو عادة ذو صفات تصلح لأن تكون تقيضاً لصفات الفارس ، فهو أي المهجو جبان في الحرب ، خوون في العشرة ، بخيل في الشدة ، صغير في نفسه وقومه . أما الرثاء فهو كما رأينا أقرب أغراض الشعر الجاهلي إلى معاني الفروسية ، فالندابات عادة يعدون مزايا الميت ويمتدحونه ، أما الشعراء والشواعر ، فهم يكتبون عن الفقيده بحرارة قد لا نجدّها في معظم أغراض الشعر ، وحين سئل عن سرّ هاتين الحرارة والمصداقية في شعر الرثاء أجاب : إننا نقول الرثاء وأكبادنا تتفطرّ ، ويظل المديح سبباً وجيهاً لرؤية شمائل الفارس في الممدوح ، فهو جدير بصفات المرثي بيد أنه حي يرزق .. فكل خصال الخير

= اللامي ، د. جبار عباس ، شعر المرأة في العصر الجاهلي ، انظر الفصل الأول ص 27 (الرثاء في شعر المرأة) ، طب مركز عبادي للدراسات والنشر - صنعاء 1998 .
 الصائغ . د . عبد الإله ، الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية ، انظر الفصل الثاني البيان الثالث ص 82 (صورة الفارس في ذهنية الحبيبة) ، طب المركز الثقافي العربي - بيروت / كازابلانكا 1997 .
 (17) غريب . جورج ، شاعرات العرب في الجاهلية ص 146 ، طب دار الثقافة بيروت 1984 .

والشجاعة والمروءة متوفرة في المدوح .. ولنا أن نقرب من صورة سلامي ذي فائش في عيني الأعشى .. فالناس أجناس منتعل وحاف شحيح وكريم ، لكن المدوح يعطي الكثير الكثير فهو يعطي دون منّة ، الفرس النهدي ، والجواري ، والعييد ، والإبل الضخام التي يتبعها أطفالها ، فإذا زاره ضيف أكرمه وأكرم مطيته ؛ جزاء لها بما عملت أخفأها وما لقيت من متاعب . فلو كان المدوح ينبوعاً لاجتمع مأؤه وتكاثر حتى يرتوي الناس فهو الولد النجيب لأبوين نجيبين ، والمدوح يفخر بشجاعته كما يفخر بمروءته ، لأنه ليث لدى الحرب فاستحق المديح قلادة له أو وساماً :

والناس شتى على سجائهم	مستوقحاً حافياً ومنتعلاً
بسيّر من يقطع المفاوز وال	بُعْدَ إلى من يثيُّه الإبل
يكرّمها ماثوت لديه ويج	زهباً بما كان خفها عملاً
أصبح ذوفائش سلامة ذوال	تفضال هشاً فؤاده جذلاً
أبيض لا يرهب المزال ولا	يقطع رخماً ولا يخون إلا
ياخير من يركب المطي ولا	يشرب كأساً بكف من بخلا
قلدتك الشعر يا سلامة ذا ال	تفضال والشيء حيثما جعل
لو كنت ماءً عداً جمت إذا	ماورد القوم لم تكن وشلا
أنجب أيام والديده به	إذ نجلاه فنعم مانجلا
هل تذكر العهد في تنص إذ	تضرب لي قاعداً مثلاً
ليث لدى الحرب أوتدوخ له	قسراً وبذّ الملوك مافعلاً ⁽¹⁸⁾

وقد وجدنا قواسم مشتركة بينه بين صورة المدوح وصورة المرثي فالمدوح تمجيد الحمي ، والرثاء تمجيد الميت ، وفي كلا التمجيدين ثمة الرجل الاستثنائي الخارج عن القطيع ، الفارس الذي يحقق حلم قومه ، فهو يجمع الساحة والنجدة والحزم والقوة وهو الألمي الذي يكون حدسه في الشخص البعيد عنه صادقاً كأنه رآه وسمعه فهو يتلف

(18) الأعشى . ديوانه ق 35 ص 285 وبعدها .

أمواله ليخلف السمعة الحسنة ، ولا شيء يكشف كرمه أكثر من فصل الشتاء حين يستشري الجوع والمرض بسبب من البرد والثلج اللذين يمنعان الناس من مغادرة بيوتهم ويقتلان الإبل والبقر .. فإذا الفتاة الكاعب الجميلة لا تجد ما تأكله فإن وجدت نسيبت أناعتها وجمالها وأنوثتها وأقبلت على الطعام كما يقبل السبع على الفريسة !! هذا الفارس الفقى الكريم هو قمر الليل وشمس النهار ، فإذا غاب بكاه الفتيان والفتيات وبكاه الحي جميعاً لأنهم لن يأمنوا الاعتداء عليهم بعد غيابه . قال أوس بن حجر وهو يصبر نفسه بعد أن خسر صديقاً عزيزاً كان مثلاً للفارس المحبوب !!

أَيْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعَا	إِنَّ الَّذِي تَحْذِرِينَ قَدْ وَقَعَا
إِنَّ الَّذِي جَمَعَ السَّمَاحَةَ وَالنَّجْمَ	سُدَّةَ وَالْحَزْمَ وَالْقَوَى جُمِعَا
الْأَلْمَعِي الَّذِي يَظُنُّ لَكَ الظَّنَّ	مَنْ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
وَالْمُخْلِيفَةَ الْمُتَلَفَةَ الْمَرْزَأُ ثُمَّ	يُمْتَعُ بَضْعِي وَلَمْ يَمِثْ طَبْعَا
وَالْحَافِظَ النَّاسِ فِي تَحْوِطٍ إِذَا	لَمْ يَرْسَلُوا تَحْتَ عَائِذِ رُبْعَا
وَأَزْدَحَمْتَ حَلَقَتَا الْبَطَانِ بِأَقْدَمِ	وَوَامٍ وَطَارَتْ نَفُوسُهُمْ جَزَعَا
وَعَزَّتْ الشَّمَالُ الرِّيَّاحَ وَقَدْ	أَمْسَى كَمِيعُ الْفَتَاةِ مُلْتَفِعَا
وَشُبَّتْ الْمَيْدَبُ الْعَبَامُ مِنَ الْوَالِدِ	أَقْوَامٍ سَقَبَا مَلْبَسَا فَرَعَا
وَكَانَتْ الْكَاعِبُ الْمُنْعَمَةُ إِلَى	حَسَنَاءُ فِي زَادِ أَهْلِهَا سَبْعَا
أَوْدَى وَهَلْ تَنْفَعُ الْإِشَاحَةَ مِنْ	شَيْءٍ لِمَنْ قَدْ يَحَاوِلُ الْبِدْعَا
لِيَبْكِكَ الشَّرْبُ وَالْمَدَامَةُ وَالْأَلِدُ	فَتِيَانُ طَرَأَ وَطَامِعُ طَمَعَا
وَذَاتُ هَيْذٍ عَارٍ نَوَاشِرْهَا	تُصْمِتُ بِالمَاءِ تَوَلِبَا جِدْعَا
وَالْحَيُّ إِذْ حَازَرُوا الصَّبَاحَ وَقَدْ	خَافُوا مُغَيَّرَا وَسَائِرَا تَلْعَا ⁽¹⁹⁾

والفارس إنسان ذكي ، نال نجوميته بذلكه ، فإذا مات مات كريماً ، وإذا عاش

(19) ابن حجر . أوس ، ديوانه ق 26 ص 53 وبعدها ، تح : د . محمد يوسف نجم ، مط دار صادر - بيروت

عاش حميداً ، وإذا وجد الفارس أن الرأي أنفع من الحرب فضّل الرأي .. ومعظم هموم
الفارس تتجلى في كيفية حفاظه على نسائه وعرضه ، فعنترة يدافع عن عرضه بحياته ،
ولا ينسى ذلك حتى وهو يبالي في شرب الخمر !!
وإذا شربت فإنني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم

أما عمرو بن معد يكرب الزبيدي يستشعر أحياناً أنه أضع شبابه في الشهرة
والفروسية ، فهو إنما يقاتل ليحفظ شرف سمعته وشرف حبيته بيد أنه يفاجأ بأن
الحرب قد ضغطت عليه ، وغيّرت ملامحه ، وعجلت في مشيبه :

أعاذل إنما أفنى شبائي ركوي في الصريخ إلى المنادي
أعاذل شكتي سفي ورعي وكلّ مقلص سلس القياد
ولو لاقيتني ومعى سلاحي تكشف شحم قلبك عن سواد
أريد حياته ويريد موتي عذيرك من خليلك من مراد
ويبقى بعد حلم القوم حامي وينفد قبل زاد القوم زادي⁽²⁰⁾

كان عمرو فارساً ، وابن فارس ، وحفيد فارس ، وقد فاتشه الخليفة عمر بن
الخطاب (رضي الله عنه) وقال له : ما الحرب ؟

فقال : مرة المذاق إذا قلّصت عن ساق ، من صبر فيها عرّف ، ومن ضعف عنها
تلف .

ثم سأله عمر عن السلاح ؟ فقال : الرمح أخوك وربما خانك ، والنبيل منايا تخطئ
وتصيب ، والترس هو الحن وعليه تدور الدوائر ، والدرع مشغلة للفارس متعبة
للراجل ، وإنما الحصن حصين⁽²¹⁾ .

(20) البصري . صدر الدين علي بن أبي الفرج ت 659 ، الحاسة البصرية ق 77 (35/1) ، طب عالم
الكتب - بيروت 1983 ، تح : مختار الدين أحمد .

(21) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء 240/1 .

ورجل فارس بمثل هذه الخبرة كان يتفادى الحرب ، لكنه يخوضها إذا اضطر إليها .. فهذه ليس حبيبتة الجميلة وقد فضحها أعداؤه .. (وكان الأمر جدًّا) !!

ليس الجمال بمزور فاختر وإن أردت بردا
إن الجمال معادن ومناقب أورثن مجدا
.. لما رأيت نساءنا يفحصن بالمعزاء شدا
وبدت لميس كأنها بدر الزمان إذا تبدى
وبدت محاسنها التي تخفى وكان الأمر جـدا
نـسـازلت كبشهم ولم أر من نزال الكبش بدا

ثم ينفثها أنثى حرى .. كيف جعلته الحرب يخسر أعزّ إخوانه وأصحابه ..
كم من أخ لي صالح وسدته ييـدى لـحدا
ذهب الـذـين أحبّهم وبقيت مثل السيف جـلدا⁽²²⁾

ولهذا السبب .. رفض هذا الفارس تحقير حبيبتة له ؛ لأنه فرّ في واحدة من المعارك غير المتكافئة التي دارت بين قومه وبني عبس ، وكنى لحبيبتة بـ (أم الحصين) وقد أنصف أعداءه بأنهم أقوىاء كأنهم يرتدون جلود النور .. وقد خرّقوا ترسه ، وقتلوا فرسه فلمس الأرض ، وما العيب في أن يفرّ يوماً في حياته وهو الشجاع الذي شهد أمسه له بها ؟

أجاعلة أم الحصين خزاية عليّ فراري أن لقيت بني عبس
لقيت أبا شأس وشاساً ومالكاً وقيساً فجاشت من لقائهم نفسي
كأن جلـود النـر جيبت عليهم إذا جمعوا بين الإناخة والحبس
أتونا فضموا جانبينا بصادق من الطعن فعل النار بالحطب اليبس
ولما دخلنا تحت فيء رماحهم خبطت بكفي أطلب الأرض باللمس

(22) الزبيدي . عمرو بن معد يكرب ، ديوانه ص 68 وبعدها ، تح : هاشم الطمان ، طبعة بغداد 1970 .

فأبت سليماً لم تمزق عمامتي
ولكنهم بالطعن قد خرقوا ترسي
وليس يعاب المرء من جبن يومه
وقد عرفت منه الشجاعة بالأمس⁽²³⁾

خصائص شعر الفروسية :

- 1 - التخفف من المقدمات الطللية ، والاستعاضة عن وقفة الأطلال بمخاطبة الحبيبة أو عتابها أو الفخر بالنفس أمامها ، وإشعارها أن الحروب التي يخوضها الفرسان ويعرضون فيها حياتهم للخطر إنما هي من أجل الحفاظ على شرف المرأة !!
- 2 - الإيجاز في القول وعدم الميل إلى التفاصيل الزائدة ، فثمة قيم عليا محدّدة يدور حولها الشعر ويعززها .
- 3 - سهولة العبارة ووضوحها مع اختيار إيقاعات قوية صاخبة للبحور والقوافي والحروف بما يعزز مقولة المشاركة الإيقاعية في جلاء الصورة والفكرة ..
- 4 - جل أغراض الشعر الجاهلي ممكن الاختراق من خلال فيض الفروسية والفراس محبوب الرجال والنساء والمعجائز والصبيان ، تتجلى صورته المشرقة من خلال الغزل والفخر والمديح والرثاء والهجاء ..
- 5 - لم نجد نصاً واحداً يعزّز فكرة الظلم والعتو ، فالفرسان بشر مشرقون ، وهم عادة يظلمون الظالم ، عمرو بن كلثوم حقر الملك عمرو بن هند .. هذا الإنسان المعتوه المفرور الغادر مثلاً .. والفرسان يصفحون عن الضعفاء وينجدون الصريخ ويترفعون عن الأسلاب والنظر في العورات !
- 6 - وشاع بين الفرسان فن الإنصاف ، فالمنصفات قصائد أنصف فيها الشعراء خصومهم ، وذلك أدنى لمجدهم ، لأن الانتصار على الجبان ليس انتصاراً وإنما الفخر أن ينتصر الفارس على البطل .. وهذا وعي إعلامي فيه الكثير من الفطنة .

(23) البصري . الحماسة البصرية 27/1 .

7 - التماهي الحاد بين دلالات الحماسة والفروسية والفتوة فهي الأثافي الثلاث التي يستقر عليها المثل الأعلى للفروسية ..

8 - اعتماد شعر الفروسية على تقنيات الصور الفنية ، فالشعر مولع بوصف المشاهد وكأننا نرى ونسمع ، ونذوق ، ونشم . كما حذق الشعر توصيف المشاعر الداخلية الفائرة ..

9 - الميل إلى المبالغة في المدح أو الهجاء أو الفخر أو الرثاء بما يجعل في ذهن المتلقي من الفارس مثلاً نادراً في الإقدام والمروءة .

10 - الاتكاء على آلية الحكاية في هتك مشاهد الحرب والصرخات والدم والرجال والسلاح والأسماء والمناخ من خلال الحركة والحدث والعقدة والمفارقة والحوار الواضح أو الحوار الذي يغيب طرفه الآخر .

11 - الإمعان في وصف عدة الحرب الفرس والفارس والدرع والبيضة والسيف والرمح والقوس .. إلخ وإضاءة حركتها داخل المشهد .

12 - مساهمة المرأة الجاهلية الشاعرة في صناعة نصوص الفروسية والتغني بشائيل الفارس بما يشكّل ظاهرة تستحق الدراسة والتعليل ..

13 - أنسنة الحصان وإسباغ الشاعر الإنسانية عليه ، فهو يتوجّع من الجراح ، ويتعاطف مع الفارس ، ويحاوره بعينييه ، وغالباً ما ينسب الفعل للفارس والمقصود الفارس ، فالخيل تقتل ، وتطحن ، وتفكر ، وتفر ، وتكرّ .. إلخ .

14 - نصوص شعر الفروسية أكثر عدداً من أي ضرب شعري آخر فثمة عشرات النصوص بل المئات ، كلها تتغنى بالفروسية والفتوة وتمجّد الخير . والدارس لهذه

النصوص الكثيرة يفاجأ بأنها تخبيء رغبة أكيدة في السلام .. وغالباً ما يكون الموت من أجل الحياة⁽²⁴⁾ .

-
- (24) كثيرة هي الكتب التي كرت كل فصولها لدراسة الفروسية ، أو الفتوة ، أو الحماسة ، أو كرت فضلاً أو مبحثاً .. نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر :
- 1 - ضيف . د . شوقي ، العصر الجاهلي ، طب دار المعارف بمصر 1960 .
 - 2 - القيسي . د . نوري ، الفروسية في الشعر الجاهلي ، طب دار التضامن بغداد 1964 .
 - 3 - البستاني . بطرس ، الشعر الجاهلي ، طب دار العلم بيروت 1965 .
 - 4 - الجبوري . د . يحيى ، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، طب بيروت 1972 .
 - 5 - القيسي . د . نوري ، ود . عادل البياتي ، ود . مصطفى عبد اللطيف ، تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، طب دار الحرية بغداد 1979 .
 - 6 - الحاج حسن . د . حسين ، أدب العرب في عصر الجاهلية ، طب المؤسسة الجامعية بيروت 1984 .
 - 7 - الصائغ . د . عبد الإله ، الصورة الفنية معياراً نقدياً ، طب دار الشؤون الثقافية بغداد 1987 .
 - الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية ، طب المركز الثقافي العربي بيروت 1997 .
 - 8 - اللامي . د . جبار عباس ، شعر المرأة في العصر الجاهلي موضوعاته وخصائصه الفنية ، طب مركز عبادي للدراسات - صنعاء 1998 .

الفصل السابع

الصعلكة وشعراؤها

يلف ظاهرة الصعلكة في العصر الجاهلي ضباب كثيف يحجب الرؤية أحياناً ، فقد درست بناهج مختلفة ، اقتصادية ، واجتماعية ، وجغرافية ، وإيديولوجية ، وفنية ، فكان لكل منهج عيناته الشعرية والنثرية التي يختارها ويهمل ماسواها ، ووثائقه التاريخية التي تعنيه دون غيرها ، فباتت الصعلكة صعلكات ، فن قائل : إن الصعاليك مجرد لصوص جعلوا رزقهم في السرقات ! إلى قائل : إنهم قتلة وفتاك ، يميلون إلى سفك الدماء البريئة ، ومن قائل : إنهم فئة ضالة ملعونة خلعتهم قبائلهم وطاردتهم وأهدرت دماءهم . إلى قائل : إنهم كوكبة تحلم بتوزيع الثروة والجاه بين الناس دون استثناء .. ومقاربتنا للصعلكة لا تدعي أنها قادرة على مخالفة الآراء وتفنيدها وتجهيلها وذلك أمر لا ينسجم مع الأخلاقية العلمية ، بله منهجنا الفني . ولسوف نتجنب - قدر الإمكان - وضع القاعدة أولاً ثم اللهاث وراء الشواهد ؛ لتنهض بالتعزيز والتعصيد .. بل ما نحاوله هو النظر إلى الصعلكة كما هي لا كما حملت من الدلالات . جاء في معظم المعجمات العربية أن الصعلوك هو الفقير الذي لا مال له ، ولا اعتاد ، قال حاتم الطائي :

غنينا زماناً بالتصعلك والغنى فكلاً سقانا ، بكأسيهما الدهر
فا زادنا بغيماً على ذي قرابة غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

وتصعلكت الإبل ، أي خرجت أوبارها وانجردت وطرحتها ، ورجل مصعلك الرأس مدوره أو صغيره ، وصعاليك العرب ذؤبانها ، وكان عروة بن الورد يسمى عروة

الصعاليك ؛ لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغنمه⁽¹⁾ .. ويبدو اقتران دلالة الصعلوك بالفقير والذئب ومصطلح (ذؤبان العرب يشير إلى صعاليكهم وشطّارهم . وقد ذؤب فلان ذأبة خبث كالذئب)⁽²⁾ وهكذا قرّت . الصعلكة في ذهنية الجاهلية حالة من التردّد على الفقر والقبيلة والأمن .. وغلبت صفة اللصوص عليهم ، وقد درس بلاشير الشعراء الصعاليك مثل الشنفرى ، وتأبط شراً ، والسليك بن السلكة السعدي ، والحارث بن ظالم المري ، وعروة بن الورد ، وفق عنوان (الشعراء اللصوص)⁽³⁾ .

وقال جرجي زيدان : « الشعراء الصعاليك هم طائفة من الشعراء اشتهروا بالعدو والإغارة على القبائل للنهب ، أشهرهم الشنفرى (ت 510 م) ، وتأبط شراً (ت 530 م) والسليك بن السلكة (ت 605 م) ، وعروة بن الورد (ت 596 م)⁽⁴⁾ .

أما بطرس البستاني فقد نظر إلى الصعاليك من منظور مختلف ، فزجهم (الصعاليك) بالعبيد والفرسان فكان عنوان الفصل الذي درسهم فيه هو (العبيد والصعاليك والفرسان) ، ولم يجد في نشاط الصعاليك ما يعكّر صفو الحياة الاجتماعية ، لأن الصعلكة واحدة من إفرزاتها . يقول بطرس البستاني : « فحرية الأفراد أقدس رمز في حرم القبيلة ، تؤلف منهم مجتمعاً اشتراكياً صغيراً ، تشد بعضه إلى بعض عصبية تعاونية نازلة من الأشراف إلى الصعاليك صاعدة من الفقراء إلى الأغنياء .. فالسيادة لها حدود والفقراء من أبناء القبيلة غير مستعبدين وإنما يستبعد من كانت أمّه أمة سوداء وإن كان أبوه من أشراف القبيلة ، فتعصب العرب للنسب الصريح وللون الأبيض جعلهم يسترقون كل أسود ، ويلقبونه بالغراب ، كما لقب عنترة والسليك ، وقد

(1) مثلاً انظر لسان العرب (صعلك) .

(2) الرمحشري . أبو القاسم جبار الله محمود بن عمر (ت 538 هـ) ، أساس البلاغة (ذاب) ، تح : عبد الرحيم محمود ، طب دار المعرفة - بيروت .

(3) بلاشير . د . ريجيس ، تاريخ الأدب العربي ص 315 وبعدها .

(4) تاريخ أدب اللغة العربية 141/1 .

استطاع السليك أن يحمر نفسه من رق العبودية بشجاعته مثلما استطاع عنتره ، عرف السليك فضل ربه ، وفضل شجاعته ، عندما رأى أولاد الإمام مستعبدين لا يعترف بهم أبواهم البيض إذا وجدوم ضعافاً .. وكان السليك فارساً شجاعاً وشاعراً مجيداً ، كما كان شأن عنتره .. وهؤلاء العبيد والصعاليك لا يقلون فخراً واعتداداً بالنفس عن السادات والأشراف ، يفزون على الخيول وعلى الأقدام ، ويهاجمون القوافل السائرة في بطن القفار ، فيفتكون ويغنون ، مباهين بشجاعتهم وكرمهم ؛ لأنهم يبذلون ما بأيديهم من الغنائم للفقراء والجائعين » (5) .

ثم يسأل د. عبد الحليم حفي : من الصعلوك ؟ ويتردد في الإجابة ، فيهد لها بالتوفر على دلالات الصعلكة في اللغة والاصطلاح والذهنية الجاهلية ليجيب بعد عن هذا السؤال على هذا النحو : « إن تعريف الصعلكة بقولنا هي احتراف السلوك العدواني بقصد المغنم شامل لجوانب الصعلكة ، ومانع غيرها من مشاركتها في التعريف » (6) . ولا نريد الاسترسال في الإحالات ، لأن موقف الدارسين منقسم على نفسه ، بين محقر للصعلكة ، وبين مقدر ، وهذا الاختلاف حالة صحية ، فرضها اختلاف المناهج والإيديولوجيات ، ليستطيع الدارس المحايد النظر إلى الصعلكة على أنها حالة بين موقفين فئمة صعاليك أمعنوا في الغدر والإيذاء والسي وإقلاق الأمن الاجتماعي مثل تأبط شراً ، وفي المقابل فئمة صعاليك ذوو مروءة ، فهم لا يغدرون ، ولا يظلمون ، حتى إن قبائلهم افتخرت بهم ، مثل عروة بن الورد ، وقولنا هذا ليس فتحاً علمياً .. فالنقائض سمة الحياة والحركة ففي كل مجموعة أو طبقة أو حرفة ، فئمة الإنسان الذي يؤثر الآخرين على نفسه والإنسان الآخر الذي يؤثر أطعامه على مصالح الآخرين ، فضلاً عن تعدد أساليب أولئك وهؤلاء نظافة أو اتساخاً !! لقد عرف العصر الجاهلي الصعلكة وشغل بحركتها بيد أنها لم تتبلور في ذهنيته وفق حديها النظري

(5) الشعر الجاهلي ص 69 .

(6) حفي . د. عبد الحليم ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ص 39 ، طب الهيئة المصرية العامة للكتاب

. 1987

والفعلية ، وقد وجد من يقاتها ويعدها مروقاً عن القيم النبيلة وكسراً لتقاليد القبيلة ، وتحدياً للسلطان ، فأباح البرمون بالصلعة لسكاكينهم نحر أي صعلوك يقع في قبضتهم ؛ لأن دماء الصعاليك مهدورة ، كما وجد من يتعاطف مع الصعاليك ويتفهم دوافعهم فيؤويهم أو يدافع عنهم .. ومن العمه القطع بشأن الصلعة واعتدادها حالة واحدة ، والظن بأن كل الصعاليك كانوا مستهترين لصوصاً فقط ، أو أصحاب قضية ودعاة مساواة فقط ، نعم هناك من انخرط في الصلعة ليعبث ويسرق ويسفك ، كما ينخرط نفر في حزبٍ ما للدوافع ذاتية تخصه ولا تخص الحزب .. ويرى د. شوقي ضيف أن القبيلة الجاهلية كانت مؤلفة من ثلاث طبقات :

- 1 - أبناؤها وهم الذين يربط بينهم الدم ، والنسب وهم عمادها .
- 2 - العبيد وهم رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة ، وخاصة الحبشة .
- 3 - الموالي وهم عتقاؤها ويدخل فيهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم ونفتهم لكثرة جناياهم وجرائمهم .

أما الخلع فكان معروفاً في تقاليد القبيلة التي تعلنه في الأسواق والنوادي والأحياء : « ومن هؤلاء الخلعاء طائفة الصعاليك ، وكانوا يمشون على وجوههم في الصحراء فيتخذون النهب وقطع الطريق سيرتهم ودأبهم .. على أن منهم من كان يظل في قبيلته لفضل فيه »⁽⁷⁾ ، ومهما يكن الأمر فإن الصعلوك إنسان لا يستطيع الانسجام مع قيم القبيلة وأعرافها ، فيترك الناس ويهم على وجهه في الفياقي والقفار ليواجه مصيره وحيداً⁽⁸⁾ فهو الباحث عن حريته الشخصية وليس الباحث عن الحرية الاجتماعية ، وحريته الشخصية فوق حرية المجتمع وأعلى من حياته⁽⁹⁾ ، والصعلوك إنسان مشاكس ، يستأنس بالوحشة ، ويستوحش من الناس ، وقد يشاكس الرحمة التي في أعماقه حتى

(7) العصر الجاهلي ص 97 .

(8) خليف . د . يوسف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ص 23 ، مط المعارف مصر 1959 .

(9) نالينو . كارلو ، تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية ص 72 ، لوبون . غوستاف ،

حضارة العرب ص 93 .

لا يلين ، واجداً هناءه في الذعر الذي يسببه للآخرين⁽¹⁰⁾ فإذا ضاق مكان القبيلة ، فإن مكانه لا يضيق وإذا زمان الناس ، فللصعلوك زمانه ، قارن عروة بن الورد :

إذا المرء لم يبعث سواماً ولم يرح
فلموت خير للفتى من حياته
وسائلة: أين الرحيل؟ وسائل
مذاهبه أن الفجاج عريضة
فلا أترك الإخوان ما عشت للردى
ولا يستضام الدهر جاري ولا أرى
وإن جارتني ألوت رياح بيتها
عليه ، ولم تعطف عليه أقاربه
فقيراً ، ومن مولى تدبّ عقاربه
ومن يسأل الصعلوك: أين مذاهبه
إذا ضن عنه بالفعال أقاربه
كما أنه لا يترك الماء شاربته
كن بات تسري للصديق عقاربه
تغافلت ، حتى يستر البيت جانبه⁽¹¹⁾

وهذه الأبيات لا تقدّم بين يدي الدارس صورة عن الصعلكة منفردة ، فهي شيء من الصعلكة والفروسية والمروءة ، وتلك سمة ربما انفرد بها عروة ، ذلك الفارس الشاعر الذي رعى الصعاليك وقادهم ، وحاول ضبط حركاتهم ، وزرع القيم العربية في نفوسهم فكان قد جعل من نفسه قدوة للصعاليك ، بيد أن الصعلوك إنسان ذاتي ، لا يرى إلا حنقه وثاراته :

وإني امرؤ عافي إنائي شركة
أتهزأ مني أن سمنت وأن ترى
وأنت امرؤ عافي إنائك واحد
بوجهي شحوب الحق والحق جاهد
وأقسم جسمي في جسموم كثيرة
وأحسو قراح الماء والماء بارد⁽¹²⁾

وأراد حاتم الطائي تأسيس منهج إغلاقي ثابت للصعلوك ، بحيث يغسل سمعته أمام الناس ، فهو كما سنرى في القصيدة اللاحقة ، يلوم عاذلتيه لأنها نصحتاه بضرورة حفاظه على أمواله التي بدأ بإتلافها ، قائلاً لها إن أخلاق الصعلوك ليست في إشباع

(10) أدونيس ، ديوان الشعر العربي 20/1 ، طب المكتبة العصرية - بيروت 1964 .

(11) ابن الورد ، عروة ، ديوانا عروة والسموءل ص 19 .

(12) نفسه ص 29 .

البطن ، وإكساء الجسد ، وكنز المال .. وإنما هي سبب مفضي إلى الحمد والمجد مذكراً
إياها بأن الدهر لم يسالم أحداً من قبله ولا بعده :

وعاذلتين هبتا بعد هجمة
تلومان ، لما غور النجم ضلة
فقلت وقد طال العتاب عليها
فإنك لا ماضى تدركانه
ففسك أكرمها ، فإنك إن تهن
أهن للذي تهوى التلاد ، فإنه
ولا تشقين فيه ، فيسعد وارث
وما ابتعثني في هواي لجابة
وذو اللب والتقوى حقيق إذا رأى
وعوراء ، قد أعرضت عنها فلم يضر
وأغفر عوراء الكريم ادخاره
ولا أخذل المولى وإن كان خاذلاً
وليل يهيم قد تسربت هوله
ولن يكسب الصلوك حمداً ولا غنى
يرى الخمص تعديباً وإن يلق شبعة
لحى الله صلوكاً مناه ومه
ينام الضحى حتى إذا ليله استوى
مقيماً مع المثرين ليس ببارج
ولله صلوك يساور مه
فقد طلبات لا يرى الخمص ترحة
إذا مارأى يوماً مكارم أعرضت

تلومان متلافاً ، مفيداً ، ملوماً
فقد لا يرى الإتلاف في الحمد مغرماً
ولو عذراني ، أن تبينا وتصرماً
ولست على مافاتني متندماً
عليك ، فبن تلفى لك الدهر ، مكرماً
إذا مت كان المال نهياً مقسماً
به ، حين تخشى أغبر اللون مظلماً
إذا لم أجد فيها إمامي مقدماً
ذوي طبع الأخلاق أن يتكرماً
وذي أود قومتته فتقوماً
وأصفح من شتم اللئيم تكرماً
ولأشتم ابن العم ، إن كان مفحماً
إذا الليل بالنكس الضعيف تجهما
إذا هولم يركب من الأمر معظماً
بيت قلبه ، من قلة الهم مئبها
من العيش أن يلقى لبوساً ومطعماً
تنبه مثلوج الفؤاد ، مورماً
إذا كان جدوى من طعام ومجماً
ويمضي على الأحداث والدهر مقدماً
ولاشبعة إن نالها ، عد مغناً
تيم كبراهن ثمت صمماً

ترى رمحةً ونبله ومجنه وذا شطب عضب الضريبة، مخدما
وأحناء سرج فاتر ولجامه عتاد فتى هيجا وطرفا مُسوما⁽¹³⁾

هذه القصيدة قوامها أربعون بيتاً ، بدأت غزلية ظللية ، واستغرقت باستهلاكها تسعة أبيات ، ثم اصطنع حاتم حواراً بينه وبين صاحبتيه ، لينهي إلينا أخلاق الصعلوك التي تجمع بين الكرم والشمم والفروسية وذلك أمرٌ يحيلنا إلى سؤال مهم وهو : هل عنى حاتم أولئك الصعاليك الذين يسكنون بين المضائق والكهوف والفجاج ويقطعون الطرق على السابلة ؟ والجواب : نعم ، ولكن !! هو لم يمدح الصعاليك ولكنه ينصحهم بالتخلُّق بأخلاق العرب في الكرم والمروءة والأمانة وذلك جانب تربوي ، فحاتم وعروة وهما ليسا فقيرين أو مخلوعين أرادا احتواء هذه الكوكبة الغاضبة من الفتيان الشجعان وترسيم خطاها وتقويم شبائلها .. وفق نظرة تربوية أبوية .. وقد لاحظ أحد الشايب هذا التناقض بين ما يفعله الصعلوك من الأذى بالآخرين وبنفسه ، وبين ما يزعمه في شعره من سجاياه وهمومه الوجودية وأقرّ أن التناقض بين الفعل والقول ظاهرة صعلوكية⁽¹⁴⁾ ، وهذا الرأي مشاكل ، ولانقول متابع لرأي غوستاف لوبون الذي أورد فيما أورد رأي (ديفرجة) الذي يؤسس أن الصعلكة جمع بين النقيضين الكرم والسرقة والمروءة والقتل فكأن الصعلوك مصاب بانفصام الشخصية بسبب القهر⁽¹⁵⁾ .

الصعاليك فتية غاضبون ، وجدوا المسافة شاسعة بين حلمهم وواقعهم ، بين نظرهم إلى أنفسهم ونظرة قومهم الدونية إليهم ، فهم صرخة احتجاج ضد زمن القبيلة وقيمتها ، فالصعاليك على هذا النحو ليسوا فقراء فحسب وآية ذلك غنى بعضهم . وثرأ فقرائهم بعد غزواتهم المباغته للأحياء الثرية . وهذا الغنى لم يعدهم إلى زمان القبيلة أو مكانها أو

(13) الطائي . حاتم ، ديوانه ، حرف الميم ص 79 وبعدها ، تح : عادل سليمان ، مط المدني - القاهرة .

(14) الشايب . أحمد ، الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني ، طب السعادة بصر 1976 .

(15) لوبون . غوستاف ، حضارة العرب ص 92 .

قيها ، بل كان سبباً في الإمعان والمبالغة ، فهم في نظر أنفسهم شجعان أقوياء ذوو حس مرهف ، واستغلوا المبدأ العسكري ، وهو الإقلاق والاستنزاف لمعسكر القبيلة ، وبخاصة الأثرياء ، فكان الأثرياء يساومونهم وينحونهم التعويضات مقابل أمنهم وأموالهم ، وقد ساعد الصعاليك على الاستمرار في حركتهم طبيعة الجزيرة العربية ، من جبال وكهوف وبطاح وأحراش ومفازات ، فضلاً عن قدرات خاصة لدى هؤلاء الغاضبين من نحو سرعة الجري حتى كان الراكض الراجل منهم يلاحق الفارس وينزله عن فرسه ومن نحو الصبر على الجوع ، والعطش ، والمرض ، والخبرة بطرق الصحراء . فانعكس ذلك على شعرهم مما خلق صوراً فنية عالية القيمة⁽¹⁶⁾ ، وقد ينضم إلى فريق الصعاليك نفر من الفتيان الفاشلين ، والمنبوذين ، والمعوقين . وليس بمقدور الدارس المتأني القول بأن الصعاليك ذوو برنامج إصلاحى أو فكر سياسي ، أو منهج تنويري ، فهذا القول مجانب لطبيعة الحياة العربية عهد ذاك .. وقفزاً فوق قوانينها الحضارية ، وربما راقت كلمة (صعلوك) لكثير من الشعراء حين تدل على الفقر والصبر والشطارة ، ولم يفكروا في أبعادها الحربية ، وهذه أبيات نشاهد من خلالها نزق الأعشى وتصايبه ، وقد جاوز الثمانين ، فهو يتشبه بالفتيان الصعاليك الذين لا يفكرون في العواقب ، وإنما يحصرون تفكيرهم في اللحظة التي يميجونها .. والأعشى يتكلم عن الخمرة مباحياً بخبرته في أوقاتها وأنه شربها غنياً وصعلوكاً بيد أنه أذكى من أن يلمس الأفعى بيده !!

لنا من ضحاها خبث نفس وكأبه	وذكرى هموم ما تُغيبُ أذاتها
وعند العشيّ طيبُ نفس ولذة	ومال كثيرٌ غدوةً نشواتها
على كلِّ أحوالِ الفتى قد شربتها	غنياً وصعلوكاً وما إن أقاتها
أبا مسمع إني امرؤ من قبيلة	بني لي مجداً موتها وحياتها

(16) الصائغ . د . عبد الإله ، الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام انظر مبحث (الهرب من أهل الزمان

ورموزه نحو المغامرة) ص 263 .

الحوفي . د . أحمد ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ص 91 .

جياووك . د . مصطفى ، الحياة والموت في الشعر الجاهلي ص 52 ، طب دار الحرية بغداد 1977 .

فلاتلمس الأفعى يداك تريدها ودعها إذا ما غيبتها سفاتها
كفى قومه شيبان أن عظيمه متى تأته تؤخذ لها أهباتها
إذا روج الراعي اللقاح معجلاً وأمست على آفاقها غبراتها
أهنا لها أموالنا عند حقها وعزت بها أعراضنا لأنفاتها⁽¹⁷⁾

وقريب من الهم المركزي الذي بنى عليه الأعشى تائيته هم رائية حاتم ، وقد اكتشف الطائي أن الحوار مع المرأة التي تعذله على كرمه وصلعته مما يهين له قول أشياء كثيرة ، ليفخر بنفسه ويزهو من جهة وليرسم لنا صورة لتلك العاذلة لا تبعد كثيراً عن قصر النظر والميل إلى الشح ... إذ هو يخاطب زوجه ماوية أو حبيبتة .. مكرراً اسمها في روعنا !!

أماوي قد طال التجنب والهجر وقد عذرتني من طلابكم العذر
أماوي إن المال غاد ورائحُ ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماوي إني لأقول لسائل إذا جاء يوماً حلّ في مالنا نزر
أماوي إمّا مانع فبيّن وإما غطاء لا ينهنه الزجر
أماوي ما يغني الثراء عن الفقى إذا حشرجت نفساً وضاق بها الصدر
أماوي إن يصبح صداي بقفرة من الأرض لا ماء هناك ولا خر
تري أن ما أهلكك لم يك ضربي وأن يدي مما بخلت به صفر
أماوي إني ربّ واحد أمّه أجرتُ ، فلاقتل عليه ولا أسر
غنيانا زماناً بالتصملك والغنى كما الدهر في أيامه العسر واليسر
كسينا صروف الدهر ليناً وغلظة وكلا سقانا بكأسيهما الدهر
فا زادنا بأوأ على ذي قرابة غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر⁽¹⁸⁾

(17) الأعشى . ديوانه ق 10 ص 135 وبعدها .

(18) الطائي . حاتم ، ديوانه ص 50 وبعدها .

والصلوك في أحسن أحواله عاتب على قومه وأهله ؛ لأنهم ضيعوه ولم يعرفوا قدره ، وسواء في ذلك بنو أبيه أو بنو أمه ، فلماذا يرضخ لهؤلاء وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى ، ويمجد الشنفرى مرارة في حلقة وغصة حين يتذكر أن الحيوانات أكثر وفاء من أهله ، فالحيوانات لا تهتك السر ، ولا تخذل بعضها ، ثم يفخر بنفسه على طريقة الصعاليك في إغاظة خصومه أو أهليه :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فقد حمت الحاجات والليل مقرر وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى لعمرك ما بالأرض ضيق على امرئ ولي دونكم أهلون : سيد عمّس هم الأهل لا مستودع السر ذائع وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن وما ذاك إلا بسطة عن تفضل وإني كفاني فقد من ليس جارياً ثلاثة أصحاب : فؤاد مشيع أديم مطال الجوع حتى أميته وأستف ترب الأرض كيلا يرى له	فإني إلى قوم سواكم لأميل وشدت بطيات مطايا وأرحل وفيه لمن خاف القلى متعزل سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل وأرقط زهلولة وعرفاء حيئل لديهم ولا الجاني بما جرّ يخذل بأعجلهم إذ أشجع القوم أعجل عليهم وكان الأفضل المتفضل بحسنى ولا في قريبه متعلل وأبيض إصليت ، وصفراء عيطل وأضرب عنه الذكر صفحاً فأذهل علي من الطول امرؤ متطول
--	--

ثم يغلب الطبع على التطبع ، فيعترف الشاعر بما جرّه من المصائب على الناس الذين غزاهم في الظلمة الممطرة ، فقتل الرجال وجعلت النساء أيامى ، وأيتم الأولاد :

دعست على غطش وبغش وصحبي فأيتم نسواناً وأيتم إلة	سعاراً وإرزيز ووجر وأفكل وعدت كما أبدأت والليل أيل ⁽¹⁹⁾
--	---

(19) العكبري . أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت 616 هـ) ، شرح لامية العرب ص 16 وبعدها ، تح :

د . محمد الحلواني ، طب دار الآفاق الجديدة - بيروت 1983 .

وقد عنّ بعدها لتأبط شراً أن يرثي الشنفرى بشعره ، فهو موقن أن لأحد سيبكي عليه أو يتذكر مزاياه فقال :

على الشنفرى سار الغمام فرائح
عليك جزاءً مثل يومك بالجبا
تجمل سلاح الموت فيهم كأنهم
فيكفي الذي يكفي الكريم بحزمه
فإن تك نفس الشنفرى حمّ يومها
فما كان بدعاً أن يصاب فمثله
قضى نخبه مستكثراً من جميله
يجمّ جموم البحر طال عبابه
لئن ضحكت منك الإمام لقد بكت
ومرغبة شاء أقمعت فوقها
وإنك لو لاقيتني بعدما ترى
وأجل موت المرء إذ كان ميتاً
وخفض جأشي أن كل ابن حرة
فلا يبعدن الشنفرى وسلاحه الـ

غزير الكلى وصيب الماء باكر
وقد رعت منك السيوف البواتر
لشوكتك الحدى ضئيل توافر
ويصبر إن الحر مثلك صابر
وراح له ما كان منه يحاذر
أصيب وأم المنجنون الغوادر
مقلًا من الفحشاء والعرض وافر
إذا فاض منه أول جاش آخر
عليك فأعولن النساء الحرائر
ليغم غاز أو ليدرك ثائر
وهل يلقي من غيبته المقابر
ولا بد يوماً موته وهو صابر
إلى حيث صرت لأحالة صائر
حديداً وشدّ خطوه متواتر⁽²⁰⁾

وقد لاحظنا لوعته من ضحك النساء وشماتتهن حين سمعن بموت الشنفرى ، ودعاهن بالإمام ، لكي يرسم لنا صورة أخرى للحرائر اللواتي يعرفن قدره فيبكين عليه .

(20) الميني . عبد العزيز ، الطرائف الأديبة (ديوان الشنفرى) ص 28 ، طب دار الكتب العلمية - بيروت ، والقصيدة موجودة في ديوان تأبط شراً وأخباره ق 10 ص 78 وبعدها ، تح : علي ذوالفقار شاكر ، طب دار الغرب الإسلامي - بيروت 1984 .

وقد اضطردت فكرة مخاطبة الصعلوك للمرأة زاجرة أو مزجورة قالية أو موموقة ! قارن الشنفرى :

- أ- دعيني وقولي بعد ما شئت إنني
خرجنا فلم نعهد وقتل وصاتنا
سراحين فتيان كأن وجوههم
ب- لا تحسبيني مثل من هو قاعد
إذا انفلتت مني جواد كريمة
ج- نأت أم قيس المربعين كليها
وإنك لو تدرين أن رب مشرب
وردت بمأثور يمان وضالة
د- ألا هل أتى فتيان قومي جماعة
ولو علمت تلك الفتاة مناسبي
أليس أبي خير الأواس وغيرها
إذا ما أروم الوؤد بيني وبينها
هـ- إذا ما جئت ما أنكك عنه
فأنت البعل يومئذ فقومي
- سيفدى بنعشي مرة فأغيب
ثمانية ما بعدها مستعتب
مصاييح أو لون من الماء مذهب
على عثة أو واثق بكساد
وثبت فلم أخطئ عنان جوادي
وتحذر أن ينأى بها المتصيف
مخوف كداء البطن أو هو أخوف
تخيرتها مما أريش وأرصف
بما لطمت كف الفتاة هجينها
ونسبتها ظلت تقاصر دونها
وأمي ابنة الخيرين لو تعلمينها
يؤم بياض الوجه مني يمينها
فلم أنكر عليك فطلقيني
بسوطك لأبالك فاضربيني⁽²¹⁾

وقد أنجز الشنفرى تائية أودعها رؤيته لجمال المرأة ثم روى لنا لقاءه بأمية فأنفق في ذلك ثمانية عشر بيتاً ، وفي البيت التاسع عشر أشاد بصديق دربه تأبط شراً ، فشبّهه بأم العيال .. والعيال هم الصعاليك ، أما جو القصيدة فقد ذكره المحققان في هامش القصيدة ولن يريد الاستزادة قراءة ذلك ..

ألا أمّ عمرو أجمعت فاستقلت
وما ودّعت جيرانها إذ تولت
وقد سبقتنا أم عمرو بأمرها
وكانت بأعناق المطي أظلت

(21) الطرائف الأدبية (ديوان الشنفرى) ص 32 ، ص 42 .

ففضتُ أموراً فاستقلت فولت
طمعتُ فبهها نعمة العيش زلت
إذا ذُكرتُ ولا بذاتٍ تفلت
إذا ما مشت ولا بذاتٍ تلفت
لجارتها إذا الهدية قلت
إذا ما يوت بالذمة خلّت
على أمها وإن تكلمك تبت
إذا ذكر النسوان عفت وجلّت
مآب السعيد لم يسأل أين ظلّت
فلو جنّ إنسان من الحُسن جنّت
بريحانة ريمتُ عشاءً وطلّت
لها أرج ما حولها غيرُ مسنت
ومن يغمرُ يغمر مرةً ويشمت
وبين الجبا هيئات أنشأت سرتي
لأنكي قوماً أو أصادفُ حمّي
يقربني منها رواحي وغدوتي
إذا أطعمتهم أوتحت وأقلت
ونحن جوعاً أي آل تآلت
ولكنها من خيفة الجوع أبت
ولا ترجمي للبيت إن لم تبيّت
ولم تذرْ خالاتي الدموع وعمّي
إذن جاءني بين العمودين حمّي

بعيني ما أمست فباتت فأصبحت
فواكبداً على أمية بعدما
فيا جارتني وأنت غيرُ مليمة
لقد أعجبتني لاسقوطاً قناعها
تبيت بعيد النوم تهدي غبوقها
تحل بمنجاة من اللوم بيتها
كان لها في الأرض نسيأ تقصه
أمية لا يخزي نساها حليلها
إذا هو أمسي أب قرّة عينه
فدقت وجلّت واسبكرت وأكلت
فبتنا كأن البيت حجر فوقنا
بريحانية من بطن حلية نورت
وباضعة حر القسي بعثها
خرجنا من الوادي الذي بين مشعل
أمشي على الأرض التي لن تضّرني
أمشي على أين الغزاة وبعدها
وأم عيال قد شهدت تقوتهم
تخاف علينا العيل إن هي أكثرت
وما إن بها ضن بما في وعائها
مصعلكة لا يقصر السّردونها
إذا ما أتني ميتي لم أبالها
ولو لم أرم في أهل بيتي قاعداً

وإني لخلوّ إن أريدت حلاوتي ومُرّ إذا نفس العزوف استمرت
أبيّ لما أبي سريع مباءتي إلى كلّ نفس تنتحي في مسرتي⁽²²⁾

أما تأبط شراً ، فقد حيكت حول حياته ومغامراته الأكاذيب والمبالغات قارن
أسماء إخوته (ريش لغب ، ريس نسر ، كعب جدر ، لا بواكي له) !!

أما حكاية لقبه فيذكرها الأصبهاني : « كان رأى كبشاً في الصحراء فاحتمله تحت
إبطه فجعل يبول عليه طول طريقه فلما قرب من الحي ثقل عليه الكبش فرمى به فإذا
هو غول ، فقال له قومه : ماتأبطت يا ثابت ؟ قال الغول : لقد تأبط شراً . وحكاية
أخرى تؤول اللقب : « ومضى فصاد أفاعي كثيرة من أكبر ما قدر عليه ، فأتى بهن في
جراب متأبطاً به فألقاه بين يدي أمه ففتحته فتساعين في بيتها فوثبت ، وخرجت ،
فقال لها نساء الحي ماذا أتاك به ثابت ؟ فقالت أتاني بأفاع في جراب ، وقلن لها
وكيف حملها ؟ قالت لهن تأبطها ، فقلن : لقد تأبط شراً ، فلزمه تأبط شراً »⁽²³⁾ .

ويبدو أن تأبط شراً مغتبط بما أشيع حول لقبه ومغامراته فكان يزعم أنه يصادق
نساء الغول ، أو يتزوجهن ، فكأنه يتباهى أمام صاحبه بأنه مازال محبوباً ، وإن
شاب شعره وبات يفناً حوقلاً :

أرى ثابتاً يفناً حوقلاً	تقول سليبي لجاراتها
ألفّ اليدين ولا زملاً	لها الويل ما وجدت ثابتاً
إذا بادر الحملّة الهيضلا	ولا ريش الساق عند الجراء
ويكسو هواديهما القسطلا	يفوت الجياد بتقريبه
كما أجتابت الكاعب الخيعلا	وأدهم قد جبت جلبابه
ومزق جلبابه الأيلا	إلى أن حدا الصبح أثناء

(22) الضي . المفضل ، المفضليات رقم 20 ص 108 وبعدها .

(23) الأصبهاني . الأغاني (كتبخانة) 209/18 .

فبت لها مدبراً مقبلاً
فيا جارتا أنتِ ما أهولا
بوجه تهول فاستغولا
فولت فكنت لها أهولا
سفاسف قد أخلق المحملاً
فحدّ ولم أره صيقلاً
من ورقِ الطلح لم تغزلاً
فإن لها باللوى منزلاً
واحر إذا قلت أن أفعلاً⁽²⁴⁾

على شيم نار تنورتها
فأصبحت والغول لي جارة
وطالبتها بضعها فالتوت
فقلت لها يا انظري كي تري
فطار بقحف ابنة الجن ذو
إذا كل أمهته بالصفاء
عضاءة قفري لها حلتان
فمن سأل أين ثوت جارتني
وكنت إذا ماهمت اعترمت

وقال أيضاً :

ماطل فيه سماكي ولا جادا
ولا الظلم به يبغي تهبادا
بكر تنازعني كأساً وعنقادا
عصر المشيب فقل في صالح بادا⁽²⁵⁾

أنا الذي نكح الغيلان في بلد
في حيث لا يصمت الغادي عمايته
وقد هوت بمصقول عوارضها
ثم انقضى عصرها عني وأعقبه

أما نونيته فقد بناها على آلية الحكاية وأدار صراعاً بينه وبين أنثى الغول !!

بما لا قيت عند رحي بطلان
بسهب كالصحيفة صححان
أخو سفر فخلّي لي مكاني
لها كفي بمصقول يماني
صريعاً لليدين وللجران
مكانك إنني ثبت الجنان

ألا من مبلغ فتیان فهُم
بأني قد لقيت الغول تهوي
فقلت لها: كلانا نضوأمين
فشدت شدة نحوي فأهوى
فأضربها بلادهش فخرت
فقلت: عد، فقلت لها رويداً

(24) تأبط شراً . ديوانه ق 27 ص 162 وبعدها .

(25) نفسه ق 9 ص 77 .

فلم أنفك متكئاً لديها لأنظر مصباحاً ماذا أتاني
 إذا عينان في رأس قبيح كرأس الهرّ مشقوق اللسان
 وساقاً مُخَدَج وشوأة كلب وثوباً من عباء أو شنان⁽²⁶⁾

ولم يكن السليك بن السلكة رقماً مهملاً في قائمة الصعاليك والعدائين فهو ابن أمة سوداء ، هي السلكة ، وهو أحد العدائين الذين كانوا لا يلحقون ، ولا تعلق بهم الخيل إذا عدوا ، وهم السليك والشنفرى وتأبط شراً ، وعمرو بن براق ، ونفيل بن براق .

وكان السليك إذا جاء الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ، ثم دفنه فإذا جاء الصيف وانقطعت إغارة الخيل بسبب شحة الماء أغار ، وفاجأ السابله أو الأحياء . وكان كما يقول الأصبهاني (134/18) أدلّ من فطاة . يجيء حتى يقف على البيضة ، وكان لا يغير على مضر وإنما يغير على اليمن ، وكان يقول حين يناجي ربه : « اللهم إنك تهيب ما شئت لما شئت إذ شئت ، اللهم لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ولو كنت امرأة كنت أمة ، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة فأما الهيبة فلا هيبة » .

وقد رويت في احتماله القرّ والقيظ . حكايات عجيبة ، وقد ضجّت الأحياء من بطشه وفتكه وكثرة غزواته ! وكان له صديق اسمه (سرد) ضلت ناقته في جوف الليل ، فخرج في طلبها فلقيه فرسان من مراد وخنعم فأسروه ومضوا .. فاعترضهم السليك وأسرقائدهم (قيس بن مكشوح) ، واستولى على نعمهم وأموالهم وسبي أم صرف بنت عوف الخثعمية ، واستردّ صديقه سرداً ، وقد قسّم الغنائم بين أصحابه من الصعاليك :

بكي سرد لما رأى الحي أعرضت مهامه رمل دونهم وسهوب
 وخوفه ريب الزمان وفقره بلاد عدو حاضر وجدوب
 فقلت له : لاتبك عينك إنها قضية ما يقضي لها فتشوب

(26) نفسه ق 44 ص 222 وبعدها .

رددت عليه نفسه فكأنما تلاقى عليه منسروا وسروبا
 فا ذرّ قرن الشمس حتى رأيتة مصاد المنايا والغبار يثوبا
 وضاربتُ عنه القوم حتى كأنما يصعد في آثارهم ويصوبا

وقد خطط كثير من الأحياء لمقتل السليكم والتخلص من أذاه ورسدوا المال والرجال لهذه المخططات ، بيد أن السليكم بذكائه ودهائه كان يفلت من الموت ويكبّد الكامنين له خسائر كبيرة .. إلى أن جاء يوم أغار فيه السليكم على حي مالك بن ضبيعة فلم يجد عندهم شيئاً يغنم ، وفكرّ فتيان الحي بمنازلته أو ملاحقته فقال لهم شيخهم : لا تفعلوا ذلك فهو إذا عدا لم يستطع أسرعكم اللحاق به ، دعوه حتى يرد الماء فإذا شرب وثقل لم يستطع العدو وظفرتم به ، فسمعوا كلام الشيخ ، وأمهلوا السليكم حتى ورد الماء وشرب ففاجؤوه وأحاطوا به ، فلما أدرك أنه وقع في الفخ وأنه ميت لا محالة ابتسم في وجوههم ، ودخل أحد بيوتهم ليستنجد بأهل البيت . وعادة العرب أن يحمي صاحب البيت من استجار به . ولم يجد السليكم أحداً سوى امرأة اسمها فكيهة ، فاستجار بها فقالت له : أبشر لن يمك أحدٌ بسوء . وأدخلته تحت عباها وامتشقت السيف وناضلت دون السليكم فكاثروها وأدركت أنهم خاذلوها وقتلوه فكشفت شعرها وصدرها واستغاثت بإخوتها ودافعوا عن السليكم إكراماً لأختهم ونجا السليكم من القتل فقال :

لعمر أيبك والأنباء تنمى لنعم الجار أخت بني عوارا
 من الخفرات لم تفضح أباهها ولم ترفع لإخوتها شنارا
 كأن مجامع الأرداف منها تقىّ درجت عليه الريح هارا
 يعاف وصال ذات البذل قلبي ويتبع المنعمة النوارا
 وما عجزت فكيهة يوم قامت بنصل السيف واستلبوا الحمارا

وذكر الأصبهاني (137/18) أنه سابق في شيخوخته أربعين شاباً وقد سبقهم مع أنه أثقل جسمه بالدروع الثقيلة إمعاناً في التحدي .

وقد بلغ الأمر بالسليك أنه استحقر الفرسان لقوته ، واستخفّ بطلبهم لدمه لأنه
 ماكر .. فأغار على حيّ .. وأراد العودة إلى مغارته في الجبل فلقي قافلة من خثعم
 وفيها شابة بضة فسألها عن الطريق فأخبرته فأراد أن يتسنىها (يعتدي عليها)
 فاستغاثت بقومها فهرب فلحقه (أسد الخثعمي) فأدركه فقتله وقال :

إني وقتلي سليكاً ثم أعقله — كالثور يضرب لما عافت البقر
 إني لتارك هامات بمجزرة لا يزدهيني سواد الليل والقمر
 أغشى الحروب وسربالي مضاعفة تغشى البنان وسيفي صارم ذكر⁽²⁷⁾

وقول السليك :

يعاف وصال ذات البذل قلبي ويتبع المنعمة النوارا

فيه قراءة لطبيعة السليك إن لم تقل لطباع الصعاليك .. فالقول كناية حاذقة
 تكشف زهدهم بالحياة الرخية المطمئنة ، ولوعهم بالحياة الصعبة التي يكتنفها الموت !!
 وقد رثته أمه مرّ الرثاء فقالت :

طاف يبغي نجوة من هلاك فهلـك
 ليت شعري ضلـة أي شيء قتلـك
 أمريض لم تعد أم عدوً ختلـك
 أم تولى بك ما غال في الدهر السلـك
 والمنايا رصد للفقى حيث سلسـك
 أي شيء حسن للفقى لم يكـ لك
 كل شيء قاتل حين تلقى أجلـك
 إن أمراً فادحاً عن جواي شغلـك
 ليت نفسي قدّمت للمنايا بدلـك⁽²⁸⁾

(27) الأغاني 137/18 وبعدها .

(28) التبريزي . أبو زكريا يحيى بن علي (ت 502) ، شرح ديوان الحماسة (378/1) ، تح : محمد =

لقد أرهق الصعاليك أنفسهم فهم مخيفون وخائفون ، فكان نومهم قليلاً واطمئنانهم ضئيلاً ، قال عمرو بن براق :

متى تجمع القلب الذكي وصارماً وأنفأً حميماً تجتنبك المظالم
متى تطلب المال الممنوع بالقنفا تعش ماجداً أو تخترمك الخارم
وكيف ينام الليل مَنْ جُلَّ ماله حسام كلون الملح أبيض صارم
ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم قليل إذا نام الخليُّ المسالم

وقد أعجب ذواقو الشعر بقصائد الصعاليك وحرارة صورها الفنية وجزالة أسلوبها ، وصدق تجربتها ، بيد أنهم كانوا لا يحبذون قراءتها لصبيانهم ؛ لأنها تحبذ الاغتراب عن الأوطان فقد قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لمعلم أولاده : لا تروهم قصيدة عروة التي يقول فيها :

دعيني للغنى أسمى فإني رأيت الناس شرهم الفقير

فشعر عروة يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم⁽²⁹⁾ وقد أعجب عبد الملك بن مروان (ت 86) وهو في زعمنا في طليعة متذوقي الشعر وتقاده ، أعجب بعروة وشعره معاً فقد قال : ما يسرني أن أحداً من العرب ممن ولدني لم يلدني إلاّ عروة ، لقوله :

وإني امرؤ عافي إنائي شركة وأنت امرؤ عافي إنائك واحد
أتهزأ مني إن سمت وأن ترى بجسمي شحوب الحق والحق جاهد
أفرق جسمي في جسوم كثيرة وأحسوقراح الماء والماء بارد

وقال عبد الملك أيضاً : من زعم أنّ حاتماً أسمع الناس فقد ظلم عروة بن الورد⁽³⁰⁾ ولماذا نبعد كثيراً .. فقد كان النبي الأمين ﷺ يقدر حاتماً . وجاء في الأغاني أن سفانة

= محي الدين عبد الحميد ، طب حجازي مصر 1938 .

ابن منقذ . أسامة (ت 584) ، لباب الآداب 182 ، طب دار الكتب العلمية بيروت 1980 .

(29) الأغاني 184/2 .

(30) الأغاني 182/2 .

ابنة حاتم حين وقعت في الأسر واستعرض النبي الأسرى خاطبته قائلة : يا محمد ! هلك
الوالد ، وغاب الوafd ، فإن رأيت أن تخلي عني فلاتشمت بي أحياء العرب ، فإنني بنت
سيد قومي ، كان أبي يفك العاني ويحمي الذمار ، ويقري الضيف ، ويشبع الجائع ،
 ويفرّج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط أنا
بنت حاتم طيء . فقال رسول الله ﷺ : يا جارية هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك
إسلامياً لترجمنا عليه ، خلوا عنها فإن أباهها كان يجب مكارم الأخلاق والله يجب مكارم
الأخلاق⁽³¹⁾ .

خصائص شعر الصعاليك :

- 1 - زهد الصعاليك باصطناع المقدمات الطللية والبكاء والاستبكاء وغاية
ما يصطنعه الصعلوك في التقديم هو مخاطبة امرأة مغيبة ، وهذا لا ينفي وجود عدد
ضئيل من قصائدهم استهل بالأطلال .
- 2 - وضوح العبارة وذكاء الإشارة ، وعمق المعنى ونباهة اللمحة .
- 3 - جمال الصور الفنية التي تحيل المقطعات والقصائد مشاهد تنبض فيها الحياة
فكأننا جزء من الصورة ، ويمكن للرسامين التشكيليين استلهام صور الصعاليك التي
رسموها للمغاور والكهوف والطرقات والوجوه لرسم لوحات عالية القيمة ، كما يمكن
لكتاب الدراما إنتاج سيناريوهات عن حيوات الصعاليك المدهشة المسكونة بالمفارقة .
- 4 - العناية بالحوار دون أن يترك لنا الصعلوك ساحة سماع الطرف الآخر من
الحوار ، وقد شاع الحوار مع المرأة المغيبة التي يخاطبها الصعلوك ، ويونجها ويعلي شأنه
عليها !!
- 5 - لم يكتف الصعاليك برسم المشاهد الخارجية ، بل التفتوا إلى مشاعرهم التي

(31) الأغاني 93/16 .

تعتل في صدورهم فصوروها أدق تصوير فكأننا نسمع نبضات قلوبهم في الرهبة أو الرغبة وقد يشرك الصعلوك الطبيعة معه .. فهي تفرح لفرحه وتكفهر وتبكي لمصائبه .

6 - أغلب شعر الصعاليك متكئ على البحرين الطويل والبسيط وذلك لا يمنع من وجود قصائد ومقطعات مكتوبة على الوافر أو سواء .. أما القوافي فأكثرها الراء وتتلوها الدال .. وثمة عناية مقصودة أو غير مقصودة بالموسيقى الداخلية .. فكأن إيقاعات شعر الصعاليك محاكاة لحياتهم .. بل إن بعض الإيقاعات تسهم بشكل جزئي أو كلي في تصوير صليل السيوف وصرخات الموت .

الفصل الثامن

موضوعات الشعر الجاهلي

المعاني التي اقتسمت الشعر الجاهلي كانت موضع خلاف بين الدارسين قدامى ومحدثين ، فالقصيدة في وهلتها الأولى معنى يؤرِّق الشاعر في الليل ، ويقلقه في النهار ، ثم يندلع المعنى من وجدان الشاعر نحو الناس ، متجلبباً بالشكل الذي يناسبه ، وهذه المعاني تحصل بثنائيات الحياة من رغبة ورهبة ، وحبّ ومقت ، وحياة وموت ، ومتكلم ومخاطب ، وحاضر وغائب ، وسلم وحرب ، وعفة ومجون ، ومقدّس ومدنّس !! وقد يستطيع الدارس انتقاء ثنائية واحدة ليعمّمها قطباً تدور حوله الثنائيات الأخرى مثل الرهبة والرغبة ، فيمكننا مثلاً وضع الهجاء والتشويب والاعتذار والشعر الديني في بابة الرهبة كما يمكننا بالمقابل وضع الحب والفخر والسلام والمديح في بابة الرغبة ، وقد نستطيع وضع المقدّس والمدنّس موضع الرغبة والرهبة ! وإذا سلّمنا بأثر اختلافات الرأي واجتهادات الدارسين في ترسيم حدود هذه الفنون واصطناع قرابات بينها أو عداوات فإن الأمر لا يقف عند هذا الحد ، فهناك طائفة من الدارسين جعلت المعاني التي تناولها الشعر الجاهلي خمسة فنون هي :

الغزل والفخر والهجاء والرّثاء والمديح .

وطائفة أخرى ادّعت أن المديح دائرة كبيرة يمكنها استيعاب الغزل واعتداده

مديح الحبيبة ، والرّثاء واعتداده مديح الميت ، والفخر واعتداده مديح النفس !!

- وطائفة ثالثة جعلت معاني الشعر في اثني عشر فنّاً وهي : 1 - الغزل .
2 - المديح . 3 - الارتزاق . 4 - الرثاء . 5 - الاعتذار . 6 - الهجاء . 7 - الفخر .
8 - التوثيب . 9 - السلام . 10 - الحكمة . 11 - الدين . 12 - الوصف .

وطائفة رابعة اقترحت دراسة فنون الشعر من خلال نجومية الشعراء وشهرتهم وذلك ما نلاحظه في تاريخ آداب اللغة العربية لمرجعي زيدان ، فنفرم :

شعراء المعلّقات (امرؤ القيس والنابغة وزهير وطرفة ولييد وعنترة وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة والأعشى وعبيد بن الأبرص) .

وثان هم الشعراء الأمراء : (الأفوه الأودي ، ومهلل بن ربيعة ، وعبد يغوث ، وزهير بن جناب ، وعامر بن الطفيل ، وأبو قيس بن الأسلت ، والحصين بن الحمام ، وقيس بن عاصم) .

وثالث هم الشعراء الفرسان : (الأغلب العجلي ، وحاتم الطائي ، وزيد الخيل ، وسلامة بن جندل ، وعلقمة الفحل ، وعمرو بن معديكرب ، وقيس بن الخثيم ، وأحيحة بن الجلاح ، وجحدر بن ضبيعة ، وأفنون التغلبي ، وبسطام بن قيس ، والحارث بن طفيل ، وذو الأصبع العدواني ، والحارث بن عباد ، وسويد بن أبي كاهل ، وعمرو بن العجلان ، والفند الزماني) .

ورابع هم الشعراء الحكماء : (أمية بن أبي الصلت ، وورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو ، وقس بن ساعدة) .

وخامس هم الشعراء العشاق : (المرقش الأكبر ، وعبد الله بن عجلان ، ومالك بن الصمامة ، ومسافر بن أبي عمرو ، وعنترة ، ومسعود بن خراشة ، ومنظور بن زبان) .

وسادس هم الشعراء الصعاليك : (الشنفرى ، وتأبط شراً ، والسليك بن السلكة ، وعروة بن الورد) .

وسابع هم النساء الشواعر : (الخنساء ، وخزق بنت بدر بن هفان ، وليلى بنت لكيز ، (العفيفة) ، وجليلة بنت مرة) .

وثامن هم الشعراء الهجاءون : (الحطيئة ، وحسان بن ثابت) .

وتاسع وهم الشعراء الوصّافون للخيل : (أبو دؤاد الإيادي ، وطفيل الغنوي ، والنابغة الجعدي ، والشماخ بن ضرار ، وعبد بني الحسحاس) .

وزيدان ترسم طريق أبي زيد القرشي في جهرة أشعار العرب ، وإن خالفه في أسباب النجومية وشعرائها ، فالقرشي قسم الشعراء إلى :

1 - أصحاب المعلقات . 2 - المجهرات . 3 - المنتقيات . 4 - المذهبات .
5 - المراثي . 6 - المشوبات . 7 - الملحّات !! أما الطائفة الخامسة فقد جعلت الشعراء ضمن مدرستين ؛ الأولى هي مدرسة الشعر المطبوع ، مثل امرئ القيس والأعشى وعنتره والمنخّل ، ومدرسة الشعر المصنوع مثل بشامة بن العذير ، وأوس بن حجر ، وزهير بن أبي سلمي ، والحطيئة ، وهذا التقسيم بعيد عن منهج الطائفة السادسة التي درست كل شاعر منفرداً وفق موهبته الخاصة وحذقه في تطوير فنّه ؛ فالمهلل هو أول من هلل ألفاظ الشعر ، وعمرو بن سعد ، لقب بالمرقش الأكبر ، لأنه حسن شعره ونمّقه ، ولقبوا طفيل الغنوي بالخبز ، لأنه بالغ في تزيين شعره . أما علقمة بن عبدة فقد احتاز لقب (الفحل) بعد أن تفوق على امرئ القيس بجودة شعره !! إن زوايا دراسة فنون الشعر الجاهلي كثيرة بسبب من تعدد الاجتهادات والمناهج ، والمهموم العلمية ، فبلاشير مثلاً درس معاني الشعر الجاهلي وأغراضه من خلال أمكنة الشعراء وانتاءاتهم وهولاءاتهم ، فنحن مثلاً قبالة شعراء بادية السماوة وإقليم البحرين واليامة ، وشعراء أواسط الجزيرة

وتغوم الحجاز ، وشالي الين ، وشعراء تيماء والطائف ومكة ويثرب ، والحيرة والغساسنة (تاريخ الأدب العربي) فضلاً عن محاولات دراسة الشعراء وفق قبائلهم كشعراء كندة ، وهذيل ، وتميم !! ولسنا ميالين إلى تفضيل منهج على آخر . لعلمنا بأن لكل منهج مسوغاته ومزاياه مع إيماننا بحرية الاجتهاد وأهمية تعددية الأسباب التي يوكل إليها كشف الحقائق الشعرية . وقد رأينا مناسبة المنهج الأول لهوموم كتابنا وطموحاته . ويمكن من خلاله وضوح اجتهادنا وجهدنا في إيصال أغراض الشعر الجاهلي إلى القراء والدارسين من خلاله فاقتضت الإشارة !

1 - الغزل :

أ - فنّ يعتمد العواطف سبيلاً للتعبير عن الحبّ الذي يستشعره الشاعر نحو المرأة ، أو تستشعره الشاعرة نحو الرجل ، وقد شاع هذا الفن في الشعر الجاهلي بشكل يدعو إلى التأمل والتأويل ، فأكثر أغراض الشعر الجاهلي تحبّد الابتداء بالغزل ، فإذا كان لنا أن نحلل السبب ، فهو أحد اثنين :

الأول أن الشاعر واجد في الغزل مفتاحاً لمغالق القصيدة ، فضلاً عن أن الغزل يفتح نفس الشاعر لقول أبيات كثيرة ومثيرة حقاً ! فالخيلة تكون أكثر نشاطاً وتحليقاً حين يشبّب الشاعر بحبيبته .

أما الثاني فهو ربحية سوق الغزل ، فأكثر جمهور الشعر ميّال إلى الغزل ، ومفارقاته وتهويماته ، الفتیان يجدون فيه تعبيراً ساخناً عن مشاعرهم ، والشيوخ ينقبون فيه عن شبابهم الدائر ، وزمانهم الغابر ، كان الشعر الغزلي بحقّ فخاً لأوسع عدد من المتلقّين ، وسبباً لاحتوائهم وضمان اغيازهم للقضية المركزية للقصيدة التي يسعى الشاعر إلى توكيدها ؛ فلو أن شاعراً وقف على مرتفع في سوق ما وقرأ شعراً في الفخر ، أو الهجاء ، أو الرثاء ، لما وجد أحداً ينتبه إليه ، أو يضيّع وقته في سماع أمور لا تهمّ المتلقي ، فقد يضيّق المتلقي بشاعر يفخر بنفسه ، ويتهيأ له أن الشاعر يسبغ على نفسه

أعجاءاً كاذبة ، كما يضيق المتلقي بشاعر يهجو عدوّه ، ويسبغ عليه كلّ خطايا الآخرين وذنوبهم ، ولهذا يبدأ الشاعر بالغزل لأنه القاسم المشترك بين الشاعر والمتلقي ، ولا ينبغي الظن أن كل القصائد الغزلية تعبّر عن تجربة أكيدة صادقة عاشها الشاعر ، فقد يصطنع الشاعر قصة حبّ بينه وبين الحبيبة المزعومة إذ لا أحد يطالب الشاعر بالوثائق الثبوتية ، بل إن ضرباً من الغزل شبّ أواره في العصر الجاهلي لا يعكس عاطفة نبيلة البتة ، ونعني به الغزل الكيدي (ويسمى الغزل السياسي غلطاً) ، فالشاعر اللئيم إذا أراد هجاء قبيلة أرسل عيونه (جواسيسه من النساء) ، لتأتيه باسم ابنة زعيم القبيلة أو فارسها أو حكيماها ، ومن ثم يكتب قصيدة غزلية كيدية يذكر فيها اسمها ومكانها وربما اسم أبيها وأمتها ، ويختلق مغامرات زاعماً أنها حدثت بينهما في غفلة من عيون الكاشحين ، وأن هذه الحبيبة منحتة كل ما يصبو إليه العاشق من معشوقته ، وهذا الغزل ضرب من الخبث والمكر اللذين يترفّع عنهما العربي ، فالعاشق إذا أدرك أن ذكر اسم حبيبته مؤذ لها غيره واصطنع اسماً موهوماً لها مثل رباب وليلى وزينب وفاطمة ... إلخ . فالهتج الجاهلي يحرم كلّ أنواع الحبّ بين الرجل والمرأة ، حتى إن بعض الشعراء الذين أحبّوا وتورّطوا في ذكر أسماء حبيباتهم نكبوا ، أو نكبت حبيباتهم ، وإذا عرف الشاعر بحبّ امرأة معيّنة حرمت عليه ، فلن يستطيع خطبها مهما بالغ في المهر .. كما أن هناك ضرباً آخر من الغزل وهو الغزل الرمزي فالحبيبة معادل استعاري (تصريحي) للقبيلة التي حرمتها نائله ، أو الزعيم الذي فضلّ عليه من هم أقل قيمة منه ، أو الدنيا التي أرتها العسل وأذاقته العلقم ، نحو نونية المثقب العبدى التي يعاتب فيها حبيبته التي وعدته مواعيد كاذبات .. فهي لا تحمل صفات الحبيبة حقاً .. فكأنها صورة لصاحبه الذي أرادها أختاً ، فخاب ظنّه فيه كما خاب ظنّه في فاطمة !!

أفاطمٌ قبل بينك متعيني	ومنعك ما سألتُ كأن تبيني
فلا تعدي مواعيد كاذبات	تمرُّ بها رياحُ الصيفِ دوني
فإني لو تخالفني شمالي	خلافك ما وصلت بها بميني

كذلك أجتوي من يجتوي
 فا خرجت من الوادي حين
 كأن حمـ ووهن على سفين
 قواتل كل أشجع مستكين
 تنوش الدانيات من الغصون
 وثقبن الوصاوص للعيون
 عذافرة كطرقه القيون
 يباريها ويأخذ بالوضين
 تآوة أهة الرجل الحزين
 أهذا دينه أبداً وديني
 أما يبقي عليّ وما يقيني
 وفرقة رفدت بها يميني
 أخي النجدات والحلم الرصين
 فأعرف منك غثي أو سميني
 عدواً أتقيك وتتقيني
 أريد الخير أيها يليني
 أم الشر الذي هو يتغيني⁽¹⁾

إذن لقطعتهما ولقلت بيبي
 لمن ظعن تطالع من ضبيب
 وهن كذاك حين قطعن فلجاً
 وهن على الرجائز واكنات
 كغزلان خذلن بذات ضال
 ظهرن بكلة وسدلن أخرى
 فسل لهم عنك بذات لوث
 بصادقة الوجيف كأن هراً
 إذا ماقت أرحلها بليل
 تقول إذا درأت لها وضيبي
 أكل الدهر حل وارتحال
 نثيت زمامها ووضعت رحلي
 إلى عمرو ومن عمرو أتتني
 فإما أن تكون أخي بحق
 وإلا فاطرحني واتخذني
 ومما أدري إذا يمت أمراً
 أأخير الذي أنا أبتغيه

وقصيدة (ذو الإصبع العدواني) رمزية أيضاً كما تزعم فحبيبته (أم هارون)
 وابن عمه حالة واحدة ، وهما والدهر حالة واحدة ، فأصبح حباً أم هارون شجناً وكان
 قبل فرحاً ، وأم هارون (أو ابن عمه أو الدهر) تحسده وخالته دونها وهي دونه !!

يا من لقلب شديد الهمم محزون
 أمسى تذكّر ريا أم هارون
 والدهر ذو غلط حيناً وذولين
 أمسى تذكّرها من بعدما شحطت

(1) الضي . المفضليات . رقم 76 ص 288 وما بعدها .

فإن يكن حبُّها أمسى لنا شجناً
فقد غنينا وشمل الدار يجمعنا
نرمي الوشاة فلا نخطي مقاتلهم
ولي ابن عم على ما كان من خلق
أزرى بنا أننا شالت نعمتنا
يا عمرو إن لاتدع شتمي ومنقصتي
لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب
إني لعمركَ ما بابي بذني غلّقي
عفاً يؤوس إذا ما خفت من بلد
كل امرئ راجع يوماً لشيته
ماذا عليّ وإن كنتم ذوي رحمي

وأصبح الوأيّ منها لا يواتيني
أطيع ريباً وريباً لا تعاصيني
بخالص من صفاء الودة مكنون
مختلفان فأقليله ويقليني
فخالني دونه بل خلته دوني
أضربك حتى تقول الهامة اسقوني
عني ولا أنت ديباني فتخزوني
عن الصديق ولا خيري بمنون
هوناً فلست بوقافٍ على الهون
وإن تخلّق أخلاقاً إلى حين
أن لا أحبكم إن لم تحبوني⁽²⁾

ب - وتتداخل مفردتا (النسيب / التشبيب) مع الغزل ، فكأن الثلاث نقاط في دائرة واحدة ، فالغزل هو حديث الفتيان والفتيات واللهو بينهم والتغزل تكلف الغزل والنسيب هو التشبيب بالنساء في الشعر ، والعرب تقول هذا الشعر أنسب من هذا ، أي أرقّ نسيباً ، والنسيب هو رقيق الشعر في النساء : أما التشبيب فهو النسيب بالنساء ، وتشبيب الشعر ترقيقه بذكر النساء⁽³⁾ ، ومن هذا يتّضح عدم وجود حدود حقيقية بين هذه المفردات سوى أن الغزل مصطلح منفتح على الشعر والنثر الفني والنثر الاعتيادي ، أما النسيب والتشبيب فهما قاصران على الشعر وسوى ذلك فالكلمات الثلاث تنصرف من حيث الدلالة إلى محادثة النساء والتودّد إليهن أو وصفهنّ وما إلى ذلك من المفردات المعروفة وما يقال عن مشاعر الرجل نحو المرأة يمكن أن يقال مع شيء من الاحتراز عن مشاعر المرأة نحو الرجل !

(2) المصدر السابق 31 ص 160 وبعدها ، وأكملناها من كتاب الأغاني (كتبخانة) 8/3 .

(3) لسان العرب (غزل / نسب / شب) .

ج - وأبدع الشاعر الجاهلي حقاً في وصف عواطفه نحو المرأة ، فشاع ضربان من الشعر الغزلي : الأول : الهادئ العفّ ، والآخر الصاخب الماجن . وقد حفظت لنا مصادر الشعر قصائد ماجنة لامرئ القيس والأعشى والمنخل اليشكري والنابغة ، تبدو المرأة من خلالها دمية ، تقتنى ويعبث بها ، فتصف القصائد فتنتها الجسدية ، وغالباً ما يصوغ الغزلون المجان قصائدهم في قوالب قصصية ، ويجرون حواراً بينهم وبين الحبيبات ، ثم يذكرون أمكنة الوصل وأزمته ، أما الشعراء المتعففون في غزلهم فهم الأكثرية : عنتره وزهير ، وحسان ؛ والمرقش الأكبر ، وعروة بن الورد ، وحاتم الطائي ، والسموئل ، هؤلاء يقفون على الأطلال باكين أو مستبكين ، ويسألون الآثار عن الوجهة التي ذهبت إليها الحبيبة ، ثم يندبون حظهم العاثر وشبابهم الذي ولّى ، ونعيمهم الذي زال .. كل ذلك بعبارة رقيقة أنيقة تعلي منزلة الحبيبة فكأنها صورة أخرى للحياة . قال المرقش الأكبر :

قل لأسماء أنجزى الميعادا	وانظري أن تزودي منك زادا
أينما كنتِ أو حللتِ بأرضٍ	أو بلادٍ أحييتِ تلك البلادا
إن تكوفي تركتِ ربك بالشا	م وجاوزتِ حميراً ومُرادا
فارتجبي أن أكونَ منك قريباً	فأسألي الصادرينَ والورّادا
وإذا ما رأيتِ ركباً محببٍ	ن يقودونَ مقرباتٍ جيادا
فهمُ صحبتي على أرحل المي	س يزجونَ أينقاً أفرادا
وإذا ما سمعتِ من نحو أرضٍ	بمحبٍّ قد ماتَ أو قيل كادا
فاعلمي غير علم شكِّ بآني	ذاك ، وابكي لمُصَفِّدٍ أن يفادي ⁽⁴⁾

(4) الضبّي . المفضّليات ق و 12 ص 431 وبعدها .

فَنَ التَّقْرُبَ إِلَى المَدْوَحِ يَظْهَرُهُ فَضْلُهُ وَإِشْهَارُ شَمَائِلِهِ ، وَلَسْنَا مَعَ الزَّاعِمِ أَنَّ المَدِيحَ إِنَّمَا اسْتَحْدَثَ لِلرَّتْزَاقِ وَالتَّكْسُّبِ ، فَثَلَّ هَذَا القَوْلُ يَلْغِي نَزْعَةَ الخَيْرِ فِي الإِنْسَانِ ! لَقَدْ أَسَّسَ الشَّعْرَاءُ مِنْ خِلَالِ المَدِيحِ قَوَاعِدَ لِلأَخْلَاقِ وَالقِيمِ النَّبِيْلَةِ ، فَإِذَا أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يَمْدَحَ إِنْسَانًا ، فَإِنَّهُ يَصِفُهُ بِأَوْصَافٍ تَزَيِّنُهُ بِأَعْيُنِ النَّاسِ ، وَتَوَكِّدُ شَرْفَهُ وَمَصْدَاقِيَّتَهُ ، فَهُوَ فَارِسُ كَرِيمٍ وَصَادِقُ رَحِيمٍ ، يَحْتَرَمُ الجَارَ ، وَلَا يَقْرُبُ الفَاحِشَةَ ! وَكَمْ مِنْ مَدِيحٍ أُحْرَجَ المَدْوَحُ فَجَعَلَهُ حَرِيصًا عَلَى أَنْ يَكُونَ بِمَسْتَوَى الصُّورَةِ الَّتِي رَسَمَتْهَا لَهُ قَصِيْدَةُ المَدِيحِ . وَالمَدِيحُ كَمَا نَرَاهُ (وَنَعْنِي الصَّادِقَ مِنْهُ) ، دَعْوَةٌ لِنَشْرِ الفُضَيْلَةِ بَيْنَ النَّاسِ وَتَكْرِيسُهَا فِي المَدْوَحِ ؛ لِأَنَّ المَدِيحَ فِي أَغْلِبِهِ مَنْصَرَفٌ إِلَى الصِّفَةِ قَبْلَ المَوْصُوفِ ، إِنَّهُ أَنْشُودَةٌ تَجِدُّ الخَيْرَ ، وَمَنْ كَانَ بِمَسْتَوَى المَدِيحِ فَهُوَ جَدِيرٌ بِهِ ، وَقَوْلُنَا لَيْسَ اسْتِغْفَالًا لِلوَاقِعِ لَعَلَّمْنَا أَنَّ جَرِثُومَةَ الكَذِبِ لَنْ تَتْرَكَ المَدِيحَ بِسَلَامٍ ، وَلَكِنَّا نَعْرِفُ أَنَّ هَذِهِ الجَرِثُومَةُ لَمْ تَسْتَطِعْ نَشْرَ وَبَائِهَا .. فَزَهْرُ بِنِ أَبِي سَلْمَى امْتَدَحَ الحَارِثَ بِنِ عَوْفٍ ، وَهَرَمُ بِنِ سِنَانٍ ؛ لِأَنَّهَا أَوْقَفَا دَوْلَابَ الدَّمِّ بَيْنَ العَشِيرَةِ ، وَالأَعْشَى امْتَدَحَ الحَلَقَ وَهُوَ الفَقِيرُ المُنْثَاثُ لِأَنَّهُ كَرِيمُ النَفْسِ ، وَهَذَا نَحْنُ نَذَكُرُ دَالِيَةَ أَوْسَ بِنِ حَجْرٍ فِي مَدْحِ حَلِيمَةَ بِنْتِ فَضَالَةَ بِنِ كَلْدَةَ ، وَفَاءَ لَهَا وَتَنْوِيهَا بِذِكْرِهَا ، فَحِينَ سَقَطَ مِنْ نَاقَتِهِ عَلَى الصَّخْرِ نَزَفَ دَمُهُ ، وَأَمْضَى لَيْلَتَهُ وَحِيدًا بَيْنَ الإِغْمَاءِ وَالصَّحْوِ وَالمَوْتِ وَالحَيَاةِ ، فَعَثَرَتْ عَلَيْهِ حَلِيمَةُ ، وَكَانَتْ قَدْ بَكَرَتْ فِي الصَّبَاحِ لِتَسْبِقَ صَوِيحِبَاتِهَا فِي اجْتِنَاءِ الكَمَاءِ ، فَحَدَبَتْ عَلَيْهِ وَضَمَّتْ جِرَاحَهُ وَهَرَعَتْ إِلَى أَبِيهَا وَإِخْوَتِهَا ، وَجَاؤُوا مَعَهُ وَأَنْقَذُوهُ مِنْ مَوْتِ مُحَقِّقٍ ، وَقَدْ لَبِثَ أَيَّامًا وَحَلِيمَةُ تَقُومُ بِخِدْمَتِهِ :

لِعَمْرِكَ مَا مَلَّتْ ثَوَاءَ ثَوِيهَا	حَلِيمَةُ إِذَا أَلْقَتْ مَرَايَ مَقْعَدِ
وَلَكِنْ تَلَقَّتْ بِأَلْيَدَيْنِ ضَانِقِي	وَحَلًّا بِشَرِيحِ مِ القَبَائِلِ عَوْدِي
وَقَدْ غَبَرَتْ شَهْرِي رِيْعَ كَلِيهَا	بِحَمْلِ البَلَايَا وَالحِجَاءِ المَمْدَدِ
وَلَمْ تَلْهِهَا تَلْكَ التَّكَالِيفُ إِنْهَا	كَأَشْتِ مِنْ أَكْرُومِيَّةٍ وَتَحَزْدِ

هي ابنة أعراقٍ كرامٍ غينها
سأجزيكٍ أو يجزيكٍ على مثوبٍ
فإن يعط منا القوم نصبر ومنتظر
وإن هط لا نجعل ولا ننطق الخنا
فلا تظهرن ذم امرئٍ قبل خبره
إلى خلقٍ عفٍ برازته قد
وقصرك أن يثنى عليكٍ وتحمدي
منى عقب كأنها ظمءٌ مؤرد
ونجز القروض أهلها ثم تقصد
وبعد بلاء المرء فاذم أو احمد⁽⁵⁾

وبين أيدينا حالة من المديح تستحق التلبيث عندها ملياً ، كان بشر بن أبي خازم قد بالغ في هجاء سعدى بنت حصن الطائية أم الفارس السيد أوس بن حارثة وأفحش في هجائها ، فنذر أوس لئن قبض عليه ليحرقه ، ولم يبال بشر واستمر في هجاء سعدى ، وقذف شرفها ، وكان أن أعلن أوس أنه خصص مئتي بعير هدية لمن يلقي القبض عليه أو يدلّه على مكانه ، وكان له ما أراد ، فأصبح بشر في رحمة ابن سعدى ، ولم يشأ إحراقه وقتله دون أن يعذبه فأدخله في جلد بعير حين سلخه وتركه حتى جفّ عليه فصار فيه كأنه عصفور ، فبلغ ذلك أمه سعدى بنت حصن فخرجت إليه فقالت لولدها : ما تريد أن تصنع ببشر ؟ فقد أحرقه هذا الذي شتمنا ، وقال فينا ما لا يقال (فقالت : قبّح الله قوماً يسوّدونك أو يقتبسون من رأيك ؛ والله لكأنما أخذت به رهناً ، أما تعلم ما منزلته في قومه ، خلّ سبيله وأكرمه فإنه لا يغسل عنك ما صنع غيره ، وأيم الله لو فعلت ما استقلتها أنت ولا قومك) . وأفهمت ابنها (والشاعر بشر يسمع وهو داخل جلد البعير) إن الهجاء الكاذب لن يحوه غير المديح الصادق ، فامتثل أوس لكلام أمه ، وأخرجه وكلف الخدم بغسل جسمه ، ثم داوى جراحه ، وكساه وأطعمه !

ونقل ابن الشجري (ت 542 هـ) : « قال أوس لبشر : هجوتني ظالماً فاختر بين قطع لسانك وحبسك في جلد بعير حتى تموت وبين قطع يديك ورجليك وتخليّة سبيك ، ثم دخل على أمه سعدى ، وقد سمعت كلامه فقالت : يا بني لقد مات أبوك

(5) ابن حجر . أوس . ديوانه ق 12 ص 26 وبعدها .

فرجوتك لقومك عامة سيّداً فأصبحتُ والله لا أرجوك لنفسك ، أزعت أنك قاطع رجلاً هجاك وهجاني فمن يحو إذن ما قال فيك ؟ قال : فما أصنع به ؟ قالت : تكسوه حلتك الخاصة ، وتحمله على راحلتك دون سواها ، وتأمركه بمئة ناقة ، حتى يغسل مديحه هجاءه ففعل) ، وقال الأخفش (ت 215 هـ) : « مدح بشر أوساً وأهل بيته مكان كل قصيدة هجاءها قصيدة ، وكان هجاءهم بخمس فمدحهم بخمس) : قال بشر :

كفى بالنأي من أسماء كاف	وليس لخبها إذ طال شاف
بلى إن العزاء لله دواء	وطول الشوق ينسيك القوافي
فيالك حاجةً ومطال شوق	وقطع قرينة بعد ائتلاف
وإنك لورأيت غداة بنتم	خشوعى للتفرق واعترافي
إذن لثيت لي وعلمت أني	بوذي غير مطرف التصافي
فسلّ طلابها وتعزّ عنها	بناجية تحيّل بالرداف
إلى أوس بن حارثة بن لأمر	لربك فاعلمي إن لم تخافي
فما صدع بخبنة أو بشرج	على زلّقي زوالق ذي كهاف
تزلّ اللقوة الشغواء عنها	مخالها كأظراف الأشافي
بأحرز مؤثلاً من جار أوس	إذا ماضيم جيران الضعاف
ومما ليث تعثرفي غريف	تغنيه البعوض على النطاف
مغيب ما يزال على أكيل	يناغي الشمس ليس بذي عطاف
بأبأس سورة بالقرن منه	إذا دعيت نزال لدى النفاف
وما أوس بن حارثة بن لأمر	بغمر في الأمور ولا مضاف ⁽⁷⁾

(6) ابن الشجري . أبو السعادات هبة الله . ت 542 . مختارات ابن الشجري ص 24 وبعدها . تح محمود حسن زناقي ، طب دار الكتب العلمية - بيروت 1980 . الرهدن : طائر أصغر من العصفور .

(7) المصدر نفسه ص 28 . الصدع : الوعل الفتي الذي تحمي قروونه وجهه . خبة وشرح : جبلان أملسان . اللقوة : العقاب . الشغواء : الجارحة التي يركب منقارها الأعلى منقارها الأسفل ، وذلك أدعى لفتكها .. وصورة الوعل القوي ذي القرون المشتجرة على جبل أملس كناية عن أن هذا الوعل لا ينال =

ضرب من شعر المديح يعتمد الصنعة ، والنفاق الاجتماعي ، وقد شاع في العصر الجاهلي ، ووجد له سوقاً تروّج بضاعته ، واستمر حتى لبط في عصرنا الحديث مدججاً بكل تقنيات الانحطاط !! والارتزاق أن يمتدح ذو الجاه أو السلطان أو الثراء بما ليس فيه لكسب ودّه وماله ، فالمديح للممدوح ليس لأنه فارس مرهوب ، أو زعيم مرغوب ، أو فتي محبوب ، أو كريم معروف ، فقد يقال لِمُسعر الحروب إنك داعية سلام ، وللقاتل المعتدي إنك رحيم ذو مروءة ، واللص إنك أمين ، فالغاية هي نيل الجائزة أو دفع الأذى ، ويا طالما حقق الشاعر المرتزق أحلامه بشعر لا يصدقه أحد ، أما الممدوح الذي ملأ أكياسه بالذهب وحظائره بالإبل وبيوته بالجواري والمبيد ، فهو مستعدّ ليهدى شيئاً مما يملك لأي شاعر يرتزق بشعر فيعطي مقامه ، وإنما كان يفعل ذلك لكي يفسل سمعته المتسخة وأمواله المسروقة وتحسين صورته المنبوذة ، والشعر يصنع الأعاجيب ، فهو يرفع بيوتاً حقها أن تخفض ، ويخفض بيوتاً حقها أن ترفع ، وقد كلّفنا الارتزاق كثيراً ، فهو أحد أسباب ضياع القيم وفشو النفاق وتبلبل الأئمة ، وقد يردّد الركبان والمغنون شعراً يمتدح الظالم ، وإذا كانت الأسواق العربية القديمة مثابات حصينة ومنابر أمينة ، فقد داهمها شعر الارتزاق وأحرج القائمين بأمرها ، فاضطروا بسبب من الضغوط إلى تعليق بعض القصائد الارتزاقية على جدران الأسواق ليطالها الناس ، ومنهجنا لا يحدّد وضع الشعر الارتزاق في خانة شعر المديح لاختلاف المبادئ والدوافع .

= منه أحد حتى العقاب الطائر .. الموئل : الملجأ . الغريف : الشجر الكثيف . النطاف : قليل الماء . مغب : يصيد يوماً ويحجم آخر . يناعي الشمس : يرقب غياها ليخرج . العطاف : المطف أو الملحفة . أباس : أشد . النفاق : المضاربة بالسيوف على الرؤوس . الغمر : غير المجرّب . المضاف : الخائف .

الرثاء أصدق فنون الشعر لغة ، وأقربها إلى الحقيقة الشعرية ، ولما نجد شعراً في الرثاء مبنياً على المجاملة أو النفاق ، وإنما راج سوق الرثاء بسبب قسوة الحياة الجاهلية ، فالجاهلي إما غاز أو مغزوّ ، فكثرت القتل ، والفقد ، فبات مألوفاً ظهور طبقة من الشواعر الندابات اللواتي يقلن شعراً شفاهياً أو يصغن شعرهن على قوالب جاهزة ومعان مكرورة ، وطبقة من الشعراء الندابين ، ورحم الله الذي سئل عن سبب اللوعة في شعر الرثاء فقال : لأننا نقول الشعر وأكبادنا تتفطر ..

والعرب تقول : دين بدين حتى دمة العين . فكان على المعارف والأصدقاء الحضور إلى المآتم والبكاء على الميت ، وقد اعترف شاعر جاهلي بقسوة كبده وعدم وفائه بدين الدمة :

يُبكي علينا ولا نبكي على أحد لنحن أغلظ أكباداً من الإبل

والشاعر عادة يرثي أخاه أو أباه أو ابنه أو حبيبته أو زعيمه أو ولي نعمته ، والرثاء صنو المديح والفخر والفروسية في أشياء كثيرة . ولأن الشاعر يصف مشاعره أولاً بفقد العزيز ، وهي مشاعر مأساوية تبعث على الكآبة ، ثم يعدد الشاعر مزايا الميت ، وهي لن تبعد عن الشجاعة والنجدة والسخاء واحترام حقوق الجار ومشاعره ، وقد رددت العرب شعر الخنساء في الرثاء وعينية أبي ذؤيب الهذلي وعينية أوس بن حجر ، وقد أوردنا نماذج كثيرة للرثاء في مباحث متعددة حين سلطنا الضوء على قيم الفروسية والفتوة .. وها نحن ننتقي يائية عبد يغوث بن وقاص الحارثي التي يرثي فيها نفسه :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا وما لكما في اللوم خير ولا ليا
ألم تعلم أن الملامة نفعها قليل ، وما لومي أخي من شماليا
فيا راكباً إمّا عرضت فبلغن ندماي من نجران أن لاتلاقيا

وقيساً بأعلى حضرموت الجانيا
 صريحهم والآخرين المواليا
 ترى خلفها الحو الجياد تواليا
 وكان الرماح يختطفن المحاميا
 أمعشر تيم أطلقوا من لسانيا
 فإن أخاكم لم يكن من بوائيا
 نشيد الرعاء المغربين المتاليا
 كأن لم تر قبلي أسيراً يمانيا
 يراودن مني ماتريد نسايا
 أنا الليث معدواً عليّ وعاديا
 مطي ، وأمضي حيث لحي ماضيا
 وأصدع بين القينتين ردايا
 لبيقاً بتصريف القناة بتانيا
 بكفي وقد أنحوا إلي العواليا
 خلي كزي نفسي عن رجاليا
 لأيسار صدق: أعظموا ضوء ناريا⁽⁸⁾

أبا كرب والأهمين كلاهما
 جزى الله قومي بالكلاب ملامة
 ولو شئت نجتني من الخيل نهدة
 ولكنني أحمي ذمـار أبيكم
 أقول وقد شدوا لساني بنسمة
 أمعشر تيم قد ملكتم فأسجحوا
 أحقاً عبادة الله أن لست سامعاً
 وتضحك مني شيخنة عبشيمة
 وظل نساء الحبي حولي ركدأ
 وقد علمت عرسي مليكة أنبي
 وقد كنت نحر الجزور ومعمل الـ
 وأنحر للشرب الكرام مطيتي
 وكنت إذا ما الخيل شمعها القنا
 وعادية سؤم الجراد وزغتها
 كأني لم أركب جواداً ولم أقل
 ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل

والرثاء فضلاً عن أنه بكاء وتفجع ، وذكر لمزايا المرثي ، فهو سانحة للتأمل في الحياة
 والموت والاستعبار ، فأين أصحاب الممالك والمسالح والقصور .. كل شيء زائل والباقي
 فقط هو الله ، والذكر الطيب الذي يعطر المجالس ، والشاعر علقمة ذو جدن الحميري
 يخاطب حبيته (أجتني) لتبكي معه عليها أو عليه ، في عينية تهيئ للدارس أنها ليست
 في رثاء ميت حبيب على نفسه ، وإنما هي في رثاء الحياة !!

(8) المفضليات ق 30 ص 55 / وبعدها .

لكل جنب (أجتني) مضجعُ
والنفسُ لا يحزنك إتلافها
والموتُ ما ليس له دافع
لو كان شيء مفلتاً حينه
أو مالك الأقال ذو فائشٍ
أو تبّع أسعد في ملكه
وقبله يهتز ذو مأورٍ
وذو جليل كان في قومه
ما مثلهم في حير لم يكن
فسل جميع الناس عن حير
يخبرك ذو العلم بأن لم يزل
لهم ساء ولهم أرضه
اليوم يجزون بأعمالهم
صاروا إلى الله بأعمالهم
أو مثل (صرواح) وما دونها
فكيف لا أبكيهم دائباً
من نكبة حل بنا فقدّها
إذا ذكرنا من مضى قبلنا
فانقرضت أملاكنا كلهم
بنو لمن خلف من بعدهم
إن خرّق الدهر لنا جانباً
ننظر آثارهم كلنا
يعرف في آثارهم أنهم

والموتُ لا ينفع منه الجزعُ
ليس لها من يومها مرتجعُ
إذا حميم عن حميم دفنحُ
أفلت منه في الجبال الصدعُ
كان مهيباً جائزاً ماصع
لا يتبع العالم بل يتبع
طارت به الأيام حتى وقع
يبني بناء الحازم المظلع
مثلهم وال ولا متببع
من أبصر الأقوال أو من سمع
لهم من الأيام يوم شنع
من ذا يُعالي ذا الجلال اتضع
كل امرئ يحصد ما قد زرع
يجزئ من خان ومن ارتدع
ما بنت (بلقيس) أو (ذو تبع)
وكيف لا يذهب نفسي الملع
جرعنا ذا الموت منها جرع
من ملك نرفع ما قد رفع
وزايلوا ملكهم فانقطع
مجداً لعمر الله ما يقتلع
سدوا الذي خرّقه أو رقع
ينظرها الناظر منا خشع
أرباب ملك ليس بالمتدع

تشهد للماضين منابها نالوا من الملك وتقب القلع
 هل لأناس مثل آثارهم بأرب ذات البناء اليفع
 لا مالحى مثلهم مفخر هيهات فازوا بالعلا والرفع⁽⁹⁾

وقد رثى الأعشى قصراً من قصور الين اسمه (ريمان) كان في ظفار وكان هذا
 القصر آية في المعمار ، وريمان هو من نفس مخلاف بعدان وهو الجبل الشامخ الذرى الذي
 تربض على سفحه مدينة إب⁽¹⁰⁾ .

يات من يرى ريمان أم سي خاويأ خرباً كعابه
 أمس الثعالب أهله بعد الذين هم مآبه
 من سوقية حكرم ومن ملك يعد له ثوابه
 بكرت عليه الفرس بع د الحبش حتى هد بابه
 فتراه مهودوم الأعيا لي وهو مسحول ترابه
 ولقد أراه بغبطة في العيش مخضراً جنابه
 فخوى وما من ذي شبا ب دائم أبداً شبابه⁽¹¹⁾

5 - الاعتذار :

فن جميل ، مثل حاجة المجتمع الجاهلي لإصلاح ذات البين بين الأحبة ، والشاعر
 فارس ، والفارس لا يستحي من الاعتراف بخطئه ، وإذا أخطأ اعتذر ، وقد شهد العصر
 حالات كثيرة للاعتذار ، ولعل أشهر شاعر أنجز شعراً مهماً في الاعتذار كما ونوعاً هو
 نابغة ذبيان الذي غضب عليه النعمان بعد أن فتح بلاطه للوشايات والحسد ، فاتهم

(9) القرشي . جهرة أشعار العرب (المراثي) ص 257 وبعدها الأقوال مفردها قيل وهو الملك من ملوك
 حير . الحين : الهلاك . الصدع : الوعل الفقي . أسعد : ملك من التبابعة . ذو مأور : ملك . يجزئ :
 يجازي . أملاكنا : ملوكنا . تقب القلع : دك الحصون . مأرب سد مشهور في اليمن . اليفع : العالي .

(10) الهمداني : صفة جزيرة العرب انظر هامش ص 197 .

(11) الأعشى . ديوانه ق 54 ص 339 وبعدها .

النايعة بالمتجرده زوج الملك النعمان ، وهرب النايعة إلى بلاط الغساسنة ليحمي رأسه ، ثم حز في نفسه أن ينال منه الحساد فكتب من هناك اعتذارياته إلى النعمان ، وكانت آية في اللوعة والصدق ، وقبل النعمان اعتذاره ، وأعاده إلى سابق مكانته في بلاطه .. أما حساده فقد انكشف أمرهم وأتضح أنهم رموا النايعة بأفعالهم .. وكان على رأس الحساد الشاعر المنخل اليشكري ، وقد قتله الملك بعد أن ثبت له بالدليل أن المنخل كان على صلة آثمة بزواج النعمان ، وهذه اعتذارية للنايعة يكذب فيها تقارير الجواسيس عنه ، ويوضّح موقفه من الغساسنة ، فديحه للغساسنة يقتضيه وفاؤه لمن أجاره ، وليس معناه أنه مدح الغساسنة ليغيظ المناذرة :

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني	وتلك التي أهتم منها وأنصب
فبت كأن العائدات فرشني	هراساً ، به يعلى فراشي ويقشب
حلفت فلم أترك لنفسي ريبة	وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة	لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولكنني كنت امرأ لي جانب	من الأرض فيه مستراد ومذهب
ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم	أحكّم في أمموهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم	فلم ترم في شكر ذلك أذنبوا
فلا تتركني بالوعيد كأنني	إلى الناس مطلي به القار أجرب
ألم تر أن الله أعطاك سورة	ترى كل ملكٍ دونها يتذبذب
فإنك شمسٌ والملوك كواكب	إذا طلعت لم يبد منهن كوكب
ولست بمستبقٍ أخاً لآله	على شعث أي الرجال المهذب
فإن أك مظلوماً فعبد ظلمته	وإن تك ذا عتي فثلك يعتب ⁽¹²⁾

ويمكن وضع معلقة الحارث بن حلزة اليشكري في خانة الاعتذار إذا نظرنا إلى ظروف ارتجالها (كما زعم) والمعاني التي تضمّنتها .

(12) الذبياني . النايعة . ديوانه ص 27 وبعدها .

أما اعتذار زهير بن أبي سلمى لحبيته وزوجه (أم أوفى) فهي ضرب من البكاء على زمن جميل مع أم أوفى لم يدم ، وقد ذكرت الأخبار أن أم أوفى كانت تغار على زهير ، وتمنعه من التحدث إلى النساء أو التغزل بهن ، وقد ضاق بها مرة وضاعت به ، فطلبت إليه الطلاق ، فوافق على الفور ، ثم ندم أشدّ الندم ، ولم تندم أم أوفى ، ولم تقبل اعتذاره . وعادت إلى بيت أهلها .. وأقسمت أنها لن تسمح له برؤيتها حتى يوارىها القبر .. وبرّت بقسمها .. وهذه نفثة من نفثات زهير :

لعمركِ والخطوبُ مغيراتٌ وفي طول المعاشرة التّقالي
لقد باليتّ مظعن أمّ أوفى ولكن أمّ أوفى لا تبالي
فأما إذْ ظعنْتَ فلا تقولي لذي صهرٍ : أدلّتْ ولم تذالي
أصبتُ بنيّ منكِ ونلتِ مني من اللذاتِ والحلّلِ الغوالي⁽¹³⁾

ومأساة الأعشى مع زوجه التي طلقها لا تقل أسى عن مأساة زهير ، فقد كبر الأعشى ، وذهب معظم بصره ، وبقي الغنى فيه كما كان ، وكانت زوجه صغيرة السن ، تندب حظها لأنه أوقعها في أصلع عجوز بعمر أبيها ، ويبدو أن شاباً غريباً كان يزورها ويعدّها بالزواج منها إذا تخلّصت من الأعشى ، فطلبت الطلاق ، وكان الأعشى قد لاحظ عليها تبدّلاً في طباعها وطموحاتها ، فوافق على طلاقها لأنها كانت راغبة بالاقتران بفتى طويل أبيض من قبيلتها هزان ، فطلقها بالثلاث ، فذهبت إلى أهلها ، أما الرجل الغريب فقد خذلها وكذب عليها واختفى من حياتها بعد أن صدقته ، فبعثت إلى الأعشى طالبة العودة إليه ، فامتنع وذكرها برغبتها بالزواج من أحد فتيان قومها وزعمها بأن أي شابة لن ترضى به ، وقد تزوّج من شابة فعلاً على سبيل التّحدي !! بيد أنه امتدح شرفها واعترف بحبّه لها :

يا جارقي بيني فإنك طالقة كذلك أمور الناس غاد وطارقة

(13) ابن أبي سلمى . زهير . شرح شعره ق 43 ص 257 .

ويبي فإن البين خير من العصا
وما ذاك من جرم عظيم جنيته
ويبي حسان الفرج غير ذميمة
وذوقي فتى قوم فإني ذائق
فقد كان في شبان قومك منكح
وإلا تزال فوق رأسك بارقة
ولا أن تكوفي جئت فينا بيائقة
وموموقة فينا كذاك ووامقة
فتاة أناسٍ مثل ما أنت ذائقة
وفتيان هزان الطوال الغرائقة⁽¹⁴⁾

6 - الهجاء :

ضرب من الشعر ، مسكون بالعتوّ والغطرسة ، وربما الكذب والفحش وهتك الأعراس ، بيد أنه على الجهة الأخرى ينفر الناس من أخلاق الهاجي قبل المهجو ، لأنها أخلاق تأباها القيم العربية ، فالمهجو بعيد عن الشجاعة والكرم والنجدة والأمانة والصدق ومراعاة الجوار ، فهو جبان وبخيل ومتعاس وخائن كاذب مؤذ لجاره ، وقد سغر الهجاء حروباً مدمرة بين الأفراد والقبائل والمدن ، ولم ينج منه حتى أولاد العم ، وجهور الشعر لا يميل إلى الهجاء ، فإذا استظرف بيتاً في الهجاء فليس لأنه هجاء ، وإنما لأنه قال شيئاً جديداً ، وربما مضحكاً ، وهم لا يشجعون الشاعر عليه إلا أنه (الهجاء) كان سلاحاً جاهلياً فتاكاً بسبب اعتمادهم عليه حرباً دون إراقة دماء .. فثمة الحسد والتنافس بين الفتيان والأحياء والقبائل يشبه خبثاء لا يحيون إلا في أجواء الوشاية والخصومة والذهنية القديمة تتطير من الهجاء ، فهم يعدّونه شكيل السحر ، ولعلنا نتذكر فعلة لبيد حين هجا الربيع بن زياد في بلاط النعمان ، وقد ارتدى لبيد ملابس مغربية وتقلّد بقلادتين من ودع وأخرى من سبوت قديمة ، وصبغ نصف وجهه بالقار والرماد وحلق جانباً من شعره وحاجباً واحداً .. وقد بلغ الأمر بالربيع أنه كان يرتجف وهو يصغي إلى الهجاء .. بل إن النعمان لم يتورع عن طرد صديقه وأقرب الناس إليه ، وقد كان هجاء لبيد للربيع سبباً لتندّر العرب بالربيع ، فقد جعله الهجاء أضحوكة بين الناس ، وهو الفارس السيد !! وقد اقتبسنا همزية زهير مثلاً على الهجاء

(14) الأعشى : ديوانه ص 41 ص 313 وبعدها . غرائقة مفردها غرنوق : الشاب الأبيض الجميل .

المؤذي الذي يسلب المهجوك فضاءه ، ويحبسه في القصيدة بحيث لا يقوى على مفادرتها !! وقد بدأ بالمقدمة الطللية التي توحى للدارس مكابدة الشاعر وعناءه ، فكان هذه المقدمة تهديد للصراع الدموي بين حمار الوحش والطبيعة ، بعدها يتمدح أصدقاءه ليدهم آل حصن بهجائه :

- 1- عفا من أهل فاطمة الجواء
فلمّا أن تحمّل أهل ليلي
جرت سنحاً فقلت لها أجزبي
لقد طالبتها ولكل شيء
فصرم حبلها إذ صرّمته
2- بأرزة الفقارة لم يخنها
كان الرجل منها فوق صعل
أذلك أم أقبّ البطن جابّ
تربّع صارة حتى إذا ما
فأوردها حياض صنيعبات
فشجّ بها الأماعز وهي تهوي
فليس لحاقه كلكاق إلف
يفضله إذا اجتهدت عليه
كان سحيليه في كل فجر
فأض كأنه رجل سليب
فليس بنافل عنها مضيع
3- وقد أغدو على شرب كرام
لهم راخ وراووق ومسك
أمشي بين قتلى قد أصيبت

4 - يجرّون البرودة وقد تمّشت
وما أدري وسوف إخال أدري
فإن تكن النساء محبّاتٍ
وإما أن يقول بنو مصادٍ :
وإما أن يقولوا : قد أيننا
وإما أن يقولوا قد وفينا
فإنه الحقّ مقطعه ثلاث
سيأتي آل حصن أين كانوا
فلم أر معشراً أسروا هدياً
وجار البيت والرجل المنادي
فإني لولقيتك واتّجهنا
فأبرئ موضحات الرأس منه
تلجّج مضغةً فيها أنيض
غصّصت بنيها فبشمت عنها
فهلاً آل عبد الله عدّوا
أرونا سنةً لا عيب فيها
فإن تدعوا السواء فليس بيني
ويبقى بيننا قذع وتلفوا
وتوقد ناركم شرراً ويرفع

حميما الكأس فيهم والنفاء
أقوم آل حصن أم نساء
فحقّ لكلّ محصنة هداء
إليكم إننا قوم براء
وشرّ مواطن الحسب الإباء
بذمتنا ، وعادتنا الوفاء
يمين أو نفاً أو جلاء
من المثلات ، ما فيها ثناء
ولم أر جار بيت يستبأ
أمام الحيّ ، عهدهما سواء
لكان لكلّ منكرة كفاء
وقد يشفي من الجرب المناء
أصلتُ فهي تحت الكشح داء
وعندك لو أردت لها دواء
مخازي لا يدب لها الضراء
يسوي بيننا فيها السواء
وبينكم بني حصن بقباء
إذا قوم بأنفسهم أساؤوا
لكم في كلّ جمعة لواء

وتذكر الأخبار أن آل حصن ، بعثوا وفداً إلى زهير ليسترضيه ومعه إبل كثيرة ،
وطلبوا إلى الوفد أن يعتذر لزهير نيابة عنهم ، وقد ندم زهير على هجاء آل حصن .
وقال : « إني والله لقد عجلت إذ فعلت وإيم الله لأهجو أهل بيت من العرب أبداً ،

ما خرجت بليل قط إلا خشيت أن يصيبني عذابٌ من السماء بظلم أهل بيت من العرب كرام»⁽¹⁵⁾.

7 - الفخر :

العربي بطبيعته إنسان فخور ، يحبُّ نفسه أولاً ثم أشقائه ثم أبناء عمه ، ثم قبيلته ، ولكنه في السلم ميّال إلى الإيثار ، وقد تنافس الفرسان في المجد ، حتى ينالوا السمعة الحسنة ، فيفخر الشاعر الفارس بنفسه وفعاله وقومه ..، أما مقومات الفخر فهي مقومات الفروسية نفسها والفتوة كذلك ، يفخر الشاعر بشرفه وشرف قومه فهو شجاع مرهوب ، وفتي مرغوب ، وكريم ذو نار لا تطفأ . يقول بلاشير : « من العسير إيجاد مرادف مقبول لكلمة الفخر ، ولا تثير الكلمة في الذهن فكرة النوع الأدبي ، بل موقفاً يدفع الشاعر إلى التمييز من قبيلته أو الانتصاب تجاه العدو ذاكراً محاسنه وصنائه الفردية أو مآثر أسرته أو عشيرته ، فيصبح الشاعر لمدة وحيزة مركز عالمه الذاتي »⁽¹⁶⁾ . وكلما شعر الشاعر بالحيف والظلم كلما انتفخت ذاته وأعلى قدرها فوق أقدار الآخرين ، وقد وجدنا الصعاليك يفخرون بأنفسهم ويهجون أعداءهم ، واكتشفنا أن التَّبجُّح حاق بمديح بعضهم والكذب وسم هجاء بعضهم الآخر ! والفخر مؤسسة إعلامية تروّج لسيادة القبيلة على القبائل الأخرى والفرد على القبيلة ، وهذا يفسّر سعادة القبيلة بالشاعر حين ينبغ من بين بيوتها ، فتنحر الجزور وتدعى الوفود ، ويرقص الفتيان والفتيات ، وينفخون بالمزاهر ، وينقرون الصنوج ، وقد تستمر الاحتفالات أياماً ! والفخر مولع بالمبالغة حين يحاول إيصال أطروحاته ، ويبدو أن المجتمع يقبل الفخر من الشاعر ويستثقله من الناشر ! وكان المتلمّس خال طرفة قد مكث بين أخواله بني يشكر حتى كادوا يغلبون على نسبه ، فسأل الملك عمرو بن هند ، وهو مضطّرّ الحجارة لشدة ملكة وقوة بأسه وحبّه للدماء وهو المحرّق أيضاً لأنه أحرق تسعة وتسعين شاباً من بني دارم ووحداً من البراجم ، الحارث بن التوأم الإشكري عن المتلمس وعن نسبه ، فأراد

(15) ابن أبي سلمى : زهير . شرح شعره ص 52 - 75 .

الحارث أن يدّعيه ، ثم إن المتلمس يزعم أنه من ضبيعة وأحياناً من بني يشكر ، فقال الملك عمرو بن هند : مثل المتلمس مثل الساقط بين الفراشين فبلغ ذلك المتلمس فاستشاط غضباً وقال يفخر بنسبه :

يعيرني أمي رجلاً ولا أرى	أخا كرم إلا بأن يتكرّما
ومن كان ذا عرض كريم فلم يصن	له حسباً كان اللئيم المذمّما
أحارثُ إنا لو تشاط دماؤنا	تزايلن حتى لا يس دمّ دما
أمنتفياً من نصر بهثةً خلّتي	ألا إني منهم وإن كنت أينا
ألا إني منهم وعرضي عرضهم	كذي الألفِ يجمي أنفه أن يصلما
وإن نصابي إن سألت وأسرّتي	من الناس حيّ يقتنون المزنّما
وكنّا إذا الجبارُ صقر خدّه	أقناله من خدّه فتقوّمما
لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا	وما علّم الإنسان إلا ليعلما
ولو غيرَ أخوالي أرادوا نقيصتي	جعلتُ لهم فوق العرانيين ميسما
وهل لي أمٌ غيرُها إن تركتها	أبي الله إلا أن أكون لها ابناً ⁽¹⁷⁾

أما أبو قيس صيفي بن الأسلت فله في فخره حكاية طريفة ، فقد أولته الأوس قيادتها في حرب بعاث ، ودامت الحرب أشهراً حتى شحب وتغيّر ، وحين انطفأت نار الحرب بين الأوس والخزرج عاد إلى بيته ليلاً فدقّ الباب ففتحته امرأته ، وهي كبشة بنت ضمرة ، فاقترب منها مسلماً فدفعته وأنكرته فقال لها : ويحك أنا أبو قيس فاعتذرت ، وقالت : والله ما عرفتك حتى تكلمت . فقال هذه القصيدة يفخر بأن شحوبه وتغيّر أحواله بسبب قيادته للفرسان .

قالت ولم تقصد لقليل الخنا	مهلاً فقد أبلغت أساعيا
أنكرتّه حين توسّمتيه	والحرب غول ذات أوجاع

(16) بلاشير . تاريخ الأدب العربي ص 466 .

(17) ابن الشجري . مختارات ابن الشجري ص 27 ص 28 .

من يَذق الحرب يجد طعمها
 قد حصت البيضة رأسي فما
 أسعى على كل بني مالك
 أعددت للأعداء موضونة
 أحفزها عني بذني رونق
 صدقي حسام وادق حده
 بز أمري مستبسل حاذر
 لانالم القتل ونجزي به الـ
 نذودهم عنا بمستنبة
 هلا سألت الخيل إذ قلت
 هل أبذل المال على حبه
 وأضرب القونس يوم الوغى
 وأقطع الخرق يخاف الردى
 أقضي بها الحاجات إن الفنى
 مرأ ، وتحبسه بجمعاع
 أطعم غصاً غير تهجاع
 كل امرئ في شأنه ساع
 فضفاضة كالنهي بالقاع
 مهتد كالملاح قطاع
 ومجنناً أسمر قرع
 للدهر ، جلد غير مجزاع
 أعداء كئيل الصاع بالصاع
 ذات عرانب ودقاع
 ما كان إبطائي وإسراعي
 فيهم وآتي دعوة السداعي
 بالسيف لم يقصر به باعي
 فينه على أدماء هلواع
 رهن بذني لونين خداع⁽¹⁸⁾

ويظل لفخر السموءل بن عاديا مذاق مختلف ، فهو يفخر بالشائل العربية وأهمها الترفع عن دنس العرض ، والنأي عن الجزع ، ومن ثم التحلي بالقيم التي يعتز بها كل عربي ، والسموءل يهودي ديناً عربي دماً ولحماً وانتاءً ، والعربي منذ الجاهلية يشترط الولاء ، فكان منهم الحنفي والمسيحي واليهودي والصابئي .. وهذا مثال آخر على أن العرب ليسوا عنصريين ، فكانوا يفخرون بالسموءل ويضربون بوفائه الأمثال ، وكان السموءل يفخر بقومه العرب !

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
 فكل رداء يرتديه جميل
 وإن هو لم يحمل على النفس ضيها
 فليس إلى حسن الثناء سبيل

(18) المفضليات ث 75 ص 284 وبعدها . القونس : عظم وسط الجمجمة .

تعيّرنا أنا قليلٌ عديدنا
وما قلٌّ من كانت بقاياهُ مثلنا
وما ضرّنا أنا قليلٌ وجارنا
لنا جبلٌ يحتلُّه من نجيره
رسى أصله تحت الثرى وسما به
هو الأبلقُ الفردُ الذي شاع ذكره
وإننا لقومٌ لانرى القتلَ سبّةً
يقربُ حبُّ الموتِ آجالنا لنا
وما ماتَ منا سيدٌ حتفَ أنفه
تسيلُ على حدِّ الطُّبّاتِ نفوسنا
صفونا فلم نكدُرْ وأخلصَ سرّنا
فنحن كماء المُنزِنِ ما في نصابنا
وننكر إن شئنا على الناس قولهم
إذا سيدٌ منا خلا قام سيدهُ
وما أخذتُ نارَ لنا دون طارقِ
سلي إن جهلتِ الناسَ عنا وعنهم

فقلت لها: إن الكرام قليل
شبابٌ تسامى للعلی وكهول
عزيزٌ وجار الأكرثين ذليل
منيعٌ يرُدُّ الطرفَ وهو كليل
إلى النجم فرعٌ لا ينالُ طويل
يعزُّ على من رامه ويطول
إذا مارأته عامرٌ وسلول
وتكرهه آجالهم فتطول
ولا طُلُّ منا حيث كان قتيل
وليست على غير الطُّبّاتِ تسيل
إناثٌ أطابتُ حملنا وفحول
كهامٌ ولا فينا يعدُّ بخيل
ولا ينكرون القول حين نقول
قوولٌ لما قال الكرامُ فعول
ولا ذمنا في النازلين نزيل
فليس سواءً عالمٌ وجهول⁽¹⁹⁾

8 - التوثيب :

الموثبات قصائد كتبها الشعراء ليشبوا الحماسة في نفوس الناس لكي يحاربوا أعداءهم⁽²⁰⁾ ، وكان الشاعر الجاهلي حاذقاً في توثيب الناس فيدعوهم للحفاظ على شرف النساء وسمعة القبيلة ، والقيم النبيلة والأموال ، ثم يذكّرهم بمجد السلف ومضاء الخلف ، وجدارة الأسلحة ، وقد أدت القصائد التثويبية دوراً مخزّباً في المجتمع الجاهلي إذ أوغرت

(19) ديوانا عروة بن الورد والسمول ص 90 ، طب دار صادر ، بيروت ، تح كرم البستاني .

(20) الجباوي . محمد فتاح . الموثبات في الشعر الجاهلي .

الصدور ، وزيّفت الحقائق والوقائع وتسببت في إراقة الدماء البريئة ، وسبي الحرائر الممنّعة ، وهلاك الزرع والضرع كما يقال .. فهي (الموثبات) تشبه إعلام الحرب في زماننا هذا ، فإعلام الحرب قائم على المزاعم وفكرة أنا الأشرف ، وأنا الأقوى ، وأنا الأحق ، وإن العدو معتمد ومخاتل وجبان ، وإنه طامع بالأرض والعرض والمال والحلال . وللدارس أن يستثني عدداً من القصائد النبيلة المكتوبة بروح عروبية ، فقد نبّه عدد من الشعراء ذوي النظرة العروبية المبكرة إلى المخاطر الحقيقية التي تمثلها الدولتان العظيمان : الأكاسرة والقيصرة فضلاً عن الخطر الآتي من الحبشة ، حتى إن لقيطاً بن يعمر الإيادي دفع حياته ثمناً لموثباته ، أما الأعشى فيكفيه شرفاً أنه هجا أكبر زعيم عربي عهد ذلك ، وهو قيس بن مسعود الشيباني ، ولم يبال بالمخاطر التي يمكن أن تناله بسبب هجائه لقيس ، وتحريض العرب عليه ، وقد اتهم الأعشى قيس بن مسعود بالخيانة العظمى ؛ لأنه زار أعداء العرب والحرب قائمة ، ناسياً الدماء التي سفكت والمصائب التي حلت⁽²¹⁾ ، ومن يقرأ أيام العرب في العصر الجاهلي سيتوفر على نصوص كثيرة في التوثيب !

أما المنصفات فهي قصائد مهمة أنصف فيها الشاعر الفارس عدوّه⁽²²⁾ ، فوصفه بالشجاعة والخبرة والسماحة ، ولا يستغرب من الفارس مثل هذه الأخلاق ، فالفارس ذكي فإذا امتدح خصمه وقال : إنه شجاع ، ثم انتصر على هذا الشجاع كان فخره أعمق ونصره أوضح ، وقد عنّ لنا إيراد موثبتين للقيط بن يعمر الإيادي يحرّض فيهما العرب ، وبخاصة إياد التي تجمّع حولها العرب لملاقاة الجيوش القادمة لغزومهم ، ويفضّل برنامج الذي يقترحه للنصر .. ولا نريد التفصيل فالموثبتان بليغتان ولا تحتاجان لمزيد من الإيضاح :

(21) الصائغ . د . عبد الإله . الخطاب الإبداعى الجاهلي والصورة الفنية . الفصل السابع ص 261 وبعدها ، مكرّس للموثبات العروبية في العصر الجاهلي .

(22) الملوحي . عبد المعين . المنصفات . جمع وتحقيق ، طب دمشق 1967 .

الموثبة الأولى (قطعة) .

إلى من بالجزيرة من إياد
فلا يشغلكم سوق النقاد
يزجّون الكتاب كالجراد
أوان هلاككم كهلاك عاد

سلام في الصحيفة من لقيط
بأن الليث كسرى قد أتاكم
أتاكم منهم ستون ألفاً
على حتفٍ أتيناكم فهذا

الموثبة الأخرى (طويلة) :

هاجت لي الهم والأحزان والوجع
مرّت تريد بذات العذبة البيعا
يأساً مبيناً ترى منها ولا طمعا
طيفةً تعمّد رحلي حيثما وُضعا
نحو الجزيرة مرتاداً ومنتجعا
إني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعا
شقي وأحكيم أمر الناس فاجتعا
أمسوا إليكم كأمثال الدّبا سرّعا
لا يشعرون أضّر الله أم نفعنا
شوكاً وآخر يجني الصّاب والسّلعا
شَمّ الشاريخ من شلان لانصدعا
لا يجمعون إذا ما غافل هجعا
من دون ييضتكم ريباً ولا شيعا
في كلّ معتمِلٍ تبغون مزدرعاً
وتنتجون بدار القلعة الرُبعا
هضّر الليوث وهذا هالك صقعا

يادار عمرة من محتلها الجرعا
تامت فؤادي بذات الجزع خرعة
جرت لما بيننا جبلُ الشّوس فلا
فما أزال على شخطٍ يورقني
بل أيها الراكب المُرّجي مطيته
أبلغ إياداً وخلّ في سراتهم
يالهدف نفسي إن كانت أموركم
ألا تخافون قوماً لأبالكم
أبناء قومٍ تأوؤكم على حنق
فهم سراعٍ إليكم بين ملتقط
لو أن جمعكم راموا بهدّته
في كل يوم يسنون الحراب لكم
لا الحرث يشغلهم بل لا يرون لهم
وأنتم تحرثون الأرض عن سفه
وتلقحون حيال الشول أونة
أنتم فريقان : هذا لا يقوم له

وقد أظلمكم من شطر ثغركم
مالي أراكم نياماً في بلهنية
فاشفوا غليلي برأي منكم حسن
ولا تكونوا كمن قد بات مكنعاً
صونوا جياتكم واجلوا سيوفكم
واشروا تلادكم في حرز أنفسكم
ولا يدع بعضكم بعضاً لنائبة
يا قوم بيضتكم لا تفجعن بها
يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيراً
هو الجلاء الذي يجتث أصلكم
فقللوا أمركم لله دركم
عبل الذراع أيباً ذا مزبنة
مستنجداً يتحدى الناس كلهم
لقد بذلت لكم نصحي بلا دخل
هذا كتابي إليكم والنذير لكم

هول له ظلم تغشام قطعاً
وقد ترون شهاب الحرب قد سطعاً
يضحى فؤادي له ريان قد نقعاً
إذ يقال له امزج غمة كنعاً
وجددوا للقسي النبل والشرا
وحرز نسوتكم لا تهلكوا هلعاً
كما تركتم بأعلى بيشة النخعا
إني أخاف عليها الأزلم الجذعا
على نسائك كسرى وما جمعاً
فمن رأى مثل ذا رأياً ومن سمعاً
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعاً
في الحرب لا عاجزاً نكساً ولا ورعاً
لوقارع الناس عن أحسابهم قرعاً
فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعاً
لمن رأى منكم رأياً ومن سمعاً⁽²³⁾

ومما يحز في نفس الباحث أن بعض الدارسين الذين يعمّهون في أحكامهم .. ظنوا أن الشعر التوثيبي الذي كتبه الشعراء في الحروب الطاحنة القذرة بين أبناء الأمة الواحدة شعراً قومي ولا ندري أيّ قومية هذه تلك التي تنو في الحرب الأهلية التي تدور رحاها بين الأشقاء وأولاد العم .. وقد تنبّه زهير المزني فشجّع ذادة السلام ، وكتب فيهم قصائد المديح لأنهم يرأبون الصدع بين العربي وأخيه .. أما الفند الزماني فقد

(23) ابن يعمر . لقيط . ديوانه ص 35 - 51 ، تح د . عبد المعين خان ، طب مؤسسة الرسالة - بيروت

. 1987

الصائغ . عبد الإله . صحيفة لقيط (تحليل نص) مجلة الطليعة الأدبية ، بغداد ، شباط (فبراير)

. 1979

حاول بكل ما يمتلك من وعي وصرآن لا يكون سبباً في إشعال الفتنة بين الإخوان ،
ولكن دائماً ثمة أولئك الذين لا يهتأ لهم بال إلا بتخليق المصائب ..

أقيـدو القومَ إن الظلـد	مَ لا يرضاه دِيان
وإن النار قد تصب	ح يوماً وهي نيران
وفي العدوان للعدوا	ن تـوهينَ وإقران
وبعضُ الحلمِ يومَ الجهـه	لِ للذَّلَّةِ إذعان
صفحنـا عن بني ذهل	وقلنا القومَ إخوان
عسى الأيامُ أن يرجعـه	نَ قوماً كالذي كانوا
فلمـا صرَّحَ الشُّرُّ	بدا والشُّرُّ عريان
أناس أصلنا منهم	ودنا بالذي دانوا
وكنـا معهم نرمي	فنحنُ اليومَ أحـدان
وفي الطاعة للجاهـد	لِ عندَ الحَرِّ عصيان
فلما أبي الصلحُ	وفي ذلك خذلان
شددنا شدة الليث	غدا والليث غضبان
بضربٍ فيه تأثيم	وتفجيجٍ وإرنان
وقد أذهنُ بعضَ القوم	إذ في البغي إدهان
وقد حلَّ بكل الحيِّ	بعـد البغي إمكان
بطعن كفم اللـزق	غدا واللـزق ملآن
وفي الشُّرِّ نجاةً حـد	ن لا ينجيك إحسان
ودان القومُ إن لقيـد	يتِ الفتیانَ فتیان ⁽²⁴⁾

(24) البغدادي . محمد بن المبارك ت 589 . قصائد نادرة من كتاب مُنتهى الطلب من أشعار العرب
ص 70 ، تحقيق د . حاتم صالح الضامن ، طب مؤسسة الرسالة ، بيروت 1983 .

لأحد يحبُّ الحرب ، حتى أولئك الذين أشعلوها ، وجعلوا البشر وقودها ! فالكل يدّعي أنها سبب الدّمار والحرب والموت ، وقد تجد قياً نبيلة لفرسان الحرب أمثال عنترة ، وعامر بن الطفيل ، والفند الزماني ، وسواهم من نحو النجدة والنفو عن المستسلم ، وعدم الإجهاز على الجريح والتّرفّع عن طعن المدبر في قفاه ، والحفاظ على شرف النساء ، والزهد بالغنائم ، وما إلى ذلك من أخلاق الفرسان ، لكن الدعوة للسلام ينبغي أن تكون واضحة ، فداعية السلام غيره داعية الإعدام ، وإن زعم هذا الأخير أنه يعدم الآخرين في الحرب دفاعاً عن الحياة أو ردّاً للاعتبار ، وقد عرفت الجاهلية شعراء يدعون للسلام بين الشمال والجنوب أو القبائل المتخالفة أو المتحالفة ، صوناً للعرض وحفاظاً على المال الذي تثمره الزراعة والرّعي والصناعة والتجارة والعبادات ، وهذه أمور لن تنو إلا في زمن السّلم ، وعرف زهير مثلاً داعية سلام ، وعرف الفند بأنه داعية ضبط النفس ! وقد رسم امرؤ القيس صورة كابوسية للحرب تشبه صورة (درايكولا) في عصرنا الحديث :

الحربُ أولُ ما تكونُ فتية	تسعى بزيتها لكلّ جهول
حتى إذا استعرت وشبّ ضرامها	عادتُ عجوزاً غير ذات حليل
شمطاء جزّت رأسها وتنكرت	مكروهة للشّمّ والتّقييل ⁽²⁵⁾

ثم قارن احتفاء زهير برجلي السلم ، ثم وصفه المقرّز للحرب !!

سعى ساعياً غيظ بن مرة بعدما	تبزل ما بين العشيرة بالدم
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله	رجال بنوه من قريش وجرم
تداركتما عبساً وذبيان بعدما	تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما: إن ندرك السلم واسعاً	بمالٍ ومعروفٍ من الأمر نسل

(25) امرؤ القيس . ديوانه . ق 96 ص 353 .

فأصحبتمنا منها على غير موطن
عظيبن في عليا معدي هديتما
وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
فتعركم عرك الرحا بثفالهها
بعيدن فيها من عقوق ومأثم
ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم
وما هو عنها بالحديث المرجم
وتضر إذا ضريرتها فتضم
وتلقح كشافاً ثم تنتج فتتم⁽²⁶⁾

10 - الحكمة :

الحكمة لغة العقل والتجربة ، وقد وجدت لها في الحياة الجاهلية جمهوراً عريضاً لا يقل أهميةً وكماً عن جمهور الغزل أو الفروسية ، وكان هذا الجمهور فعالاً في صياغتها ، بمعنى أنه يشجع ضرباً من الحكمة يجعل الشاعر مضطراً أحياناً لتلبية رغبة الناس ، فالحكمة حكمت ، وفن الحكمة قريب الأرومة من الشعر الديني وإن تباينت الأساليب والأهداف ، فشعر الحكمة يحذر الناس من عواقب الجور والظلم والغدر ، والسرقه والغطرسة . يحذرهم من إزعاج الجار ، أو الانهك في الملذات ، ثم يضرب الأمثال تلو الأمثال بالأهم الغابرة التي سادت ثم بادت بسبب الجور والعتو ، وللأمثال العربية مركزية بيّنة في شعر الحكمة ؛ لأنها أي الأمثال تصطنع تناصاً بين أحداث حاضرة وأحداث غابرة فتستحضر الحدث الغابر ، وتغيّب الحدث الحاضر إمعاناً في التشويق والترغيب والترهيب ، وغالباً ما يدعو شعر الحكمة إلى صون اللسان عن الكذب ، واليد عن الأذى ، والاسم عن الفحشاء ! وقد يلجأ الشاعر إلى الحكمة وهو يرثي عزيزاً عليه ، أو حين يحذر قريباً أو يهدد معتدياً ، وأكثر شعر الحكمة مقترن بالشيخوخة والتجربة وكثرة الأسفار ، فالشاعر الذي يطعن في السن ولا يجد ما يقوله في الغزل أو الفروسية أو الهجاء أو الفخر يجد الكثير الذي يقوله في الحكمة ، فيدعو الناس إلى مكارم الأخلاق والتأمل في الحياة والخلق ، ويبدو أن الحكمة كانت لسان الميزان بين رغبات المجلسد

(26) ابن أبي سلمى . زهير . شرح شعره ص 24 .

وطلبات العقل ، بين اندفاع الشباب وتردّد الشيوخ ، فهي (الحكمة) تعيد التوازن إلى أشياء كثيرة ، قال زهير :

سُمّت تكاليف الحياة ومن يعيش
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
وأعلم ما في اليوم والأمس قبله
ومن لا يصانع في أمور كثيرة
ومن يك ذا فضل ويبخل بفضله
ومن يجعل المعروف من دون عرضه
ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه
ومن يوف لا يذمم ومن يفض قلبه
ومن يغترب يحسب عدواً صديقه
ومها تكن عند امرئ من خليقة
وكائن ترى من صامت لك معجب
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده
سألنا فأعطينم وعدنا فعدتم

ثانين حولاً لا أباك يسأم
تمتته ومن تخطئ يعمر فيهم
ولكنني عن علم ما في غد عمي
يضرّس بأنياب ويوطأ بنسم
على قومه يستغن عنه ويذمم
يفره ومن لا يتّسق الشتم يشتم
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ولو نال أسباب السماء بسلم
يطيع العوالي ركبت كل لهدم
إلى مطمئن البر لا يتجمجم
ومن لا يكرّم نفسه لا يكرّم
وإن خالها تحفى على الناس تعلم
زيادته أو نقصه في التكلم
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وإن الفتى بعد السفاهة يحلم
ومن أكثر التسأل يوماً سيحرم

وجاء في معجم البلدان (368/4) وبعدها) أن خالد بن الوليد حين فتح الحيرة ، دخل دير هند بنت النعمان بن المنذر المعروفة بالحرمة ، فوجدها وقد أسنت ، فقال لها : أخبريني بشيء أدركت . فقالت : ماطلعت الشمس بين الخورنق والسدير إلا على ما هو تحت حكمنا فما أمسى المساء حتى صرنا حولاً (خدماً) لغيرنا ، ثم أنشأت تقول :

فبينما نسوس الناس والأمر أمرنا
إذا نحن منها سوقة نتنصف
فتباً لدنيا لا يدوم نعيمها
تقلّب تارات بنا وتصرف إ.هـ

وهناك في دير هند الصغرى آثار قبر النعمان ، أما دير هند الكبرى وهو على
طرف النّجف ففية مسلة عالية كتب عليها :

إن بني المنذر عام انقضوا
بجيث شاد البيعة الراهب
تنفح بالمسك ذفارهم
وعنبر يقطبه القاطب
والقزّ والكتّان أثوابهم
لم يجب الصوف لهم جائب
والعزّ والمللك لهم راهن
وقهوة ناجودها ساكب
أضحوا وما يرجوم طالب
خيراً ولا يرهبهم راهب
كانهم كانوا لهم لعبة
سار إلى أين بها الراكب
فأصبحوا في طبقات الثرى
بعمد نعيم لهم راتب
شرّ البقايا من بقى بعدم
قلّ وذلّ جدّه خائب إ.هـ

أما حكمة أحيحة بن الجلاح ، فهي خاصة بالمال ، فقد وجد بعد طول تجربة أن
المال عند الناس مفتاح لأكثر مغالقتهم !!

استبق مالك لا يفررك ذو نشب
من ابن عم ولا عم ولا خال
فلن أزال على الزوراء أعرها
إن الحبيب على الإخوان ذو مال
كل النداء إذا ناديت يخذلني
إلا ندائي إذ ناديت يامالي⁽²⁷⁾

وميزة الحكمة أنها تعبر عن تجربة الشاعر مع الناس والزمن ، أو عن رغبة الناس في
سماع نصائح ذات منحنى معين ، وقد يجمد الشاعر جمهوراً عريضاً مثلاً في وقت لضرب

(27) البصري . الحماسة البصرية 42/2 ق 108 .

من الحكمة ولا يجده في الوقت الآخر ، فأيام الحرب لها حكمها وأيام السلم لها حكمها أيضاً ، أما المثقب العبدى فإن حكمته تمثل فلسفته الأخلاقية في الحياة :

لا تقولن إذا ما لم ترد
حسن قول (نعم) من بعد (لا)
إن لا بعد نعم فاحشة
فإذا قلت نعم فاصبر لها
واعلم أن اللذم نقص للفتى
أكرم الجار وأرعى حقه
لا تراني راتعاً في مجلس
إن شر الناس من يكشر لي
وكلام سيئ قد وقرت
فتعزيت خشاة أن يرى
ولبعض الصفح والإعراض عن
إنما جاد بشأس خالدة
من منايا يتخاسين به
مترع الجفنة ربعي الندى
يجعل الهن عطايا جمة
لا يبالي طيب النفس به
أجعل المال لعرضي جنة

أن تم الوعد في شيء (نعم)
وقبيح قول لا بعد نعم
فب (لا) فابدأ وإن خفت الندم
بنجاح القول إن الخلف ذم
ومتى لا يتق اللذم يندم
إن عرفان الفتى الحق كرم
في لحوم الناس كالسبع الضرم
حين يلقاني وإن غبت شتم
أذني عنه وما بي من صم
جاهل أني كما كان زعم
ذي الخنا أبقى وإن كان ظلم
بعدهما حاقت به إحدى الظلم
يبتدرن الشخص من لحم ودم
حسن مجلسه غير لطم
إن بعض المال في العرض أمم
تلف المال إذ العرض سلم
إن خير المال ما أدى اللذم⁽²⁶⁾

وقد جعل الأمير أسامة بن منقذ باباً في لباب الآداب أسماه (باب في الحكمة)
نقتبس منه نتفاً من الشعر الجاهلي الذي قيل في الحكمة :

(28) الفضليات . رقم 77 ، ص 293 وبعدها .

1 - قال شاعر قديم :

وكيف تريد أن تدعى حكيماً
وأنت لكلّ ما تهوى ركوب

2 - قال عمرو بن معديكرب :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه
وجاوزه إلى ما تستطيع

3 - قرئ على باب مقبرة :

رَبِّ قَوْمٍ قَدْ غَنَوْا فِي نِعْمَةٍ
صَمَتِ الدَّهْرُ زَمَاناً عَنْهُمْ
برهةً والدهر رِيّانٌ غَدَقَ
ثم أبكاهم دماً حين نطق

4 - قال لبيد :

وأكذب النَّفسِ إذا حدّثتها
إن صدقَ النَّفسِ يزري بالأمل

5 - سمع كعب الأحبار رجلاً ينشد للحطيئة بيتاً في الحكمة فقال : والذي نفسي

بيده إن هذا مكتوب في التوراة (!!) :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرفُ بين الله والناس

6 - قال تميم بن مقبل (مخضرم) :

لا يُحرز المرءُ أحجاءَ البلادِ ولا
ما أطيب العيشَ لو أن الفقى حجرٌ
تبنى لها في السماوات السلايم
تبنو الحوادث عنه وهو ملموم

7 - قال أبو ذؤيب الهذلي :

والنفس طامعة إذا رغبتهَا
وإذا تردُّ إلى قليل تقنع

8 - وقال المرقش الأصغر :

فن يلقَ خيراً يحمد الناسُ أمره
ومن يفو لا يعدم على الفبي لائماً

9 - قال طرفة بن العبد :

ستبدي لك الأيامُ ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ولست بمستبق أخاً لا تلمُّه على شعث أيُّ الرجال المهذب⁽²⁹⁾

ويمكن القول أن الأعشى حال متميزة في صناعة شعر الحكمة ، فهو يصوغ تجربته من حاصل مزج بين زمنه الحاضر وزمن الناس الغابر ، بين السعادة والشقاء ، والمثال الجميل والواقع الخشن ، ضارباً بالأمثلة برموز تاريخية قادرة على تعزيز رؤيته للحكمة ، وهو الشيخ المتصايفي قارن :

<p>وأرقت وما هذا السهاد المورق ولكن أراني لأزال بحوادث فإن يميس عندي الشيبُ والهَم والعشى فأنت إن دامت عليك بخالد وكسرى شهنشاهُ الذي سار ملكه ولا عادياً لم يمنع الموت ماله بناه سليمانُ بن داود حقبَةً يوازي كبيداءَ السماء ودونه له درمك في رأسه ومشارب وحورٌ كأمثال الدُمى ومناصف فذاك ولم يعجز من الموت ربه ولا الملك النعمانُ يوم لقيته ويجي إليها السيلحون ودونها ويقسم أمر الناس يوماً وليله ويأمر للبحوم كلُّ عشية يُعالي عليه الجللُ كل عشية</p>	<p>وما بي من سقم وما بي معشق أغادي بما لم يميس عندي وأطرق فقد بنّ مني والسلام تغلّق كما لم يخلد قبل ساسان ومورق له ما اشتهى راح عتيق وزنبق وحصنٌ بتياء اليهودي أبلق له أزجّ عالٍ وطبيٌّ موثق بلاطٌ ودارات وكلس وخذق ومسكٌ وريحان وراح تصفّق وقدر وطبخ وصاع وديسق ولكن أتاه الموت لا يتأبق بإمته يُعطي القطوط ويأفق صريفون في أنهارها والخورنق وهم ساكتون والمنية تنطق بقتٍ وتعليق وقد كاد يسنق ويرفعُ ثقلاً بالضحي ويعرقُ</p>
---	---

(29) ابن منذر . الأمير أسامة ت 584 . لباب الآداب ص 420 ، طب دار الكتب العلمية ، بيروت 1980 .

بسباط حتى مات وهو محرزق
وترك الهوى في الغي أنجى وأوفق
فخذ طرفاً من غيرها حين تسبق
وللقصد في المسير والحق⁽³⁰⁾

فذاك وما أنجى من الموت ربّه
جماع الهوى في الرشد أدنى إلى التقى
إذا حاجة ولتك لا تستطيعها
فذلك أدنى أن تنال جسيها
ثم قارن للأعشى أيضاً :

واحتلت الغمر فالجدّين فالقرعا
من الحوادث إلا الشيب والصلعا
وهيا وينزل منها الأعصم الصدعا
بعد ائتلاف وخير الودة مانفعا
لو أن شيئاً إذا ما فاتنا رجعا
دهرّ يعود على تشيت ما جمعا
إن كان عنك غراب الجهل قد وقعا
ياربّ جنبّ أبي الأوصاب والوجعا
فقد عصاها أبوها والذي شفعا
هم إذا خالط الحيزوم والضلعا
يوماً فإن لجنب المرء مضطجعا
أوبّ المسافر إن ريشاً وإن سرعا
أهدت له من بعيد نظرة جزعا
لذي اغتراب ولا يرجوله رجعا
حقاً كما صدق الذئبي إذ سجعا
إنسان عين وموقاً لم يكن قععا

بانث سعاد وأمسى حبلاً انقطعا
وأنكرتني وما كان الذي نكرت
قد يترك الدهر في خلقاء راسية
بانث وقد أسارت في النفس حاجتها
وقد أرانا طلاباً هم صاحبها
وكان شيء إلى شيء ففرقه
وما طلابك شيئاً لست مدركه
تقول بنتي وقد قربت مرتحلا
واستشفعت من سراة الحي ذا شرف
مهلاً بنى فإن المرء يبعثه
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي
واستخبري قافل الركبان وانتظري
كوني كمثل التي إذ غاب وافدها
ولا تكوني كمن لا يرتجى أوبّة
ما نظرت ذات أشفار كنظرتها
وقلبت مقلّة ليست بمقرفة

(30) ديوان الأعشى ، ق 33 ، ص 267 وبعدها . ومعاني الكلمات والأبيات مبثوثة في الهوامش فاقنضت

الإشارة .

قالت أرى رجلاً في كفه كتف
فكذبوها بما قالت فصّبّحهم
أو يخصف النعل لهفي أية صنعا
ذو آل حسان يزجي الموت والشرعا
وهدموا شاخص البنيان فاتضعاً⁽³¹⁾

11 - الدين

الشعر الديني واقع مائل ، تشهد له نصوص الشعر الجاهلي وأهميتها كما ونوعاً ، وقد تهيأ لنا أن نضع هذا الغرض رغم صعوبة إقحامه وتواضع الدارسين على أن الشعر الديني كان ضعيفاً ، وربما كان منحولاً .. والذي نراه أن الشعر الديني ليس فرضية دون أساس أو قاعدة دون أمثلة ، فلقد كان الشعور الديني قوياً لدى الجاهليين . ومعلوم أن اصطناع الأصنام لم يكن (تاريخياً) معروفاً عند العرب ، فقد اصطنعها عمرو بن لحي قبيل الإسلام ، وجلبها من بلاد الشام ليتاجر بها ، وليجرب بضاعتها في الأسواق ، وحين انتشرت الأصنام لم نجد من كان يعبدها ، وإنما كان الجاهليون يتقربون بها إلى الله سبحانه الذي لا شريك له ولا ند ، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم .

ثمة شعراء كانوا يدينون بالحنيفية ، وقد شوهد زيد بن عمرو بن نفيل يبكي عند الكعبة ويلطم وجهه قبيل المبعث النبوي ويقول : يا قوم لم يبق على دين إبراهيم أحد غيري .

وثمة الشعراء اليهود مثل السموءل الذي يقول :

إن امرأ من الحوادث جاهل
من بعد عاديّ الدهور ومأرب
مرّت عليهم أفّة فكأنها
ياليت شعري حين أندب هالكاً
يرجو الخلود كضارب بقداح
ومقاول بيض الوجوه صباح
عفت على آثارهم بتاح
ماذا تؤبني به أنواحي⁽³²⁾

(31) ديوان الأعشى . ق 13 ، ص 151 وبعدها .

(32) ديوانا عروة والسموئل بن عاديا ص 86 .

وثمة شاعر اسمه (سعية بن العريض اليهودي) انفرد بالأصمية رقم (22) ، وهو كما يقول أحد محمد شاعر وعبد السلام هارون محققا المفضليات : « شاعر متقدم مجيد ، وهو من بني بهدل » قال سعية :

ألا إني بليتٌ ووقــــد بقيتُ وإني لن أعــــودَ كما غنيت
وأجتنبُ المقــــاذعَ حيث كانت وأترك ما هويت لما خشيت إ.هـ

ويبدو أن اليهود كانوا يبشرون بدينهم ، وكانوا يستثمرون حاجة الجاهليين للخمرة فيقدّمونها لهم ، ثم يدعونهم إلى اليهودية ، إلا أن طبيعة العربي لا تنسجم مع الطقوس اليهودية .. المرقش الأكبر

ثوت في سباء الدنّ عشرين حجة يطانٌ عليها قرمد وترّوح
سباها رجالٌ من يهود تباعدوا لجيلانَ يذنيها من السوق مريح⁽³³⁾
وقال الأعشى :

وصهباء طاف يهود بها وأبرزها وعليها ختم⁽³⁴⁾

وقد أنشد المفضل لشاعر يهودي جاهلي قصيدة بائنة احتازت رقم (37) ، وفيها حديث عن القضاء والقدر ، فقد يخطب الرجل امرأة ويتزوج غيرها ، وقد ينال مناه الرجل غير الذكي ، ويعجز الرجل الأريب ، كل شيء له (أمرّ قادر) :

سلا ربة الخدر ماشأنها ومن أيّ مافاتنا تعجبُ
فلسنا بأول من فاته على رفقه بعضُ ما يطلب
فكائن تضرّع من خاطب تزوّج غير التي يخطب
وزوجها غيره دونه وكانت له قبله تحجب
وقد يدرك المرء غير الأريب وقد يصرّع الحول القلبُ

(33) المفضليات . رقم 55 . ص 242 .

(34) ديوان الأعشى . ق 4 . ص 85 . ب 10 .

ألم ترَ عَصْمَ رُؤُوسِ الشُّظَا إذا جاءَ قَانِصُهَا تُجَلِبُ
إليه وما ذاك عن إربية يكون بها قانص يأرب
ولكن لها أمرٌ قادر إذا حاول الأمر لا يغلب⁽³⁵⁾

يقول الأستاذ عبد الله سالم مليطان : « أشارت كثير من المصادر التاريخية إلى استيطان اليهود في أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية شمالاً وجنوباً ، واتخاذهم من يثرب وفدك وخيبر ووادي القرى وتيماء منازل لهم وهم عدة قبائل منهم بنو عكرمة ، وبنو ثعلبة ، وبنو محمر ، وبنو زعورا ، وبنو قنيقاع ، وبنو زيدة ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو بهدل ، وبنو عوف ، وبنو القصيص ، وبنو ماسلة . وكان لهذه القبائل من الناحية العقلية والدينية وضع معين قبل بعثة النبي ﷺ وهجرته إلى يثرب ، فهم أهل كتاب استطاعوا بميراثهم الديني والثقافي أن يكتسبوا نوعاً من الواجهة الفكرية بين العرب ، بما لديهم من قصص الأنبياء والملوك الأقدمين وحكايات بدء الخليقة .. »⁽³⁶⁾ .

أما الشعراء النصارى فكان عددهم غير قليل في العصر الجاهلي ، حتى إن الأب لويس شيخو صنع كتاباً لإحصاء عددهم وتوثيق قصائدهم⁽³⁷⁾ ، أما الشعراء الأحناف فقد وجدوا من يعنى بأفكارهم وتقاليدهم وقصائدهم من الباحثين العرب ، فقد أنجز الدكتور يحيى الجبوري بحثاً في حركة الأحناف⁽³⁸⁾ ، وأنجز الدكتور عادل البياتي بحثاً في شعر الأحناف⁽³⁹⁾ ، وقد ذكر أمية بن أبي الصلت (دين الحنفية) :

(35) المفضليات . ق 37 . ص 179 وبعدها .

(36) مليطان . عبد الله سالم . التفكير الأسطوري في الإسرائيليات ص 65 وبعدها . طب دار مداد . ليبيا . 1998 .

(37) شيخو . لويس . شعراء النصرانية ، مط الكاثوليكية - لبنان 1990 .

(38) الجبوري . د . يحيى . حركة الأحناف في الجاهلية ، مجلة المعارف عدد 9 ، أيلول (سبتمبر) 1962 . ص 53 .

(39) البياتي . د . عادل . شعر الأحناف / دراسة وتحليل مجلة آداب المستنصرية العدد 5 سنة 1980 .

إن آيات ربنا باقيات
 خلق الليل والنهار فكل
 ثم يجلو النهار رب كريم
 حبس الفيل بالمغمس حتى
 حوله من ملوك كندة أبطا
 خلفوه ثم ابذعروا جميعاً
 كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور⁽⁴⁰⁾

وقد عرف أمية بن أبي الصلت بالتزامه الديني ، فهو في شعره يدعو إلى الإيمان بالله ، والتفكير في خلق السموات والأرض ، حتى ليكننا القول : إن جل ديوانه يدور حول المعاني الدينية الشائعة في العصر الجاهلي ، قارن لمثال قوله :

والأرض نوّخها الإله طروقة
 والأرض معقلنا وكانت أمنا
 فبنى الإله عليهم مخصوفة
 فأمّ ستاً فاستوت أطباقتها
 كزجاجة الغسول أحسن صنعها
 لمصفدين عليهم صاقورة
 فيها النجوم تطيع غير مراحة
 رسخ المها فيها فأصبح لونها
 شدّ القطوع على المطايا ربنا
 ملك على عرش السماء مهين
 والشهر بين هلاله ومحاقه
 للماء حتى كل زند مسقّد
 فيها مقابرنا وفيها نواد
 خلقاء لا تبلى ولا تتأود
 وأتى بسابعة فأنى تورّد
 لما بناها ربنا يتجرّد
 صماء ثلاثة تماع وتجمد
 ما قال صدقها المليك الأرشد
 في الوارسات كأنهن الأثمد
 كل بنعاء الإله مقيّد
 تعنوا لعزته الوجوه وتسجد
 أجل لعلم الناس كيف يعدّد

(40) ابن أبي الصلت . أمية . شرح ديوانه . طب مكتبة الحياة ، بيروت ، تح الأخوين كاتب : سيف الدين وأحمد عصام . ص 47 .

لا نقص فيه غير أن خبيثه
مستخفياً وبنات نعش حوله
والشمس تطلع كل آخر ليلة
لا تستطيع بأن تقصّر ساعة
ولسوف ينسى ما أقول معاشر
فاغفر لعبد إن أول ذنبه
قر وساهور يُسلُّ ويغمد
وعن اليمين إذا يغيب الفرقد
حمراء يصبغ لونها يتورّد
وبذاك تدأبُ يومها وتشرّد
ولسوف يذكره الذي لا يزهد
شرباً وأيساراً يشاركها دد⁽⁴¹⁾

ونقل المسعودي : أنه قدم على النبي الأمين ﷺ وفد قبيلة إياد فسألهم عن قس فقالوا : هلك يارسول الله ، فقال : رحمه الله كأنني أنظر إليه بسوق عكاظ على جبل له أحمر ، وهو يقول : أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت .

أما بعد : فإن في السماء خبراً وإن في الأرض لغيراً ، نجوم تمور ، وبحار تغور ، وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، أقسم قسّ بالله لا حائثاً ولا آثمأ إن لله ديناً هو أرضى من دين أنتم عليه ، مالي أراهم يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا ؟ سبيل مؤتلف وعمل مختلف ... وقال آياتاً لا أحفظها فقام أبو بكر رضي الله عنه وأنشدها :

في الـذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيتُ موارداً للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأوائل والأواخر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقي غابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر !

فقال رسول الله ﷺ : « رحم الله قسّاً إني لأرجو أن يبعثه الله أمة وحده »⁽⁴²⁾ .

(41) المصدر نفسه . ص 27 وبعدها .

(42) المسعودي . أبو الحسن علي بن الحسين ت 306 . مروج الذهب 83/1 . تح محمد عي السنين عبد الحميد . طب السعادة . مصر 1964 .

وكان زهير بن أبي سلمى متأهلاً ، يرى قدرة الله في كل شيء يراه وهو يرى آيات الله ويتمنى أن يراها الناس مثله !!

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى
بدا لي أن الناس تفتى نفوسهم
وإني متى أهبط من الأرض تلمعة
أراني إذا ما بت على هوى
إلى حفرة أهوي إليها مقيمة
كأني وقد خلفت تسعين حجة
بدا لي أني عشت تسعين حجة
بدا لي أن الله حق فزادني
بدا لي أني لست مدرك ما مضى
وما إن أرى نفسي تقيها كريمي
ألا لا أرى على الحوادث باقياً
ولا السماء والبلاد وربنا
أراني إذا ما شئت لاقيت آية
ألم تر أن الله أهلك تبعاً
وأهلك ذا القرنين من قبل ما ترى
ألا لا أرى ذا إمّة أصبحت به
ألم تر للنعمان كان بنجوة
فغير عنه رُشد عشرين حجة
فلم أر مسلوباً له مثل قرضه

من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا
وأموالهم ولا أرى الدهر فانيا
أجد أثراً قبلي جديداً وعافيا
فثم إذا أصبحت أصبحت غاديا
يحث إليها سائق من ورائيا
خلعت بها عن منكبي رداييا
تباعاً وعشراً عشتها وثمانيا
إلى الحق تقوى الله ما قد بدا ليا
ولا سابقى شيء إذا كان جائيا
وما إن تقي نفسي كريمة ماليا
ولا خالداً إلا الجبال الرواسيا
وأيماننا معدودة واللياليا
تذكرني بعض الذي كنت ناسيا
وأهلك لقمان بن عاد وعاديا
وفرعون أurdy جنده والنجاشيا
فتركه الأيام وهي كما هيا
من العيش لو أن امرأ كان ناجيا
من الدهر يوم واحد كان غاويا
أقل صديقاً معطياً ومواسياً⁽⁴³⁾

(43) شرح شعر زهير بن أبي سلمى . ق 23 . ص 207 وبعدها .

وقال لبيد العامري :

بلىنا وما تبلى النجوم الطوالع
وقد كنت في أكتاف جار مضنة
فلا جزع إن فرّق الدهر بيننا
فلا أنا يأتيني طريف بفرحة
وما الناس إلا كالديار وأهلها
وما المرء إلا كالشهاب وضوؤه
وما البر إلا مضمرات من التقى
وما المال والأهلون إلا وديعة
أليس ورائي إن تراخت منيتي
أخبر أخبار القرون التي مضت
فأصبحت مثل السيف غير جفنه
فلا تبعدن إن المنية موعداً
أتجزع مما أحدث الدهر بالفق
لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى
سلوهن إن كذبتوني متى الفق

وتبقى الجبال بعدنا والبلاقع
ففارقني جار بأربد نافع
وكل فتى يوماً به الدهر فاجع
ولا أنا مما أحدث الدهر جازع
بها يوم حلّوها وغدواً بلاقع
يحور رماداً بعد إذ هو ساطع
وما المال إلا معمرات ودائع
ولا بد يوماً أن تردّ الودائع
لزوم العصا تحفى عليها الأصابع
أدب كأي كفاقت راكم
تقادم عهد القين والنصل قاطع
عليك فدان للطلوع وطالع
وأى كريم لم تصبه القوارع
ولا زاجرات الطير ما الله صانع
يذوق المنايا أو متى الغيث واقع⁽⁴⁴⁾

هذه الأمثلة وسواها تعزز القول بأن الشعر الديني غرض مهم من أغراض الشعر الجاهلي ، حتى إن جلّ الشعراء الجاهليين قالوا فيه شعراً .. ولك أن تلاحظ الميل لتأمل الحياة والموت والزمن ، وكثرة الأيمان بلفظ الجلالة ، وقد غيب أصحاب نظرية الشك هذا الفن ، وقالوا : إن الشعر الذي يدخل في خانة الدين ضئيل ، ثم اكتشفوا أنه كثير وكثير جداً .. فبدّلوا تأويلاتهم وقالوا : إنه منحول وفيه صبغة إسلامية !!

(44) ديوان لبيد العامري . ق 30 . ص 66 وبعدها .

وهو فن الفنون الشعرية ، وهل الشعر سوى الوصف ؟ وصف الشاعر ، والمشاهد البصرية ، والأصوات ، وجمهور الشعر في رأينا كان يوازن بين الشعراء ويفاضل استناداً إلى معيار الوصف ، الشعر الجاهلي شعر وصف ، وأسمي شعر الوصف شعر الصورة ، فإذا أفرغت القصيدة من الصورة فكأنك أفرغتها من المعنى والمبنى ، فهذه الثنائية قائمة على الصورة ، وقد شهر عدد من الشعراء بالوصف الذي اختصّ به ، امرؤ القيس والأعشى ، وصفا المرأة ، ونوادي اللهو ، وعامر بن الطفيل برع في وصف الفرس ، وعنزة برع في وصف الحرب ، والصعاليك برعوا في وصف الصحراء والذئباب ، والشعراء السود برعوا في وصف مشاعرهم الحزينة بسبب من نظرة الاحتقار التي يواجههم بها البيض والسادة ، وقيل في تسمية المرقش : إنه كان يرقش شعره أي ينمقه ، وأهم حالات الوصف وأجلها مبنوثة في المعلقة ، حتى قيل : إن أهم ما ميّز المعلقات وفوزها هو الوصف الدقيق الجميل المبتكر ، بل إن معلقة ليبيد : (عفت الديار) لا تحمل همّاً حقيقياً سوى هم الوصف ، فلا هي في الغزل ، ولا الرثاء ، ولا الفخر ، ولا ولا .. وإنما هي مكرسة للوصف .

نعم تضمّنت بعض الأغراض الجزئية ، ولبثت تلك الأغراض جزئية وغائمة وظهر الوصف سيد الشعرية في المعلقة ! أما أهم الصور التي شغلت الشعر الجاهلي بوصفها فهي :

المرأة ، الأطلال ، الأنواء ، الناقة ، الفرس ، السلاح ، الحرب ، الحيوانات ، الصحراء ، الينابيع ، الرحلة ، الفارس ، الفصول الشتاء والصيف والربيع والخريف ، الأشجار القلاع والحصون والقصور ، الأسواق ، الملابس .

وحين يستقرئ دارس الشعر الجاهلي أساليب الشعراء في الوصف ، فإنه سيفاجأ بأن عدداً من الأساليب تقاربت ثم تشابهت ، ثم تداخلت ، فشكّلت قالباً يمكن

تأشيره ، وهو مانسئيه السلوك الوصفي في القصيدة الجاهلية ، وقولنا هذا لا يعني إطلاقاً كل الشعر الجاهلي ، وإنما هو ينصرف إلى الجبل أو الكم الذي يشكّل ظاهرة فنية .. وها نحن أولاء نشرح نموذجاً مفترضاً للقصيدة الجاهلية .

1 - يبدأ الشاعر بيت مصرّع لاستثمار طاقته النغمية ، ونجاح القصيدة يبدأ بالبيت الأول !!

2 - يقف على الأطلال ؛ وهي الآثار التي بقيت من بيت الحبيبة والأثاث المستغنى عنه من ملابس قديمة ممزقة وأخفاف من الجلد ، وبعر الحيوانات وفضلاتها ، والحجارات الثلاث التي يستقر عليها القدر ، وبعض الرماد والخشب ..

3 - يبكي الشاعر من هول ما يرى ، وربما طلب من أصدقائه مشاركته في البكاء .

4 - يسأل الشاعر الأحجار والآثار عن الحبيبة ، وأين اتجهت ؟ وكيف حالها ، ويعجب لأن سؤاله يعود إليه صدى فالأحجار لا تجيب ..

☆ أحياناً يكون الشاعر شاهداً على رحلة الحبيبة ، فيقف وراء الكئيبان أو سمرات الحي (الأشجار) وينظر إلى أهلها يضعون الأحمال فوق الإبل فيتجرّع العلقم .

5 - يستعيد الشاعر شريط الذكريات ، من خلال قوالب تعبيرية من نحو (ألا زُبَّ) (وقد) (ويوم) .. إلخ . فيتذكّر لقاءاته مع الحبيبة ، وعيون الكاشحين والحاسدين والحرس الذين يحيطون بالحي أو البيت .. وكيف أنه يستغل الظلام ونوم الناس للوصول إليها .. وربما استغلّ العواصف والزمامم والأمطار ، ويجري حواراً معها ، فهي تخاف عليه من القتل وتخاف على نفسها من الفضيحة ..

6 - يصف الشاعر ملابسها وجسدها ، وريقها ، وصوتها ، وشعرها ، ورقتها .

7 - يأسى الشاعر لذهاب ذلك العهد ، وذهاب شبابه معه ، ويتيقن أن ذلك العهد لن يعود مهما ذرف من الدمع ..

8 - ينتفض الشاعر ويزجر نفسه وينهاها عن التذكُّر والحنين والبكاء بعبارات مثل : (دع ذا) (عدّ) (اصرّم) (إنس) ..

9 - ويجعل السفر بديلاً للبكاء .. وتكون الناقة محور اهتمامه فيصف قوتها وهزالها من شدة السفر وصرها وأنها ناقة أمون تشبه قنطرة الرومي ، أو بناء الصيدلاني أو القصر ، أو الكثيب ، أو التابوت .

10 - فجأة يشبه ناقته بحيوان مثل الظلم ، أو القطاة ، أو ثور الوحش ، أو بقرته ، أو حمار الوحش ، أو أتانه ، أو الطيبة ، ولناخذ ثور الوحش مثلاً ، فهو المشبه به للناقة ، يشي بين أبقار جميلات كأنهن نساء ، ويطردهن حين ينحرفن عن السبيل بحوافره ، ويطرد عنهن أي ثور آخر متطفل فهو غيور عليهن غيرة الرجل على نسائه ، والأبقار يطعن ثور الوحش لأنه الفحل الوحيد ، المكتمل ، الذكي ، القوي ، وهو الذي سيقودهن إلى النبع .

11 - الطريق إلى النبع طويلة ومحفوفة بالمخاطر ، ولكن الثور وأبقاره لا يباليون بذلك ، فعمطشهم أنسام التعب من أجل الماء .

12 - يصلون إلى الماء ، فإذا بصياد ماكر محتبئ وراء شجرة أو أحجار ، يطلق كلابه المطوّقات باتجاه الثور فقط ، فتهرب الأبقار حتى تنجو من الهلاك والمكيدة ، وتترك الثور وحيداً .

13 - يسلم الثور بالواقع ، ويتهيأ للمعركة غير المتكافئة ، فالكلاب مدرّبات ، وجائعات ، وضاريات ، قسم ينهش قفاه ، وآخر ينهش صدره ، وثالث يرتقي ظهره ، ورابع يفرز مخالبه في عيون الثور .

يقول الجاحظ (ت 255 هـ) إن القصيدة إذا كانت في المديح فإن الثور ينتصر ويقتل أحد الكلاب فتفرُّ البقية ، ويسلم الصياد بالهزيمة ، وإن كانت القصيدة في الرثاء فإن الكلاب هي التي تقتل ثور الوحش .

☆ نتلبث عند قصيدة المديح ..

14 - ينتصر الثور ، ولكن الليل يدامه فلا يدري موقع النبع ولا في أي مكان تبيت أبقاره ، فيشعر بالوحشة والخوف من الليل وتبدأ جراحه بالزف فيتألم ولكنه لا يبالي .

15 - ثم ينهمر المطر ، وتشتعل السماء بالبرق ، فيبدو الثور حين يسطع عليه البرق لثوان مثل كوكب .. وتبدأ سيول الماء ..

16 - يتلمس الثور طريقه ويختار مكاناً مرتفعاً ينقذه من سيول الماء .. ويستقر تحت أرتاة (شجرة) لتتبع عنه المطر .. ويلبث على حاله حتى يطل الصباح .

17 - تشرق الشمس وكأن الثور يحلم بالنبع حين تضاء الطبيعة وبالعثور على أبقاره ، ولسوف يسامحن .. لكنه ويالأسف يرى وهو بتمام وعيه صياداً آخر مع كلابه ، وتدور معركة أخرى أشد ضراوة .. ولسوف ينتصر الثور فيها هذه المرة لأن القصيدة في المديح .

18 - يكتفي الشاعر بهذا المقطع ويقول بمثل هذا الثور شبهت ناقتي ، فكان الشاعر قد جعل من الناقة معادلاً رمزياً للشاعر ، وما لاقته من الأهوال كناية عما لاقاه الشاعر من الأهوال ، وهو في طريقه إلى المدوح ، فمثل هذه الصور تخرج المدوح وتضطره لأن يدفع أكثر مما كان قد هياه للشاعر .

وقد يرسم الشاعر صورة للصراع بين الحيوانات باعتدادها حالة مفردة لاعلاقة لها بالنط الذي وضعناه بين يدي الدرس .. وهذا زهير يشبه ناقتة بقطاة النبع ، ثم يدير صراعاً دموياً بين القطاة والصقر .. على هذا النحو :

كأنها من قطا الأجباب حان لها ورد وأفرد عنها أختها الشبك
جونية كحصاة القسم مرتعها بالسّي ماتنبت القفعاء والحسك

طارت وفي كفه من ريشها بتك
ريش القوادم لم تنصب له الشرك
نفساً بما سوف ينجيها وتترك
عند الذنابي فلا فوت ولا درك
يكاد يخطفها طوراً وتهتكك
منه وقد طمع الأظفار والحنك
من الأباطح في حافاته البرك
ريح خريف تضاحي مائه حبك
خاف العيون فلم ينظر به الحشك
كنصب الصقر دمي رأسه النسك⁽⁴⁵⁾

حتى إذا ماهوت كف الغلام لها
أهوى لها أسفع الخدين مطرق
لا شيء أجود منها وهي طيبة
دون السماء وفوق الأرض قدرها
عند الذنابي لها صوت وأزملة
ثم استمرت إلى الوادي فأجأها
حق استغاثت بماء لارشاء له
مكلل بأصول النجم تنسجه
كما استغاثت بسي فز غيظلية
فزلاً عنها وأوفى رأس مرقبة

وقد مرّت بنا لوحات عديدة لصور الصراع بين المشبه به للناقة وكوكبة الموت
(الصياد وكلابه) ، وسنحاول التقاط بعض الصور التي تفتن فيها الشعراء ، وهم
يرسمون المرأة وكأنها (موديل) مائل أمامهم .. قال الأعشى :

يا جارتى ما كنتِ جاره
ترضيك من دلّ ومن
بيضاء ضحوئها وصف
وسبتك حين تبسّمت
بقوامها الحسن الذي
كتيّل النشوان لير
ويجيد مغزلة إلى
ومها ترفّ غروبّه
كذرى منور أقحوا

بانّت لتحزننا عْفاره
حُسن مغالطة غراره
راء العشيّة كالعرارة
بين الأريكة والستارة
جمع المدادة والجهاره
فل في البقية والإزاره
وجه تزينه النضاره
يشفي المتيمّ ذا الحراره
ن قد تسامق في قراره

(45) شرح شعر زهير بن أبي سلمى ، ق 9 ، ص 131 وبعدها .

وغدائرٍ سودٍ على كفلٍ تزيّنه الوثاره
وأرتك كَفّاً في الخضا ب ومعضماً ملء الجباره
وإذا تنازعك الحدي ث ثنت وفي النفس ازوراره
وتثيب أحياناً فتط مِعْ ثم تدركها الغراره
بتلتك ثمت لم تند ك على التجمل والوقاره
.. إلا هوانك إذ رأت من دونها باباً وداره
ورأت بأن الشيب جا نبه البشاشة والبشاره
فاصبر فإنك طالما أعلمت نفسك في الخسارة⁽⁴⁶⁾

وقال الأعشى يصف امرأة حسناء يغار عليها زوجها :

وليس بمانعها بائها ولا مستطيع بها أن يطيرا
فبان بحسنة براقية على أن في الطرف منها فتورا
مبتلة الخلق مثل المها ة لم تر شمساً ولا زمهريرا
وتبرد برد رداء العرو س رقرقت بالصيف فيه الصبيرا
وتسخن ليلة لا يستطيع نباحاً بها الكلب إلا هريرا
تري الخرز تلبسه ظاهراً وتبطن من دون ذلك الحريرا⁽⁴⁷⁾

أما عمرو بن كلثوم الذي أنتج قصيدة غاضبة وبدأها على غير عادة الشعراء بأمر
فيج لنائمة بأن تهب وتسقيه كل الخمر ، ثم تركها قبل أن تلبّي رغبته ، وبطش بعدوه
من خلال كلمات نارية ، هذا الشاعر لم ينس أن المرأة مركز القصيدة ، وأن الوصف
عنوان المهارة فقال في المعلّقة ذاتها :

قفي قبل التفرّق يا ظاعينا نخبرك اليقين وتخبرينا
بيوم كريمة ضرباً وطعناً أقر به مواليك العيونا

(46) ديوان الأعشى ، ق 30 ، ص 203 وبعدها .

(47) نفسه . ق 12 ، ص 145 وبعدها .

قفي نسألك هل أحدثت صرماً
تريك إذا دخلت على خلاء
ذراعي عيطل أدماء بكر
وثدياً مثل حق العاج رخصاً
ومتني لدنة طالت ولانت
ومأكمة يضيق الباب عنها
فما وجدت كوجدي أم سقب
لوشكّ البين أم خنتِ الأميّنا
وقد أمنت عيون الكاشحينّا
تربعت الأجارع والمتونّا
حصاناً من أكفّ اللامسينّا
روادفها تنوء بما يلينّا
وكشحاً قد جنت به جنونّا
أضلّته فرجعت الحنينّا⁽⁴⁸⁾

(48) الشنقيطي . أحمد بن الأمين ت 1331 . الملقّات العشر وأخبار شمرائها ، طب دار الكتب العلمية .
بيروت 1997 .

الفصل التاسع

خصائص الشعر الجاهلي

الشعر الجاهلي نتاج عالي القيمة لمبدعين كبار ، استطاعوا بانتائهم للشعر والحياة معاً تأسيس تقاليد مهمة للشعر ، حتى اعتدت هذه التقاليد عمود الشعر وسبباً لشعريته (جاذبيته) ، ومن خرج عن هذه التقاليد فقد خرج على عمود الشعر ! أي خرج من الشعر ، ودخل في اللاشعر !!

أما عمود الشعر (شعريته وقوانينه) فهو أمرٌ لم يصطلح عليه الجاهليون ، وإن كانوا ممثلين تماماً لاشتراطاته ، وربما قال شاعر لشاعر إذا أراد الانتقاص من قيمة شعره : « شعرك مثل خيمة بلا عمود » ، أو « إن شعرك خارج عن العمود » . ثم استقرأ علماء الشعر ... القصائد والمقطعات الجاهلية . ثم اتفقوا على ترسيم حدود هذا المصطلح .

« الواجب أن يتبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب لتمييز تليد الصنعة من الطريف وقديم نظام القريض من الحديث ، ولتعرف مواضع أقدام المختارين فيما اختاروه ، ومراسم إقدام المزيفين على ما زيفوه ؛ ويعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع ، وفضيلة الأتيّ السمع على الأبيّ الصعب » .

وهو سبع خصائص : شرف المعنى ، وصحته ، وجزالة اللفظ ، واستقامته ، والإصابة في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتتامها على تخيّر

من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكله اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائها للقافية ، حتى لا منافرة بينها⁽⁴⁹⁾ .

ولم نجد اختلافات واضحة بين الدارسين في خصائص الشعر الجاهلي ومميزاته ، فأهم الخصائص والأصول أمر متفق عليه تقريباً ، أما الاختلاف في الترتيب والفروع والتقديم والتأخير فأمر لا بد من حدوثه ؛ لاختلاف الاجتهادات والمرجعيات والنوايا أيضاً !!

وبما لا شك فيه هو أن مبحث الخصائص يمثل بؤرة الدرس ، فهو تلخيص للفصول وتوصيف لطرائقها في التناول وتعميد للشواهد والأمثلة ، فإذا عرفت خصائص الظاهرة أدركت أسبابها وأفاقها ، وثابتها ، ومتحولها !

الخصائص مبدأ وجودي وتربوي ! وعلى الإنسان معرفة خصائص نفسه وغيره ، وزمنه ، وأحبابه ، وأعدائه ، وإذا تعذر عليه ذلك وقع في المخطور ، لكل خصائصه : الشعر ، والنثر الفني ، والغناء ، والحرب والسلم ، والرجال والنساء ، ولن يوفق دارس الشعر الجاهلي مهما حذق وتمحل إذا قفز فوق الخصائص ، وسوّغ لقراءته ذلك ! أما خصائص الشعر الجاهلي فهي كثيرة وقد تناهى (أحياناً) مع أغراضه وفنونه التي تكفل بها المبحث الأول .. وها إننا مقبلون على رصدها :

1 - وحدة الإيقاع : تحتاز القصيدة الجاهلية مسوغات بنائها من خلال التزامها بإيقاعاتها قبل أفكارها وصورها ، ولم يتسامح الشعراء ولا النقاد في شأن آلية الإيقاع ، ويبدأ الإيقاع بالبحر ، وقد وجد أن إيقاعات الطويل والكامل والبسيط اقتسمت أكثر من ثلثي الشعر الجاهلي ! أما كيفية اختيار الشاعر للبحر فهذا أمر لم يتضح بعد ، وكل ما قيل فيه يمثل فرضيات ليس أكثر ، ونفترض أن ذكاء الشاعر الحاذق كان عوناً ودليلاً

(49) المرزوقي . أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ت 421 . شرح ديوان الحماسة ص 8 وبعدها . نشر أحمد أمين وعبد السلام هارون ، مط لجنة التأليف - القاهرة 1967 .

وهبة مجدي . وكامل المهندس . معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص 261 ، طب مكتبة لبنان . بيروت 1984 .

في انتقاء البحر الذي يناسبه ، مع أنه لا يعرف للبحور اسماً ! كل الذي يعرفه هو القوالب النغمية التي شاعت بعد شهرة عدد من القصائد ! ومن كلام الوليد بن المغيرة فهمنا أن العرب تميّز الرجز من القصيد ، وأول البعض انتشار عدد من الإيقاعات الجاهلية أن هذه الإيقاعات مأخوذة من توقيع سير الجمل ، فإذا قطع الناقد النغمي واحداً من تلك البحور اكتشف أن إيقاعات البحر موافقة لوقع خطى الناقة ، والرجز مثلاً كان حيلة قائد القافلة في حثّ الجمل على السير ، وربما السرعة ، وقد جعل الجاهليون مقابلات بين الأوزان (القوالب) وبين عدد من أنماط الغناء والحداء ، ثم تطور الأمر فصار للثرثاء وزن ، وللحماسة وزن ، فالنصب غناء الركبان والفتيان ، ويقال له الجنابي اشتقه رجل من عصب اسمه جناب ، وهو يخرج من أصل الطويل ، أما السناد فهو الغناء ذو الترجيع الكثير النغمات ، والهزج هو الغناء الخفيف الذي يصاحب الرقص⁽⁵⁰⁾ . « كان الشاعر يتقيد في قصيدته بالنغمة الأولى ، وما زالوا يصفون في نغم القصيدة حتى استوى استواءً كاملاً ، سواء من حيث اتحاد النغم أو اتحاد القوافي وحركاتها ، وبرعوا في تجزئة الأوزان حتى يودعوا شعرهم كل ما يمكن من عذوبة ، وحلاوة موسيقية على نحو ما نلاحظ في رائية المنخل البشكري »⁽⁵¹⁾ .

وعرف الجاهليون الإقواء حتى أتفق جمهور الشعر أن النابغة وبشر بن أبي خازم كانا يقويان !! وشاعت كلمات إيقاعية أخرى مثل : السند والإيطاء والإصراف ، وتدخل هذه المصطلحات تحت اسم الإكفاء⁽⁵²⁾ ، وجاء في اللسان (كفاً) : أكفأ في الشعر خالف بين ضروب إعراب قوافيه ، أو المخالفة بين هجاء قوافيه ، أو المخالفة بين

(50) زيدان . جورجي . تاريخ أداب اللغة العربية 55/1 ، وانظر ابن رشيقي . العمدة 241/2 .

(51) ضيف . شوقي . العصر الجاهلي ، ص 227 ، وانظر :

المقالح . د . عبد العزيز . أصوات من الزمن الجديد ، ص 137 يرى الدكتور المقالح أن قوام الفنّ هو التصوير والموسيقى والرقص ويعتدها قواسم مشتركة بين البشر ..

(52) القيسي . د . نوري وصاحبه . تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، ص 135 .

هجاء قوافيه إذا تقاربت مخارج الحروف أو تباعدت . وقيل : إن الإكفاء هو الإقواء
أو الفساد في آخر البيت . إ. ه . أما وزن البيت فهو وفق هذا المخطط .

حشو + عروض = حشو + ضرب

والتصريح كان شائعاً أيضاً وهو :

حشو + عروض آخره حرف معين = حشو + ضرب آخره الحرف نفسه ، أي إن

للبيت الواحد قافيتين متشابهتين الأولى نهاية العروض والأخرى نهاية الضرب !!

كما شاعت مفردتا الجناس والطباق ، فالجناس هو تشابه اللفظين في النطق مع
اختلافهما في المعنى ، أما الطباق فهو الجمع بين الضدين أو المعنيين المتقابلين مثل (الحياة
والموت والكرّ والفرّ) ، زد على ذلك إيقاعات التكرار ، فإذا كانت إيقاعات الجناس
والطباق إيقاعات معنوية فإن إيقاعات التكرار معنوية ونغمية فقد يتكرر المعنى
أو الجملة أو الكلمة أو الحرف ، والشعر الجاهلي مغتبط تماماً بالتكرار ، فلا تكاد تخلو
قصيدة واحدة منه !

وينبغي أن تكتب القصيدة كاملة على بحر واحد ونسيج إيقاعي واحد ، كذلك
القافية ، فإن القصيدة الجميلة هي التي تنتهي لخواتيم أبياتها قافية مأنوسة ، فإذا كانت
غزلاً فالقوافي قريبة من العناء والمكابدة ، وإن كانت القصيدة هجاء أو فخراً أو توثيباً
فقوافيها مجلجلة ، ولم تخرج القصيدة الجاهلية عن وحدة القافية إلا قليلاً ، وذلك القليل
تمثل في المسمّطات التي اصطنعها عدد من الشعراء بينهم امرؤ القيس : والسمة أن
يبتدئ الشاعر ببيت مصرّع ثم بأربعة أشطر بقافية مختلفة ثم شطر بقافية البيت المصرّع
الأول ! قارن امرؤ القيس :

توهمتُ من هند معالم أطلال	عفاهن طول الدهر في الزمن الخالي
مرابع من هند خلت ومصائف	يصيح بفناها صدى وعوازف
وغيرها هوج الرياح العواصف	وكلُّ مسفٍّ ثم آخر رادف

بأسحم من نوء السماكين هطال

والشعراء الجاهليون حريصون على وحدة البحر والقافية في قصائدهم لعلمهم أن هاتين الآليتين هما نسخ الإيقاع بيد أنهم لم يهملوا إيقاعات الحروف ، فقد تتكرر السينات واللامات وسواهما لمسوّغات تتصل بوصف المشاهد أو المشاعر ، وذلك ما أسميناه ظاهرة تداعي الحروف⁽⁵³⁾ .

ومسك الختام في وحدة الإيقاع أردناه في مقام الركباني ، وهو مقام اعتمده الحادون في تنهيز الإبل وتسريع سيرها ، وقد يكون للحن الوحيد الذي بقي من العصر الجاهلي ، بعد أن انقرض الكثير من الألحان التي ساعدت الشعراء زمنها في ضبط إيقاعات قصائدهم ، كان الشاعر المقبل على كتابة قصيدة ، يتشبّث بالركباني على جهة المكاء (التصفير) أو الترنّم أو النقر أو التخفيت (الغناء الخافت) ، وأشهر الإيقاعات التي اشتغل عليها الشعراء الجاهليون هي الطويل / البسيط / الكامل / الرجز / الخفيف / الوافر / السريع / المتقارب ! وسوى ذلك تكتنفه معضلات نغمية تحول دون الإفادة من الركباني ! وما زالت مدينة النجف في العراق تحتفظ بهذا المقام وتردّده حناجر المنشدين في المآتم الحسينية التي تستغرق ثلاثين يوماً هي المحرم وعشرة أيام من الشهر اللاحق (صفر)

$$1 - (\text{الطويل}) \text{ — } \text{فعولنفا} + \text{عينلنعمو} + \text{لنفاعلن} \times 2 = 0110101 + 01101011 + 01101101$$

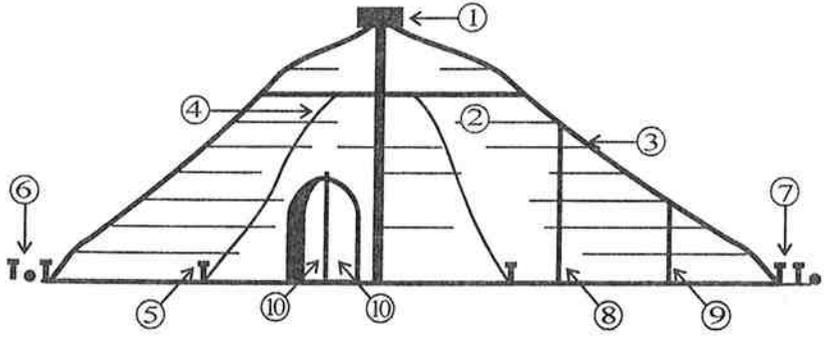
$$2 - (\text{البسيط}) \text{ — } \text{مستفعلنفا} + \text{علنستف} + \text{علنفلن} \times 2 = 01011011 + 01101011 + 010110101$$

$$3 - (\text{الكامل}) \text{ — } \text{متفاعلن} + \text{متفاعلن} + \text{متفاعلن} \times 2 = 0110111 + 0110111 + 0110111$$

(53) الصائغ . عبد الإله . الخطاب الشعري الحدائوي والصورة الفنية ، انظر الفصل الأول من الباب الثاني ص 169 ، وعنوانه (شعرية الصورة وإيقاعات تداعي الحروف) ، وانظر :
فخر الدين . جودت . الإيقاع والزمان ص 29 (حول مفهومات الإيقاع والوزن) .

- 4 - (الرجز) — مستفعلن + مستفعلن + مستفعلن $\times 2 = 0110101 + 0110101$
0110101
- 5 - (الخفيف) — فاعلاتن + مستفعلن + فاعلاتن $\times 2 = 0110101 + 0101101$
0101101
- 6 - (الوافر) — مفاعلتن + مفاعلتن + فعولن $\times 2 = 0111011 + 0111011$
01011
- 7 - (السريع) — مستفعلن + مستفعلن + فاعلن $\times 2 = 0110101 + 0110101$
01101
- 8 - (المتقارب) — فعولنفعو + لنفعو + لنفعو $\times 2 = 01101 + 01101011$
01101

2 - وحدة البيت : القصيدة قائمة على الإيقاع ، والإيقاع قائم على الكلمات والجمل ، فلا بد أن تبدأ القصيدة من البيت لأنها حاصل جمع الأبيات ، ويلاحظ الدارس استعارة بيت الشعر (فتح الشين) لعبارة بيت الشعر (كسر الشين) ، لوجود تقارب بين البنائين في الذهنية الإبداعية الجاهلية ، وربما يوضح الرسم الآتي الفكرة التي بسطناها :



عمود القصيدة (بيت الشعر)

نسيج القصيدة

سبب ثقيل 11

سبب خفيف 10

وتد

وتد مفروق 101

وتد مجموع 110

فاصلة كبرى 11110

فاصلة صغرى 1110

بيت الشعر له مصراعان

1 - عمود الخيمة (بيت الشعر)

2 - قماش الخيمة

3 - حبل طويل لشدّ الخيمة

4 - حبل قصير لشدّ الخيمة

5 - مسامير خشبي (وتد)

6 - مساميران خشبيان بينها حجارة

7 - مساميران خشبيان متتاليان بعدها

حجارة

8 - قطعة من القماش أو الجلد تفصل

شطراً مهماً من الخيمة لجلوس النساء

9 - قطعة من القماش أو الجلد تفصل

شطراً صغيراً من الفاصلة الكبرى لخزن

الطعام أو السلاح أو لجعلها مخدعاً

أو مضجعاً أو مخبأ

10 - مصراع الباب . أحد جزأيه

(للباب مصراعان)

ووجه الاستعارة بيّن ، فكما أن بيت الشعر الخيمة لن يؤمن عيشه دون أن يتوفّر على أسباب الحياة من رسوخ في الأرض واعتماد في القوت على تموين يكفي أشهراً ، وخزين من الماء ، وصنوف من السلاح ، بحيث يستغني بيت الشعر عن البيوت الأخرى التي تسبقه في الترتيب أو تلحقه أو تجاوره ، وبيت الشعر مكتف بذاته جمالياً ودلالياً وغير محتاج إلى البيت الذي يسبقه أو يلحقه .. لكن هذا القول لا يطرد دائماً فثمة الاستثناء .. قال النابغة مخالفاً وحدة البيت :

وهم وردوا الجفّار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ إني
شهدت لهم مواطن صالحات وقفن لهم بحسن الظن . مني
وقال امرؤ القيس مخالفاً وحدة البيت أيضاً :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل
والقارفي ذلك أن البيت الشعري الواحد مكتف بنفسه إيقاعاً ومعنى ودلالة . حتى
قالت العرب : أغزل بيت ، وأهجي بيت ، وأشعر بيت ، وأخنث بيت .

1 - قالت الخنساء في أرثي بيت اتفقت عليه العرب :

يذكرني شروق الشمس صخراً وأذكره بكل غروب شمس

2 - أنصف بيت قالته العرب ورد لعمر بن كلثوم :

كأن سيوفنا منا ومنهم مخاريق بأيدي لاعبيننا

3 - قال الأعشى أخنث بيت عرفته العرب :

قالت هريرة لما جئت زائرها ويلي عليك وويلي منك يارجل

وإذا توفر البيت على وحدته الدلالية والجمالية فذلك معناه أن الشاعر موفق في ابتكار جاذبية شعره ، إلا أن الجاذبية لن تستكمل بهاتين ، فوحدة البيت تتطلب أيضاً

الانسجام بين دلالاتي الصدر والعجز بحيث يعبر شطرا البيت عن سياق واحد ، وقد
عابوا على طرفة قوله :

ولست بحلال التّلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد

فالعجز لا يكمل معنى الصدر ، ولا يساعدنا على رده للصدر ..

وكذلك عابوا قول امرئ القيس إرباك بيتين من شعره في مضايق التقديم
والتأخير :

كأني لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم أسبأ الزقّ القديم ولم أقل لخيلى كزيّ كرةً بعد إجنفال

وزعموا أن وحدة البيت تقضي بأن يقول :

كأني لم أركب جواداً ولم أقل لخيلى كزيّ كرةً بعد إجنفال

ولم أسبأ الزقّ القديم للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

3 - وحدة الموضوع : القصيدة الجاهلية وحدة متجانسة من بيت الاستهلال الأول

إلى بيت الختمة الأخير ، فهي تشتغل على غرض مركزي واحد مثل المديح أو الرثاء
أو الغزل .. ولن توصلنا النظرة الحولاء للوحدة الموضوعية إلى نتيجة علمية ، فنحن نقرأ
مثلاً أن عينية الشاعر (س) مهلهلة ، تتنازع أغراض متعددة ، وتكتنفها صورة غير
مترابطة ، بدأها الشاعر بالغزل ، ثم ترك الغزل فجأة ، وانشغل بوصف الناقة ثم نسي
الناقة واشتغل على ثور الوحش ! ثم خرج عن النسق وأدار صراعاً بين الثور والكلاب
على مشهد من الصياد ومقربة من الغدير .. ثم عاد إلى الغزل لينتقل إلى المديح
أو الرثاء !! إن الدراسة التي تستقري الشعر الجاهلي لا تجد الأطروحات التي أشرنا إليها
دليلاً على تشرذم الوحدة الموضوعية وتفككها ، فوحدة القصيدة تشبه وحدة الحي
أو القبيلة ، ووحدة القبيلة قائمة على القواسم المشتركة من الرهبات ، والرغبات ،

والأمزجة ، والمرجعية ، والرجال والنساء ، والشيوخ والأطفال ، والبيوت والمياه ، والأنعام والحرف .. هذه مفردات مختلفة تشكل بالمنظور الفني وحدة القبيلة ، وكما يحرص أمير القبيلة أو ملكها على شد أطراف القبيلة إلى المركز فإن الشاعر كذلك . فهو يشد أجزاء القصيدة إلى الغرض المركزي ، دون أن يتسرب الملل إلى أفئدة جمهوره الشعري ، فاصطنع قوالب فنية لقصيدته وجدت تقبلاً مفرحاً لدى الجمهور ، ونذري أن جمهور الشعر في الزمن الجاهلي كان صعباً ملولاً ، لا يعرف الهجامة أو المهادنة ، فقد يترك الجمهور شاعره وحيداً ، وقد يطلب إليه الكف عن الكلام ، وقد يعيّر فيقول له : إن هذا المعنى سبقت إليه ، أو أنك يا شاعر أقل مهارة من شاعر يصغرك في العمر أو التجربة ! من هنا حرص الشعراء على اصطناع جاذبية في شعرهم تغري جمهور الشعر ، وتجعله مسحوراً بهموم القصيدة الجمالية والدلالية ، وقد مر بنا سلوك القصيدة الجاهلية ابتداء من الوقوف على الأطلال والبكاء عليها إلى : (دع ذا) إلى امتطاء الناقة ، ثم تشبيهها ب (حيوان صحراوي) إلى اصطناع صراع دموي بين الحيوان (المشبه به) من جهة والصيد وكلابه من جهة أخرى ، إلى الوصول بعد قوله (بهذا شبّهت ناقتي) إلى الغرض المركزي ، وينبغي التوكيد على أن الشاعر لا يواجه حزنه مثلاً وحيداً ، ولا يعبر عنه بالخطاب المباشر ! فهو - على عادة الشعراء - يشرك الطبيعة معه ، فالسما تبرد ، والشاعر يشم البرق ليعرف أين يسقط المطر ، ومن خلال البرق يتنور الشاعر وجه حبيبته وهي البعيدة ، فكان البرق والمطر نقلة فنية من حاضر الشاعر إلى ماضيه في إطار القصيدة ، فالصور تنثال عليه والذكريات حين يذكر المطر أو يوم الدجن ، فالمنخل الإشكري يلتقي الفتاة الكاعب في اليوم المطير الذي يذهل الناس عن تسلل الغرباء إلى الحي ..

ولقد أمر على الفتاة الخدّر في اليوم المطير
الكاعب الحسناء ترفل بالدمقس وبالحرير
فدفعتها فدافعت مشي القطاة إلى الغدير

ولمّتها فتنفّست كتنفس الطّيّيب الهبّير
ورنت وقالت يامنخل ما بجسمك من فتور

وكذلك هو حال طرفة بن العبد ..

ولولا ثلاث هن من عيشة الفقى
فنهن سبقي العاذلات بشربه
وكري إذا نادى المضاف مجنباً
وتقصيراً (يوم الدجن) والدجن معجب
وجدك لم أحفل متى قام عودي
كيت ما تغلّ بالماء تزبد
كسيد الغضا نهته المتورد
ببهكنة تحت الطرف المعمد

والصور المطرية كثيرة في الشعر الجاهلي ومتواترة ، فالطبيعة مرجعية كبيرة لأوصاف القصيدة وحركتها ، فهي (الطبيعة) تبكي مع الشاعر وتضحك وتحزن وتغضب ، ولنا أن نتذكر ليل امرئ القيس أكان حقاً طويلاً ؟ أم أن الشاعر رسم لنا مشاعرة من خلال بقاء الليل الذي تهباً للشاعر أن نجومه كانت مشدودة بجبال قوية بجبل يذبل ..

وليل موج البحر أرخى سدوله
فقلت له لما تمطى بجوزه
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
فيالك من ليل كأن نجومه
علي بأنواع الهموم ليبتلي
وأردف أعجازاً وناء بكلكل
بصبح وما الإصباح منك بأمثل
بكل مغار القتل شدت يذبل

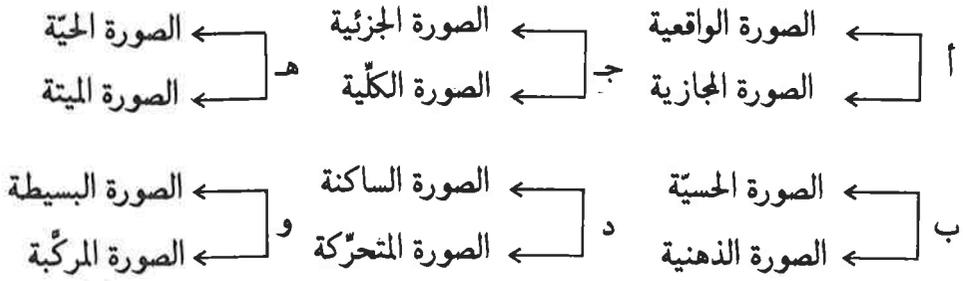
حركة الليل ترجمت لنا حركة النفس ، فالشاعر أسقط إحساسه بالزمن على الليل ، فلو كان الشاعر سعيداً لوجد أن الليل قصير ، وأن الفجر والشروق يأتيان ، وهو لم يروّظها من السعادة كما ينبغي ..

الشاعر من خلال البرق والليل والمطر إنما هو يشرك الطبيعة في مشاعره ، ويقول من خلال الأنواء كلاماً يناسب ذائقة الجمهور ومزاجه ..

ولأن الشاعر لا يقول مشاعره بوساطة الخطاب المباشر ، فهو كما قلنا يعبر عنها من خلال لوحات فنية ، وقد لاحظنا كيف كانت الناقاة (القوية الأيون التي أهزلها السفر) مشبهاً به للشاعر ، وكيف أن هذا المشبه به (الناقاة) أصبح مشبهاً ، واحتاج إلى مشبه به فكان ثور الوحش ، أو حمار الوحش ، أو القطاة . والصراع الذي يدور بين هذا الحيوان المتعب من جهة والصيد وكلابه من جهة أخرى يعكس لنا إحساس الشاعر بصراعه مع الزمن والسلطة ، وهو صراع غير متكافئ ، احتمالات الخسارة فيه كبيرة .

والخلاصة : إن تعددية اللوحات الفنية .. والأغراض الجزئية في القصيدة ، فضلاً عن الاستطرادات ، كل ذلك لا يلغي وحدة الموضوع وإنما يعززه ويؤكدّه ويجمله ، فالشاعر ليس خطيباً .. وإنما هو فنان يعرف كيف يوظف المجاز ومهاراته في صناعة قصيدة تعجب الجمهور فيصفر لها ، ويصفق ، وربما انهالت هدايا المعجبين على الشاعر وهو يقرأ ، وبعض الهدايا ، وبخاصة هدايا الأمراء والموسرين تعادل ثمن مئة سيارة فخمة جديدة !!

٤ - الصورة الفنية : أتفق المعنيون بدراسة الشعر الجاهلي على أن أهم ما يميّز الشعر الجاهلي هو جمال صورته الفنية وشدة أسرها ؛ وقد برع الشعراء في رسم أدقّ التفاصيل ، وصورهم الجميلة الموحية مأخوذة من واقع حياتهم أو طموحاتهم ، مع أنهم لم يعرفوا حدود مصطلح الصورة الفنية كما يعرفه الدارسون المعاصرون ، ولكنهم بالتأكيد اكتشفوا أثره في جمال القصيدة ، فرة يدعون الصورة صورة ، وأخرى وصفاً ، أو رسماً ، أو تنيقاً ، أو ترقيشاً ، أو تزييناً ، فما أكثر المصطلحات التي تنهى مع مصطلح الصورة ، والصورة مبنية على ثنائيات يمكن ترسيبها على الشكل الآتي :



والصورة الفنية بشكل عام تتمح من المزج (السحري العجائبي) بين هذه الثنائيات ، فتتجلى من مكنونات التخيل استعارات القصيدة وكنائياتها وتشبيهاتها⁽⁵⁴⁾ بأسلوب يدعو إلى الإعجاب بمذق الشاعر الجاهلي الذي ابتكر تكوينات جديدة من الصور ، حتى إن جلّ النقاد الجاهليين قد شغفوا بالصورة وتصالحو عليها ميزاناً ذهبياً لا يخطئ .

فالنابغة اعتمد معيار الصورة في أحكامه العكاظية ، وكذلك أم جندب التي وازنت بين صورة الفرس التي رسمها امرؤ القيس وفرس غريمه علقمة ، وفضلت صورة الفرس التي أنتجها علقمة لأنه ابتكر لها مميزات محببة ، وكذلك اعتراض طرفة بن العبد ، وكان صبيهاً ، على الصورة التي رسمها خاله المتلمس للجمل ، فقد انتبه إلى أن خاله نسي أنه يتحدث عن الجمل فرسم له صورة ناقة ، فضحك طرفة حتى استلقى على قفاه وهذه عادة جاهلية وقال : « استنوق خالي الجمل » ! أما البيت فهو :

وقد أتناسى الهمم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكرم

(54) حاولنا في كتابنا (الصورة الفنية معياراً نقدياً) التنويه بجهود الأساتذة الزملاء الذين أنجزوا كتباً في

الصورة الفنية الجاهلية أو فصولاً ، ونذكر بمدد منها :

أ . عصفور . د . جابر أحمد . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي .
 ب . عبد الرحمن . د . نصرت . الصورة الفنية في الشعر الجاهلي .
 ج . البطل . د . علي . الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري .
 د . حسن . محمد صادق . خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة .

والأمثلة كثيرة ربما زادت عن حاجة الدارس إليها : وسوف نختار صورة كلية توفرت عليها ميمية الخطيئة ، قوامها عشرات الصور الجزئية والقصيدة إلى هذا (نانوراما) ترينا أيضاً الصور الواقعية والمجازية والحسية والذهنية والساكنة والمتحركة والحية والميتة في إطار من الحكيم (الصوفي) :

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرملة	بيداء لم يعرف بها ساكن رسماً
أخي جفوة فيه من الأنس وحشة	يرى البؤس فيها من شرسته نعمى
تفرد في شعب عجوزاً إزاءها	ثلاثة أشباح تخالمهم بها
حفاة عراة ما اغتدوا خبز ملة	ولا عرفوا للبرّ منذ خلقوا طعماً
رأى شبحاً وسط الظلام فراعته	فما بدا ضيفاً تشمّر واهتماً
وقال : هيا رباه ضيف ولا قرى	بحقك لا تحرمه تالليلة اللحم
فقال ابنه لما رآه بحيرة :	هيا أبت اذبحني ، ويسر له طعماً
ولا تعتذر بالعدم علّ الذي طرا	يظن بنا مالاً ، فيوسعنا ذماً
فروى قليلاً ثم أحجم برهمة	وإن هولم يذبح فتاه فقد هما
فبينما هما عنّت على البعد عانة	قد انتظمت من خلف مسجلها نظماً
عطاشاً تريد الماء فانساب نحوها	على أنّه منها إلى دمها أظماً
فأمهلها حتى تروّت عطاشها	فأرسل فيها من كنانته سهماً
فخرّت نحوها ذات جحش سمينة	قد اكتنزت لحماً وقد أطبقت شحماً
فيا بشره إذ جرّها نحو قومه	ويا بشرهم لما رأوا كلمها يدمى
فباتوا كراماً قد قضا حق ضيفهم	وما غرموا غرمأً وقد غنموا غنماً
وبات أبوم من بشاشته أباً	لضيفهم والأُم من بشرها أمّاً ⁽⁵⁵⁾

هذه الصورة الكلية رسمت لنا محنة رجل عجوز معدم وسط صحراء مهلكة ، وقد

(55) الخطيئة . ديوانه (قافية الميم) شرح ابن السكيت والسجستاني . تح نعمان أمين طه مط . مصطفى

البابي الحلبي وأولاده 1958 .

نزل عنده ضيوف حفاة عراة جياع وهو لا يملك ما يطعمهم أو يسقيهم فجن جنونه لأن العربي (القح) يقري ضيفه مها كان حاله من العسر والضيق ، فبلغ به جنون الكرم وخشية العار حدّ التفكير بذبح ابنه الوحيد ، ليوفّر طعاماً للضيوف ! ويبدو أن الابن قرأ مفا في رأس أبيه فنادى أباه دون تردّد : هيا أبت اذبحني فذلك أسهل علينا من العار .. وبيننا هما كذلك شهداً قطيعاً من الظباء الظمأى إلى الماء ، وكان الماء (كناية عن الصياد) إلى دمها أظماً !! ولا ينبغي التهوين من شأن الإشارة الرفيعة (فأمهلها حتى تروّت عطاشها) فهي بؤرة المروءة في الصورة .. ولا نجبذ الاستطراد ، فهذه اللوحة الكبرى (ميمية الخطيئة) تمتلك تقنيات عالية لضروب الصورة الاثني عشر .

5 - الواقعية : ولا نرمي بها المدرسة الواقعية المعروفة لدى تقاد الأدب الحديث ، وإنما الذي نرمي إليه هو أن الشعر الجاهلي عبّر عن الواقع بقدره فائقة ، فهو لم يستورد التجارب أو يدعيها ، وإنما هي تجاربه وحياته يعبّر عنها بشعور صادق ونظر ثاقب وخيال واسع ، ولن تجد قصيدة جاهلية واحدة استعلت على الواقع وتأسلت بوسيلة لا يفقهها الناس ، على حين أن الشعر الجاهلي كان بجدارة شعراً عالي الشفافية ، كل الجاهليين يستمعون إليه ويفهمونه ويحفظونه ويردّدونه ؛ الرجل في الحلقة ، والمرأة في الخباء ، والصبيان في الباحة ، الكل يسهر معه حول الموقد في ليالي الشتاء ، ويسمر به ليالي الصيف المقمرة ، الشاعر معبّر أمين عن عواطف الناس ورغباتهم وأحلامهم ، فضلاً عن أنه يقبس لغته من كلام الناس في البيت والزقاق والحى والسوق ، ويصف بتفصيل غريب الحرف والفنون والأندية والغدران والأحياء والملابس والبضائع المحلية أو المستوردة ، وطقوس الزواج ، أو الطلاق والأعراس والمواليد ، والموت والمآتم ، ولن يغفر أي قارئ لأي كاتب في الحياة الجاهلية ووقائعها إذا لم يكن الشعر من أهم وثائقه المعتمدة !

ورحم الله القائل : « الشعر ديوان العرب » . فهو الجدير قبل سواه بترجمة حياة العرب كما هي ، فالشاعر لم يكن ضيفاً على الأحداث ، بل كان شاهد عين وأذن ، وربما

كان أحد صانعيها فهو المتكلم عن قرب لا عن بعد .. وملحمة جلجاش تمجد الشاعر :
« هو الذي رأى كل شيء .. فغني بذكره يا بلادي » .

الشعراء الجاهليون لم يكتبوا قصائدهم داخل غرف فارهة ، ووراء مكاتب الأبنوس . ولم ينظروا إلى مجتمعاتهم من وراء الزجاج المستورد ، فالمحارب الجاهلي هو الذي يكتب قصيدة الحرب ، والعاشق هو الذي يصنع قصيدة الغزل ، والمفجوع بالميت هو الذي ينجز قصيدة الرثاء ، الشاعر مخلوق وصّاف ، وسبيله إلى الوصف عيناه وأذناه وعقله وقلبه ، كيف كان بإمكاننا الحديث عن مواسم العرب وأسواقها وأحلافها ومعاهداتها وأسفارها وساداتها وصعاليكها وملونيتها لو لم يتعهد الشعر الجاهلي بالحديث المفصل المؤصل عنها وبأمانة .

والواقعية الشعرية الجاهلية واقعتان ، واقعية فنية تهتم بالدلالات الموحية واللمحات الجمالية وواقعية ذاتية تهتم بقول الحوادث والمشاعر كما هي دون زيادة أو نقصان .. ولسوف ننتقي نصين للشاعر أوس بن حجر .

الأول يصف فيه السماء ملبدة بالغيوم والرطوبة والرياح بما يجعلنا موقنين أن المطر قادم بين هنيهة وأخرى !!

أما الثاني ففيه يعترف الشاعر بأنه هرب في المعركة ، وأنه استشعر (الجبن) ، ويحزن لأن (أم الحصين) صاحبتة قالت له : أخزيتنا يا أوس . ومن منا اليوم قادر على أن يعترف لحبيبتة بفشله أو إحباطه أو حتى لحظات الخوف والجبن التي يستشعرها !!

١- دعِ العجوزينِ لا تسمع لقيلهما
كان الشبابُ يلهينا ويمعجنا
إني أرقْتُ ولم تارقْ معي صاحي
قد نمتَ عني وبات البرق يُسهرني
واعمد إلى سيدٍ في الحي ججاج
فا وهبنا ولا بعنا بأرباح
لمستكفٌ بُعَيْدَ النومِ لَوّاح
كما استضاء يهوديٌّ بمصباح

يامن لبرقِ أبيتُ الليلَ أرقبه
دان مسفً فويق الأرض هيدبه
كأن ريقه لَمَّا علا شطبا
هبت جنوباً بأعلاه ومال به
فالتجُّ أعلاه ثم ارتجُّ أسفله
كأئما بين أعلاه وأسفله
ينزعُ جلد الحصى أجش مبترك
فن بنجوتبه كمن بحفليبه
كأن فيه عشاراً جلة شرفاً
هدلاً مشافرها بَحاً حناجرها
أجاعة أم الحصين خزاية ٢-
ورفط بني عمرو وعمرو بن عامر
كأن جلود النرجيب عليهم
لقونا فضوا جانبينا بصادق
ولما دخلنا تحت فيء رماحهم
فأبتُ سليماً لم تمزق عمامي
وليس يعاب المرء من (جبن) يومه

في عارضٍ كضياء الصبح لَمَّاح
يكاد يدفعه من قام بالراح
أقرباً أبلق ينفي الخيل رَمَّاح
أعجاز مزن يسح الماء دلاخ
وضاق ذرعاً بجمل الماء منصاح
رُبط منشرة أو ضوء مصباح
كأنه فاحص أو لاعبٍ داحي
والمستكنُّ كمن يمشي بقرواح
شعثاً لهاميم قد همت بإرشاح
تزجي مراييعها في صحصح ضاحي
علي فراري أن لقيت بني عبس
وتياً فجاشت من لقائهم نفسي
إذا جمعوا بين الإناخة والحبس
من الطعن حش النار في الحطب اليبس
خبطت بكفي أطلب الأرض بالمس
ولكنهم بالطعن قد خرقوا ترابي
وقد عرفت منه الشجاعة بالأس (56)

6 - الإحساس الحاد بالزمان : والزمان حاصل تحت (الزمان ، المكان) ،
وذلك إحساس شديد على الرغم من شفافيته ؛ فالزمان ماض وحاضر ومستقبل ، وغالباً
ما يكون المستقبل أو الغد سبباً لحيرة الشاعر وخوفه ، فالشاعر الجاهلي لا يجب المجهول
قارن زهير :

(56) ابن حجر . آوس . ديوانه القصيدة رقم 1 قطعة 5 ، ص 14 وبمدها . والقصيدة رقم 2 قطعة 25 ،
ص 51 وبمدها ..

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي
وقارن قراد بن الأجدع :

فإن يك صدر هذا اليوم ولّى فإن غداً لناظره قريب
وقارن طرفة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود
والجاهلي يخاف الزمن ، ويحسبه عدوّه ، ويسبغ عليه صفات الغدر والخيانة ،
وربما نسب إليه كل ما يصيبه من الويلات ، فشته وبالغ في تحذّيه أحياناً ، فالزمن هو
الدهر والمنية والمجهول وهو كل الأشياء ، جاء في القرآن الكريم : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا
حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾⁽⁵⁷⁾ [الجاثية : ٢٤/٤٥] .
وجاء في الحديث الشريف : « لا تسبوا الدهر فإنّ الله ، عزّ وجلّ ، قال : أنا
الدهر ، الأيام والليالي لي ، أجددها وأبليها ، وآتي بملوك بعد ملوك »⁽⁵⁸⁾ .

والقصائد الجاهلية تحدد لك الوقت الذي لعب الحركة من نحو :

وقد أغتدي والطير في وكناتها .
إشارة إلى الفجر .

وإذا ما الثريا في السماء تعرّضت

إشارة إلى منتصف الليل ، ونحاول إعطاء دليل سريع لأنات النهار والليل :

☆ الفجر (امرؤ القيس) :

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

(57) انظر صحيح البخاري (الجاثية) 166/6 .

(58) القشيري . مسلم . صحيح مسلم . رقم الكتاب 40 . انظر باب النهي عن سبّ الدهر 1762/4 .

(أبو دؤاد الإيادي) :

هل ترى من ظعائن باكرات كالعُدولي سيرهنّ انقحام

☆ الصباح (عنتره) :

يادار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

☆ الضحى (المرقش الأكبر) :

أضحت خلاء نبتها تُد نور فيها زهوه فاعتم

☆ الفدوة (كعب بن سعد الغنوي) :

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يؤدّي الليل حين يؤوب

☆ الظهيرة (طرفه) :

إن تنوّله فقد تمنعه وتريه النجم يجري بالظهر

☆ القيلولة (المثقب العبدي) :

علمون رباوة وهبطن غيباً فلم يرجعن قائللة حين

☆ العصر (لبيد) :

فبات وأسرى القوم آخرليلهم وما كان وقافاً بدار معصر

☆ العشيّة (الأعشى) :

بيضاء ضحوتها وصف راء العشيّة كالعرارة

☆ الأصيل (عمرو بن كلثوم) :

وراجعت الصبا واشتقت لما رأيت حولها أضلاً خدينا

☆ الغروب (علقمة) :

فجالدتهم حتى أتقوك بكبشهم وقد حان من شمس النهار غروب

☆ المساء (ذو الأصبع العدواني) :

يامن لقلب شديد الهمّ محزون
أمسى تذكرها من بعدما شحطت
فإن يكن حبها أمسى لنا شجناً
والدهر ذو غلظة حيناً وذو لين
أمسى تذكر ريباً أم هارون
وأصبح الوأي منها لا يواتيني

☆ السحر (امرؤ القيس) :

يعلّ به برد أنيابها
إذا طرب الطائر المستحر
(المرقش الأكبر) :

بأن بني الوخم ساروا معاً
بجيش كضوء نجوم السحر

☆ البيتوتة (الشنفرى) :

تبيت بعيد النوم تهدي غبوقها
فبتنا كأن البيت حجر فوقنا
مصعلكة لا يقصر الستر دونها
لجارتها إذا الهدية قلت
بريحانة ريحت عشاء وحلت
ولا تترجى للبيت إن لم تبيت

☆ أيام الأسبوع تبدأ بأول وهو الأحد وتنتهي بشيار وهو السبت ! قال الشاعر :
أومل أن أعيش وأن يومي بأول أو بأهون أو جبار
أو المردي دبار فإن أفته فؤنس أو عروبة أو سيار

وقد صنعنا كتابنا الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ووضعنا فيه تقسيمات الوقت ، فمن أراد الاستزادة فذلك له !

ولا يقل الإحساس بالمكان عن الإحساس بالزمان في الشعر الجاهلي ، فأنت مع المكان في معظم استهلالات القصائد ، وقد بالغ الشعراء في تتبع الأزمنة فهي عزيزة عليهم حدّ البكاء .. قارن للمثال السريع :

١ - امرؤ القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
ف (توضح) ف (المقراة) لم يعف رسمها

2 - عنتره :

وتحمل عبلة ب (الجواء) وأهلنا

3 - زهير :

أمن أم أوفى دمننة لم تكلم

4 - طرفه :

لخولة أطلال ب (برقة شهيد)

5 - لبيد :

عفت الديار محلها فقامها

6 - عمرو بن كلثوم :

ألا هبني بصحنك فاصبحينا
ولا تبقي خمور (الأندرينا)

7 - الحارث بن حلزة :

بعد عهد لها ب (برقة شما
ف (المحياة) ف (الصفاح) فأعلى
ف (رياض القطا) ف (أودية الشر

8 - الأعشى :

ماروضة من (رياض الحزن) معشبة
وقد غدوت إلى (الحانوت) يتبعني
خضراء جاد عليها مسبل هطل
شاومشل شلول شلشل شول

حوار بينه وبينها ، أو خطاب يزيجه الشاعر لها .. أو استدعاء نهار بعينه أو ليلة بعينها ، ويتجه الشاعر إلى الأسلوب القصصي في شعره بوعيه أو لاهوعيه ، لأنه الأسلوب الأقرب إلى نفس الشاعر وجمهوره معاً ، وحياة الشاعر مجموعة قصص تشكل رواية العمر ، وقد لجأ الشعراء أحياناً إلى استثمار آلية الحلم ليعادلوا به (الحلم) خشونة الواقع ، فهم يزورون الحبيبة في الحلم أو تزورهم بنأى عن أعين الرقباء وشروط الزمان والمكان والأعراف ، فالحبيبة تأتيه كيفما يتمنى ، وقد يصطنع الشاعر حواراً مع المرأة ، يعاتبها وتعاتبه ، على المهجر واللامبالاة ، ويصف الأجواء المحيطة بالحبيبة ، وكأنه في واقع أكيد وليس في حلم هشّ ، وقد كثّر الشعر الحلمي حتى تساءلنا في أكثر من مناسبة عن السبب الذي زهّد أصحاب الحماسات به فلم يفرّدوا له باباً ، أو يعتدوه غرضاً⁽⁵⁹⁾ .

قال سويد بن كاهل الشكري (مخضرم) :

فوصلنا الجبل منها ما اتّسع	بسطتُ رابعةً الجبل لنا
من حبيب خفر فيه قد عدع	هيجَ الشوق خيال زائر
عصب الغاب طروقاً لم يرع	شاحط جاز إلى أرحلنا
يركب الهول ويعصي من وزع	وكذاك الحب ما أشجعته
ففؤادي كلُّ أوب ما اجتمع	خبلتني ثم لم تشفني
تنزل الأعصم من رأس اليفع ⁽⁶⁰⁾	ودعتني برقاهها أنها

وتمتلك القصة الشعرية قوة الأثر الاستثنائي في جمهور الشعر وجمال القصيدة فضلاً عن أنها قادرة على توسيع التخيل ، وترقيق التعبير . امرؤ القيس :

ويا ربّ يوم قد لهوت وليلتي	بأنسةٍ كأنها خط تمثال
لطيفة طيّ الكشح غير مفاضة	إذا انقلت مرتجحة غير متفال

(59) الصانع . عبد الإله . الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية . الفصل الأول (صورة الحبيبة في الطيف الزائر) ص 29 وبعدها .

(60) الفضليات . ق 40 ، ص 191 وبعدها .

تنوّرتها من أذرعَات وأهلها
نظرت إليها والنجوم كأنها
سموت إليها بعدما نام أهلها
فقالَت سباك الله إنك فاضحي
فقلت يمينَ الله أبرح قاعداً
حلفت لها بالله حلفَةً فاجرٍ
فلما تنازعنا الحديثَ وأسمحت
وصرنا إلى الحسنَى ورقاً كلامنا
فأصبحتُ معشوقاً وأصبح بعلمها
يفط غطيظ البكر شدّ خناقَه
أيقتلني والمشرقي مضاجعي
أيقتلني وقد شغفتُ فؤادها
وبيت عذارى يوم دجن ولجته

ييثرب أدنى دارها نظر عال
مصاييح رهبان تشبُّ لقفال
سموّ حباب الماء حالاً على حال
ألسَت ترى السّمَار والناس أحوالي
ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي
لناموا فما إن من حديث ولا صال
هصرت بغصن ذي شماريخ ميال
ورضتُ فذلتُ صعبَةً أيّ إذلال
عليه القتام سيء الظن والبال
ليقتلني والمرء ليس بقتال
ومسنونة زرق كأياب أغوال
كما شغف المهنوءة الرجل الطالي
يطفن بجماء المرافق مكسال⁽⁶¹⁾

.. والأعشى يصف محنة السموءل الذي قتل ابنه أمام عينيه وأعين أهل بيته خارج
حصن الأبلق ، حين خيّرهُ الحارث بن ظالم بين أن يسلم ودائع امرئ القيس أو يقتل
ابنه الذي كان في مشوار صيد ، وعاد ليجد باب القلعة مغلقاً ، وجيش الحارث يحيط
بالقلعة إحاطة السوار بالمعصم ! ففكّر السموءل وأهل بيته في الخيارين ، وكان القرار هو
أن الحفاظ على الأمانة أهم من حياة الابن .. وقد نفذ الحارث تهديده فقتل الابن البريء
أمام أعين والديه ثم مثل به !!

كن كالسموئل إذ سار الهمام له
بالأبلق الفرد من تيماء منزله
إذ سامه خطي خسف فقال له
في جحفل كسواد الليل جزار
حصن حصين وجار غير غدار
مها تقله فإني سامع حار

(61) امرؤ القيس . ديوانه . ق 2 ، ص 27 وبعدها .

فقال ثكل وغدر أنت بينها
فشك غير قليل ثم قال له :
وسوف يعقبنيه إن ظفرت به
لا سرهن لدينا ضائع مذاق
فقال تقدمتة إذ قام يقتله
أقتل ابنك صبراً أو تجيء به
فشك أوداجه والصدر في مضض
واختار أذراعه أن لا يسبها

فاختر فافيهما خط لختار
اذبح أسيرك إني مانع جاري
رباً كريماً وبيض ذات أطهار
وكامبات إذا استودعن أسراري
أشرف سموءل فانظر للدم الجاري
طوعاً فأنكر هذا أي إنكار
عليه منطويماً كاللذع بالنار
ولم يكن عهده فيها بختار⁽⁶²⁾

ولنا أن نذكر بثلاث لوحات تتجلى من خلالها القصة الشعرية بشكل يعزز الاطمئنان إلى هذه الخبيصة .

١ - قراءة الشعر الذي قيل في أيام العرب : حروبها ، فهو يتحدث عن المشاهد والاشتباكات والغبار ، والقتلى ، ومنظر الصقور وهي تقتلع الحواجب والعيون ، والضباع وهي تقوم بمركات شنيعة مع الرجال المقتولين الذين انتفخت أجسامهم تحت الشمس ، ومنظر النساء المقاتلات اللواتي لا يعيش هن طفل وهن يؤدين طقوساً سحرية مع الميت ..

2 - قراءة الشعر الذي يصور الرحلة ، ومشاهد القتال التي تحدثنا عنها بين الحيوانات مرة ، وبين الحيوانات والإنسان ، فما أقسى منظر البقرة وهي ترى إلى الضباع فتفترس ابنها أمام ناظرها ، فإذا انصرفت الضباع عادت لتشم ما تبقى من دمه وأشلائه فكأنها أم رؤوم وليست بقرة ، وقد مر بنا صور ثور الوحش وهو يواجه مصيره في دراما مثيرة أبطالها الصياد وكلابه من جهة والثور من جهة أخرى .

(62) ديوان الأعشى . ق 25 ، ص 229 وبعدها . وانظر مبحث الحكاية في شعر الأعشى بكتابتنا : الصورة الفنية معياراً نقدياً ص 275 وبعدها .

3 - لوحة لقاء الحبيب بحبيبتة وما يكتنف ذلك اللقاء من المخاطر والمباهج .

8 - أثر البيئة والنشأة والطبقة في شعر الشاعر : ومن خلال الشعر نستطيع تمييز شعراء الصحراء من شعراء المدينة ، وشعراء الريف من شعراء الثغور ، الشعراء الصحراويون يستعملون إيقاعات صاخبة وكلمات خشنة ، وصوراً تشاكل قسوة الصحراء ؛ ليل هيم ، ذئاب تعوي ، أفاع تفتح ، سماء صافية مطرزة بالنجوم !

شعراء المدينة ذوو إيقاعات هادئة رتيبة ، وكلمات هينة لينة ، وصور تحاكي نعيمهم ورقيقهم ، فتصف النوادي وبيوت اللهو والأسواق ، ودور العبادات ، حضارة الشعر صورة لحضارة المجتمع ، والشعر الجاهلي يصف بصبر جميل مفردات الحضارة عهد ذاك أدورد ثايلر : « الحضارة هي الكلّ المعقد من الرغبات ، والرهبات ، والعقائد ، والطقوس ، والمواسم ، والفنون ، والحرف ، والتجارة ، والزراعة ، والرعي ، وتقاليد الناس ، ومشاعر التقديس ، والتدليس » .

وهذه الأمور عبّر عنها الشعر الجاهلي بفنّيه جلية ، فهو ، الشعر ، نتاج البيئة يؤثر فيها ويتأثر بها ..

9 - وضوح المعاني ودقة التعابير : الشاعر لا يتنطّع وإنما هو مشغول بالتعبير عن همومه المعنوية والجمالية ، ومن ثم التأثير في جمهوره الذي ينتظره بفارغ الصبر ، ويفاخر به جماهير الشعراء الآخرين ، وقد ساعدتم في ذلك صدقهم الفنّي ، والشاعر معني بالفكرة العامة ، والحقيقة الأمّ ، والحدث المركز ، فيبذل جهده للتعبير عن خلجاته ، وربما سهّل الأمر على الجمهور ، والشعراء معاً اشتراكهما في مرجعية واحدة ، فالمعاني مشتركة بين الشعراء ، وكل شاعر يحاول تطوير أدواته في التناول ويؤول ذلك د . شوقي ضيف لنفهم أن هذه النزعة في الشعر الجاهلي جعلته لا يحلّل خواطره ولا عواطفه إزاء ما يتحدث عنه من حبّ أو غير حبّ ، فهو لا يعرف التغلغل في خفايا النفس الإنسانية ، ولا في أعماق الأشياء الحسيّة ، وتتضح هذه النزعة في خياله وتشبيهاته

للرأة ، فهو يشبهها بالشمس والبدر ، والبيضة ، والدرة ، والدمية ، والرمح ،
والسيف ، والغمام ، والبقرة ، والظبية . وشبه أسنانها بالأفحوان ، وبنانها بالعم ،
وثغرها بالبلور ، وخدها وترائبها بالرأة ، وشعرها بالحبال والحيات والعناقيد ،
ووجهها بالدينار ورائحتها بالمسك والأترجة ، وريقها بالحمر والعسل ، وعينها بعين
البقرة والغزال ، وعجزها بالكثيب ، وساقها بالبردية ⁽⁶³⁾ .

وهذه الصور وغيرها مألوفة لدى الجمهور والشعراء معاً ، وكذلك اللغة التي يكتب
بها الشاعر قصيدته هي لغة قريش الشائعة في المدن والأسواق والمجالس ، والشاعر
الفحل هو الذي لا يعاضل في تعبيراته ، ولا يتشادق في إنشاده ، ولا يتفيهق في
معلوماته وخبرته مع قدرة متميزة في تخليق جاذبية سحرية لتعبيراته تستحوذ على
عواطف الناس وإعجابهم .

10 - الجدل الحاذق بين الذاتية والغيرية ، فالشاعر الجاهلي أساساً إنسان ذاتي
يعشق نفسه ، ويرى قدره فوق مقامات الآخرين ! فهو المعشوق الذي تتنافس على
حبّه عذراوات القبيلة أو الحي ، والمحبوب المهيوب بين الفتیان ، والمرهوب عند
الفرسان . قوله القول ، وفعله الفعل . فإذا هجا جرّد خصمه من الفضائل ، وإذا فخر
نسب كل الفضائل إلى نفسه ، وغالباً ما يصور نفسه وشعره محور الكون ، بيد أن
الشاعر أيضاً إنسان (غيري) فإذا احتاج قومه إليه تخلى عن ذاتيته وأقبل إليهم عارضاً
شعره ونفسه ، وقد يتماهى الأنا والنحن في القصيدة الواحدة ، فلا ندري أي فخر الشاعر
بنفسه أم بقومه !؟

والجواب : إن الشاعر الجاهلي - أحياناً - لا يرى مسافة بينه وبين قومه ، وربما تهاى
له أنه سفير قومه ، والمعبر الوحيد عنهم ! وهذه خصيصة مهمة في الشعر الجاهلي ،
وحتى في أعماق ذاتية الشاعر نجده ممجداً بشكل غير مباشر ، قيم قومه ، ومثلهم

(63) العصر الجاهلي . ص 221 .

مفكراً بعقليتهم ، وإن استعمل ضمير المتكلم ، ومن هنا فأنت مع غنائية الشاعر الجاهلي .. هذه (الغنائية) لاتعمي عينية عن (الموضوعية) والذوبان في الجماعة ، وشأن الشاعر في قومه شأن بيت الشعر المفرد داخل القصيدة ، فكل منهما (بيت الشعر / الشاعر) مكتف بذاته ، وكل منهما جزء من كل ! البيت جزء من القصيدة ، والشاعر جزء من القبيلة ، قارن دريد بن الصمة :

أمرتهم أمري بمنعرج اللـوى	فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد
فما عصوني كنت منهم وقد أرى	غوايتهم وأني غير مهتدي
وهل أنا إلا من غزية إن غوت	غويت وإن ترشد غزية أرشد ⁽⁶⁴⁾

وقد يخفي الشاعر عواطفه ومشاعره حتى لا يحزن الصديق ويشمت المبغض ، فالشاعر معلم على نحو ما .. وهو قدوة .. في قوته وضعفه .. أبو ذؤيب الهذلي

حتى كأني للحـوادث مروة	بصفا المشرق كل يوم تفرع
وتجلدي للشامتين أريهم	أني لريب الدهر لا أتضعضع
والنفس راغبة إذا رغبتها	وإذا تردّ إلى قليل تقنع
ولئن بهم فجع الزمان وريبه	إني بأهل موذتي لمفجع ⁽⁶⁵⁾

(64) ديوان دريد بن الصمة . ق 15 . ص 47 .

(65) الفضليات . رقم 126 . ص 422 وبعدها .

الأطروحة الثالثة

النثر الفني الجاهلي

- مقدمة : مآزق الخطاب النثري الفني القبسلامي .
- تمهيد : أوراق النثر الفني .

أضرب النثر الفني

أولاً - الخطابة .

ثانياً - الأمثال .

ثالثاً - سجع الكهّان .

رابعاً - المنافرة .

خامساً - الحكاية .

سادساً - الوصايا .

سابعاً - المعاهدات والأحلاف .

ثامناً - الرسائل .

تاسعاً - الوصف .

خصائص النثر الفني الجاهلي .

مقدمة

(مآزق الخطاب النثري الفني القبسلاسي)

الشعر والنثر الفني الجاهليان ، توأمان وُلدا ملتصقين ثم نضجا كلٌ منها متمتعاً بصفاته المورفولوجية والداخلية ، فكان المنطق أن ينفصلا ، فانفصلا ، وبدأ شوطاً من المنافسة لم ينته حتى الآن ، ولم تخمد جذوته .. فحتى يومنا هذا (النصف الأول من 1999) تختلج قنوات الإيصال المسموعة والرئية بتصريحات كل فريق ، فكتاب النثر فرحون هذه الأيام زاعمين أن زمن الشعر قد انتهى ، وبدأ زمان النثر . والشعراء بيتسمون قائلين لفريق النثر ، أن لا زمان للشعر ولا مكان ، فكل الأزمنة وكل الأمكنة هي قاشة الشعر . وهذه المنافسة الحارة أضافت الكثير من الجماليات لنصوص كلا الفريقين !!

أما العصر الجاهلي ، فكان شاهداً على ظهور عدد من المبدعين (الشاملين) ، فقد يلقي الشاعر قصيدته ويقطعها بدبباجة نثرية تتكفل بتوضيح آفاق الشعر وخباياه ، فكثافة الشعر محتاجة إلى فساحة النثر ، وقد يلقي الخطيب مثلاً خطبته ثم يزوّفها بأبيات شعرية كدأب الإيادي قس بن ساعدة ، وقد مرّ بنا في فصل المعلقات ، الأطروحة الأولى ، أن عبيد بن الأبرص ألقى خطبة فاستقامت قصيدة من مخلع البسيط وروي الباء :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

مما ييسر لنا تسويغ الانفلاتات العروضية التي اعتورت معلقته !! ومرّ بنا أن
 الحارث بن حلزة وقد ألجأته الإقامة في منازل عمرو بن هند ، الملك الأهوج المتقلب
 المزاج ، وقد تأجج الموقف بين قوم الشاعر (المغضوب عليهم) وبين الملك عمرو بن
 هند الذي بدّد أمواله وجهده ومملكته على حاشية السوء التي تنقل إليه (تقارير السوء
 عن الناس ، فيوقع فيهم قتلاً وتنكيلاً .. وقد كان الشاعر الحارث بمستوى المحنة ،
 فارتجل معلقته ليدفع بها الشر عن قومه ويطفئ نار الحقد في صدر الملك ، يقول
 التبريزي : « وقام الحارث بن حلزة وهو أحد بني كنانة بن يشكر فارتجل قصيدته
 ارتجالاً » . ويبدو أن الحارث كان في أشدّ حالات الاستنفار لطاقاته الإبداعية
 والتخيلية بحيث أتكا على قوسه فاخترق طرف القوس راحته وخرج من ظهر كفه ،
 وهو لا يشعر بذلك ! يقول التبريزي : « فارتجل قصيدة ارتجالاً وتوكأ على قوسه
 فزعموا أنه انتظم بها كفه وهو لا يشعر من الغضب » !!

والمعروف أن الارتجال منحى صعب يضيق الهوة كثيراً بين آليات الشعر وآليات
 النثر فضلاً عن استدعائه حالة من التّاهي بين تقنيات كل منهما !! ولماذا نجري بعيداً ؟
 فالدراسات المعمقة توصلت إلى أن حلقة مفقودة بين السّجع الجاهلي وفنّ الرجز ،
 وفقدان هذه الحلقة لم يمنع الدراسات تلك من القول : إنها (الرجز ، السجع) من
 أرومة واحدة ، حتى ميّزت العرب بين القصيد والرّجز .. بل وتوصّلت دراسات معمقة
 أخرى إلى أن الرجز ليس شعراً ، وإذا أخذنا بهذا التوصل (جدلاً) فنحن مضطرون
 إلى اعتداد الرجز جنساً (مخنثاً) بين الشعر والنثر ، واستعانت تلك الدراسات بمعجمات
 اللغة التي حددت الرجز مرضاً يصيب عجيزة الناقة أو الجمل !!

وإذا كان المستشرقون الفرنسيون ميّالين إلى أن الشعر أكثر التصاقاً بعواطف البشر
 من النثر ، وأن الشعر سبق النثر الفني في الظهور ، ثم تابعهم د . طه حسين مستلذاً
 بأرائهم فإن ذلك يعني ضرباً من الشعر مختلفاً عن الشعر الذي نضج فيما بعد ، وقرّت له
 القواعد والحدود . ذلك الشعر الذي بدأ مع الإنسان الأول قبل نضوج النثر الفني ، كان

ضرباً من الرقص الإيقاعي والحركات التي تنهد بها الأيدي والأرجل ، والإشارات التي ترسمها ملامح الوجه ، والفرغرات والغمغات المكررة التي تواقّت وتناغم الرقص والإشارات ، وإذا صحت هذه الفرضية ، فإن الشعر ذاك .. كان حالة ثالثة بين اللغة واللغة / الشعر والنثر / الإيقاع السمعي والبصري . وهذه الحالة تعزّز القول بوحدة الأرومة بين الشعر والنثر ، زد على ذلك حكايات السّير التي توشّج بين الشعر والنثر مثل سيرة الزير سالم ، وسيرة عنتره ، وسيرة ليلي العفيفة ، كذلك الأفاصيص القصيرة أو الطويلة حسب المقام ، فهي مضطرة للشعر اضطرارها للنثر .. بل إن ضرباً من الشعر وصل إلينا بلهجات متعددة وروايات متعددة ، وبخاصة شعر السّير ، والقصص ، والأمثال ، بما يؤثّل في مساحة الدرس العلمي أن (الشفاهية) ليست نظرية عادية يمكن ردّها بيسر ، كنظرية النحل التي احتفظت تحت أديمها بأسباب قوتها وضعفها معاً ، كما احتفظت بأسباب حياتها وموتها !! ولكن الشفاهية هذه التي حللت النص الإبداعي الجاهلي وأولته ؟

(مصطلح الشفاهية كما تشكّل لدى باري ولورد في دراستهما عن الشعر اليوغسلافي ، وقياسها له على ملحمة الإلياذة ، يعني أنه شعر نمطي (Formulaic) ، والقصيدة الشفاهية لا تقوم على نص ثابت ، وهي نص متغيّر ومتبدّل على لسان كل منشد ، وكل منشد يغيّر في كلماتها وجملها وفي أبياتها ، وله الزيادة فيها أو الحذف منها . ويدخل فيها عناصر جديدة ويلقي منها آخر ، مع كل حالة إنشاد . بل ربما غير المنشد القصيدة تغييراً كاملاً . ولذا فإن الشعر الشفاهي سائب التكوين ، ويتجدد إبداع القصيدة على لسان كل منشد ، والمنشد الشفاهي لا يحتاج إلى حفظ القصيدة في ذاكرته . وليس للحفظ مكان لدى الشفاهيين . ومهارة الشفاهي لا تعتمد على ذاكرته ، ولكن على إتقانه لمجموعة من الصّيغ الهيكلية والنمطيات القولية ، ومجموعات من الأسماء والأحداث ، وتشكّل له هذه إطاراً شكلياً يحشوه بما يلائم موقف الإنشاد . ومن ثم فليس هناك إبداع فردي ، وليس هناك نص معين لشاعر معين !! والنصوص تكوّن

نشاطاً قولياً شفاهياً مشاعاً كممارسة إنشادية دائمة التغيير والتبديل . والشفاهي إذن نص غنطي مشاع⁽¹⁾ .

وقد نشر (J. Monroe) بحثاً معمقاً في مجلة الأدب العربي التي تصدر بالإنجليزية عام 1972 (Oral Composition in pre-islamic poetry) أضاء كثيراً من العتمات التي اكتنفت مسيرة الإبداع الجاهلي ، وكشف على نحو ما العلاقة الأولى بين السجع والشعر ، ولنا أن نلخص أهم فكار هذا البحث .

أ - ثمة أصرة بين دلالة شعر ودلالة نثر الكهّان الذي تتفق أواخر كلماته بإيقاعات متشابهة مكرورة تشبه القوافي في الشعر .

ب - الموقف الصارم للإسلام من الشعر الجاهلي أدى إلى اختفاء المنشد الذي يحذق أسرار الإنشاد .

ج - ولبنيات القصيدة قوالب موروثية استعان بها الشعراء لضبط المعاني والإيقاعات والإمساك بتلابيب المتلقي .. وقد وصلتنا السبائك (القصائد) ولم تصلنا القوالب ، والمنطق العلمي يصرّ على وجود هذه القوالب .

د - لهجة قريش ليست اللغة التي كتب فيها الشعراء الجاهليون قصائدهم كما تهيأ لأصحاب نظرية الشكّ وخصومهم .. بل ثمة لغة قريبة من تلك اللهجة .. هي اللغة الإبداعية المفهومة لدى العرب كافة ، ولم تأنف هذه اللغة من استعمال مفردات غير قرشية ..

هـ - ربّما حوّر المدوّنون المسلمون للشعر الجاهلي كلمة (اللات) واستبدلوها بلمنظ الجلالة (الله) .. وذلك أدعى للقبول بسبب من التناظر النغمي بين إيقاعي

(1) الغزامي . د : عبد الله . القصيدة والنص المضاد . ص 11 . طبعة المركز الثقافي العربي . بيروت 1994 . وانظر :

الصكر . حاتم . مرايا نرسييس . ص 216 . طب المؤسسة الجامعية للدراسات . بيروت 1999 .

الكلمتين .. وبسبب اقتران مفردة اللات بالذهنية الجاهلية ومفردة الله بالذهنية الإسلامية .

و - تشكيك التبريزي شارح المعلقات العشر بالأسماء الجغرافية التي وردت في قصيدة عمرو بن كلثوم !!

ز - أخفق أصحاب نظرية الشك في تقويم ظاهرة الشعر الجاهلي النطبي ، كما أخفق أصحاب نظرية اليقين .

ح - القصائد المنحولة إنما هي منحولة وثائقياً ، بيد أنها صحيحة نسياً ، فهي مؤسسة وفق عمود الشعر ، (التقاليد الموروثة) ، وإن ضاعت تلك التقاليد ولبثت آثارها جليّة في القصائد !!

أما نظرية باري ولورد في الشعر الشفاهي فقد كثفت آلياتها لمعرفة نمطين من القوالب :

الأول دلالي ينحصر في المقولات الشائعة المتداولة في العصر الجاهلي مثل ديباجات القصص والحكايات والرسائل والعقود والمعاهدات والأمثال والمناظرات وأسجاع الكهان وسوى ذلك ، فالأفكار متداولة ومهمة المبدع الشفاهي هي التحوير والتبويب والتلاعب بالألفاظ والسياقات ..

والآخر صياغي ويدخل في إطاره الإيقاع .. فثمة صياغات وقوالب جاهزة متداولة يبني عليها المبدع الشفاهي نصه القديم المتجدد ، وإلا كيف نفسر طاقات الشعراء الخارقة على الارتجال وطاقات الخطباء والقصّاص والكهّان على الارتجال ! فالنصوص متوارثة ومتداولة ، وربما أشار الشعراء الجاهليون إلى قصائد قديمة نسجوا على منوالها كإشارة امرئ القيس إلى ابن خذام ! ولا يمكن تصوّر النصوص الشفاهية بمعزل عن الغناء والإنشاد .. وتنفعنا في ذلك الإشارات إلى أن المبدعين القدماء ..

ناثرين وشعراء .. كانوا يستعملون العصا أو الرمح أو السيف أو القوس خلال الإلقاء ، وما كان ذلك ليكون لو لم تكن لهذه الأدوات وظيفة مسطرة المايسترو ، وهو يقود الآلات والمنشدين إلى حالة من التناغم بين الوقت والمعزف . حتى قيل : إن المبدع العربي كان يحجم عن الإنشاد إذا لم تكن بيده عصا أو قناة .. وربما أسهمت الربابة والبربط والدفوف في ضبط إيقاعات القصائد ، أو الخطب ، أو الحكايات ⁽²⁾ .

فلا غرابة إذن من أن يكون الشاعر خطيباً ، والقاصّ شاعراً مثلاً ، فالمعاني كما يقول الجاحظ مبذولة للقاصي والدائي وإنما العبرة بالنظم .. والنظم إن هو إلا القوالب المتداولة ، وقد يمتاز مبدع عن آخر بأسلوبه الخاص في استثمار تلك القوالب والتفنن في صياغة السبائك وتزويقها .. وإنما تكرر الشعر في الذائقة العربية القيسامية ؛ لأن الطبيعتين كانتا مسوّغ التكريس ، فطبيعة العربي مجبولة على عشق الكلمة الجميلة الموسقة ذات المنهج العجائبي ، وطبيعة الشعر التي تمسق العواطف ، وتكثف العبارات ، وتوجّج الإشارات ، فالتقت الطبيعتان ليكون الشعر ديوان العرب ، أي الدفتر الذي ضمّ بين دفتيه جلّ مفردات الحضارة عهد ذلك ، وذلك لا يعني إطلاقاً .. أن النثر الفني ليس ديوان العرب ، فهو الآخر ديوان العرب ، بيد أن النثر الفني عصيّ على الحفظ والتذكّر ، سهل التبدد والضياع . أما الشعر فهو سهل الحفظ والتذكر وفرص ضياعه نادرة . وهنا يمكن مازق النثر الفني القيسلامي ، وكتب تاريخ الأدب تنبئنا أن جمهور النثر الفني لم يكن بأقل من جمهور الشعر كما ونوعاً .. ولنا أن نتذكر كيف كان الجمهور العريض يتحلّق حول قس بن ساعدة الإيادي وهو يلقي خطبه التأملية ، ونتذكر كيف كان الجمهور الواسع يتحلّق في الأسواق حول عبيد بن شرية الجرهمي ، وهو يروي بأسلوب خلاّب حكايات الأمم الغابرة .. مثل عاد وثمود ، وروايات زرقاء اليمامة وابنة الساطرون .. بل ينبغي أن نتذكّر هنا جمهور المنافرة التي

J. Monroe. Oral Composition in pre-islamic Poetry. Journal of Arabic literature. Vol. III 1972. (2)

Brill-Leiden.

شبت بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة ، فقد نصبت الجماهير خيامها على عدوة فرس حول بيت هرم بن سنان .. بانتظار إصدار الحكم .

ومن المؤسف حقاً ، أن يتجنب المعنيون بالأدب القبسلامي الخوض في تفاصيل النثر الفني ، ناسين أن صورة الإبداع تبدو ناقصة تماماً حين نلتفت إلى الشعر ونشيخ نظرنا عن النثر ، حتى إننا وزعنا استبيانات على طلبة الجامعات (أقسام اللغة العربية) في العراق والأردن واليمن وليبيا وتونس والمغرب ، فأحالتنا الإجابات على أن أساتذة الأدب الجاهلي يكرسون 75% من ساعات الأدب الجاهلي و 25% للنثر الفني الجاهلي ، وأطرف الإجابات وردتنا من (بعض الطلبة) جاء فيها .

(انتهت السنة الدراسية ونحن ندرس الشعر الجاهلي فسألنا الأستاذ ومتى ندرس النثر الجاهلي ، فبهت الأستاذ ، وفهمنا أنه نسي النثر .. وقد فات الأوان) إننا نتنى على زملائنا أساتذة الدراسات العليا في أقسام اللغة العربية تشجيع الطلبة على دراسة النثر الفني الجاهلي ، فهو قارة واسعة وخصبة ومغدقة ، فالنثر يقول أشياء مهمة كثيرة لا يستطيع الشعر قولها . وها نحن أولاء نلخص أسباب السبق التي تحصل عليها الشعر دون النثر .

1 - العرب أمة الشعر ، فهو ديوانها الذي أودعته جل رغباتها ورهباتها ولم يكن النثر سوى حلقات ربط بين الشعر والشعر ، وسوى ذلك فإنه يقال في حينه ، ولا يعلق منه في الذاكرة شيء يذكر !

2 - طبيعتا الشعر والنثر ، الشعر بما يمتلك من إيقاعات ومشوقات وإيماءات وجماليات يقرأ في الذاكرة دون عناء ، أما النثر فإن طبيعته التي تغري بالإطناب المملّ (أحياناً) والإيجاز المخل ، ونأيه عن الإيقاعات المأنوسة وجماليات الشعر وإغراءاته مما أسهم في إقصائه عن الذاكرة ومراكز الاهتمام !!

3 - ندرة العناصر التي تتقن القراءة والكتابة في العصر الجاهلي ، فكان المعولّ الرئيس على الذاكرة ، والذاكرة البشرية أقدر على حفظ الشعر من النثر فضلاً عن أن الرواة كانوا يلبّون الحاجة الاجتماعية ويمالئون ذائقة الأثرية ، لأسباب تتصل بالنجومية والوجاهة والارتزاق .. ويبدو أن حاجة الأميين للشعر أكثر بكثير من حاجة أولئك الذين يقرؤون ويكتبون .. وما زال الأمر حتى يومنا هذا .. فجمهور الشعر جمهور كي وجمهور النثر جمهور نوعي ، وإذا أراد الجاهلي استثمار القلة من الكتابة ، فهو يستثمرهم في كتابة الشعر ، يقول أبو حاتم الرازي :

١ - كان عند آل المنذر ديوان فيه شعر الشعراء الفحول وما مدح به النعمان وآل بيته ، فصار ذلك إلى بني مروان .

ب - كانت الشعراء في الجاهلية بمنزلة الأنبياء في الأمم⁽³⁾ .

4 - قال ابن رشيق :

أ - وقد اجتمع الناس على أن المنشور في كلامهم (العرب) أكثر ، وأقل جيداً محفوظاً وأن الشعر أقل وأكثر جيداً محفوظاً ، لأن في أدناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب به جيد المنشور ، وكان الكلام كله منشوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها وذكر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة ، وفرسانها الأنجاد ، وسمحاتها الأجواد ، لتهتزن نفسها إلى الكرم ، وتدلُّ أبناءها على حسن الشيم ، فتوهوا أعاريض ، جعلوها موازين الكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعراً ؛ لأنهم شعروا به . أي فطنوا . وقيل : ماتكلمت به العرب من جيد المنشور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنشور عشره ولا ضاع من الموزون عشره .

ب - ومن فضل الشعر أن الشاعر يخاطب الملك باسمه ، وينسبه إلى أمه ويخاطبه

(3) الرازي . أبو حاتم . أحد بن حمدان ت 322 . كتاب الزينة ص 96 ، وم 105 . طب مركز الدراسات والبحوث البني . صنعاء 1994 .

بالكاف كما يخاطب أقل السوقة فلا ينكر ذلك عليه ، بل يراه أوكد في المدح وأعظم
اشتهاراً للممدوح . والكاتب (الناثر) لا يفعل ذلك إلا أن يفعله منظوماً غير منشور ،
وهذه مزية ظاهرة وفضل بيّن .

ج - ومن فضائله (الشعر) أن الكذب الذي اجتمع الناس على قبحه حسن فيه ،
وحسبك ما حسن الكذب واغتفر له قبحه .

د - وقيل ليس لأحد من الناس أن يطري نفسه ويمدحها في غير منافرة إلا أن
يكون شاعراً .

هـ - إن كعب الأخبار قال له عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقد ذكر
الشعر : يا كعب ، هل تجد للشعراء ذكراً في التوراة ؟ فقال كعب : أجد في التوراة
قوماً من ولد إسماعيل ، أناجيلهم في صدورهم ، ينطقون بالحكمة ويضربون الأمثال ،
لا نعلمهم إلا العرب⁽⁴⁾ .

5 - التصاق هموم النثر بالأمور العابرة والمشاكل اليومية بما يقرنه بالمناسبات ،
فإذا دال أثر المناسبة زال أثر النثر ، أما الشعر فكانت موضوعاته في أغلبها تدور حول
المرأة والمشاعر الذاتية بما يجعل أثره مستمراً ، والشعر يأنس للذات بينما يأنس النثر
للموضوع !!

6 - يرى طه حسين أن الشعر أسبق ميلاداً من النثر الفني ؛ لأن الشعر لغة
الإحساس والمشاعر البدائية والإشارة والإيقاع والرقص . والنثر لغة الشعور والعقل
والرتابة والنضج ، والإنسان أول عهده مخلوق حسي يفهم الحياة من جهة حواسه
الخمسة ، ورغباته المكبوتة ! أما نضج الإنسان فهو مرحلة لاحقة ، ولهذا فإن التعلق
بالشعر أدخل في الفطرة والطبيعة من التعلق بالنثر .

(4) القيرواني . أبو علي الحسن بن رشيق 456 . العمدة في محاسن الشعراء وآدابه وتقده 20/1 وبعدها إلى
ص 25 . طب دار الجيل - بيروت . طبعة رابعة 1972 .

☆ لقد ذكر في مبتدأ (مآزق الخطاب النثري الفني القبلامي) وجهة نظرنا التي تهباً لنا مقاربتها للمنطق العلمي ، ثم ذكرنا غب ذلك ست نقاط مثلت مسوغات الشارع الثقافي قديماً وحديثاً لنصرة الشعر على النثر ، والشارع الثقافي دائماً يجري خلف المؤلف والسائد ومن العسير عليه تغيير ثوابته وقناعته ، فاقتضى النصف العلمي ، ذكر أطروحات الفريقين .. الشعر والنثر !!

تمهيد

(أوراق النثر الفني)

اعتمد الإبداع الجاهلي الموهبة سبيلاً لتجلياته ، والدربة مختبراً لجماليات الصياغتين الدلالية والجمالية ، بما أتى لدينا أن هذا الإبداع الباذخ كان ثمرة الطبيعة والعاطفة قبل أن يكون ثمرة التكنيك والعقل ، وكانت الشعرية (بؤرة الجمال الموثر والتأثر في النص) هاجس المبدع ، فلم يدر بخلد المبدع (الشعبي) التأثير في جمهوره العريض بالأفكار والقيم ، وإنما الذي حصل هو أن جماليات النص كانت سبيل المنتج الجاهلي إلى التأثير ، والمعضلة العلمية هي أن النقد الجاهلي لم يرق إلى مدارج السموق التي بلغها الإبداع ، فالناقد كان ملحقاً بمحاشية الشاعر ، وربما ارتضى الناقد بوظيفة الراوي أو الصحيب أو النديم ، فإذا قيل لنا : ألم يكن الشعراء ملحقين بمحاشية النابغة الذبياني (الناقد) في سوق عكاظ مثلاً ؟ فإن الجواب يسير ، هو أن النابغة كان شاعراً ، وإنما احتكم إليه الشعراء لنبوغه وافتراس المروءة فيه ، والنابغة الشاعر الذي ارتدى قناع الناقد في مواسم عكاظ ومجنّة لم يسلم من ثورات الشعراء على أحكامه ، فقد ناكفه حسان بن ثابت ، وأول تقده لقصيدته (لنا الجففات الغرّ يبرقن في الضحى) قائم على الحسد بين الشعراء ، فردّ عليه النابغة بهدوئه المعهود : ولكنك يا ابن أخي لا تستطيع أن تقول مثلي : (وإنك كالليل الذي هو مدركي) . أما الخنساء فقد أغضبها تقويم النابغة لمنزلتها الشعرية فشاكسته وقالت له : (بل أنا أشعر منك ومن أبيك وجدك) إذن النابغة كان في حكومة عكاظ : شاعراً يقول رأيه في زملائه .

الحصيلة : ليس ثمة نقد موضوعي في العصر الجاهلي ، ولم تتشكّل أي نظرية أدبية عهد ذلك ، سوى نظريات مهلهلة بسيطة من نحو الشعر المصنوع والشعر المطبوع ،

والسرقات الشعرية ، والألفاظ والمعاني ، والتوافق بين المشبه والمشبه به ، وتطابق الوصف .. أما التنظير فهي مرحلة لم يألّفها العصر الجاهلي !! الجاهليون يعرفون أشياء كثيرة ، ولكنهم لم ينظروا أو يقعدوا !! نعم كانوا يميزون بين القصيد والرجز ويميزون الإقواء والإيطاء ويعرفون المسافة بين الشعر والنثر .

أما نظرية الأجناس ، فلم تكن معروفة عهد ذاك ، وفق أبعادها المعروفة الآن ، كانوا يقولون أن هناك فنين هما فن الشعر وفن النثر ، وهم بذلك لم يبلغوا في التجنيس شأوَ اليونانيين⁽⁵⁾ وربّما وضحت الفروق بشكل أدق في العصر العباسي فوضع عدد من نياقة الأدب حدوداً بين الشعر والنثر بما يقرب تلك الحدود من طبيعة التجنيس فانبرى سهل بن هارون (ت 215 هـ) والجاحظ (ت 255 هـ) ، وابن أبي عون (ت 322 هـ) ، والفارابي (ت 239 هـ) والسجستاني (ت 380 هـ) وابن هند الكاتب (ت 420 هـ) والتوحيدي (ت 421 هـ) وابن الأثير (ت 637 هـ) ، والحامّي (ت 388 هـ) وعبد الكريم النهشلي (ت 403 هـ) والمرزوقي (ت 421 هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) وأبو القاسم الكلاعي (ت 543 هـ) ، انبرى هؤلاء وسواهم لدراسة الشعر والنثر والنظر في أوجه الائتلاف والاختلاف بينها . واستمرت جهود النياقة العرب في تأصيل نوعي الشعر والنثر حتى بعد سقوط الدولة العباسية عام (656 هـ) فتصدى ابن خلدون لهذه الإشكالية ففصل فصلاً تاماً بين الشعر والنثر⁽⁶⁾ ولم تسلم فكرة التجنيس من الخلط واللبس حتى وقتنا هذا فثمة جنس (genre) ونوع (Kind) ونمط (type) وشكل (Form) فأَيّ من هذه المصطلحات يمثل الأصل وأي منها يمثل الفرع ، هل الجنس أكبر من النوع ؟ أو النوع أكبر من الجنس ؟

(5) البقاعي . د . شفيق . الأنواع الأدبية ص 255 وبعدها طب مؤسسة عز الدين - بيروت 1985 .

(6) الجوزو . د . مصطفى . نظريات الشعر عند العرب الجاهلية والعصور الإسلامية طب دار الطليعة .

بيروت 1981 وقد أفرد الأستاذ الجوزو الفصل الثاني لرصد (التفريق بين الشعر والنثر) وتلّبت تلّبت العالم عند آراء جبهة من نياقة الأدب وهم يجهدون لمعرفة الحدود بين الشعر والنثر .

يقول د . حاتم الصكر : « لكننا نميل إلى التسلسل الآنف لكون الشعر جنساً قسماً للنثر في أصلها الأدبي ، ثم انقسام الشعر إلى أنواع بحسب المهينة الموضوعية والأسلوبية » .

ثم يقسم الصكر الأدب جنسين هما النثر والشعر (انظر المشجرة ص 22) . ويفرّع من هذين الجنسين أنواعاً منازة⁽⁷⁾ ، ويقول (فان تيغم) : « ويمكننا أن نطلق على دراسة الأنواع الأدبية لفظة - جنولوجيا - أما دراستنا لهذه الأنواع فستتناول الأنواع النثرية ، الأنواع الشعرية ، الأنواع المسرحية ، ثم فن القريض الذي يشكل وحده موضوعاً قائماً بذاته ، وسنعالج أخيراً الاقتباسات في الأسلوب ولم يكن للأنواع النثرية وحتى في أوج أيام الكلاسيكية مكانة الأنواع الشعرية وأهميتها ، ولم يكن لبعضها ، ولا سيما المقدسة منها قديماً وللوهلة الأولى أي تأثيرات عالمية . جد واضحة ومع ذلك فإنها جديرة بالدراسة والبحث شأن التاريخ (الإيلوكانس) وهو من الأنواع القديمة ، المحاورة أو (الديالوج) ، وهو نوع خاص بشرح الأفكار أو مناقشتها . وفي هذا النوع سار مقلدو أفلاطون ولوسيان المحدثون على نهج بعضهم ، ثم (المحاولة) أو النوع الذي ابتكره (مونتينييه) والذي نعلم القيمة التي كانت له في إنجلترا .. وهذه التأثيرات العالمية تظهر في بعض الأنواع النثرية الأخرى بسهولة ووضوح ... إن القول بالنوع الأدبي يعني بعث صدى ضئيل بين جميع القراء الذين لا يعلمون من الأدب إلا الأدب القائم ، والذين لا يثير فيهم الأدب القديم إلا ذكريات الصفوف والكتب المدرسية المضجرة ، وحتى النقاد فإنهم لا يستعملون تعبير النوع الأدبي إلا في الحالات الشاذة النادرة ، وحتى الذين لا يعيشون إلا في الأدب الحالي ، فإن تعداد الأنواع الأدبية لا يثير فيهم إلا سلسلة من الأشباح ، وإن عرض تاريخ الأدب القديم ابتداء من التمييز بين الأنواع ، يعني التّعريض لانتقادات شديدة . وما زالت فرنسا تعاني ألم الذكرى السيئة ،

(7) الصكر . د . حاتم . مرايا نرسيص ص 20 وبعدها . طب المؤسسة الجامعية للدراسات . بيروت

ذكرى نظرية (برونتيير) في تطور الأنواع ، تلك النظرية القائمة على قاعدة نظامية ، المطلقة والمبنية على وحدة ذاتية يشوبها التويه ، قائمة بين الأنواع الأدبية والأنواع أو الأجناس البشرية . كما وإن إظهار فائدة نوع أدبي معين بدراسته دراسة تاريخية وبتحديد تحويلاته يعني الابتعاد عن (برونتيير) ، وهذا ما حمل بعض النقاد في إيطالية وألمانيا ألا يروى في الأدب إلا عدداً من الطاقات والمواهب الشخصية التي تعبر عن ذاتها بجرية مطلقة .. (8) . ويوضح د . عبده عبود إشكاليات التجنيس ضمن سياق التاريخ وحدود المصطلح ، فيقول :

« ومن الظواهر الأدبية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتلقي المنتج الأجناس الأدبية ، تلك الأشكال الأدبية الثابتة نسبياً ، التي تظهر بداية في أدب قومي ما ؛ ثم ماتلبث أن تنتقل إلى الآداب القومية الأخرى وتنتشر فيها بمساعدة التلقي المنتج المؤدي إلى تأثر إبداعي .. إن علماء الأدب يميزون بين ثلاثة أجناس أدبية أساسية هي : الأدب الملحمي أو السردى والأدب الدرامي أو المسرحي والشعر الغنائي . وهم يقسمون كلاً من هذه الأجناس الأساسية إلى أجناس أدبية فرعية .

ففي الأدب الملحمي أو السردى كما أصبحنا نقول حديثاً ، نجد الملحمة الشعرية القديمة والرواية والأقصوصة والقصة القصيرة ، ومن الأجناس الفرعية في الأدب المسرحي : المأساة والمهابة والدراما والمسرحية الغنائية والمسرحية الشعرية والمونودراما ..

والشعر الغنائي ينقسم بدوره إلى أجناس فرعية متعددة وفقاً لشكله الفني أو أغراضه كشعر الغزل والهجاء والمدح والقصة الشعرية ، ومسألة الأجناس مسألة على درجة كبيرة من الأهمية في الأدب العربي . فهذا الأدب لم يشهد حتى أواسط القرن (19) ظهور أجناس أساسية كالأدب المسرحي بأجناسه الفرعية كافة والأجناس

(8) تيمم . ب . فان . الأدب المقارن ص 64 - 67 . تعريب سامي الحسامي . طب المكتبة العصرية -

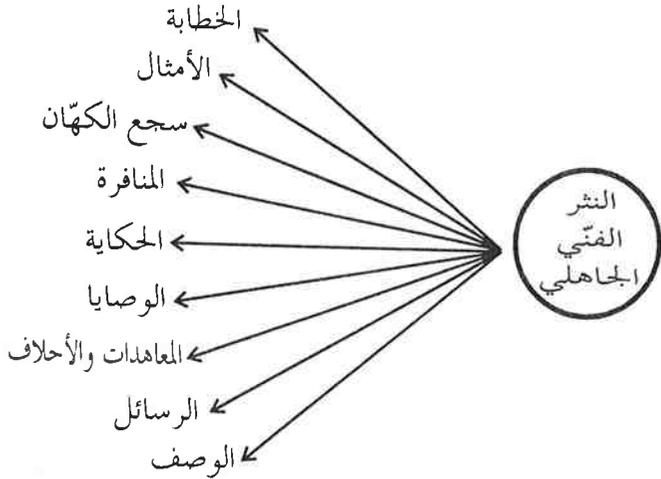
بيروت (د : ت) !!

السردية المتطورة عن رواية ، وقصة قصيرة ، وأقصوصة . ولم يعرف الأدب العربي الأجناس الدرامية أو المسرحية لأسباب تاريخية حضارية معروفة ، وإن كان التراث الشعبي قد سجل نشوء بعض الظواهر المسرحية كالأراجوز وخيال الظل ، إلا أنه لم يسجل ظهور أدب مسرحي في شكله المتطور الذي عرفته الثقافات والآداب الأوربية ! ولعل إجماع العرب عن استقبال المسرح اليوناني القديم إبان العصر الذهبي الأول لحركة الترجمة دليل قاطع على أن نشاطات الاستقبال الإبداعي تخضع لحاجات الثقافة المستقبلية في الدرجة الأولى ، أما على صعيد الأجناس القصصية أو السردية فقد شهد الأدب العربي القديم ظهور فنّ المقامة فيه ، وهو شكل جنيني من أشكال القصة القصيرة .. ومن ظواهر الأدب السردى التي ظهرت عند العرب في وقت مبكر قصص الحيوان والملاحم الشعبية والحكايات الشعبية وقصص ألف ليلة وليلة .. « (9) .

لقد اقتبسنا أعلاه عدداً من الآراء لعلها تبلّ ظمأننا لتجنيس الأدب العربي وبخاصة الأدب الجاهلي ، فلم نعثر على جهد مكرّس لدراسة هذه المعضلة العلمية ، أيمن القول أن الإبداع الجاهلي كان معوقاً أو مختنئاً ؟ ويبدو أن المعضلة ستستمر ، فالنقاد العرب لم يتفقوا بعد على دلالات صارمة ومحددة لمقولات الجنس والنوع في أدبنا الحديث فكيف يتفقون على دلالات (صارمة ومحددة) تتصل بدائرة الإبداع الجاهلي (إن الوعي بهذه الأجناس على مستوى النقد العرب والقراء العرب والكتاب العرب لم يبلغ بعد درجة مرضية وكافية للإقدام على تحديث هذه الأجناس ، فالنقاد العرب المعاصرون لم يستطيعوا بعد ترسيخ مفاهيمها ، ومحاولاتهم في هذا الاتجاه ما زالت محاولات مدرسية بسيطة متواضعة : محمد مندور ، عز الدين إسماعيل ، خلدون شمة ، بالإضافة إلى محاولات كل من الأستاذين إحسان عباس ومحمد يوسف نجم وما يجمع بين هذه المحاولات خلا الشمعة هو إصرارها على نعت الجنس الأدبي بالفن الأدبي الأمر الذي أدى

(9) عبود . د . عبدة . الأدب المقارن / مدخل نظري ودراسات تطبيقية ص 227 وبعدها . طب مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية . سورية 1992 .

إلى زعزعة مفهوم الجنس الأدبي في ذهن القارئ⁽¹⁰⁾ ، وإذا كان الأمر كذلك وهو كذلك من الخلط بين مفهومات الجنس والنوع والفرع لدى النقاد الأجانب بله النقاد العرب . فضلاً عن متاهات الأدب الجاهلي في مفايزات التجنيس ولسوف نركّز على جنس الشعر والنثر ، وقد مرّ بنا جنس الشعر في الأطروحة الأولى ، لتتفرع في الأطروحة الثانية إلى جنس النثر وفروعه ! وينبغي التركيز على مصطلح النثر الفني (artistic prose) حتى نحتز عن إدخال النثر غير الفني الذي لا ينضوي تحت سقيفة الإبداع !! والنثر الفني جنس (genre) يميلنا إلى تسعة أنواع (kinds) وفق الآتي :



(10) اصطياف . عبد النبي . نظرة في تحديث الأجناس الأدبية ص 36 وبعدها . مجلة الناقد - لندن - العدد الثامن - شباط فبراير 1989 السنة الأولى .

1 - الخطابة :

وهي أمّ الفنون النثرية الجاهلية ، فقد ولدت وحضنت فنوناً نثرية عديدة من نحو الأمثال والمناظرات والوصايا ... إلخ .

وتستند الخطابة إلى خصائص مهمة تبتغي وفرتها في الخطيب وخطابه نذكر منها :

1 - المهوبة ، والاستعداد الفطري ، ومن ذلك ذكاء الخطيب ، وسرعة بديته ؛ حتى يفهم المساحة التي تؤثر في خطابه وتتأثر به ، والجمهور الذي يخاطبه ، والمناسبة التي تطلبت خطابه ، وحضور البديهة شيء من الذكاء ، بيد أن لها وظيفة متميزة تنقذ الخطيب من المواقف غير المتوقعة ، ومساكسات الجمهور كلاً أو بعضاً ، واعتراضات الزعماء والناهين على فقار وردت في الخطاب ..

2 - قدرة الخطيب على شدّ انتباه جمهور الخطابة (الصعب) إلى موضوعه ، ولكل خطيب وسيلته الخاصة المبتكرة في تحشيد الانتباه لصالح موضوعه ، فضلاً عن التقاليد الناجزة المتبعة ..

3 - قوة شخصية الخطيب ومنزلته في أفئدة المتلقين ! والخطابة شيء من السيادة ، فطبيعة المتلقين الصعبة لا تقبل أطروحات الخطيب ، ولا تمحضه الإصغاء ما لم يكن الخطيب حبيباً إلى الأفئدة ، قريباً إلى العقول ..

4 - هيئة الخطيب وجراته ، وقدراته ، ومطاوعة صوته وإشاراته للمعاني التي تشغل خطابه وتقتسمه ، والمحبذ هو أن يكون شكل الخطيب مقبولاً لخلوّه من العاهات كالعور والعرج والبرص والقصر المفرط والطول الملفت ، والهيئة لا تشفع للخطيب حتى ينجح ما لم يشفع له صوت جهوري رخم حيم يتلون وفق المعاني والدلالات ، ومن نافلة القول أن يكون نطقه مبرّأً من أسقام التلّفظ كالتّمته والمتمته والفأفة والغمغمة والعي والتأتأة والثأأة⁽¹¹⁾ ، والخطيب اللبيب يستثمر جوارحه في تقريب المعنى إلى

(11) وأن لا يكون ألثغ ولا فأفاء ولا ذا رتّة ولا تتماماً ولا ذا حسة ولا ذا لَف (تقد النثر 112) .

الأفهام مثل حركات العين والحاجبين والشفنتين والرقبة والأطراف والجذع . ويستعمل العصا أو القوس أو الرمح أو السيف في الإشارة للمحاحة فكان الخطيب يضبط إيقاع خطبته وإصغاء جمهوره بهذه الأدوات (العصا وسواها) .

5 - جرأة الخطيب في قول ما يشاء وقت يشاء وكيف يشاء ، فقد تتقاطع مقولاته مع أهواء الجمهور أو همومه أو انتماءاته ومصالحه .. دون أن يؤسس في يقين الجمهور احترام الخطابة ، أو احتقار إرادة الآخرين ، والجرأة ليست معبراً لاحتواء الجمهور بالجلافة والوقاحة ، فمثل هذه الأمور قادرة على إعطاء نتائج عكسية تجرُّ على الخطيب وخطابه مصائب لا تحصى ..

6 - ثقافة الخطيب الملوّنة بعلوم زمانه من نحو : أيام العرب وأشعارهم وأمثالهم وقصصهم وأنسابهم ومقاماتهم ومواطنهم ، زد على هذه المعرفة بتعبير الرؤيا والفراسة وأساليب المجادلة ..

7 - يسعى الخطيب إلى التأثير في المخاطبين ، كأن يدعوهم إلى حرب أو سلم أو معاهدة ، أو نقض حلف ، أو مقاطعة ، ولن تكفي الحجة وحدها لإقناع الجمهور الصعب ذي الأهواء المختلفة والمصالح المعقدة ، ما لم يعتن الخطيب بمجاليات خطبته من جهة إبهارهم بمنطلقات خطابه الموشى بالسجع غير المتكلف والمجازات المرموقة والتشبيهات المبتكرة والإسهاب غير الممل والإيجاز غير المخل ، الخطيب الناجح قادر على صناعة نصّ خطابي جميل بحيث يكون الأثر الجمالي سبيلاً للأثر الوجداني ، وينقل الجاحظ (ت 255 هـ) باقة من القناعات المتصلة بزوايا الخطيب (تخليص المعاني رفق ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق بغض ، والنظر في عيون الناس عي ، ومسّ اللحية هلك ، والخروج مما بني عليه أول الكلام إسهاب ... رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة ، وجناحها رواية الكلام ، وحليها الإعراب ، وبهاؤها تخيير اللفظ ؛ والحجة مقرونة بقلّة الاستكراه)⁽¹²⁾ .

(12) الجاحظ . البيان والتبيين 56/1 (م . س) .

قس بن ساعدة الإيادي ، وعلقمة بن علاثة ، وعامر بن الطفيل ، وأكثم بن صيفي ، وحاجب بن زرارة ، والحارث بن عباد ، وقيس بن مسعود ، وعمرو بن الشريد ، والحارث بن ظالم ، وعمرو بن معديكرب ، الزييدي ، وعامر بن الظرب العدواني ، وقبيصة بن نعيم الأسدي ، وكعب بن لؤي ، وهاشم بن عبد مناف ، ولؤي بن غالب ، وعبد المطلب بن هاشم ، وأبو طالب بن عبد المطلب ، وعبيد بن الأبرص ، والحارث بن حلزة اليشكري ، وعمرو بن كلثوم ، وعمرو بن عمار الطائي ، وضمرة بن ضمرة ، وربيعة بن حذار ، وخويلد بن عمرو ، وعبيد الجرهمي .. وسواهم كثير ..

أ - قس بن ساعدة الإيادي :

يقول الجاحظ : « وإياد وقيم في الخطب خصلة ليست لأحد من العرب لأن رسول الله ﷺ هو الذي روى كلام قس ، وموقفه على جملة بعكاظ وموعظته ، وهو الذي رواه لقريش والعرب ، وهو الذي عجب من حسنه ، وأظهر من تصويبه ، وهذا إسناد تعجز عنه الأماني وتنقطع دونه الآمال ، وإنما وفق الله ذلك الكلام لقس بن ساعدة لاحتجاجة بالتوحيد وإظهار معنى الإخلاص ، وإيمانه بالبعث ، ولذلك كان خطيب العرب قاطبة »⁽¹²⁾ .

ويقوم الأستاذ عمر رضا كحالة شخصية قس على هذا النحو « من أشهر خطباء العرب ، فكان يضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة والحكمة ، فقد اعتنق النصرانية فأمن بها ، وكان يدعو في خطبه إلى نبذ الأوثان والأصنام ويدعو إلى عبادة الله . وكان أسقف نجران ، ويفد على قيصر ويحادثه ، وكان الناس يتحاضرون إليه في خصوماتهم ، فيقضي بينهم بالحق والخير ، وكان بليغ القول ، سهل الأسلوب ، متخير الألفاظ ، كثير

(13) م . ن 64/1 .

الحكمة والمثل ، سجمه قصير غالب على خطاباته ، وكلامه على إيجاز بعيد عن اللغو والفضول والحشو»⁽¹⁴⁾ .

وقناعة الأستاذ كحالة أن قساً مسيحي وأسقف معاً ، يميلنا إلى آراء الأب لويس شيخو بأن جلّ مبدعي الجاهلية نصارى !! ولسنا هنا في معرض نفي النصرانية عن قس ، ولكننا نذكر نبوءة قس التي وردت في خطبته المشهورة ، التي ترسخ فكرة أن لله ديناً هو خير من دين الناس السائد ، وأن نبياً سيظهر وقد أن أوانه وأظل زمانه !! ويذكر ابن حبيب أن قس بن ساعدة : « حرم في الجاهلية الخمر والسكر والأزلام »⁽¹⁵⁾ .

خطبة قس :

أيها الناس : اسمعوا وعوا ؛ وإذا سمعتم فانتفعوا ، إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، آيات محكمات ، مطر ونبات ، وآباء وأمّهات ، وذاهب وآت ، ضوء وظلام ، وبرّ وأثام ، لباس ومركب ، ومطعم ومشرب ، ونجوم تمور ، وبحور لا تغور ، وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، وليل داج ، وساء ذات أبراج ، مالي أرى الناس يموتون ولا يرجعون ، أرضوا فأقاموا ، أم حسبوا فناموا ؟ يا معشر إياد ، أين ثمود وعاد ؟ وأين الآباء والأجداد ؟ أين المعروف الذي لم يشكر والظلم الذي لم ينكر ؟ أقسم قساً بالله إن لله ديناً هو أرضى من دينكم هذا .

في المذاهبين الأولي
لما رأيت موارداً
ورأيت قومي نحوها
ن من القرون لنا بصائر
لموت ليس لها مصادر
تمضي الأكابر والأصاغر

(14) كحالة . عمر رضا . الأدب العربي في الجاهلية والإسلام ص 173 . مط التعاونية . دمشق 1972 .

(15) ابن حبيب . أبو جعفر محمد الهاشمي ت 245 . المحرر ص 238 . تح د . إيلزة ليخن شتير . طب

المكتب التجاري بيروت .

لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقيين غابر
أيقنتُ أني لا محصاة حيث صار القوم صائر⁽¹⁶⁾

ب - خطبة النعمان بن المنذر في بلاط كسرى :

أصلح الله الملك ، حقّ لأمة الملك أن يسمو فضلها ويعظم خطبها وتعلو درجتها ، إن عندي جواباً في كل مناطق به الملك في غير ردة عليه ولا تكذيب له ، فأما الأمم التي ذكرت فأيّ أمة تقرنها بالعرب إلا فضلتها بعزّها ومنعتها ، وحسن وجوها وبأسها وسخائها ، وحكمة ألسنتها وشدة عقولها ، وأنفتها ووفائها ، فأما عزّها ومنعتها فإنها لم تزل مجاورة لأبائك الذين دوخوا البلاد ، ووطدوا الملك ، وقادوا الجند ، لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل ، حصونهم ظهور خيولهم ومهادم الأرض وسقوفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر إذ غيرها من الأمم عزّها الحجارة والطين وجزائر البحور .. وأما حسن وجوها وألوانها فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المنخرمة والصين المنحفة والترك المشوهة والروم المقشّرة ، وأما أنسابها وأحسابها فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيراً من أولها حتى إن أحدهم ليسأل عن وراء أبيه فلا ينسبه ولا يعرفه ، وليس أحد من العرب إلا ويسمّي آباءه أباً فأباً ، فحفظوا بذلك أحسابهم ، وحفظوا به أنسابهم ، فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب إلى غير نسبه ، وأما سخاؤها فإن أديانهم رجلاً الذي تكون عنده البكرة والناب عليها بلاغه في حولته وشبعه زريه ، فيطرقة الطارق الذي يكتفي بالفلذة ويجتزئ بالشربة فيعقرها له ، ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحداث ، وطيب الذكر ، وأما حكمة ألسنتهم فإن الله أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه وزنة قوافيه مع معرفتهم بالأشياء وضربهم للأمثال وإبلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من السنة الأجناس ، ثم إن خيلهم أفضل الخيل ، ونساءهم أعفّ النساء ، ولباسهم أفضل اللباس ، ومعادنهم الذهب والفضة ، وحجارة جبلهم الجزع ، ومطايهم التي لا يبلغ على مثلها

(16) الجاحظ . البيان والتبيين 293/1 (م . س) .

سفر ولا يقطع بمثلها بلد قفر ، وأما دينها وشريعتهما فإنهم متمسكون به حتى يبلغ أحدهم من نسكه حدّاً أن لهم أشهراً حراماً وبلداً محرّماً وبيتاً محجوجاً ينسكون فيه مناسكهم ، ويذبحون فيه ذبائحهم ، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك رغبته منه فيحجزه كرمه ، ويمنعه دينه عن تناوله بأذى⁽¹⁷⁾ ..

ج - وخطب أبو طالب بن عبد المطلب لرسول الله ﷺ في تزوجه خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) فقال :

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل ، وجعل لنا بلداً حراماً وبيتاً محجوجاً ؛ وجعلنا الحكّام على الناس ، ثم إن محمد بن عبد الله ابن أخي ، من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه براً وفضلاً وكرماً وعقلاً ومجداً ونبلاً ، وإن كان في المال قلّ فإنما المال ظلّ زائل وعارية مسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببت من الصّداق فعلي⁽¹⁸⁾ .

☆ أغراض الخطبة الجاهلية ومساحتها :

كثيرة هي الأغراض التي تتكفّل الخطبة بتحقيقها (منها التحريض على القتال ، والدعوة إلى السلام والوئام ، وهذا كثير عند العرب في جاهليتهم لكثرة حروبهم وكثرة ما كان بينهم من خلافات وخصومات ، ومن أغراضها : التبشير بدين جديد !! ومحاربة الفوضى والردائل والوثنية التي سادت في العصر الجاهلي .

ومنها التعزية في عظيم من عظمائهم أو رئيس من رؤسائهم .

ومنها وفادتهم على الملوك والرؤساء للتهنئة والاستنجاد أو لتأمين سبيل أو إجازة تجارة أو التعزية أو سواها ، والخطب المأثورة فيها الكثير من ذلك .

(17) الصائغ . عبد الإله . الخطب الإبداعية الجاهلي والصورة الفنية ص 261 وبعدها . الفصل السابع / وقد وثّقنا الخطبة وأثبتنا الإحالات وذكرنا نصوصاً كثيرة من خطب العرب .

(18) المبرّد . أبو العباس محمد بن يزيد ت 285 . الكامل في اللغة والأدب 303/2 . طب مؤسسة المعارف -

بيروت .

ومنها الدعوة إلى الصلح ، وفضّ الخصومات ، وجمع الكلمة .

ومنها الخطب في المحافل حين الولادة أو ماشاكل ذلك ، ومنها المفاخرة والمباهاة بعزّ العشيرة ، وشرف المحتد ، وجلال الأصل . ومنها التوصية بفعل جميل أو أدب حميد «⁽¹⁹⁾

أما مساحة الخطبة ضيقاً أو اتساعاً فأمرها متصل بالفرض الذي ترمي إليه الخطبة ، فيطيل الخطيب في موضع ويوجز في آخر ويتوسّط في ثالث . جاء في (نقد النثر) :

أ - لا يتثّل في الخطب الطوال التي يقيم بها في المحافل بشيء من الشعر ، فإن أحبّ أن يستعمل ذلك في الخطب القصار والمواعظ والرسائل فليفعل ..

ب - أن يكون الخطيب عارفاً بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين له فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة فيقصر عن بلوغ الإرادة ، وألا يستعمل الإطالة في موضع الإيجاز فيتجاوز مقدار الحاجة إلى الإضجار والملالة .

ج - إذا رأى من القوم إقبالاً عليه وإنصاتاً لقوله فأحبّوا أن يزيدم زادهم على مقدار احتملم ونشاطهم ، وإذا تبين منهم إعراضاً عنه وتثاقلاً عن استماع قوله خفف عنهم .

د - الإيجاز ينبغي أن يستعمل في مخاطبة الخاصة وذوي الأفهام الثاقبة الذين يجتزئون بيسير القول عن كثيره ، وبجملة عن تفسيره ، وفي المواعظ والسّنن التي يراد حفظها ونقلها .

هـ - الإطالة في مخاطبة العوام ومن ليس من ذوي الأفهام⁽²⁰⁾ .

(19) كحالة . الأدب العربي ص 172 (م . س) . وانظر حسن . د . حسين . أدب العرب في عصر الجاهلية ص 241 (م . س) .

(20) ابن جعفر . أبو الفرج قدامة ت 337 . نقد النثر ص 96 وبعدها ، والكتاب منسوب إلى أبي عبد الله محمد بن أيوب . طب المكتبة العلمية - بيروت 1980 .

ترد مادة (مثل) في معجمات اللغة على نحو يُؤكّد حالة من التشابه بين طرفين .

فقولنا : مَثَلَ (فتح الميم والشاء) ، ومِثَلَ (كسر الميم وسكون الشاء) يعني المشابهة ، والعرب تقول : مائل الشيء أي شابهه ، ولا تكون الماثلة إلا بين المتشابهين . ومَثَلَ (تشديد الشاء) الشيء بالشيء تمثيلاً وتمثالاً شبهه به وقدره على قدره ، وتمثَّل الشيء تصوّر مثاله ، قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾⁽²¹⁾ [مريم : 17/19] . والمَثَل والمِثَل (فتح الميم والشاء / كسر الميم سكون الشاء) عبارات موجزة دالّة مجتزأة من كلام العرب ، تشير إلى حكاية غنية الأهلية وسبعة الانتشار اتخذتها العرب مضرباً للمثال ، تستحضرها حين يستجد جديد فيعقدون له مثلاً لوجود مشابهة بين حكاية المثل ودلالته والمستجد من الأمر ودلالته ، وقد حرص الموثقون العرب على صيانة الأمثال الجاهلية ، وقد ألف عيَّاش العبدي وعبيد بن شربة كتباً في الأمثال⁽²²⁾ ، وذكر الميداني اسم الأئمة والأعلام الذين وضعوا كتباً في الأمثال : « فطالعت من كتب الأعلام ما امتدّ في تقصّيه نفس الأيام مثل كتاب أبي عبيدة ، وأبي عبيد ، والأصمعي ، وأبي زيد ، وأبي عمرو ، وأبي فيد ، ونظرت فيما جمعه المفضل بن محمد ، والمفضل بن سلمة ، حتى لقد تصفحت أكثر من خمسين كتاباً ونخلت ما فيها فصلاً فصلاً وباباً باباً .. »⁽²³⁾ .

وينسب إلى قدامة بن جعفر هذا القول : « فأما الحكماء والأدباء فلا يزالون يضربون الأمثال ويبينون للناس تصرف الأحوال ، بالنظائر والأشباه والأشكال ، ويرون هذا النوع من القول أنجح مطلباً ، وأقرب مذهباً .. لأن الخبر في نفسه إذا كان

(21) اللسان (مثل) .

(22) ابن النديم . الفهرست ص 118 ص 130 (م . س) .

(23) الميداني . أبو الفضل أحمد بن محمد ت 518 . جمع الأمثال 16/1 ضبط وتعليق سعيد محمد اللحام . طب

دار الفكر / دار نوبليس - بيروت 1992 .

مكناً فهو يحتاج إلى ما يدلُّ عليه وعلى صحته ، والمثال مقرون بالحجّة ؛ فلذلك جعلت القدماء أكثر آدابها وما دَوَّنته من علومها بالأمثال والقصص عن الأمم ، ونطقت ببعضه على ألسن الوحش والطيور»⁽²⁴⁾ .

وقال الجاحظ : « كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة ، ولم يكن الناس جميعاً يثبِّتونها إلا لما فيها من الانتفاع »⁽²⁵⁾ . وقد التفت البلاغيون إلى المثل ودوره في إضفاء الجمالين على الكلام : جمال المعنى وجمال البناء ، فاجتروا له باب الاستعارة التمثيلية ، سمّاها القزويني المجاز المركب ، وقال : « وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شبّه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه ، أي تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه » ا.هـ .

وقال السيوطي : هي أن يكون وجه الشبه فيها منتزعاً من متعدد . ا.هـ .

ومن هذا اللون قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الزمر : 67/39] . إذ المعنى أن مثل الأرض في تصرفها تحت أمر الله وقدرته مثل الشيء يكون في قبضة أخذ له منا ، والجامع يده عليه .. والاستعارة التمثيلية لم تجر في لفظ مفرد من ألفاظ العبارة ، وإنما أجريت في التركيب كله ، وهذا هو - التمثيل الذي يكون مجازاً لحيثك به على حدّ الاستعارة - ومتى فشا هذا اللون في الاستعمال سمي مثلاً ، ولذلك لا تغير الأمثال⁽²⁶⁾ ، وسوف نشرح مثلاً جاهلياً لتبيين مدى مناسبته للاستعارة التمثيلية :

(24) تقد النثر ص 66 (م . س) .

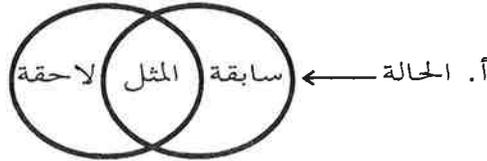
(25) البيان والتبيين 280/1 (م . س) . حرب . د . طلال . أولية النص (المثل الشعبي 142) . طب المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر . بيروت 1999 .

(26) مطلوب . د . أحمد . معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص 94 ، طبعة ثانية 1996 ، (مكتبة لبنان / ناشرون) بيروت .

أ - (المثل) : الصيف ضيعت اللبن .

ب - (المستجد) : إنك أدّخرت صديقك للزمان الصعب ، فإذا احتجت إليه خذلك .. وعندها تتذكّر المثل وتردّده تعزية بنفسك فصديقك يصلك في السراء ويقطعك في الضراء .

ج - (المضرب) : وجه الشبه بين المثل ومضربه يتجلّى في أن صاحب المثل افتقد شيئاً عزيزاً حين احتاج إليه ، فافتقاد اللبن في الصيف يشبه افتقاد الوفاء في الشدّة ! قارن :



ب - الاستعارة التمثيلية — تساوي — المثل (مشبه به ظاهر) + الحالة اللاحقة : المستجدة (مشبه مستتر) .

ج - القرينة المانعة — تساوي — دلالة اللبن المستعمل - ماهية اللبن (المهمل) .

ويمكن القول : إن كتاب (مجمع الأمثال) للميداني هو أوفر حظاً من كتب الأمثال الأخرى رغم اختلاط الأمثال الجاهلية بالإسلامية .. نظراً لسهولة العقور فيه على المثل المطلوب .. فلو أردنا العثور على مثل : (إن الشقي وافد البراجم) أو أيّ مثال آخر .. فلسوف نهتدي إلى ضالّتنا بحسب هذا التدبير (قارن الجزء الأول) .

أ - فيما أوّله همزة .

ب - فيما جاء على أفعل من هذا (وهو لاحق بالأحرف كافة) .

ج - المولدون .

د - فيما أوله باء .

هـ - فيما أوله تاء .

و - فيما أوله ثاء .

ز - فيما أوله جيم .

ح - فيما أوله حاء .

ط - الحكاية التي أثمرت المثل يجعلها الميداني لاحقة لجلّ الأمثال ، ومن خللها نعرف موضوع المثل وزمانه .

ي - ترد أسماء الأعلام والأمكنة والأزمنة في ثنايا المثل أو حكايته فنستطيع تحديد زمن المثل من خلال معرفة الاسم .

ك - روح المثل وهّمه المركزي ، فالأمثال الجاهلية مثلاً فيها دعوة للثأر وتحذير من الناس وتذكير بتقلّب الزمان .. والأمثال الإسلامية تتضمن دعوة للتأمل في خلق الله والحياة والموت ، والترغيب بالجنة والترهيب من النار .. قارن المثل السابق (إن الشقيّ وافد البراجم) ، ومن حقنا أن نعرف انتماء هذا المثل إلى أي عصر ؟ بعد أن نعثر على موضعه في (مجمع الأمثال) ، ولنا أن نقترح الحركة التالية :

أ - المثل يبدأ ب (إن) فكانه إذن الباب الأول (فيما أوله همزة) .

ب - نستعرض الأمثلة التي تبدأ بالهمزة عامة وإن خاصة ، فإذا وصلنا إلى 24/1 وجدنا المثل محتفظاً برقم 6 .

ج - يقول الميداني في الحكاية « قاله عمرو بن هند الملك ، وكان سويد بن ربيعة التيمي قتل أخاه وهرب ، فأحرق به مئة من تميم : تسعة وتسعين من بني دارم وواحداً من البراجم ، فلُقب بالحرّق ، وستأتي القصة بتمامها في باب الصاد ، وكان الحارث بن عمرو ملك الشام من آل جفنة يدعى أيضاً بالحرّق (راء مشددة مكسورة) لأنه أول من

حرقّ العرب في ديارهم ، ويدعى امرؤ القيس بن عمرو بن عدي اللخمي محرّقاً أيضاً ..

يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة طمعاً .

المثال الثاني : إِيَّاكَ أعني واسمعي يا جارة . (أول من قال ذلك سهل بن مالك الفزاري ، وذلك أنه خرج يريد النعمان بن المنذر .. يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئاً غيره (69/1) .

المثال الثالث : أينما أوجّه ألقَ سَعْدًا (كان الأضبط بن قريع سيّد قومه فرأى منهم جفوة ، فرحل عنهم إلى آخرين ، فرآهم يصنعون بساداتهم مثل ذلك ، فقال هذا القول ، ويروى : في كلّ واد سَعْدٌ (74/1) .

المثال الرابع : أشأم من البسوس (هي بسوس التميمية خالة جسّاس بن مرة الشيباني قاتل كليب ، وكان من حديثه أنه كان للبسوس جار من جرّم يقال له سعد بن شمس ، وكانت له ناقة يقال لها سراب ، وكان كليب قد حمى أرضاً من أرض العالية في أنف الربيع فلم يكن يرعاه أحد إلا ... 461/2 قارن الباب 13 فيما أوله شين / ما جاء على أفعل) .

المثال الخامس : عند الرهان يعرف السوابق (يضرب للذي يدّعي ما ليس فيه (40/3) .

المثال السادس : ما يقعق لي بالشّنان (والشّنان القرب الخالية يجركونها إذا أرادوا حثّ الإبل على السير لتفرّج فتسرّع ، قال النابغة :

كأنك من جمال بني أقيش يقعق خلف رجليه بشنّ

يضرب لمن لا يتّضع لما ينزل به من حوادث الدهر ، ولا يروعه ما لا حقيقة له

(305/4) .

☆ أمثلة جاهلية :

تجدر الإشارة إلى أن تداخلاً (يحدث أحياناً) بين الشعر والنثر في الأمثال الجاهلية استدعته طبيعة كلٍّ منها ، وحاجة كلٍّ منها إلى الآخر ، ورغبة الناس في هذا التداخل ، وقد نقرأ شعراً هو في أصله مثل نثري صيغ وفق قوالب شعرية ، وقد نجد مثلاً نثرياً أنتجه شاعر ، فحوّلته قوانين التداول اللهجي من جنس الشعر إلى جنس النثر ، لكن الذي لامرأ فيه هو أن المثل أقرب أرومة إلى النثر وأدخل في بابته لأسباب بنيوية ..

- + على نفسها جنت براقش .
- + أحشفاً وسوء كيل .
- + أعطِ القوس باريها .
- + تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها .
- + آكل لحمي ولا أدعه لآكل .
- + المرء بأصغريه قلبه ولسانه .
- + اليوم خمر وغداً أمر .
- + خلالك الجو فيضي واصفري .
- + إن لم يكن وفاق ففراق .
- + أجمع كلبك يتبعك .
- + رمتني بدائها وانسلت .
- + ربّ رمية من غير رام .
- + الرباح مع السماح .
- + سبق السيف العذل .
- + بلغ السيل الزبّي .

- + زوج من عود خير من قعود .
- + العتاب قبل العقاب .
- + القول ما قالت حذام .
- + الإناء يرشح بما فيه .
- + لكل جواد كبوة ، ولكل صارم نبوة .
- + لكل ساقطة لاقطة .
- + الإمارة ولو حجارة .
- + يدك منك وإن كانت شلاء⁽²⁷⁾ .

3 - سجع الكهّان :

نوع آخر منتم لجنس النثر الفني ، وهو الكلام المقفى غير الموزون ، وجاء في الموروث البلاغي حوار لَمَاح نصّه : ما السَّجْع ؟
 ما خفّاً على السمع .
 مثل ماذا ؟
 مثل هذا .

والكاهن مدّع يزعم العلم بالغيّب ، وسجع الكهّان ضرب من القول المزوّق الذي يعتمد الصدمة والإبهار وعجائبية الأسلوب لصناعة أثر في النفس يدعو السامع إلى تصديق ترهات الكاهن وهذيانه ، وقد حرّم الإسلام الكهانة ، فجعل حلوان الكاهن بمنزلة دية الكلب ، ومهر البغي⁽²⁸⁾ ، (وحياء العرب قبل الإسلام مسكونة باحتتمالات مفزعة مثل الغزو والقحط والوباء والسيول وانحراف التربة والعواصف مما جعل قراءة المجهول وهتك الأسرار حاجة نفسية تشعر الجاهلي ببعض الاطمئنان الموهوم ، والكهنة

(27) الإبيشيبي . شهاب الدين محمد بن أحمد ت 850 . المستطرف (ص 44 وبعدها .. الباب السادس - في الأمثال السائرة .. وفيه فصول) ، طب دار مكتبة الحياة - بيروت (د : ت) .

(28) مسلم . صحيح مسلم . كتاب السلام (باب تحريم الكهانة وإتيان الكاهن) 1748/4 (م . س) .

يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ عِلْمَهُمْ مِنَ الرَّئِيِّ أَوْ النُّجُومِ أَوْ الْعَفَارِيتِ ! وَهُمْ أَنَسٌ غَرِيبٌ
الْأَطْوَارِ وَالْأَشْكَالِ وَالطُّقُوسِ كَطَرِيفَةِ وَسَطِيحِ وَشَقِ وَعُوفِ بْنِ رَبِيعَةَ وَالزَّرْقَاءِ ابْنَةَ
زُهَيْرِ وَالزَّبْرَاءِ الرَّثَامِيَةَ (29) .

ويُلف سجع الكهان والكهّان ضباب كثيف ، أسهم في ضياع كثير من أخبارهم
ونصوصهم وآثارهم وأدوارهم في الحرب أو السلام ! يقول الجاحظ : « وكان الذي كره
الأسجاع بعينها وإن كانت دون الشعر في التكلف ، والصنعة أن كهّان العرب الذين
كان أكثر أهل الجاهلية يحتكون إليهم ، وكانوا يدعون الكهانة ، وأن مع كل واحد منهم
رئياً من الجن مثل حازي جهينة ، ومثل شق ، وسطيح ، وعزى سلمة ، وأشباههم ،
وكانوا يتكهنون ويحكون بالأسجاع » (30) .

وشق كما تذكر الأخبار كاهن جاهلي عاصر سطيح الذئبي ، وقد عرّطويلاً ، أما
هيئته فيبدو من خلالها نصف إنسان .. له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة ،
وتوفي (55ق.هـ) .

أما سطيح فهو كاهن جاهلي آخر معمر من بني مازن .. كان لحماً دون عظم ،
يطويه أهله مثل البساط إذا ارتحلوا !! وهذه الأخبار وسواها تحيلنا إلى التداخل بين
الواقع والخيال ، وقد أورد د. أحمد مطلوب معلومات لغوية وتاريخية مهمة تتصل
بالسجع وسجع الكهان تقتطف منها :

أ - سجع يَسْجَعُ سجعاً : استوى واستقام وأشبه بعضه بعضاً ، والسجع الكلام
المقفى ، والجمع أسجاع وأساجيع . وسجع يسجع سجعاً وسجع تسجيعاً : تكلم بكلام له
فواصل كفواصل الشعر من غير وزن وصاحبه سجاعة ، وهو من الاستواء والاستقامة
والاشتباه ، كأن كل كلمة تشبه صاحبته ، قال ابن جني : سمي سجعاً لاشتباهه وأخره

(29) الصائغ . عبد الإله . الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام (الكهانة ص 30) .

(30) الجاحظ . البيان والتبيين 1/278 (م.س) .

وتناسب فواصله وسَجَّع الحمام : هدل على جهة واحدة ، وسَجَّع الحمامة موالاة صوتها على طريق واحد وربط الخليل السجع بالفواصل فقال : سجع الرجل إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن . ا.هـ .

وقال السكاكي : الأسجاع وهي في النثر كما القوافي في الشعر ا.هـ .

والسجع من أوصاف البلاغة في موضعه وعند ساحة القول فيه ، وأن يكون في بعض الكلام لاكله ، فإنه في الكلام كمثل القافية في الشعر ، وإن كانت القافية غير مستغنى عنها في الشعر القديم ، والسجع مستغنى عنه . وقال ابن وهب : فأما أن يلزمه الإنسان في جميع قوله ورسائله وخطبه ومناقلاته ، فذلك جهل من فاعله وعي من قائله . ا.هـ .

ب - وقد ذمَّه بعضهم لأن الرسول ﷺ ذمَّ سجع الكهان حينما قال لبعضهم منكرأ عليه وقد كلّمه بكلام مسجوع : « أسجعاً كسجع الكهّان ؟ » ا.هـ .

وعلّل الجاحظ النهي : فوقع النهي في ذلك الدهر لقرب عهدهم بالجاهلية ولبقيتها في صدور كثير منهم ، فلما زالت العلة زال التحريم .. «⁽³¹⁾ .

☆ سجع الكهان / ستة نصوص نموذجاً :

١ - قال عوف بن ربيعة لبني أسد : « يا عبادي !! قالوا لبيك ربنا ! قال : من الملك الأصهب ، الغلاب غير المغلب ، في الإبل كأنها الرّبرب ، لا يعلق رأسه الصخب ؛ هذا دمه ينثعب ، وهذا غداً أوّل من يُسَلَّب ، قالوا : من هو ياربنا ، قال : لولا أن تجيش نفسٌ جاشية ؛ لأخبرتكم إنه حجر ضاحية »⁽³²⁾ .

2 - قالت الزرقاء ابنة زهير لبني قضاة : « سعف وإهان ، وتمر وألبان ، خير من الهوان ... مقام وتنوخ ، ما وُلِد مولود وأنفقت فروخ ، إلى أن يجيء غراباً أبقع ،

(31) مطلوب . د . أحمد . معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص 311 وبعدها (م . س) .

(32) الأصبهاني . الأغاني 82/9 .

أصمغ أنزع ، عليه خلخالاً ذهب ، فطار وأهب ، ونعق فنصب ، يقع على النخلة السحوق بين الدور والطروق ، فسيروا على وتيرة ، ودونكم الحيرة ⁽³³⁾ .

3 - وقالت الزبراء لبني رثام قومها : « واللوح الخافق ، والليل الغاسق ، والصبح الشارق ، والنجم الطارق ، والمزن الوداق ، إن شجر الوادي ليأدوا ختلاً ويحرق أنياباً عصلاً ، وإن صخر الطود لينذر تُكلاً ، لا تجدون عنه معلاً وإن وطئتم سهلاً ⁽³⁴⁾ .

4 - قال عزى سامة (ونسبت لغيره) : « والأرض والسماء ، والعقاب الصقعاء ، واقعة ببقعاء ، لقد نفر المجد بني العشاء ، للمجد والسناء ⁽³⁵⁾ .

5 - وقال سطيح الذئبي : « عبد المسيح ، على جبل يسيح ، إلى سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك بني ساسان ، لارتجاس الإيوان وخمود النيران ، ورؤيا الموبدان . رأى إبلاً صعباً تقود خيلاً عرباً ، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها ، يا عبد المسيح : إذا كثرت التلاوة وبعث صاحب الهراوة ، وفاض وادي السماوة وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليست الشام لسطيح شأماً ؛ يملك منها ملوك وملكات ، على عدد الشرفات ، وكل ماهوات آت ⁽³⁶⁾ .

6 - وقال شق بن صعب : « نعم ، رأيت جمجمة ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روض وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة ، أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، فليغلبن على كل طفلة البنان ؛ وليلكن ما بين أبين إلى نجران ، بل بعدك بزمان ، ثم يستنقذكم منه عظيم ذو شأن ، ويذيقكم أشدّ الهوان ، غلامٌ ليس بدني ولا مدنٌ ، يخرج من بيت ذي يزن ، بل ينقطع برسول مرسل ، يأتي بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل ، يوم يجزي

(33) نفسه 81/13 .

(34) الجاحظ . البيان والتبيين 104/3 .

(35) نفسه 278/1 .

(36) الطبري . أبو جعفر محمد بن جريرت 310 . تاريخ الطبري 459/1 (م . س) .

فيه الولاة ، يدعى من السماء بدعوات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات ، أي وربّ السماء والأرض وما بينهما من رفع وخفض ، إن ما نباتك لحق ما فيه أمض ⁽³⁷⁾ .

4 - المنافرة :

حرباً بين شخصين أو جماعتين ، سلاحها الكلمات تقتضي وجود قاض مرضيٌ عنه من المنافرين ، مشهود له بالروءة والعدل والدربة والخبرة ، وتجري المنافرة في مساحة من الأرض تكفي لجمهورها العريض ، بينما يقف المتنافرين على مكان من الأرض مرتفع ومن تقاليد المنافرة ، القبول بحكم القاضي ، وعدم الاعتراض عليه ، وقد ينسحب أحد المتنافرين معترفاً بخسارته قبل انتهائها .. إذا شعر المتنافر المنسحب أن حجته ضعيفة وبيانه قصير وقدرته على الهجو والفخر لا ترقى إلى قدرة غريمه !

والمنافرة لغة من نَفَرَ (ثلاث فتحات) نَفَرًا (سكون الفاء بعد فتح النون) ، ونفوراً أي هجر مكانه وضرب في الأرض ؛ ونافره خاصمه ، وتنافى القوم تخاصموا وتفاخروا ؛ والنَّفارة بتشديد الفاء ، هو ما يأخذه الحكم أو الغالب من المغلوب ! (اللسان / نفر) .

وقد شاعت المنافرة واستفحل ضررها قبيل الإسلام ، فإذا جاء الإسلام نهى عنها وحرّمها ؛ وكانت العادة أن يتنافس شخصان (معروفان غالباً) على أمر يدعيه كل منهما لنفسه أو ينفيه عنه ، وربما تنافر الرجلان على زعامة القبيلة أو ملكية أرض أو ماء أو خطبة فتاة ، أو إثبات أمر ما ... إلخ ، فيتفق الاثنان على المبارزة بالكلمات ، أما مكان المنافرة وميقاتها والحكم فيها ، فهذه أمور لها تقاليد المتبعة ، فكان المنافرة مثلاً يشترط أن يكون على أرض محايدة ، وميقاتها يتصالح عليه الخصمان متى شاء ، شريطة أن يكون الميقات في الأشهر الحرم ، وربما حدد الحاكم كم الجمهور وعدده ، وفق موازنة بين جمهور هذا المتنافر وذاك ، ويفترض عدم تدخل الجمهور في

(37) نفسه 431/1 .

المنافرة ويكتفي بالإصغاء أو المكاء (الصغير) أو التصدية (التصفيق) ، وأحياناً يخل الجمهور بقواعد المنافرة ، فتنقل عدوى المنافرة إليه ، فيحدث الشغب وأحياناً القتل !! وينادي المنادي (ذو الصوت الجهوري والجسد الطويل العريض) ، وهو يضرب على الطبل أو الصنج أو المزهر (أيها الناس ، حاضرکم يبلغ غائبکم إن منافرة ستجري بين فلان وعلان في أرض ... يوم ...) ، فيهرع الناس إلى المكان المحدد في الوقت المحدد .. والجمهور غالباً ما يجد في المنافرة سبيلاً لتبديد أوقات الفراغ وقهر الملل ، والضحك حدّ الاستلقاء على الظهر ، وكان العقلاء وذوو المروءة والرؤية العروبية في العصر الجاهلي يمتنون المنافرة ، ويتشاءمون منها ، فقد تقود المنافرة إلى حرب عيياء بين قبيلتي المتنافرين ، أو بين أبناء القبيلة الواحدة والبيت الواحد !! فينهون عنها ، ويحذرون منها ؛ محاولين إصلاح ذات البين بين المتنافرين ، يقول أبو حاتم الرازي (ت 322 هـ) : « فقد تنافر علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريان وتحاكماً إلى هرم بن قطبة الفزاري ، فاحتجز عن الحكومة بينهما ، وتوقى القول فيهما ، وقد ساق كل واحد منها إبلاً لينحرها عند الحكومة ، ومع عامر أعشى قيس وليد بن ربيعة العامري ، ومع علقمة الحطيئة ، وقد حضروا ليقول كل امرئ في صاحبه عند النفورة ؛ ويذكر فضله ليخلد على الدهر ، فلما امتنع هرم عن الحكومة انتدب الأعشى وكان أدهى من الحطيئة وأشدّ تحنكاً فقال قصيدة نفر فيها عامراً على علقمة ، قال فيها :

علقم لا لست إلى عامر	النائم الأوتار والواتر
سدت بني الأحوص لم تعدم	وعامر ساد بني عامر
حكمتوه فقضى بينكم	أبلج مثل القمر الزاهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه	ولا يُبالي غبن الخاسر

فقام أصحاب عامر إلى الإبل فنحروها ، وقالوا نفر عامر ، وطارت لعامر على علقمة بقول الأعشى من غير أن يحكم بينهما هرم . وقال الحطيئة بعد ذلك في علقمة :

فما ينظر الحكّام بالفضل بعدما بدا واضحَ ذو غرّة وحجول
وقال فيه أيضاً :

يا عام قد كنتَ ذا باعٍ ومكرمة لو أن مسعاةً من جاريتته أممٌ
جاريتَ قرماً أجاد الأحوصان به ضخمٌ الدسيعة في عرينه شم
فلم يغن ذلك عنه شيئاً لما سبقه إليه الأعشى !! « (38) .

والمنافرة كما أشرنا نوع ينتسب إلى جنس النثر الفني ، وهذه الإشارة غير مانعة من
توشية النثر بالشعر ، فقد تدخل الشعر ليحسم الموقف بعد أن طال المقام بالمتنافرين ،
وجمهور المنافرة ، وقد أحالتنا رواية الرازي إلى ترميم النثر بومضات الشعر ، ولسوف
نتلبّث عند رواية الأصهباني على طولها ، لتكون الصورة أوضح في طموح المدارس
وأقرب إلى واقع حال المنافرة ..

قال الأصهباني : « أول ما هاج النّفار بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر
وبين علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص ، وأم عامر كبشة بنت عروة الرجال بن
عتبة بن جعفر ، وأمها أم الظّبَاء بنت معاوية فارس المهرار بن عبادة بن عقيل ، وأمها
خالدة بنت جعفر بن كلاب ، وأمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، وأم أبيه
- الطفيل - أم البنين بنت ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وكانت أم علقمة ليلي بنت
أبي سفيان بن هلال بن النخع سبية ، وأم أبيه ماوية بنت عبد الله بن الشيطان بن
بكر بن عوف بن النخع مهيرة ، وذكر أن علقمة كان قاعداً ذات يوم يبول (كذا)
فبصر به عامر ، فقال : لم أر كالليوم عورة رجل أقبح ، فقال علقمة : أما والله ما وثبت
على جاريتها ولا نازلت كناتها ، يعرض بعامر . فقال عامر : وما أنت والقروم والله
لفرس أبي حيوة أذكر من أبيك ولفحل أبي غيهب أعظم ذكراً منك في نجد . وكان
فرسه فرساً جواداً نجا عليه يوم بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وكان فحله فحلاً

(38) الرازي . كتاب الزينة ص 103 وبعدها (م . س) .

لبنى حرملة بن الأشعر ، وهو الأشعر بن صرمة ، وسمي صرمة غيباً لسواده ، فاستعاره منهم يستطرقه فغلبهم عليه ! فقال علقمة : أما فرسك فعاره ، وأما فحلّم فغدرة ، ولكن إن شئت نافرتك فقال : قد شئت . فقال عامر : والله لأنا أكرم منك حساباً ، وأثبت منك نسباً ، وأطول منك قصباً . فقال علقمة : لأنا خير منك ليلاً ونهاراً . فقال عامر : لأنا أحبّ إلى نسائك أن أصبح فيهن منك . فقال عامر : أنا فرك على أني أنحر منك للقاح ، وخير منك في الصباح ، وأطعم منك في الليلة الشياح . فقال علقمة : أنت رجل تقاتل ، والناس يزعمون أني جبان ولأن تلقى العدو وأنا أمامك أعزّ لك من أن تلقاهم ، وأنا خلفك ، وأنت جواد والناس يزعمون أني بخيل ، ولست كذلك ولكن أنا فرك أني خير منك أثراً وأحدّ منك بصرأ وأعزّ منك نفراً ، وأشرف منك ذكراً . فقال عامر : ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد ؛ وبصري ناقص وبصرك صحيح ، ولكني أنا فرك على أني أشرف منك أمة وأطول منك قمة ، وأحسن منك لمة ، وأجدد منك جمّة ، وأبعد منك همّة .

قال علقمة : أنت رجل جسيم وأنا رجل قصيف ، وأنت جميل ، وأنا قبيح ولكني أنا فرك بأبائي وأعمامي ، فقال عامر : أبائك أعمامي ، ولم أكن لأنا فرك بهم ، ولكني أنا فرك أني خير منك عقباً وأطعم منك جدباً . قال علقمة : قد علمت أن لك عقباً في العشيّة وقد أطعمت طيباً إذ سارت السنة ، ولكني أنا فرك أني خير منك وأولى بالخيرات منك ، وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم . فخرجت أم عامر وكانت تسمع كلامها فقالت : يا عامر نافرّه أيكما أولى بالخيرات . فقال عامر في مراجعته : والله لأنا أركب منك في الحماة وأقتل منك للكماة ، وخير منك للمولى والمولاة . فقال له علقمة : والله إني لبرّ ، وإنك لفاجر ، وإني لوفي وإنك لغادر فميم تفاخري يا عامر ؟ فقال عامر : والله إني لأنزل منك للقفرة ، وأنحر منك للبكرة ، وأطعم منك للهبرة ، وأطعن منك للشفرة ، فقال علقمة : والله إنك لكليل البصر ، نكد النظر ، وثأب على جاراتك بالسحر . فقال بنو خالد بن جعفر ، وكانوا يداً مع بني الأحوص على بني مالك بن

جعفر : لن نطيق عامراً ولكن قل له : أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات وخذ عليه
 بالكبر . فقال علقمة كما قالوا . فقال عامر : غير وتيس وتيس وعنز (فذهب مثلاً) ..
 نعم على مئة من الإبل إلى مئة من الإبل يعطاها الحكم أيننا نفر عليه صاحبه أخرجها .
 ففعلوا ذلك ، ووضعوا بها رهناً من أبنائهم على يدي رجل من بني الوحيد فسَمي الضمين
 إلى الساعة وهو الكفيل . وخرج علقمة ومن معه من بني خالد وخرج عامر فين معه
 من بني مالك ، وقد أتى عامر بن الطفيل عمه عامر بن مالك وهو أبو براء ، فقال :
 يا عمه أعني . فقال عمه : يا ابن أخي سبني ! فقال عامر : لا أسبك وأنت عمي ! قال
 فسبّ الأحوص ؛ فقال عامر : ولا أسبّ والله الأحوص وهو عمي . فقال دونك نعلي
 فياني قد ربت بها أربعين مرباعاً فاستعن بها في نفارك . فجعلنا (عامر وعلقمة)
 منافرتها إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية فلم يقل بينهما شيئاً وكره ذلك لحالهما وحال
 عشيرتها . وقال : أنتما كركبتي البعير الأدرم . قالوا : فأينا اليمين ؟ فقال كلاهما يمين ،
 وأبى أن يقضي بينهما . فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام فأبى أن يحكم بينهما . فوثب
 مروان بن سراقه بن قتادة بن عمر بن الأحوص بن جعفر فقال :

يال قريش يئِنوا الكلاما	إننا رضينا منكم الأحكاما
فبيئِنوا إن كنتم حكّاما	كان أبونا لهم إماما
وعبد عمرو منع الفئاما	في يوم فخر معلماً إعلاما
ودعج أقدمهم إقداما	لولا الذي أجشهم إجماما

لأتخذتهم مذحجّ نعاما

فأبوا (قريش) أن يقولوا بينهما شيئاً . وكانت العرب تحتكم إلى قريش . فأتيا
 عيينة بن حصن بن حذيفة فأبى أن يقول بينهما شيئاً . فأتيا غيلان بن سلمة بن معتب
 الثقفي فردّها إلى حرملة بن الأشعر المزري فردّها إلى هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو
 الفزاري فانطلقا حتى نزلا به وقد ساقا الإبل معها حتى أشتت وأربرت لا يأتيان أحداً

إلا هاب أن يقضي بينهما !! فقال هرم : لعمري لأحكن بينكما ثم لأفضلن ثم لست أثق إلى أحد منكما فأعطياني ميثاقاً أطمئن إليه وهو أن ترضيا بما أقول ، وتسلماً لما قضيت بينكما (فوافقا وأعطياه الميثاق) ، فأمرهما بالانصراف ، ووعدهما ذلك اليوم إلى يوم قابل . فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل خرجا إليه ، فخرج علقمة ببني الأحوص فلم يتخلف منهم أحد ، ومعهم القباب والجزر والقدر ، وينحرون في كل منزل ويطعمون . وجمع عامر بني مالك فقال إنما تخاطرون عن أحسابكم فأجابوه وساروا معه ولم ينهض أبو براء معهم ، وقال لعامر : والله لا تطلع ثنية إلا وجدت الأحوص منيخاً بها ، وكره أبو براء ما كان من أمرها . فقال عامر فيما كان من منافرتها ، ودعا عامر إياه أن يسير معه :

أؤمر أن أسبّ أبا شريح	ولا والله أفعل ما حييت
ولا أهدي إلى هرم لقاحا	فيحي بعد ذلك أو يميت
أكلف سعي لقمان بن عباد	فيال أبي شريح ما لقيت

وأبو شريح هو الأحوص ، فكره كل واحد من البطنين ما بينهما ، فقال عبد عمرو بن شريح بن الأحوص :

لحا الله وفدينا وما ارتحلا به	من السوء الباقي عليهم وبالحا
ألا إنما بُردي صفاق متينة	أبي الضيم أعلاها وأثبت حالها

فسار عامر وبنو عامر على الخيل مجني الإبل ، وعليهم السلاح ، فقال رجل من بني عامر : ما صنعت أخرجت بني مالك تنافر بني الأحوص ومعهم القباب والجزر ، وليس معك شيء تطعمه الناس ؛ ما أسوأ ما صنعت . فقال عامر لرجلين من بني عمه : أحصيا كل شيء مع علقمة من قبة (خيمة) أو قدر أو لقحة (ناقة) ففعلا . فقال عامر : يا بني مالك إنها المقارعة عن أحسابكم فاشخصوا بمثل ما شخصوا به ففعلوا ، وثار مع عامر لبيد بن ربيعة والأعشى ومع علقمة الحطيئة وفتيان (شعراء شباب) من بني

الأحوص منهم السندري بن يزيد بن سريح ، ومروان بن سراقه بن قتادة بن عمرو بن الأحوص ، وهم يرتجزون . فقال ليبيد :

ياهرم وأنت أهل عدل إن نفر الأحوص يوماً قبلي
ليذهبن أهله بأهلي لا يجمعن شكلهم وشكلي
ونسلاً آبائهم ونسلي

إني امرؤ من مالك بن جعفر علقم قد نافرت غير منفر
نافرت سقياً من سقاب العرعر

فقال قحافة بن عوف بن الأحوص :

نهه إليك الشعر يا ليبيد واصد فقد ينفعك الصدود
ساد أبونا قبل أن تسودوا سؤددكم مطرف زهيد
إني إذا أكتني الخبَاء وضاع يومَ المشهد اللواء
أعنى وقد حق لي الناء إلى كهول ذكُرها سناء
إذ لا يزال جلة كوماء مبقورة لسقبها رغاء
لم ينهنا عن نحرها الصفاء لنا عليكم سورة ولاء
المجد والسؤدد والعطاء

أنتم عزلتم عامر بن مالك في سنوات مضر الهوالك
ياشترنا حياً وشراً هالك

وقال السندري شعراً ورفع صوته فقيل : من هذا ؟ فقال :

أنا لمن أنكر صوتي السندري أنا الفقى الجعد الطويل الجعفري
من ولد الأحوص أخوالي غني

فقال عامر بن الطفيل : أجه يا ليبيد . فرغب ليبيد عن إجابته ، وذلك لأن السندري كانت جدته أمة اسمها عيساء .. فقال ليبيد :

ولما دعاني عامر لأجيبه
لكي لا يكون السندري نديدي
وأشتر من تحت القبور أبوة
وأشتر من تحت القبور أبوة
لعبت على أكتافهم وحجورهم
ألا أينما كان شراً لملك
ثم وثب الخطيئة فقال :

يا عامر قد كنت ذا باع ومكرمة
جارت قرماً أجاد الأحوصان به
لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه
هابت بنو مالك مجدأ ومكرمة
وما أسأؤوا فراراً عن مجلحة
لو أن مسعاة من جاريتيه أمم
سمح اليدين وفي عرنينه شم
ولا يبیت على مال له قسم
وغاية كان فيها الموت لو قدموا
لا كاهن يمتری فیها ولا حکم

وأقام القوم عنده (هرم بن قطبة) أياماً ، وأرسل إلى عامر فأتاه سرّاً لا يعلم به
علقمة . فقال : يا عامر قد كنت أرى لك رأياً وإن فيك خيراً ، وما حبستك هذه
الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك ؛ أتنافر رجلاً لا تفخر أنت ولا قومك إلا بأبائه ؟
فما الذي أنت به خير منه ؟ قال عامر : ناشدتك الله والرحم أن لا تفضل عليّ علقمة ،
فوالله لئن فعلت لأفلح بعدها أبداً ، هذه ناصيتي فاجزها واحتكم في مالي فإن كنت
لا بد فاعلاً فسوّ بيني وبينه . قال هرم : انصرف فسوف أرى رأيي ، فخرج عامر ، وهو
لا يشك أنه ينفر علقمة عليه !! ثم أرسل هرم إلى علقمة سرّاً لا يعلم به عامر ، فأتاه
فقال له : يا علقمة والله إن كنت لأحسب فيك خيراً ، وإن لك رأياً وما حبستك هذه
الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك ، أتفاخر رجلاً هو ابن عمك في النسب وأبوه أبوك وهو
مع هذا أعظم قومك غناء وأحدهم لقاء . فما الذي أنت به خير منه ؟ فقال له علقمة :
أنشدك الله والرحم أن لا تنفر عليّ عامراً ، اجزز ناصيتي واحتكم في مالي ، وإن كنت

لا بد أن تفعل فسوّ بيني وبينه ، فقال : انصرف فسوف أرى رأيي ، فخرج وهو لا يشك أنه سيفضل عليه عامراً ..

وقال هرم لعامر حين دعاه : يا عامر كيف تفاضل علقمة ؟ فقال عامر ، ولم ياهره ؟ قال له : لأنه أنجل منك عيناً في النساء ، وأكثر منك نفيراً عند الدعاء . قال عامر : وهل غير هذا ؟ قال : نعم ، هو أكثر منك نائلاً في الثراء ، وأعظم منك حقيقة عند الدعاء . وقال لعلقمة : كيف تفاضل عامراً ؟ قال : ولم ياهره ؟ قال : هو أنفذ منك لساناً وأمضى منك سناناً . قال علقمة : فهل غير هذا ؟ قال : نعم هو أقتل منك للكفاة وأفكّ منك للعناة . ثم إن هرماً أرسل إلى بنيه وبني أبيه : إني قائل غدأ بين هذين الرجلين مقالة فإذا فعلت فليطرد بعضكم عشر جزائر وينحرها عن علقمة ويطرد بعضكم عشر جزائر ينحرها عن عامر وفرقوا بين الناس ، لا تكون لهما جماعة . وأصبح هرم فجلس مجلسه وأقبل الناس وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا ، فقام ليبد وقال :

يا هرم ابن الأكرمين منصبا إنك قد وليت حكماً معجبا
فاحكم وصوّب رأس من تصوّبا إن الذي يعلو عليها رتبا
لخيرنا عمّاً وأمّاً وأباً وعامر أدنى لقيس نسباً

فقام هرم فقال : يا بني جعفر قد تحاكتما عندي ، وأنتما كركبتي البعير الأدرم ، تقعان إلى الأرض معاً ؛ وليس فيكما أحدٌ إلا وفيه ما في صاحبه ، كلاهما سيد كريم . ثم عمد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر فنحروها حيث أمرهم هرم عن علقمة عشراً وعن عامر عشراً ، وفرقوا الناس فلم يفضل هرم أحداً منهما على صاحبه ، وكره أن يفعل وهما ابنا عم فيجلب بذلك عداوة ويوقع بين الحيين ، وعاش هرم حتى أدرك عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فسأله عمر : يا هرم أيّ الرجلين كنت مفضلاً لو فضّلت ؟ فقال هرم : لو قلت ذلك يا أمير المؤمنين لعادت ، جذعة ولبلغت شعاف هجر . فقال

عمر : نعم مستودع السرّ ومسند الأمر إليه أنت يا هرم ، مثل هذا فليسدّ العشيّة وإلى مثلك فليستبضع القوم أحكامهم ، وقد أدرك علقمة بن علاثة الإسلام فأسلم .. « (39) .

وإذا كان هرم قد تحرّج في منافرة عامر على علقمة وعلقمة على عامر فإن نفيل بن عبد العزى الذي تنافر إليه عبد المطلب وحرّب بن أمية قد نفرّ عبد المطلب على حرب ، فترك ذلك جرحاً عميقاً في نفوس الأمويين حين نفرّ نفيل عليهم هاشماً . فلبثت الضغناء بين الفريقين (40) .

وقال الجاحظ : إن ضمرة بن ضمرة ، وهرم بن قطبة ، والأقرع بن حابس ، ونفيل بن عبد العزى ، كانوا يحكمون وينفّرون بالأسجاع (40) . ولم تقتصر المنافرة على الرجال ، فقد تنافرت النساء أيضاً !! قارن هذه الديباجة : خرجت العجفاء بنت علقمة السعدي وثلاث نسوة من قومها ، فاتّعدن بروضة يتحدثن فيها ؛ فوافين ليلاً في قر زاهر ، وليلة طليقة ساكنة ، وروضة معشبة خصبة ، فلما جلسن قلن : ما رأينا كالليلة ليلة !! ولا كهذه الروضة روضة أطيّب ريحاً ولا أنضر ؛ ثم أفضن في الحديث فقلن : أي النساء أفضل ؟

قالت إحداهن : الخرود الودود اللود ؛

قالت الأخرى : خيرهن ذات الغناء وطيب الثناء وشدة الحياء ؛

قالت الثالثة : خيرهن السموع الجموع النفع غير المنوع .

قالت الرابعة : خيرهن الجامعة لأهلها ، الوادعة الرافعة ، لا الواضعة .

قلن : فأيّ الرجال أفضل ؟

قالت إحداهن : خيرهم الحظيّ الرّضيّ غير الحظّال ولا التّبّال .

قالت الثانية : خيرهم السيد الكريم ذو الحسب العميم ، والمجد القديم .

قالت الثالثة : خيرهم السّخيّ الوفيّ الذي لا يغيّر الحرة ولا يتخذ الصّرة .

(39) الأصبهاني . الأغاني (كتبخانة) 50/15 وبعدها .

(40) الجاحظ . البيان والتبيين 289/1 . ثم انظر 278/1 .

قالت الرابعة : وأيكن إن في أبي لنعتكن كرم الأخلاق ، والصدق عند التلاق
والفلج عند السباق ويحمده أهل الوفاق ؛

قالت المعجاء عند ذلك : كل فتاة بأبيها معجبة . وقالت إحداهن : إن أبي يكرم
الجار ، ويعظم النار ، وينحر العِشار بعد الحوار ، ويحل الأمور البار .

فقال الثانية : إن أبي عظيم الخطر منيع الوزر ؛ عزيز النفر ؛ يُحَمَّدُ منه الورد
والصدر .

فقال الثالثة : إن أبي صدوق اللسان كثير الأعوان يروي السنان عند الطعان ،
قالت الرابعة : إن أبي كريم النزال منيف المقال كثير النوال ، قليل السؤال ، كريم
الفعال . ثم تنافرن إلى كاهنة معهن في الحي فقلن لها اسمعي ما قلنا واحكي بيننا ؛
واعدلي ؛ ثم أعدن عليها قولهن ؛ فقالت هن : كل واحدة منكن ماردة ؛ على الإحسان
جاهدة ؛ لصويجباتها حاسدة ؛ ولكن اسمعن قولي : خير النساء المبقية على بعلمها ،
الصابرة على الضراء مخافة أن ترجع إلى أهلها مطلقة ، فهي تؤثر حظ زوجها على حظ
نفسها ، فتلك الكريمة الكاملة ، وخير الرجال الجواد البطل ، القليل الفشل ، إذا سأله
الرجل ألفاه قليل العلل ، كثير النفل ، ثم قالت الكاهن هن : كل فتاة بأبيها
معجبة (41) .

وهذه المنافرة الأنثوية ، الناعمة تعكس لنا استشراف من المنافرة في المجتمع الجاهلي ،
إلى الحد الذي يحدو بالصدىقات اللواتي يخرجن للنزهة إلى التفاخر فيما بينهن ، ثم
التعويل على رأي كاهنة ارتضينها حكومة للمنافرة ، كي تقول : أيهن الفائزة في
المنافرة ، وانسجاماً مع الطبيعة الأنثوية ومناسبة المنافرة ، فإن الفتيات لم يلجأن إلى
الهجاء والشتائم الموجعة ، فاكتفين بالفخر المستند إلى تجاربهن الخاصة ، وقيم المجتمع
السائدة ، والصور المتداولة عن أفضل النساء في نظر النساء والرجال ، وأفضل الرجال
في نظر الرجال والنساء معاً !! وإذا كان الأمر كذلك من الهدوء والاتزان فإن الكاهنة

(41) الميداني . جمع الأمثال 157/3 .

التي حكمت بينهن لم تنفّر الواحدة على الأخريات ، بل غيّمَت أحكامها ، وساوت بين المتنافرات بالأسجاع ، ولم تنس رأيها فيما رأين !!

تعتمد المنافرة - كما مرّ بنا - الفخر والهجاء معاً ، من خلال جدلية قوامها التناقض بين الخير والشرّ ، الشجاعة والجبن ، الأمانة والخيانة ، احترام الجوار وهتك حرمة ، سموّ النسب وانحطاطه .. ومهمة كل منافر هي إثبات الحقيقة له ونفيها عن غريمه ، ولا تشترط المنافرة الصدق في القول ، بل طول اللسان والقدرة على المناورة والمكر إلى جمال العبارة وذكاء الإشارة ، والمصابرة والمطاولّة ، ورباطة الجأش وإثخان الخصم بنصال الكلمات المسمومة ، وقد لا يصل الخصمان إلى نتيجة حاسمة في جولة واحدة ، فتطول المنافرة ، ويدبّ الملل ، وتضجّ النساء بالبكاء لما نالهن من التعريض مثلما يضجّ الشيوخ بالشكوى ، فقد هدّمت المنافرة ما بنوح من ألفة ومجد ، والمفرح حقاً تلك النظرة العروبية عند وجهاء القوم المرشحين للتحكيم ، وقد ذكر الأصبهاني سبعة منهم رفضوا تماماً تشجيع عامر وعلقمة على التنافر حتى لا يتشتت الشمل ، ولا تهتك الأعراض ، وتنمو الضغائن ، وهؤلاء السبعة هم هرم الفزاري ، وعامر بن مالك ، وأبو سفيان بن حرب ، وأبو جهل بن هشام ، وعيينة بن حصن ، وغيلان بن سلمة الثقفي ، وحرملة بن الأشعر المري ، بل إن عامر بن مالك (عم عامر بن الطفيل) خذل ابن أخيه وقال له ما معناه : أنا عمك وسوف أفضحك وأقول لهم إنني لم أستبدل نعالي منذ أربعين سنة ، وأفهمه أن منافرته لعلقمة هي شتية للطرفين !! وقد شجّعت المنافرة قيام ضرب من السجع الارتجالي ، فالخصمان يتنافران بالأسجاع والحكم يحكم بالأسجاع ، كما شجّعت المنافرة ضرباً من الشعر الذي يقال على الهامش ، بما يشبه الارتجال . والملاحظة الجديرة بالذكر هي أن المتنافر لا يقول الشعر وإن كان شاعراً وإنما يكون وكده ومعوّله على النثر الفني ، فعامر يقول الشعر وعلقمة كذلك ، ولكنها اقتتلا بالنثر ولم يقتتلا بالشعر ، فالمنافرة (المتن) نصّ منتم إلى النثر الفني ، وربما انتصر المتنافر على خصمه بجاليات الكلام المستند إلى كسر التوقُّع والإبهار وانتظام الجمل

وتتابعها وفق نسقية تتوالى فيها الكلمات المنتهية بإيقاعات نغمية متشابهة ، فضلاً عن ابتكار المثلبة من المتنافر ، وابتكار محققها من المتنافر الآخر ، وانتقال المتكلم من موقع المهجو إلى موقع المفتخر مع تبادل في الأدوار ، وقد يعترف الغريم لغريمه بالفضل ليذهله عن اللاحق من القذف والإفحاش .

أما صبرنا على إيراد رواية الأصبهاني بنصّها ، فلرغبتنا في أن تتشكّل صورة المنافرة الجاهلية معزولة عن تدخلنا ، لكن ذلك لا يمنعنا من القول بوجود حالة من (الفبركة) بحيث يتسلط أسلوب الحكاية على ترتيب الأحداث والمقولات ، زد على ذلك وجود تارات من تقديم ما حقّه التأخير وتأخير ما حقّه التقديم بسبب تعدّد الروايات والأمالى ..

5 - الحكاية :

تحيلنا دلالة الحكاية اللغوية إلى دائرة تقترب من دائرة المثل دون أن تتداخل معها ، قارن : حكى فعله وحاكاه إذا فعل مثله . والمحاكاة المشاكلة ، وإذا قيل : هند تحكي الشمس حسناً وتحاكيها فذلك يعني أن هنداً تشاكل الشمس في الوضاعة . وحكى الشيء حكاية أتى بمثله وشابهه . (اللسان / حكى) ، أما الدلالة الاصطلاحية للحكاية فتدخلها في السرد فهي « لفظ عام يدل على قصة متخيّلة أو على حدث تاريخي خاص يمكن أن يلقي ضوءاً على خفايا الأمور أو على نفسية البشر كما يدل على أي سرد منسوب إلى راوٍ »⁽⁴²⁾ ، والحكاية تستدرج المتلقي إلى الماضي البعيد ، أو الماضي الملاصق للحاضر ، وهي لا تلتزم حرفية ما وقع وإلا عُدّت خيراً ، لأنها تتمتع من الخيال المتنقل بين ثلاث دوائر (الراوي ، مادة الحكاية ، المتلقي) فتمتلك حكاية تنهل من التاريخ وأخرى من الواقع ، وثالثة من الخرافة ، ورابعة من التوقُّع في إطار التغريب والرمز والإبهام والتخييل ، وإيهام المتلقي بمحدثها أو إمكان حدوثها ، وقد نقل الزمخشري

(42) وهبة . مجدي وكامل المهندس . معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب 152 (م . س) .

(ت 538 هـ) أن العرب كانت تسمي راوي الحكاية (حكّاء) بالكاف المشددة بعد الحاء المفتوحة⁽⁴³⁾ ، وتخضع الحكاية بأنواعها ، إلى نسقية (تحمل مضموناً يمثل أحداثها المتعاقبة⁽⁴³⁾) ، أو متنها السردية وتشكل بطريقة خاصة يظهر خلالها الحكي بتسلسل خاص ... كالاستباق ، والتقديم ، والتأجيل ، والتأخير ، والتوقفات ، والفواصل السردية ، والاستهلال ، والخاتمة ، والاسترجاع ، أو تسريع السرد ، حسب متطلبات البرنامج السردية للحكاية وأسلوب مقدمها⁽⁴⁴⁾ .

والجدل بين الحكاية والمثل قائم على التبادل بين الحامل والحمول ، فقد يكون المثل الحامل حاضنة الحكاية ، وقد يحصل العكس .. أن تولد الحكاية بوصفها حاملاً ، ثم تكون حاضنة للمثل ، ولنا أن نتصفح أي كتاب في الأمثال (جمع الأمثال للميداني) مثلاً ، لنكتشف جدل الحكاية المثل أو المثل الحكاية !! والذي لامرأ فيه هو أن العصر الجاهلي الذي فرض على الناس نمطاً صعباً من الحياة ورتيباً أيضاً ، حجب إلى الناس الحكاية وأشاعها بينهم فكانت ملاذاً أو متنفساً يخفف عنهم ضغوطاً كثيرة ، فلا غرابة أن يكون لكل قبيلة حكاؤها الذي يحفظ أخبارها ، وينقل إليها أخبار الآخرين .. معاصرين أو غابرين بأسلوب ممتع يساعد المتلقي على التواصل والإصغاء ! ويزداد دور الحكاء أهمية في الظروف العصيبة التي تدمم القبيلة أو المدينة أو الحي ، والحكّاء مرغوب مطلوب في السلم والحرب ، والأحلاف ، والمآتم ، والأعراس ، ومواسم الأسواق ، وقلما يصغي الناس للحكّاء في النهار ميقات العمل والجد ، فثمة متسع كاف يوفره الليل الطويل للساهرين ، ويكون من نافلة القول أن الصيف ليس فصلاً للحكاية فهو دورة السبات بالنسبة للحكّاء وجمهوره ، إلا فيما ندر ، وتزداد نجومية الحكّاء سطوعاً في ليالي الشتاء حين يتحلّق القوم حول مواقد النيران في سرداقات كبيرة ! والحكاية فن شفاهي

(43) الزمخشري . جار الله محمود بن عمر . أساس البلاغة (ح ك ي) ، ص 92 . تح عبد الرحيم محمود . طب

دار المعرفة . بيروت (د : ت) .

(44) الصكر . د . حاتم . مرايا نرسييس . ص 247 . طب المؤسسة الجامعية بيروت 1999 .

يملك قوالبه ومراميه دون أن يدعيه مدح لنفسه ، فتطول الحكاية أو تقصر وفق متطلبات الحالة ، ويزداد أبطالها أو ينقصون استناداً إلى هومها الدلالية والجمالية ، وقد يعترك حكاة ان بوسيلة غير مباشرة فالحكّاء (س) ينسج الأساطير حول بطولات قومه ، والحكّاء (ط) ينسج الأساطير ويتفنن في الأساليب ليهوّن من شأن قوم (س) .

وثمة دواع أخرى للحكيات مثل الرحلات الطويلة ، فالحكّاء يبدد عن القافلة الملل والسأم والخوف من احتمالات الخطر . ومثل اكتظاظ الأسواق في المواسم وتقصير الشعر . والخطابة عن شغل الوقت الفائض لدى زوار الأسواق أو نزلائه ، فنفس الشعر قصير ، ولا يستغرق وقتاً طويلاً وكذلك الخطابة .. أما الحكاء فهو قادر على سدّ أوقات رواد الأسواق الفائضة ، تسعفه في ذلك تجربته العريضة ، ومعرفته بالناس ، ومتطلبات أمزجتهم ، وسعة خياله ، وتحكه بطبقات صوته وحركات وجهه ويديه ..

وكثيرة هي الحكيات التي أنتجها الذهن الإبداعي الجاهلي ، فثمة حكايات مزجت الأسطورة بالواقع ، والخيال بالحقيقة من نحو حكايات عاد وثمود ، وخراب مأرب ، ونهاية دولة الحضرة ، وأيام العرب (حروبها) ، ومغامرات الصعاليك ، وعجائبيات الجنّ ، وما أكثر الحكيات الجاهلية المختلفة من نحو مغامرات الغيلان والسعالي ، والعشاق الفرسان ، واللصوص والعبيد فضلاً عن الحكيات التي تمتلك ثوابت في الواقع ، بيد أن طبيعة الفن الحكائي استدعت الحذف والإضافة والتعديل لتكون الحكاية جذابة خلابة .. من نحو حكاية المرقش وأسما ليلي العفيفة والبسوس ووفاء السموءل وجزاء السنار والنسناس والحية والكنز .. ومشكلة الحكاية كما مرّ بنا أنها فنّ شفاهي مجهول المالك تأثر وأثر بالخيال الجمعي إضافة وحذفاً فضلاً عن أن كل قبيلة كانت تنتقي للحكيات الشائعة أبطالاً من رجالها ونسائها ، فالنص الحكائي معتمد ذاكرة الراوي قبل اعتماده على ذاكرته هو : « ولكن النص لا يعطي قيادة بسهولة تلقائية ، إن كل نص هو بالضرورة نص شرود .. ومن هنا فإن النص يتراوح ما بين الكشف والإظهار

وبين الشroud ، فيظهر منه سطح بسيط ويغور منه أعماق معقدة ؛ ولهذا فإن الدخول إلى العمق يحتاج محاتلة النص والتّحاييل عليه ، وطريقنا في ذلك هو أن نضعه بين محاور ثلاثة ، تدور حول فعل هذه الحكاية بوصفها نصّاً شاعريّاً - ولم أقل شعريّاً - وهي بذلك فعل مغاير ومختلف عن التّأليف النثري ، وتدور المحاور - ثانياً - حول سؤال الأداة الفاعلة داخل الحكاية ؛ ثم سؤال الهدف المتجلي فيها .. فهو ليس نصّاً يحدث من مؤلّف فرد ، ويتجه إلى جمهور مطلق ؛ ولكنه نص يحدث بالباشرة ؛ مباشرة الخطاب ومباشرة الاستماع ؛ وهذا الاستماع ليس استماعاً سالباً واستهلاكياً ، ولكنه شرط لحدوث النص وتناميّه مع تبادل الأدوار فيما بين الإنشاء والاستماع ؛ فالمنشئ يصبح مستمعاً والمستمع يتحوّل إلى منشئ في الوقت نفسه الذي تحدث فيه الحكاية ، والمبدع هنا يخاطب مبدعاً مثله .. إذ ليس لدينا مؤلّف يختلف عن المتلقي ، ذاك لأن كل واحد منهما هو مؤلّف ومتلق في آن واحد (45) . وقد دوّنت الحكايات الجاهلية في النصف الأول من القرن الهجري الأول فأحسن المدونون الإسلاميون صنعا حين اعتمدوا حكّائين جاهليين ويأتي في طليعة الحكّائين (عبيد بن شريّة الجرهمي ت 67 هـ) ، ثم دوّن الكثير من الحكايات في النصف الثاني من القرن الأول .. والقرون اللاحقة ، وكان هاجس التدوين الاحتفاظ بحرفية الحكاية وقوالبها وهمها دون تدخل « فدوّنها تدويناً منظماً على نحو ما هو معروف عن أبي عبيدة في شرحه لنقائض جرير والفرزدق ؛ وتوالى من بعده التّأليف فيها والعناية بها .. مما نجده مبثوثاً في تاريخ الطبري أو في السيرة النبوية لابن هشام » (46) .

وكتاب الأمثال للميداني والروض الأنف للسهيبي ومعجم البلدان لياقوت الحموي ..

(45) الغزامي . د . عبد الله . التصيدة والنص المضاد 124 وبعدها . طب المركز الثقافي العربي . بيروت . 1994 .

(46) ضيف . د . شوقي . العصر الجاهلي ، ص 399 (م . س) .

١ - الحية والكنز : يحكى أن أخوين ، خرجا مسافرين ، فزلا في ظل شجرة بجانب صفاة ، فلما دنا الرّواح ، خرجت لهما من تحت الصفاة حية تحمل ياقوتة فألقتهما إليهما ؛ فقالا إن هذه لمن كنز هنا ؛ فأقاما ثلاثة أيام ، وهي في كل يوم تخرج لهما ياقوتة !! فقال أحدهما للآخر : إلى متى ننتظر هذه الحية ؟ ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه ؛ فنهاه أخوه وقال له : ماتدري لعلك تعطب ، ولا تدرك المال ؛ فأبى عليه وأخذ فأساً ورصد الحية حين خرجت فضربها ضربة جرحت رأسها ولم يقتلها ، فبادرت إليه الحية فقتلته ، ورجعت إلى جحرها . فدفنه أخوه وأقام حتى إذا كان الغد ؛ خرجت الحية معصوباً رأسها وليس معها شيء ! فقال : يا هذه ؛ والله مارضيت ما أصابك ؛ ولقد نهيت أخي عن ذلك فلم يقبل ؛ فهل لك أن تجعلي الله بيننا على أن لا تضريني ولا أضرك ؛ وترجعين إلى ما كنت عليه أولاً ؟ فقالت الحية : لا . قال : ولم ؟ قالت : لأني أعلم أن نفسك لا تطيب لي أبداً ؛ وأنت ترى قبر أخيك ؛ ونفسي لا تطيب بك أبداً وأنا أذكر هذه الشجّة⁽⁴⁷⁾ !

2 - الغريّان : كان المنذر بن ماء السماء ، قد نادمه رجلان من بنيّ ؛ فأغضباه في بعض منطقتها ؛ فأمر بأن يحفر لكل واحدٍ منهما حفيرة بظهر الحيرة ، ويجعل في تابوتين ؛ ويدفنا في الحفرتين ؛ ففعل ذلك بها .. ، حتى إذا أصبح سأل عنها !! فأخبر بهلاكهما ! فندم على ذلك واغتم ؛ ثم ركب المنذر حتى نظر إليهما ، فأمر ببناء الغريين عليها ، فبنى ، وجعل لنفسه يومين في السنة ، يجلس فيهما عند الغريين ؛ يسمي أحدهما يوم النعيم ، والآخر يوم البؤس ، فأول من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مئة من الإبل سوداً ؛ وأول من يطلع عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظرّبان أسود⁽⁴⁸⁾ ، ثم يأمر به

(47) الدّميري . حياة الحيوان الكبرى 356/1 .

(48) الدّميري . حياة الحيوان الكبرى 7/2 (الظّرّبان) بفتح الظاء مثل القطران : دوية فوق جرو الكلب

منتنة الريح كثيرة الفسوس (كذا) ، وقد عرف الظربان ذلك من نفسه فجعل ذلك سلاحاً له ، يقصد =

فيذبح ويفرى بدمه الغريين ، فلبث بذلك برهة من دهره ، ثم مرَّ به رجل من طيئ
هو حنظلة بن أبي عفر ؛ فقال للمنذر وهو يطلب دمه : أبيت اللعن ؛ أتيتك زائراً ؛
ولأهلي من خيرك مائراً ؛ فلا تكن ميرتهم قتلي !! فقال المنذر : لا بدَّ من ذلك ، فاسأل
حاجتك أفضها لك . فقال : توَّجِّلني سنة أرجع فيها إلى أهلي ، وأحكم من أمرهم
ما أريد ، ثم أصير إليك لتنفيذ حكمك ؛ فقال : ومن يكفلك حتى تعود ؟! فنظر
حنظلة في وجوه جلسائه فعرف منهم شريك بن عمرو .. فأشده يقول :

يا شريك يا ابن عمرو ما من الموت محاله
يا شريك يا ابن عمرو يا أخا من لا أخاله
يا أخا شيبان فكّ الـ يوم رهنأ قد أناله

فوثب شريك وقال : أبيت اللعن ؛ يدي بيده ودمي بدمه إن لم يعد إلى أجله ؛
فأطلقه المنذر ؛ فلما كان من العام القابل جلس في مجلسه ينظر حنظلة أن يأتيه ،
فأبطأ عليه فأمر بشريك فقرب ليقته ، فلم يشعر إلا براكب قد طلع عليهم ، فتأملوه
فإذا هو حنظلة قد أقبل متكفناً متحنطاً ، ومعه نادبته تندبه ، وقد قامت نادبة
شريك تندبه ؛ فلما رأى المنذر ذلك أعجب من وفائهما وكرّمهما ، فأطلقهما ؛ وأبطل
تلك السنة⁽⁴⁹⁾ .

3 - زكاة العرب :.. وذلك أن نزاراً لما حضرته الوفاة ؛ جمع بنيه ؛ مضر وإياداً
وربيعة وأنماراً . فقال : يا بني ، هذه القبة الحمراء (وكانت من آدم) لمضر ؛ وهذه
الفرس الأدم والخباء الأسود لربيعة ؛ وهذه الخادم (وكانت شمطاء) لإياد ؛ وهذه
البُدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه ؛ فإن أشكل عليكم كيف تقسمون فأتوا الأنفى

= جحر الضب ، وفيه حسوله وبيضة ، فيأتي أضيح موضع فيه فيسده بذنبه .. حتى يفشى على الضب
(لنتانة الظربان) فيأكله ثم يقيم في جحره حتى يأتي على آخر حسوله . وتزعم الأعراب أن أحدم إذا
صاها فلا تذهب رائحته حتى يبلى الثوب !!
(49) الأصهباني . الأغاني (كتبخانه) 86/19 .

الجرهمي بمنزله بنجران ! فتشاجروا في ميراثه ؛ فتوجهوا إلى الأفعى ؛ فبينما هم في مسيرهم إليه إذ رأى مضر أثر كلاً قد رعى . فقال : إن البعير الذي رعى هذا لأعور !! قال ربيعة : إنه لأزور . قال إياد : إنه لأبتر . قال أنمار : إنه لشرود ؛ فساروا قليلاً فإذا هم برجل ينشدُ جملة !! فسألهم عنه ، فقال مضر : أهو أعور ؟ قال : نعم ! قال ربيعة : أهو أزور ؟ قال : نعم ! قال إياد : أهو أبتر ؟ قال : نعم ! قال أنمار : أهو شرود ؟ قال : نعم . وهذه والله صفة بعيري فدلوني عليه . قالوا : ما رأيناها ! قال : هذا والله الكذب ؛ وتعلق بهم ، وقال : كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته ؟! فساروا حتى قدموا بنجران ؛ فلما نزلوا نادى صاحب البعير : هؤلاء أخذوا جملي ووصفوا لي صفته ، ثم قالوا : لم نره !! فاختصموا إلى الأفعى وهو حكم العرب . فقال الأفعى : كيف وصفتموه ولم تروه ؟ فقال مضر : رأيته رعى جانباً وترك جانباً فعلت أنه أعور ! وقال ربيعة : رأيته إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدته ؛ فعلت أنه أزور !! لأنه أفسده بشدة وطئه لازوراره ! وقال إياد : علمت أنه أبتر باجتماع بعره ! ولو كان ذيتالاً لمصع به . وقال أنمار : عرفت أنه شرود لأنه كان يرعى في المكان الملتف نبتة ؛ ثم يجوزه إلى مكان أرقّ منه وأخبث نبتاً ، فعلت أنه شرود ! فقال الأفعى للرجل : ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه .. ثم سألهم : من أنتم ؟ فأخبروه ؛ فرحب بهم ثم أخبروه بما جاء بهم ؛ فقال : أحتاجون إليّ وأنتم كما أرى !!؟ ثم أنزلهم فذبح لهم شاة ، وأتاهم بالخمير ، وجلس لهم الأفعى حيث لا يرى وهو يسمع كلامهم ! فقال ربيعة : لم أر كالسيوم لحمأ أطيب منه لولا أن شاته غذيت بلبن كلبة ! فقال مضر : لم أر كالسيوم خمرأ أطيب منه لولا أن حبلتها نبتت على قبر ! فقال إياد : لم أر كالسيوم رجلاً أسرى منه لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى له !! فقال أنمار : لم أر كالسيوم كلاماً أنفع في حاجتنا من كلامنا ؟ وكان كلامهم بأذنه . فقال : ما هؤلاء إلا شياطين !! ثم دعا القهرمان فقال : ما هذه الخمرة وما أمرها ؟! قال له : هي حيلة غرستها على قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب منها ! وقال للراعي : ما أمر هذه الشاة ؟ قال : هي عناق

أرضعتها بلبن كلبة ؛ وذلك أن أمها كانت قد ماتت ، ولم يكن في الغنم شاة ولدت غيرها !! ثم أتى أمه فسألها عن أبيه ، فأخبرته أنها كانت زوجاً للملك كثير المال ؛ وكان لا يولد له !! فخفت أن يموت ولا ولد له ! فيذهب الملك فأمكنك من نفسي ابن عم له كان نازلاً عليه ! فخرج الأفعى إليهم فقصّ القوم عليه قصتهم وأخبروه بما أوصى به أبوهم ؟ فقال : ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر . فذهب بالدنانير والإبل الحمر فسَمِّي (مضر الحمراء) لذلك ، وقال : وأما صاحب الغرس الأدهم والخباء الأسود فله كل شيء أسود ! فصارت لربيعة الخيل الذم . فقيل (ربيعة الغرس !) ، وما أشبه الخادم الشمطاء فهو لإياد فصار له الماشية البُلُق من الحبلق والنقد فسَمِّي (إياد الشمطاء) ، وقضى لأثمار بالدرهم وبما فضل فسَمِّي (أثمار الفضل) . فصدروا من عنده على ذلك ، فقال الأفعى الجرهمي : إن العصا من العصية ، وإنَّ خُشِينَا مِن أَخْشَن ، ومساعدة الخاطل تعدُّ من الباطل ⁽⁵⁰⁾ .

4 - شنٌّ وطبقة : كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له شنٌّ ، فقال (في نفسه) : والله لأطوفن حتى أجد امرأة مثلي أتزوجها ، فيها هو في بعض مسيره إذ وافقه رجل في الطريق ، فسأله شنٌّ : أين تريد ؟ فقال : موضع كذا ، يريد القرية التي يقصدها شنٌّ ، فوافقه ، حتى إذا أخذنا في مسيرهما ؛ قال له شنٌّ : أتحملني أم أحملك ؟ فقال له الرجل : يا جاهل أنا راكب وأنت راكب ، فكيف أحملك أو تحملي ؟ فسكت عنه شنٌّ وسارا حتى إذا قربا من القرية إذا بزرع قد استحصد ؛ فقال شنٌّ : أترى هذا الزرع أكِل أم لا ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ترى نبتاً مستحصداً فتقول : أكِل أم لا ؟! فسكت عنه شنٌّ ؛ حتى إذا دخلا القرية لقيتها جنازة فقال شنٌّ : أترى صاحب هذا النعش حياً أو ميتاً ؟ فقال له الرجل : ما رأيت أجهل منك ، ترى جنازة تسأل عنها أميت صاحبها أم حي ؟ فسكن عنه شنٌّ ؛ فأراد مفارقتة ؛ فأبى الرجل أن يتركه

(50) الميداني . جمع الأمثال 30/1 ، والعصا : اسم فرس ، والعصية : اسم أمه ! وخشين وأخشن : جبلان

أحدهما صغير والآخر كبير (م . س) .

حتى يصير به إلى منزله ؛ فمضى معه ، فكان للرجل بنت يقال لها : طبقة ، فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه ؛ فأخبرها بمرافته إياه ؛ وشكا إليها جهله ؛ وحدثها بحديثه ، فقالت : يَا بْتَ مَا هَذَا بِجَاهِل ؛

أما قوله : (أتحملي أم أحملك) فأراد أتحذني أم أهدتك حتى نقطع طريقنا ؟
وأما قوله : (أترى هذا الزرع أكِلَ أم لا) فأراد هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا ؟
وأما قوله في الجنازة ، فأراد هل ترك عقباً يحياهم ذكره أم لا ؟

فخرج الرجل فقعد مع شنٍّ فحادثة ساعة ، ثم قال عنه : أتحبُّ أن أفسر لك ما سألتني عنه ؟ قال : نعم فسّرهُ ، فسّره ! قال شنٌّ : ما هذا من كلامك ؛ فأخبرني عن صاحبه ؛ قال : ابنة لي ، فخطبها إليه ؛ فزوجه إياها ؛ وحملها إلى أهله ؛ فلما رأوها قالوا : وافق شنٌّ طبقة⁽⁵¹⁾ .

5 - جزاء النصيرة بنت الضّين : لما افترت قضاة ، سارت فرقة منهم إلى أرض الجزيرة ، وعليهم ملك يقال له : الضّين القضاعي ، وكان ملك الجزيرة كلها إلى الشام ، فنزل مدينة الحضرم ، وهي مبنية بالحجارة المهندمة بيوتها وسقوفها وأبوابها ، وفيها ستون برجاً كبيراً ، وبين البرج والبرج تسعة أبراج صغار يازاء كل برج قصر وإلى جانبه حمام ، ويمرُّ بها نهر عظيم على جوانبه قرى وجنان ، وتصب فيه أودية كثيرة ، وكانت السفن تجري فيه ، وكانت الحضرم قد بنيت وتطلّست أن لا يقدر على فتحها ولا هدمها إلا بدم حمامة ورقاء مع دم امرأة زرقاء عارك ، فأقام الضّين فيه مدة ملكاً يغير على بلاد فارس ، وما يقرب منها ، وكان يخرج كل امرأة زرقاء عارك من المدينة إلى موضع قد جعله لذلك في بعض جوانبها خوفاً (من افتضاح أمر الطّلمس) . ثم إنه أغار على السواحل (فسي) ماة أخت سابور الجنود بن أردشير ، فقصد سابور الجنود الحضرم غيظاً على صاحبه (ملك الحضرم) لاستجرائه على أسر أخته (ماة) فنزل عليه

(51) الميداني . جمع الأمثال 422/4 .

بجنوده سنتين لا يظفر بشيء منه حتى عركت النضيرة بنت الضيزن ؛ فأخرجها أبوها إلى الموضع الذي جعل لذلك وكان إلى جنب السور ؛ وكان سابور قد هم بالرحيل ؛ فنظرت الضيزن ذات يوم إليه ونظر إليها سابور فعشق كل واحد منهما صاحبه ، فوجّهت إليه تحبّره بحالها ، ثم قالت : مالي عندك إن دلتك على فتح هذه المدينة ؟ فقال سابور : أجعلك فوق نسائي ، وأتخذك لنفسي ، قالت : فاعمد إلى دم امرأة زرقاء عارك ، واخلط به دم حمامة ورقاء ، واكتب به واشده في عنق وَرشَان (طائر شبه الحمامة) فأرسله فإنه يقع على السور فيتداعى ويتهدّم !! ففعل سابور ذلك ؛ فكان كما قالت ، فدخل المدينة ، وقتل من قضاة نحو مئة ألف رجل وأفنى قبائل كثيرة ، ثم سار سابور منها إلى عين التمر ؛ فعرّس بالنضيرة هناك ، فلم تم تلك الليلة ، وتعلّمت على فراشها ، فقال لها سابور : أي شيء أمرّك ؟ قالت : لم أم قط على فراش أخشن من فراشك ! فقال لها : ويلك وهل نام الملوك على أنعم من فراشي ، فنظر فإذا في الفراش ورقة آس ، فقال لها سابور : يانضيرة بيم كان أبوك يغذوك ؟ قالت : بشهد الأبقار من النحل ، ولباب البَرّ ، ومخ الثنيات ! فقال سابور : أنت ما وفيت لأبيك مع حسن هذا الصنيع ! فكيف تفين لي أنا ؟ ثم أمر ببناء عال فبنى وأصعدها إليه ! وقال لها : ألم أرفعك فوق نسائي ؟ قالت : بلى . فأمر بفرسين جوحين فربطت ذوائبها في ذنبيها ثم نَفَرَا ففقطعاها ... وقد أشار الشاعر عدي بن زيد إلى ذلك فقال :

والحضر صَبَّتْ عليه داهيةً شديدةً أيدً مناكِها
 ربيبةً لم تُوقِّ وإلدها لحبّها إذا ضاعَ راقبها
 فكان حظُّ العروسِ إذ جسر ال صبحُ دماءً تجري سبائبها⁽⁵²⁾

6 - طُرفة (التكاذب) : تكاذب أعرابيان ، فقال أحدهما : خرجت مرة على فرس لي فإذا بظلمة شديدة فيمتمها حتى وصلت إليها فإذا هي قطعة من الليل لم تنتبه ، فما زلت أحمل بفرسي عليها حتى أنبهتها فانجابت . فقال الآخر : لقد رميت ظبياً مرة

(52) الحموي . معجم البلدان (الحضر) /55/2 / (م . س) .

بسهم فعذل الظبي يمينه فعذل السهم خلفه فتياسر الظبي فتياسر السهم خلفه ، ثم علا
الظبي فعلا السهم خلفه ؛ فانحدر فانحدر عليه حتى أخذه⁽⁵³⁾ .

6 - الوصايا :

فن نثري شاع في العصر الجاهلي لحاجة المجتمع عهد ذاك إليه ، مع وجود كم مترام
من الوصايا أثلها الشعر ، والخطابة ، والأمثال ، والحكايات ، وكان من تقاليد ذلك
الزمان أن ينهي العارف إلى قومه وصية إثر كل حدث يعثور قومه ، أو غب مجلس
ضيافة أو سمر . والعارف متعدد الوجوه ، فقد يكون زعيم القبيلة أو كاهنها ،
أو خطيبها ، أو معمرها ، أو حكيمها !! وربما أوصى الأب ابنه والأم ابنتها ، والأخ
الأكبر إخوته !! وكان للوصايا سوق ناشط في عكاظ ، وذي مجنة ، وعدن أبين ،
والشحر ، يجتمع الناس حلقات حلقات حول صاحب الوصية ، وقد تتضمن خطبة
الخطيب أو رواية الحكاء أو الأمثلة عدداً من الوصايا ، على نحو ما فعله قس في سوط
عكاظ !! والأمثلة وفيرة !! ويختلط الشعر بالنثر في فن الوصية أو النثر بالشعر ضمن
بناء يلجأ فيه المنتج إلى التكريف ، والتلميح ، والتلميح ، والتكرار ، والإشارة إلى
مصائر الملوك وأقوامهم وقصورهم ، لتكون العبرة أوضح والغاية أقرب ..

1 - وصية النعمان بن ثواب الشنبي لابنه : يا بني إن الصّارم ينبو ؛ والجواد يكبو ،
والأثر يعفو ، فإذا شهدت حرباً فرأيت نارها تسعر وبطلها يخطر ، وبجرها يزخر ،
وضعيفها ينصر ، وجبانها يجسر ؛ فاقلل المكث والانتظار ؛ فإن الفرار غير العار ؛ إذا لم
تكن طالب ثار ؛ فإنما ينصرون هم ، وإياك أن تكون صيداً رماحها ونطيح

(53) المبرد . الكامل في اللغة والأدب 1/357 .

وانظر : الغدامي . د . عبد الله . القصيدة والنص المضاد ص 146 وبعدها ، ويدعو د . الغدامي إلى
اعتداد التكاذيب جنساً أدبياً (ص 149 وإن كان لكل جنس وظيفة ، حسب مفهوم أيزر عن وظيفة
الإشارة مما يسبب وجودها ؛ فإن التكاذيب تحمل وظيفتها ومسبب نشوئها من حيث إنها نص يفصح
ويكشف وفي الوقت ذاته نص يعبر عن حاجة إنسانية للإبداع والتجلي من خلال اللغة ... ويتحقق
ذلك من كون اللغة استنطاقاً للسكوت عنه ، وتشجيعاً للنفس المكسورة كي تصلح كسرهما بالنص) .

نطاحها ... يا بني لا يبخل الجواد ؛ فابذل الطارف والتلاد واقلل التلاح ؛ تذكر عند السماح وابل إخوانك فإن وفيهم قليل ، واصنع المعروف عند محتمله ؛ .. يا بني إن كثرة الشراب تفسد القلب ، وتقلل الكسب ، وتجد اللعب ، فأبصر نديك ، واحم حريمك ، وأعن غريمك ، واعلم أن الظلم القامح خير من الرّي الفاضح ، وعليك بالقصد فإن فيه بلاغاً⁽⁵⁴⁾ .

2 - وصية أم لابنتها : إن الفقى يغيّرك وإن الشيخ يميّرك ، وليس الكهل الفاضل ، الكثير النائل كالحديث السنّ الكثير المنّ .. أي بنيّة إن الفقى شديد الحجاب كثير العتاب ... ثكلتك أمك ، تجوع الحرّة ولا تأكل بشديها⁽⁵⁵⁾ .

3 - وصية عامر بن الظّرب إلى خطيب ابنته صعصعة بن معاوية : يا صعصعة ؛ إنك أتيتني تشتري مني كبدي ، وأرحم ولدي عندي ، أبغيتك أو رددتك ، والحسيب كفاء الحسيب ، والزّوج الصالح أب بعد أب ، وقد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك أفر من السرّ إلى العلانية ، أنصح ابناً وأودع ضعيفاً قوياً . يا معشر عدوان ، خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رهبة ولا رغبة ؛ أقسم لولا قسّم الحظوظ على قدر المجدود ما ترك الأول للأخر ما يعيش به⁽⁵⁶⁾ .

4 - الملك المنذر يوصي ابنه النعمان : إيّاك وأطراح الإخوان ، وأطراف المعرفة ؛ وإيّاك وملاحاة الملوك وممازحة السفهيه ؛ وعليك بطول الخلوة ؛ والإكثار من السرّ ، والبس من القسّم ما يزينك في نفسك ومروءتك ؛ واعلم أن جماع الخير كله الحياء ،

(54) الميداني . جمع الأمثال 95/1 .

(55) نفسه 56/1 .

(56) الجاحظ . البيان والتبيين 442/2 .

السجستاني : المعمرون والوصايا ص 48 ، قال عامر بن الظّرب لملك الغساسنة : « إن لي كنز علم وإن الذي أعجبك من علمي ، إنما هو من ذلك الكنز أحتذي عليه ، وقد خلّفته خلفي .. فأذن لي كي أرجع إلى بلادي فأتيك به » .

فعليك به ، وتواضع في نفسك ، وانخدع في مالك ، واعلم أن السكوت عن الأمر الذي يعينك خير من الكلام ، فإذا اضطررت إليه فتحرّ الصدق والإيجاز تسلم⁽⁵⁷⁾ .

5 - نصيحة أكثم بن صيفي : إن أفضل الأشياء أعاليتها ، وأعلى الرجال ساداتها ، وأفضل السادة أعمقها نفعاً ، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة ، والكذاب مهواة ، والشّر لجاجة ، والحزم مركب صعب ، والعجز مركب وطيء ، وآفة الرأي الهوى .. شرّ البلاد بلاد لا أمير بها ؛ وشرّ الملوك من خافه البريء ، أحقّ الجنود بالنصر من حسنت سريرته ، يكفيك من الزاد ما بلغك المحل ، حسبك من شرّ سماعه ، الصمت حكم وقليل فاعله⁽⁵⁸⁾ .

ويذكر ابن هشام أن بعض الجاهليين توفروا على مجلة لقمان المتضمنة عدداً من الوصايا وإذا صحّ ذلك ، فإن سوق الوصايا كان ماتحاً من التجربة والمدونات معاً !! (قدم سويد بن صامت مكة حاجاً فتصدى له رسول الله ﷺ ، فدعاه إلى الإسلام فقال له سويد : فعمل معك الذي معي ، فقال الرسول ﷺ : وما الذي معك ؟ قال : مجلة لقمان . فقال رسول الله ﷺ : اعرضها عليّ ، فعرضها عليه . فقال له : إن هذا لكلام حسن ، والذي معي أفضل من هذا ؛ قرآن أنزله الله تعالى عليّ . وقال : إن هذا لقول حسن ، ثم انصرف عنه ، فلم يلبث أن قتلتة الخزرج)⁽⁵⁹⁾ .

وقد تخفف الوصية عن قلب المفجوع أو الجازع شيئاً من أعباء الفجيعة والجزع حين تتداخل الوصية مع الحكمة .

فقد حكى أن بعض المتقدمين من الملوك فجع بولده الوحيد الذي هيأه ليحلّ

(57) الجاحظ . البيان والتبيين 1031/4 .

(58) الصائغ . عبد الإله . الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية ص 273 .

السجستاني : العمرون والوصايا ص 17 وبعدها . كتب ملك هجر إلى أكثم بن صيفي أن ينصحه ويوجز . فكتب إليه : « إن أحقّ الحقّ الفجور وأمثل الأشياء ترك الفضول » .

(59) هارون . عبد السلام عمّد . تهذيب سيرة ابن هشام ص 92 . (م . س) .

محلّه ، فاستعان بالعارف كي يقول شيئاً ، فقال له العارف : « أيها الملك إن أنصفت عقلك من نفسك فقد علمت أن التعزية كانت في نفس التهئة به ، أما قيل لك : طول الله عمره لعلمهم بقصره وإن طال ! أما قيل لك : جعله الله خلفاً صالحاً ؟ والخلف لا يكون إلا لتلف عن تالف ، متى رأيت عيشاً إلى دوام ، وفرحاً إلى تمام ؟ أي غنى لم يخف معه العدم ، وبناء لم ينله الهدم ؟ وأي فرحة لم تمزج بترحة ؟ متى رأيت مسرة لم تتبعها مضرة ؟ إن الدنيا نادت فأسمعت ، وبيّنت فأوضحت ، لأن سرورها بشورها ، مزحت وغرت وخذعت ، وأرضعت ففطمت !! متى رأيت شيئاً من مليحها هذّبته عن قبيحها ؟ هل دخلت قصرأ إلا كانت كنفه قبل غرفه ؟ وبلدة إلا تلقاك قبورها قبل دورها ؟ متى رأيت ضاحكاً لم يعد باكياً ؟ وشاكراً لها لم يعد شاكياً ؟ أف لعقل حجبتة الشهوات ، وخذعته الشبهات . »

وقال الحكيم : « العاقل من عقل لسانه ، والجاهل من جهل قدره . إذا تمّ العقل نقص الكلام »⁽⁶⁰⁾ .

7 - المعاهدات والأحلاف .

8 - الرسائل :

إذا كان التاريخ قد حدّثنا بالتفصيل عن أحلاف الجاهليين ، ومعاهداتهم والرسائل المتبادلة ، فتلبث عند العهود بين القبائل والأسواق والمدن ، كما تلبّث عند الأسباب التي سوّغت تدوين المعاهدات والأحلاف والرسائل والظروف التي سبقت ذلك أو رافقته ، أو لحقته ! إلا أن التاريخ لم يدقق في النصوص لتركيهه على دلالة النص قبل حرفيته ، ونحن هنا معنيون بحرفية النص قبل دلالاته ، فأثرنا الإشارة إلى هذه الإشكالية ، ولم نشأ ذكر النصوص بعد أن تأيّد لنا اهتمام مدوّنيها بدلالاتها قبل حرفيتها كما أشرنا ..

(60) ابن منقذ . الأمير أسامة ت 584 . لباب الآداب ص 461 . طب دار الكتب العلمية . بيروت .

وللباحث عن نصوص المعاهدات والأحلاف والرسائل ، فهي مبثوثة في كتب الأدب
وها نحن أولاء نذكر مقطعاً من المصادر والمراجع المتصلة بإشارتنا هذه :

- 1 - ابن الكلبي (ت 204 هـ) : أ - الأصنام . ب - الخيل .
- 2 - أبو عبيدة (ت 209 هـ) : أ - أيام العرب . ب - العققة والبررة .
ج - النقائض .
- 3 - ابن هشام (ت 218 هـ) : السيرة النبوية .
- 4 - ابن حبيب (ت 245 هـ) : أ - المحبر . ب - المغتالون .
- 5 - السجستاني (ت 250 هـ) : المعمرون والوصايا .
- 6 - الجاحظ (ت 255 هـ) : البيان والتبيين .
- 7 - البخاري (ت 256 هـ) : صحيح البخاري .
- 8 - مسلم (ت 261 هـ) : صحيح مسلم .
- 9 - ابن قتيبة (ت 276 هـ) : أ - المعارف . ب - الأنواء .
- 10 - المبرّد (ت 285 هـ) : الكامل .
- 11 - المسعودي (ت 306 هـ) : مروج الذهب .
- 12 - الطّبري (ت 310 هـ) : تاريخ الرسل والملوك .
- 13 - ابن عبد ربه (ت 328 هـ) : العقد الفريد .
- 14 - الأصبهاني (ت 356 هـ) : أ - الأغاني . ب - مقاتل الطالبين .
- 15 - القالي (ت 356 هـ) : الأمالي .
- 16 - المرزوقي (ت 421 هـ) : الأزمنة والأمكنة .
- 17 - السهيلي (ت 581 هـ) : الروض الأنف .
- 18 - ابن الأجدابي (ت 650 هـ) : الأزمنة والأنواء .
- 19 - ابن خلكان (ت 681 هـ) : وفيات الأعيان .
- 20 - ابن منظور (ت 711 هـ) : لسان العرب .

- 21 - الفيروزآبادي (ت 816 هـ) : القاموس المحيط .
 22 - محمود الألوسي (ت 1342 هـ) : بلوغ الأرب .
 23 - كتب الأحاديث النبوية الشريفة وكتب
 23 - كتب تفاسير القرآن الكريم ، وكتب الأحاديث النبوية الشريفة .
 24 - د . جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام .
 25 - د . ناصر الدين الأسد . مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ..
 26 - د . سعيد الأفغاني : الأسواق العربية .

9 - الوصف :

الوصف فنّ نثري راق ، اهتمّ به المبدع الجاهلي وجمهوره اهتماماً كبيراً ؛ فن خلال هذا الفنّ ، توفرنا على أثنى المعلومات المتصلة بالعصر الجاهلي ، واقتربنا من ذائقة العصر وحساسيته !

فنّ الوصف أجابنا عن أسئلة كثيرة ، بعضها شائك !!

كيف تتشكّل العبارة ؟ وتتخلّق الصورة ؟

وبأي الوسائل والمرجعيات كانوا ينظرون إلى الجمال والقبح ، والخضرة والغبرة ، والقصور والقباب والتزويق !!؟

وما العناصر التي تضمن استفزاز عواطف الجاهلي ورضاه أو نفوره !!؟

كل ذلك في عبارة جزلة واضحة ، تستثمر السجع الهادئ التلقائي وتستحضر الشعر المعزّز اللّاح ... ولم نعثر على نصوص وصفية طويلة ، فنحن غالباً قبالة نصوص ضيقة المساحة تقول المعنى الكثير في اللفظ القليل ، وربما طال اللفظ وضاق المعنى ، وما كان ذلك ليكون بمعزل عن الدواعي الجمالية ..

1 - أعرابي يصف رجلاً : « كان صغير القدر ؛ قصير الشبر ، ضيق الصدر ، لثيم النجر ، عظيم الكبر ، كثير الفخر .. » (61) .

2 - جلييلة تصف مأساتها : « ثكل العدد ؛ وحزن الأبد ؛ وفقد حليل ، وقتل أخ عن قليل ؛ وبين ذين غرث الأحقاد ، وتفتت الأكياد » (62) .

3 - الخاطبة تصف جمال ابنة عوف بن محم الملك كندة : « جبهة كالمرأة الصقيلة ؛ يزينها شعر حالك ؛ إن أرسلته خلته السلاسل ؛ ومع ذلك حاجبان كأنها خطاً بقلم ؛ قد تقوسا على مثل عين العبهرة التي لم يرعها قانص ؛ في بياض محض كالجمان ، شقّ فيه فم كالخاتم ، لذيد المتسم ، فيه ثنايا غرّ تبدو كالدر وريق له نشر الروض بالسّحر ؛ تحت ذاك عنق كإبريق الفضة ركبّ في صدر تمثال ، دمية يتّصل به عضدان ، ممتلئان لمأ مكتنزان شحماً ؛ وذراعان ليس فيهما عظم يحسّ ولا عرق يحسّ » (63) .

4 - وصف البرد : « ريح جريباء في طلّ عماء في غبّ سماء » (64) .

5 - وصف الحرّ : « إذا طلعت الجوزاء ، حميت المعزاء ، واكتنست الطّباء ، وانتصبت العود في الحرباء » (65) .

6 - حاجب بن زرارة يصف العرب : « إن العرب أمة غلظت أكبادها ، واستحصدت مرّتها ؛ ومنعت درّتها ، وهي العلقم مرارة ، والصّاب غضاضة ، والعسل حلاوة ، والماء الزلال سلاسة » (66) .

7 - قال المنذر الأكبر يصف جارية : « .. معتدلة الخلق ، نقية اللون والشعر ؛

(61) الجاحظ . البيان والتبيين 1/273 .

(62) جاد المولى وأصحابه . أيام العرب في الجاهلية ص 149 .

(63) ابن عبد ربه . المقد الفريد 7/104 .

(64) الجاحظ . البيان والتبيين 1/284 .

(65) قطرب . الأزمنة وتلبيات الجاهلية 24 .

(66) الصانع . عبد الإله . الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنيّة ص 273 .

بيضاء قرءاء وطفاء ، كحلاء دعجاء حوراء عيناء فنواء شماء ؛ برجاء زجاء ؛ أسيلة الخد ، شهية المقبل ، جثلة الشعر ، عظيمة الهامة ، بعيدة مهوى القُرط ؛ عبطاء ، عريضة الصدر ، كاعب ، ضخمة حشاش المنكب والعضد ، حسنة المعصم ؛ لطيفة الكفّ ، سبطة البنان ، ضامرة البطن ، خميسة الخصر ، غرثى الوشاح ؛ قطوف المشي ، مكساب الضحى ، سموع للسيد ، ليست بخنساء ولا سعفاء ، رقيقة الأنف عزيزة النفر ، لم تغذ في بؤس ؛ حبية رزينة ؛ حلية ركيئة ، كريمة الخال ، قد أحكمتها الأمور في الأدب ، صناع الكفّين قطيعة اللسان ؛ رهوة الصوت ساكنته ، تزين الولي وتشين القصي « (67) .

8 - قال مهلهل لقومه : « وقد أتت على حربكم أربعون ، وما لمتكم على ما كان من طلبكم بوثركم ؛ فلو مرّت هذه السّنون في رفاهية عيش لكانت تملّ من طولها ، فكيف وقد فني الحيان وثكلت الأمهات ، ويتمّ الأولاد ، وربّ نائحة لا تزال تصرخ في النواحي ؛ ودموع لا ترقأ ؛ وأجساد لا تدفن ؛ وسيوف مشهورة ؛ ورماح مشرعة ، وإن القوم سيرجعون إليكم غداً بمودّتهم ومواصلتهم ، وتتعطف الأرحام حتى تتواصلوا .. » (68) .

9 - شيخ يصف حاله : « يسبقني من أمامي ويدركني من خلفي ، وأذكر القديم وأنسى الحديث ، وأنعس في الملا ، وأسهر في الخلا ، وإذا قمت قربت الأرض مني ، وإذا قعدت تباعدت عني » (69) .

10 - رجل يصف النساء : « النساء أربع ؛ فمنهن معمع لها شيءها أجمع ، ومنهن تبع تضرّ ولا تنفع ، ومنهن صدع تفرّق ولا تجمع ، ومنهن غيث همع إذا وقع يبيلد أمرع » (70) .

(67) جاد المولى وأصحابه . أيام العرب في الجاهلية 200 .

(68) نفسه ص 164 .

(69) الجاحظ . البيان والتبيين 96/2 .

(70) ابن قتيبة . عيون الأخبار (كتاب النساء) 3/1 .

خصائص النثر الفني الجاهلي

ثمة دائماً خصائص تستنبط من النص الإبداعي بوصفه فعلاً استثنائياً ، تمحور حول الهمّين الدلالي والجمالي ، لتمييز جنسه ونوعه ، ولا يمكن افتراض جنس أدبي أو نوع دون خصائص . والنثر الفني على تعدّد أنواعه جنس متميّز بخصائصه ، وللدارس ملاحظة خصائص كلّ نوع مثل : الخطابة ، الأمثال ، سجع الكهّان ، المنافرة ، الحكاية ، الوصايا ... إلخ ، أو ملاحظة خصائص النثر الفني بعامّة ، وذلك يمثل المقترحات التي وصلنا إليها ، وكانت هيئة خصائص تميّز النثر الفني الجاهلي بعامّة :

1 - وحدة الموضوع : فالنص ينطلق من الموضوع إليه ، ليرسب في وجدان المتلقّي الجاهلي الصعب !! وصعوبة المتلقّي ناجمة عن روحه الفردي واضطراب نزوعاته وتناقص قدراته على الإصغاء ، كلما طال النص أو تشعبت أجزاؤه ، والنص النثري حريص تماماً على كسب انجياز المتلقّي لأطروحته ..

2 - قصر النص بشكل عام إذ لا تزيد الخطبة الطويلة أو الوصية المتشعبة أو السجع المتواصل مثلاً عن أربع صفحات (فولسكاب) ، وفي هذا دراية مناسبة لطبيعة الحياة الجاهلية ومشاغها ، وذلك لا يعني عدم وجود نصوص طويلة ، إذ لا بدّ من افتراض استمرار الحكاية من المساء إلى ساعات طويلة ، أو استمرار الخطبة في مناسبات معينة لوقت طويل وكذلك الشأن مع المنافرة ، لكن الاتجاه العام للنثر الفني هو الاختصار وقصر النص بسبب من طبيعته : النثر الفني الجاهلي ومتلقّيه .

3 - قصر الجملة داخل النص النثري ، وتماسك الوشائج بين أجزائها ، وقيامها على التّقابل والتضاد والسّجع وتناغم مخارج الحروف ، بغية شدّ انتباه المتلقّي المتميّز بالشّروء والنّفور ..

4 - الدعوة إلى الاعتبار بمصائر الأولين ، الذين سادوا وتجبروا ، ثم بادوا . فلبثت آثارهم تدلُّ عليهم ، وإن الأعمار مهما طالت فهي قصيرة ومستعارة ، والأيام مهما ابتسمت فهي غادرة ، لا يأمنها عاقل ، والغاية الأم من ذلك هو تحبيب القيم النبيلة (الأمانة ، الصدق ، الرحمة ، النظافة ..) فضلاً عن أن الإشارة إلى الأولين مما يشدُّ انتباه المتلقّي ، الذي يمرّ بآثارهم ويتجوّل فيها مبهوراً ..

5 - المبالغة في الوصف لإظهار الهمّ المركزي للنص ، فكلّ صغير يكبر ، وكل كبير يصغر من جهة تظهير المعالم الغاطسة واستثمار مرجعيات المتلقّي المحدودة واستنفار مواجهه وطموحاته ، والمتلقّي الجاهلي ميّال للمبالغة ؛ لأنّ ذائقته معتادة على أساليب الشعر ، ومنحازة إلى الشعر ، فولأوه للشعر ، ولن يعطبي شيئاً من ولأئه للنثر دون مسوّغات تقنعه ..

6 - تطريز النصّ النثري الفني بالشعر ، باعتداد الشعر الفنّ الأكثر سطوعاً وشيوعاً ، زد على هذا أن أكثر مبدعي النثر الفني هم شعراء أو نظّامون ماهرون ، مع وجود جاهزية لقوالب الشعر والنثر ، متداولة بين المبدعين ؛ والمتلقّي عنصر فاعل يسهم في إنتاج النصّ النثري ، وإذا كان الأمر كذلك ، فهو لا يغفر للنثر الذي يغفل دور الشعر في طيّ المنشور ، ونشر المطوي ، وشدّ أجزاء النصّ النثري إلى همومها المركزية .

7 - استثمار جاذبية الصورة الفنية لإيقاظ الذاكرة الجمالية للحواس ، فثمة ألوان وروائح وأنغام وذائقات ، والنصّ حريص على أن لا يقع في المألوف والمكرر ، والمنافسة بين مبدعي النثر شديدة ، والمبدع المنتصر المتفوّق هو المبدع الذي يمتد على مساحة واسعة من الجمهور ..

8 - ميل النصّ النثري إلى الإدهاش والإبهار ، من خلال الادّعاء بقراءة المجهول ، وكشف المستور ، والتعبير عن مشاغل الناس وما التقابل والتضاد ، والمفارقة والمعلومة

الجديدة ، والسجع ، وأسلوب الحكاية ، والاستعانة بالشعر أو الأساطير ، إلا رغبة أكيدة يخترنها النصُّ النثري لإدهاش المتلقي بعجائبية المعنى والشكل معاً ..

9 - ورود بعض تفصيلات البحور الصافية من نحو فاعلاتن الرمل ومستفعلن الرجز ومفاعيلن الهزج ...! ويلاحظ ذلك مثلاً في خطبة الإيادي (أيها الناس اسمعوا) (إنه من عاش مات) !!

وفي الأمثال من نحو : (وافق شنُّ طبقة) ، و (الصيف ضيَّعت اللبن) . وفي سجع الكهَّان والأمثلة كثيرة !! ونعلل هذه الظاهرة بطبيعة اللغة العربية ، فهي لغة إيقاع ، يبيث الانسجام في الجمل والكلمات والحروف والدلالات . حتى قيل : إن رجل الشارع لوناى بائع الفجل (يابائع الفجل أقبلي) فقد أتبع ميزان المجتث دون أن يتقصّد ذلك فضلاً عن أن بعض الأمثال المنثورة إنما هي صدور أو أعجاز من أبيات شعرية ، وقد ينسى البيت ، ويلبث المثل ، زد على ذلك التاريخ المشترك من حيث البدايات والنشأة بين الشعر والنثر .. ولا نحسب أن الذاكرة الشعبية التي أنتجت المثل كانت قد خططت لتفعيل (من التفعيلة) الفنون النثرية ، وإنما هي الجاهزية والقوالبية التي مرّت بنا في الحديث عن الشّافية .

مصادر الأدب الجاهلي ومراجعته

(تأصيل وإضاءات)

جريدة المصادر والمراجع

أولاً - مصادر الأدب الجاهلي ومراجعته (تأصيل وإضاءات) :

يتعذر على الدارس الإفادة المباشرة من دلالاتي (صدر) و (رجع) في المعجمات العربية وهو يؤصل المصدر والمرجع !! فالإبل مثلاً كانت ترد المياه في المورد والواردة ، ثم ترك الغدير أو النبع ، وتصدر عنه إلى موضع آخر !!.. وصدر الأمر صدرأ (سكون الدال) وصدوراً أي وقع وتقرر ، ونشأ وصد عن كذا أي استمد منه ؛ وصد عن الماء وعن البلاد من باب نصر وأصدره فصدر : أي رجعه فرجع ، والموضع مصدر ؛ ومنه مصادر الأفعال . والصدر أول كل شيء وأعلى مقدمه حتى إنهم ليقولون : صدر النهار والليل . قال الأعشى :

وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم

والصدر الطائفة من الشيء .

قال ابن الأعرابي : المَصْدَر برفع الميم وتشديد الصاد المنصوبة من الخيل هو السابق ! قال الطنيزلي الغنوي في فرسه :

كأنه بعدما صدرن من عرق سيد تَطَّر جنح الليل مبلول

والتصدير : حزام الرجل والهودج ، والصدر تقيض الورد والعجز ..
وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى يُصْدِرَ الرَّعَاءَ ﴾ [القصص : ٢٢/٢٨] ، معناه حتى يصدر الرعاء

إيلهم ، ثم حذف المفعول ، والصَدْرَ بالتحريك : رجوع المسافر من مقصده ، والشاربية من الورد ؛ وفي الأمثال : « ماله صادر ولا وارد » ، أي : ماله شيء . وطريق صادر معناه أنه يصدر بأهله عن الماء ، والصدور الانصراف عن الورد وعن كل أمر ، والصدر هو اليوم الرابع من أيام النحر لأن الناس يصدرون فيه عن مكة إلى أماكنهم ، صدروا عن المكان : رجعوا عنه ، وصدروا إلى المكان صاروا إليه⁽¹⁾ ، فادة صدر إذن تتمحور حول الأولية والعلو والانطلاق من !!..

أما مادة (رجع) فتعني الانصراف إلى ...!! قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴾ [العلق : ١٧٦] . أي الرجوع والمراجع ؛ والإرجاع العودة ، قوله تعالى : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ☆ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً ﴾ [المؤمنون : ٩٧/٢٣ - ١٠٠] ، أي رَدُّوني إلى الدنيا ؛ وترجيع الصوت ترديده ، ورجع (سكون الجيم) الواشمة خطها ، قال لبيد :
 أو رجع واشمة أسيفٍ نووُرُها كففا تعرّض فوقهن وشامها
 ويقال للإياب من السفر : سفر رجيع . وراجعه الكلام مراجعة ورجاعاً أي حاوره إياه ؛ والمراجعة المعاودة ؛ وكل شيء مردّد فهو رجيع !!

قال الأعشى :

وفلاة كأنها ظهر ترس ليس إلا الرجيع فيها علاق
 والرجاعة : الغدير يتردد فيه الماء ، والرجع محبس الماء والمطر أيضاً لأنه يتردد قوله تعالى : ﴿ والسّماء ذات الرّجّع ﴾ [الطّارق : ١١/٨٦] ، فادة رجع⁽²⁾ تفيد التردد على !!..؛ وموضع للماء يتردد عليه والعودة إلى ..

وهكذا يتضح من مادّتي (صدر ، رجع) أنها متقاربتان في المستوى الدلالي ، مع أن للمادة الواحدة انحرافات كثيرة عن تمحورها الدلالي ، وهذه الانحرافات لا تتضادّ مع الأسس !! فإذا كان الأمر كذلك من الاختلاط الدلالي ؛ فإن ثمة إشكالات أخرى

(1) اللسان (صدر) .

(2) نفسه (رجع) .

لحقت مفردتي (مصدر ، مرجع) على الصعيد الاصطلاحي ، وقد شكا كثير من الدارسين من هذا الخلط والتأهي والانزياح .. وقد أهل الأساتذة أحمد حسن الزيّات ومحمد علي النّجار وإبراهيم مصطفى وحامد عبد القادر مفردة (مصدر) في معجمهم الوسيط تماماً !! واكتفوا بالقول في (المرجع : ما يرجع إليه في علم أو أدب من عالم أو كتاب .. محدثة !!)⁽³⁾ .

والدكتور ناصر الدين الأسد لم يؤصّل مصطلح (مصادر) على الرغم من أنه عنوان كتابه ، ولم يشر في العنوان إلى المراجع ، فكأن (مصدر) تتضمّن (مرجع)⁽⁴⁾ !!
أما معجم المصطلحات العربية فقد تغافل عن (مرجع ، مصدر) كأنها مصطلحان غير مهمّين⁽⁵⁾ !!

وقد ابتدأ د . عز الدين إسماعيل (الباب الأول - في المصادر والمراجع) تأصيله بإيراد رأيين ، الأول لمحمد عجاج الخطيب اقتبسه من كتابه : (المكتبة والبحث والمصادر) ص 122 ، والآخر للطاهر أحمد مكي اقتبسه من كتابه : (دراسة في مصادر الأدب) ص 102 . ولم يشأ د . إسماعيل محاورة الرأيين ، واكتفى بالقول : « ومع أن الحدود بين المصدر والمرجع تبدو - على هذا النحو - واضحة وحاسمة ، فإن هناك حالات يصعب فيها تقرير ما إذا كان الكتاب مصدراً أم مرجعاً » .

ثم نتساءل كيف بدت الحدود بين المصدر والمرجع (واضحة وحاسمة) . وقد ألحق عبارته بقوله : « فكتب الطبقات ومعاجم اللغة تعدُّ عند علماء المكتبات من المراجع في حين تحتوي هذه الكتب على كثير من المادة الأصلية . فهل هي مراجع ومصادر في وقت واحد ؟ ومن جهة أخرى فإن كتاباً مثل شرح ديوان الحماسة الذي صنعه

(3) إبراهيم مصطفى وآخرون . المعجم الوسيط (رجع / صدر) ، طبعة دار الدعوة / تركيا .

(4) الأسد . مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية (م . س) .

(5) وهبة . مجدي وصاحبه . معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب (انظر حرفي الرّاء والصاد) .

أبو تمام ، وهو مادة أصلية ، وشرح المرزوقي ؛ وهو بمثابة تفسير لهذه المادة ، فهل يعدُّ هذا الكتاب مصدراً أم مرجعاً أم مصدراً ومرجعاً معاً ؟ ⁽⁶⁾ .

ويحسن في هذا المقام إيراد الرأيين اللذين اعتمد عليهما د . عز الدين إسماعيل ، وبني أحكامه مقارنة لها .

الرأي الأول للأستاذ محمد عجاج الخطيب (المصدر هو كل كتاب تناول موضوعاً وعالجه معالجة شاملة عميقة ، أو هو كل كتاب يبحث في علم من العلوم على وجه الشمول والتعمُّق ، بحيث يصبح أصلاً لا يمكن لباحث في ذلك العلم الاستغناء عنه ، كالجامع الصحيح للبخاري وصحيح مسلم ، هما أصلان ومصدران في الحديث النبوي ، بينما تعدُّ كتب الأحاديث المختارة ، كالأربعين النووية ، من المراجع في ذلك . وكتاب الكامل للمبرِّد ، وصبح الأعشى للقلقشندي ، فهي أصول ومصادر في الأدب ، وغيرها مما أخذ عنها مرجع . ومثل هذا نقول في تاريخ الطبري وسيرة ابن هشام ، كلها أصول ومصادر في بابها أو استمدُّ منها مرجع في بابها) ⁽⁷⁾ .

الرأي الآخر للأستاذ الطاهر أحمد مكي (فالمصدر أصدق ما يكون حين يطلق على الآثار التي تضمُّ نصوصاً أدبية ، شعراً أو نثراً ، لكتاب واحد أو مجموعة من الكتاب ، لشاعر فرد أو لطبقة من الشعراء أو لخليط من كتّاب وشعراء وخطباء ، رويت هذه الآثار شفاهاً أو دوّنت في كتب ، أو نقِشت على الأبنية ، ووصلتنا دون تعليق على النص أو تفسير له دون تهديد له أو تعليق عليه .. أما المرجع فهو يساعد على فهم النص الأدبي وتوضيحه وتفسيره وتقويمه) ⁽⁸⁾ . أما الدكتورة حكمت كشلي فقد صنعت

(6) إسماعيل . د . عز الدين . المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي ص 53 وبعدها .

(7) الخطيب . محمد عجاج . المكتبة والبحث والمصادر ص 122 نقلاً عن د . عز الدين إسماعيل . المصادر الأدبية واللغوية ص 53 .

(8) مكي . الطاهر أحمد . دراسة في مصادر الأدب ص 102 نقلاً عن د . عز الدين إسماعيل . المصادر الأدبية واللغوية ص 54 .

طلبتها ملزمة جعلت عنوانها : (المصادر الأدبية واللغوية) معتمدة على كتابها⁽⁹⁾ ،
وكتاب آخر هو : (المصادر الأدبية واللغوية) د . عز الدين إسماعيل ، ولم تشأ إبداء
رأي في مصطلحي (المصادر والمراجع) وهي الأستاذة القديرة ، وإنما أوكلت الأمر
للآراء التي أوردها د . عز الدين إسماعيل من خلال توليفه لآراء عدد من المختصين ،
وإنما يتحرّج المختصون من وضع حدود بين مصطلحي (مصدر ، مرجع) بسبب من
التداخل والاختلاط ..

ونحن لانزعم أننا سنحسم الأمر ، ونقول شيئاً قَصْرَ عنه سوانا أو أحجم ، فمثل هذا
الزعم بعيد تماماً عن المروءة العلمية التي وضعناها منهجاً لأعمالنا ، وحبراً لقلمنا ، وإنما
هي مقترحات نضعها بين يدي المصطلحين رغبة في تظهير الحدود ، وتمييز الوظائف
المصدر : المؤسسة الأم التي تتضمّن معلومات أساسية تتصل بشغل الباحث ، ونقول شغل
الباحث ، لنحترز بهذا القول ، فإذا اعتمد شغلك على كتاب ، فذلك هو مصدرك ، وقد
يكون مصدرك ثانوياً في شغل سواك ، فعندها لن يكون مصدرك مصدرراً له ..

والمصدر إما أن يكون كتاباً أو إجازة أو إملاء أو مخطوطة أو كاسيت فيديو ،
أو كاسيت ريكوردر ، أو دسك كمبيوتر ، أو صفحة في الأنترنت .. وهذه أهم سمات
المصدر التي نقترحها :

1 - أن يكون الكتاب الأمّ ذا المعلومات الرئيسة .

2 - أن يكون أقرب عهداً للشاعر أو النّاثر أو الحادثة أو الظاهرة .

3 - سعة المعلومات وعمقها وصدقها .

4 - أن يكون محور شغل الباحث أو الدارس .

(9) فواز . د . حكمت كشلي . لسان العرب لابن منظور ، دراسة وتحليل ونقد . طبعة دار الكتب
العلمية . بيروت .
فواز . د . حكمت كشلي . كتاب العين للخليل الفراهيدي دراسة معجمية لغوية ، طب دار الكتب
العلمية . بيروت .

فإذا أردنا دراسة امرئ القيس مثلاً .. فديوانه المصدر الأول وكتاب الأغاني المصدر الثاني ، وهذا الحال لا يختلف في دراسة بدر شاكر السياب مثلاً .. فالمصدر هو دواوينه الشعرية وكتاباتهِ ودراسة الدكتور إحسان عباس لبدر هي المصدر الثاني .

والمرجع : مؤسسة أقل أهمية من المصدر ، تتوفر على معلومات مساعدة تضيء عتات المصادر ، وتجاوز تعددية الآراء القديمة أو المحدثه في شأن من شؤون المصدر ، والمرجع قد يكون كتاباً مطبوعاً أو مخطوطه أو إجازة أو إملاء ، أو كاسيت فديو ، أو كاسيت ريكوردر ، أو دسك كمبيوتر ، أو صفحة في الأنترنت .

وإذا أردنا دراسة الأعشى الكبير مثلاً ، فديوانه مصدر ، وكتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير شرح ثعلب تحقيق رودولف حاير مصدر . أما كتابا : أساليب الصناعة في شعر الخمره والناقة بين الأعشى والجاهليين / د . محمد محمد حسين . وكتاب الأعشى الأكبر / فؤاد أفرام البستاني ، فهما مرجعان .. وإذا أردنا دراسة الشاعرة الرائدة فدواوينها وكتاباتها مصادر . أما كتاب د . عبد الرضا علي : نازك الملائكة الناقدة وكتاب د . بدوي طبانة : أدب المرأة العراقية في القرن العشرين ، وكتاب يوسف الصائغ : الشعر الحرّ في العراق منذ نشأته حتى (1958) فهي مراجع .. وربما انقلبت الآية .. فإذا كان الباحث مشتغلاً على منهج نازك الملائكة في قراءة النصّ الشعري فسيكون كتاب د . عبد الرضا علي مصدراً ، وإذا أردنا دراسة الشعر الحرّ في العراق فسيكون كتاب يوسف الصائغ مصدراً .. والأمر موكول كما رأينا بماهية الكتاب وصلته بموضوع البحث .

ثانياً - جريدة المصادر والمراجع (إشارات) :

1 - جلّ الجريدة هو مظانّ الأدب الجاهلي (الشعر والنثر) مصادرأ ومراجع وما تبقى ، وهو ضئيل كتب مساعدة وما الغرابة في ذلك ؟ فما بكتب الأدب الجاهلي وحدها يمكن دراسة الأدب الجاهلي !! فثمة كتب نافعة من نحو مقدمة في أدب العراق القديم وملحمة جلجامش والأدب السومري وكتب الإيقاع والأدب الحديث العراقي أو المصري أو اليمني أو أي قطر عربي آخر وكتب قراءة العقل والحضارة والأساطير .. هذه الكتب تبدو على السطح غير ذات صلة بالأدب الجاهلي ، بيد أنها تسهم في توضيح أمور جزئية للكاتب والقارئ معاً ، وتعمل على رسم المشهد العام لجهد الباحث وأمانته في ردّ الفضل إلى أهله ، ومن خلال المقايسة والموازنة والمجاورة والمحاورة يمكننا إضاءة عتات كثيرة ..

ثانياً : لم نعزل مظانّ الشعر عن مظانّ النثر ، لوجود التداخل الذي أشرنا إليه غير مرة في كتابنا هذا ، فكتاب البيان والتبيين (مثلاً) أطروحة مهمة في الشعر الجاهلي والنثر الجاهلي معاً !! وكذلك كتاب الأغاني ومجمع الأمثال والشواهد كثيرة ، والباحث المختصّ والقارئ المتوسطّ قادر على الفرز والعزل من خلال فهراس الموضوعات في الكتب والدوريات ، ومن خلال إحالاتنا التي تعقب المتن الشعري أو المتن النثري .

ثالثاً : ثمة تقليد جليل دأب عليه الدارسون وهو وضع رموز تكشف النقص في معلومة الكتاب مثل د : ت = دون تاريخ . د : مط = دون ذكر المطبعة . د : مك = دون ذكر اسم المكان وقائمة الرموز طويلة ، وقد حاولنا الاستغناء عن ذكر هذه الرموز وسواها مستندين إلى ذكاء القارئ ، فإذا لم نذكر التاريخ فذلك يعني أن الكتاب غفل من ذكر التاريخ ، وإذا لم نذكر اسم المطبعة أو الطبعة فهذا يعني أن الكتاب خال من ذكرها .. وما يقال عن ذلك يمكن أن يقال عن اسم المحقق أو المترجم أو الناشر .. فلا مسوّغ في رأينا إلى وضع هذه الرموز لتثقل الكتاب وتزيد من مساحة

الكتاب ، وشغلنا هو كتابة المتوفر من المعلومات فقط ، ونستصرخ من هذا المنبر المؤلفين والمحققين والناشرين وندعوهم إلى ذكر المعلومات الخاصة بالكتاب الصادر من اسم المطبعة أو دار النشر ، ومكان الطبع وتاريخه ورقم الطبعة أو أي معلومة تغني صحيفة المصادر والمراجع ، إن ظهور أي كتاب مطبوع دون ذكر اسم المطبعة والمكان والتاريخ يعني أول ما يعني أن إمكان الفائدة من المطبوع ضئيل حتى لا يكاد يرى !! فالبحث العلمي غير قادر على الاستفادة من الكتاب الذي أهمل هذه المعلومات المهمة !!

رابعاً : نحن ميّالون إلى الطريقة العربية في الإحالة وتوثيق الكتاب ! وهي ذكر اسم الكتاب ثم الكاتب فالمهم هو اسم الكتاب وليس الكاتب ، وإحالة منسرفة إلى الكتاب بوصفه خزانة معلومات ، وما الكاتب إلا تبع للكتاب ، بيد أننا مضطرون إلى كبح ميلنا انسجاماً مع التقليد العالمي في صناعة الكتاب ، وهو إيراد المعلومة الخاصة بالكاتب قبل الكتاب ، فنبتدئ بالشهرة أو اللقب ، أو الكنية ، ثم الاسم ، ثم الوفاة (إن كان الكاتب ميتاً) ثم اسم الكتاب ورقم الصفحة بعد الجزء (إن كان الكتاب أجزاءً) ، ثم الطبعة والتاريخ والمكان ، وهذا التقليد العالمي الذي اعتمده اليونسكو مقتبس من نظام مكتبة الكونغرس الأمريكي الشهيرة التي نعمت بمديرين ذوي شهرة عالمية من نحو الشاعر الأمريكي إرشيبالد مكليش صاحب : لاشيء يحدث / لأحد يجيء / ياللهول ؛ وإذا صنع الكتاب وفق هذا التقليد أمكن تخزينه في دسكات الكمبيوتر فضلاً عن إمكان حفظه في منظومة الأنترنت ، واخترنا الأرقام العربية (١ . ٢ . ٣ . ٤ ...) للسبب نفسه .

خامساً : لم نغزل الكتب القديمة عن الجديدة ، ولم نغزل الكتب المطبوعة عن الكتب المخطوطة ، بل لم نغزل الكتب عن المجلات والدوريات إتماماً للفائدة واستناداً إلى الفقرة (رابعاً) ، بل تمادينا إلى الحد الذي سمحنا فيه لأنفسنا بدمج الكتب العربية مع غير العربية ، فالكاتب (J. Monroe) وضعناه في حرف الجيم وفق هذا الترتيب

(جيه . مونرو) فجاء بعد الجندي ، والكاتبة (Giffen Lois Anita) وضعناها في حرف الجيم وفق هذا الترتيب جفن فجاءت بعد الجرجاني وقبل الجمحي .. فاقتضت الإشارة .

سادساً : يرد - أحياناً - اسم المؤلف ، ثم يجد القارئ تكرارنا لاسم الكتاب فيحار في الأمر !! والمسوّغ هو أن شغلنا يضطرنا إلى الاستفادة من طبعتين للكتاب الواحد ، أو تحقيقتين أو ترجمتين للعثور على الضّالة ؛ فكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني - مثلاً - خرج بعدة طبعات ونسخ وتحقيقات من نحو طبعة بولاق وطبعة الكتبخانة !! وقد اعتمدنا على هاتين الطبعتين لأسباب بحثية ، وكذا الحال مع كتاب البيان والتبيين للجاحظ !! أما الدواوين فحالتها لا يختلف عما ذكرنا ، ديوان عنتره الذي اشتغلنا عليه نسختان ؛ الأولى بتحقيق محمد سعيد مولوي والأخرى بتحقيق الأخوين كاتب .

ثالثاً - جريدة المصادر والمراجع (المظان) :

+ الإبيهي . شهاب الدين . محمد بن أحمد (ت 850 هـ) . المستطرف في كل فنّ مستطرف . طب دار مكتبة الحياة . بيروت .

+ ابن الأبرص . عبيد . ديوانه . تح حسين نصّار . مط مصطفى البابي - مصر - 1957 .

+ ابن أبي خازم . بشر . ديوانه . تح د . عزة حسن . مط محمود هاشم الكتبي . دمشق . 1972 .

+ ابن أبي سلمى . زهير . شرح ديوانه . صنعة ثعلب (ت 291 هـ) . طب الدار القومية - القاهرة . 1964 .

+ ابن أبي الصلت . أمية . أ - حياته وشعره . تح بهجت عبد الغفور . مط العاني . بغداد 1975 . ب - شرح ديوانه . تح سيف الدين كاتب وأحمد عصام كاتب . طب مكتبة الحياة - بيروت .

- + ابن أبي طالب . الإمام علي (رضي الله عنه) (ت 40 هـ) . نهج البلاغة . تح الشيخ محمد عبده . طب دار المعرفة . بيروت .
- + ابن الأثير . مجد الدين المبارك بن محمد (ت 606 هـ) . النهاية في غريب الحديث والأثر . تح طاهر الزاوي وصاحبه . طب إحياء الكتب العربية . مصر 1963 .
- + ابن الأجدابي . أبو إسحاق . إبراهيم بن إسماعيل (ت 650 هـ) . تح عزة حسن . مط دار سمير . دمشق 1964 .
- + ابن الأزرقي . نافع الحروري (ت 65) . سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس . تح إبراهيم السامرائي . مط المعارف . بغداد 1968 .
- + ابن إسماعيل . يوسف (ت 635 هـ) . عنتره بن شداد (سيرة شعبية) . طب دار الكتب الشعبية - بيروت 1981 .
- + ابن جعفر . أبو الفرج قدامة (ت 337 هـ) . نقد النثر (الكتاب منسوب إلى أبي عبد الله محمد بن أيوب) . طب المكتبة العلمية - بيروت 1980 .
- + ابن جنّي . أبو الفتح عثمان (392 هـ) . الخصائص . تح محمد علي النجار . طب دار الهدى - بيروت .
- + ابن حبيب . أبو جعفر محمد (ت 245 هـ) . المحبّر . تح د . إيلزة شتيتير . طب المكتب التجاري . بيروت .
- + ابن حجر . أوس . ديوانه . تح . د . محمد يوسف نجم . طب صادر - بيروت - 1960 .
- + ابن خلدون . أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ) - مقدمة ابن خلدون . طب مؤسسة الأعلمي - بيروت .
- + ابن خلّكان . أبو العباس أحمد بن محمد (ت 681 هـ) . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . تح . د . إحسان عباس . طب دار صادر - بيروت 1977 .
- + ابن زهير . قيس . شعره . صنعة عادل البياتي . مط الآداب . النجف 1972 .

- + ابن الشجري . أبو السعادات . هبة الله (ت 542 هـ) . مختارات ابن الشجري . تح محمد حسن زناقي . طب دار الكتب العلمية - بيروت 1980 .
- + ابن شداد . عنتره . أ - شرح ديوانه . تح سيف الدين الكاتب - أحمد عصام الكاتب . طب دار مكتبة الحياة - بيروت . ب - ديوانه . تح محمد سعيد مولوي . مط المكتب الإسلامي 1970 .
- + ابن الصّمة . دريد الجشمي . ديوانه . تح محمد خير البقاعي . طب دار قتيبة . دمشق 1981 .
- + ابن الطفيل . عامر . ديوانه . تح كرم البستاني . طب دار صادر - بيروت 1963 .
- + ابن عاديء . السموءل . أ - ديوانه . تح الشيخ محمد حسن آل ياسين . مط المعارف - بغداد 1955 . ب - ديوانا عروة بن الورد والسموئل . تق كرم البستاني . طب دار صادر - بيروت .
- + ابن عبدة . علقمة الفحل . شرح ديوانه للأعلم الشنترى . تح د . جنا نصر . طب دار الكتاب العربي - بيروت 1993 .
- + ابن العبد . طرفه . أ - ديوانه . تح درية الخطيب ولطفي الصّقال . طب مجمع اللغة العربية - دمشق 1975 . ب - ديوانه : تق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب . طب دار مكتبة الحياة - بيروت .
- + ابن عبد ربه . أحمد بن محمد (ت 328 هـ) . العقد الفريد . تح محمد سعيد العريان . طب دار الفكر .
- + ابن علي . حسن . الشاعر العراقي عبد الإله الصائغ يقول : طه حسين اعتسف الشعر الجاهلي - مقابلة منشورة في جريدة الأخبار التونسية يوم 1992/1/11 .
- + ابن قتيبة . أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276 هـ) .
- 1 - الشعر والشعراء . طب دار إحياء العلوم - بيروت 1987 .
- 2 - المعارف . تح د . ثروت عكاشة . مط دار المعارف - مصر 1969 .

- 3 - عيون الأخبار . طب المؤسسة المصرية للتأليف . القاهرة 1963 .
- 4 - الأنواء في مواسم العرب . طب حيدرآباد الدكن في الهند . 1956 .
- + ابن الكلبي . أبو المنذر هشام بن محمد السائب (ت 204 هـ) .
أ - الأصنام . تح أحمد زكي . طب الدار القومية . مصر 1965 .
ب - أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها . تح أحمد زكي (نسخة مصورة
عن طبعة دار الكتب) . طب الدار القومية للطباعة . مصر 1965 .
- + ابن مرداس . العباس . ديوانه . تح يحيى الجبوري . طب بغداد 1968 .
- + ابن مقبل . تميم . ديوانه . تح د . عزة حسن . طب إحياء التراث . دمشق 1962 .
- + ابن النديم . أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت 385 هـ) . الفهرست . تح الشيخ
إبراهيم رمضان . طب دار المعرفة . بيروت 1997 .
- + ابن منظور . أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711 هـ) . لسان العرب .
طب ثالثة - دار صادر - بيروت 1994 .
- + ابن منقذ . أسامة (ت 284 هـ) . لباب الآداب . طب دار الكتب العلمية - بيروت
1980 .
- + ابن الورد . عروة .
أ - ديوانه . تح عبد المعين الملوحي . طب وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،
دمشق ، 1966 .
ب - ديوانا عروة والسموئل . تق كرم البستاني . طب دار صادر بيروت .
- + ابن يعمر لقيط . ديوانه . تح د . عبد المعين خان . طب مؤسسة الرسالة -
بيروت - 1987 .
- + أبو ريان . د . محمد علي . تاريخ الفكر الفلسفي .
+ أبو شريفة . د . عبد القادر حسين وحسين لافي قزق . مدخل إلى تحليل النص
الأدبي . طب دار الفكر - عمان - 1963 .

- + أبو العلا . محمود طه . جغرافية شبه الجزيرة العربية . طب القاهرة - 1956 .
- + أحمد . د . إمام إبراهيم . تاريخ الفلك عند العرب . مط دار القلم - مصر - 1960 .
- أدونيس . ديوان الشعر العربي . طب المكتبة العصرية - بيروت - 1964 .
- + الإرياني . مطهر علي . نقوش مسندية وتعليقات . طب مركز الدراسات والبحوث
اليمني 1990 .
- + الأزرقى . أبو الوليد . محمد بن عبد الله (ت 250 هـ) . أخبار مكة وما جاء فيها
من الآثار . طب دار الأندلس - بيروت 1969 .
- + الأسد . د . ناصر الدين . مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية . طب دار الجليل .
بيروت 1988 .
- + الأصبهاني . أبو الفرج . علي بن الحسين (ت 356) .
- أ - الأغاني . طب روائع التراث - بيروت 1970 . (بولاق) . 20 جزءاً .
- ب - الأغاني . طب مؤسسة عز الدين - بيروت (كتبخانة) .
- + اصطيف . عبد النبي . نظرة في تحديث الأجناس الأدبية . مجلة الناقد . لندن .
العدد الثامن . شباط - فبروري 1989 - السنة الأولى .
- + الأصمعي . أبو سعيد . عبد الملك بن قريب (ت 216 هـ) . الأصبغيات . تح أحمد
محمد شاکر وعبد السلام هارون . طب دار المعارف . مصر 1964 .
- + الأعشى (ميمون بن قيس) . ديوانه . تح د . محمد محمد حسين . طب دار النهضة
العربية . بيروت 1974 .
- + أليوت . ت . س . الأرض اليباب (الشاعر والقصيدية) . تر . د . عبد الواحد
لؤلؤة . طب المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت 1995 .
- + امرؤ القيس . ديوانه . تح محمد أبو الفضل إبراهيم . طب دار المعارف . مصر 1969 .
- + أمين . أحمد . ضحى الإسلام . طب لجنة التأليف . القاهرة 1964 .
- + الأنباري . أبو بكر . محمد بن القاسم (ت 338 هـ) ، شرح القصائد السبع الطوال
الجاهليات . تح . عبد السلام هارون . طب دار المعارف مصر .

- + بافقيه . محمد عبد القادر . تاريخ الين القديم . المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
بيروت 1985 .
- + باقر . طه :
- أ - ملحمة جلجامش (تروتنق) . طب دار الحرية - بغداد 1980 .
- ب - مقدمة في أدب العراق القديم . طب دار الحرية - بغداد 1976 .
- + البحري . أبو عبادة . الوليد بن عبيد (ت 284 هـ) . الحماسة . تح لويس شيخو .
طب دار الكتاب العربي - بيروت 1967 .
- + البخاري . محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ) . صحيح البخاري 54/5 . طب دار
إحياء التراث العربي - بيروت .
- + بدوي . د . عبده . الشعراء السّود وخصائصهم في الشعر العربي . طب الهيئة
المصرية . القاهرة 1973 .
- + بريل . ليفي . العقلية البدائية . ترد . محمد القصاص . طب مكتب مصر -
القاهرة .
- + البستاني . بطرس (ت 1969 م) . الشعر الجاهلي . طب دار المعلم . بيروت
1965 .
- + البستاني . فؤاد إفرام .
- أ - دائرة المعارف . مط الأدبية - بيروت 1887 .
- ب - الشعر الجاهلي . مط الكاثوليكية - بيروت 1958 .
- + البصري . صدر الدين علي بن أبي الفرج (ت 629 هـ) . الحماسة البصرية . تح
مختار الدين أحمد . طب عالم الكتب - بيروت 1983 .
- + البطل . د . علي . الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري . طب
دار الأندلس 1980 .
- + البطليوسي . أبو بكر . عاصم بن أيوب (ت 494 هـ) . شرح الأشعار الستة
الجاهلية . تح ناصيف عواده . مط دار الحرية - بغداد 1979 .

+ البغدادي . عبد القاهر بن عمر (ت 1093 هـ) . خزانة الأدب ولب لباب لسان
العرب . تح عبد السلام . محمد هارون . طب دار الكتاب العربي - القاهرة
. 1967 .

+ البغدادي . محمد بن المبارك (ت 589 هـ) . قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب
من أشعار العرب . تح . حاتم صالح الضامن . طب مؤسسة الرسالة - بيروت -
. 1983 .

+ البقاعي . د . شفيق . الأنواع الأدبية مذاهب ومدارس . طب مؤسسة عز الدين .
بيروت 1985 .

+ بكر . د . منذر . مساهمة العرب في التراث اليوناني قبل الإسلام . مجلة المورد
العراقية . مجلد 8 . عدد 2 . سنة 1979 .

+ البلاذري . أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279 هـ) . فتوح البلدان . طب مكتبة
مصر 1956 .

+ بلاشير . د . ريجس . تاريخ الأدب العربي . تر . د . إبراهيم الكيلاني . طب
دار الفكر - دمشق 1984 .

+ بنت بدر . الخرنق . ديوانها . تح يسري عبد الغني . طب دار الكتب العلمية .
بيروت 1990 .

+ البهيتي . نجيب محمد . المعلقات (سيرة وتاريخاً) . طب دار الثقافة . الدار
البيضاء . المغرب 1982 .

+ بروكلن . كارل . تاريخ الأدب العربي . ترد . عبد الجبار النجار . طب دار
المعارف بمصر 1977 .

+ البياتي . د . عادل .

أ - شعر الأحناف دراسة وتحليل . مجلة آداب المستنصرية - بغداد - عدد 5 -
سنة 1980 .

- ب - تحديد مصطلح الجاهلية والأُمّية في التراث العربي والإسلامي . مجلة كُلية الآداب . جامعة بغداد . عدد 27 . سنة أولى 1979 .
- + تأبّط شراً . ديوانه . تح علي ذو الفقار شاكر . طب دار الغرب الإسلامي - بيروت 1984 .
- + التبريزي . أبو زكرياء . يحيى بن علي (ت 502 هـ) .
- أ - شرح القصائد العشر . تح . د . فخر الدين قباوة . طب المكتبة العربية - حلب 1973 .
- ب - ديوان الحماسة . طب بولاق (1296 هـ) . تح محمد محي الدين عبد الحميد . مط حجازي - مصر 1938 .
- + التهانوي . محمد علي بن علي . كشف اصطلاحات الفنون . طب شركة خياط - بيروت .
- + تيفم . ب . فان . الأدب المقارن . تعريب سامي الحسامي . طب المكتبة العصرية - بيروت .
- + الثعالبي . أبو منصور . عبد الملك بن محمد (ت 429 هـ) . التمثيل والمحاضرة . تح عبد الفتاح الحلو . طب دار إحياء الكتب - القاهرة 1961 .
- + ثعلب . أحمد بن يحيى (ت 291 هـ) . مجالس العلماء . تح عبد السلام هارون . طب دار المعارف - مصر 1369 .
- + الجاحظ . أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ) .
- 1 - البيان والتبيين . تح حسن السندوي . طب دار إحياء العلوم - بيروت 1993 .
- 2 - الحيوان . تح عبد السلام هارون . طب مصر 1938 .
- الحيوان . تح فوزي عطوي - بيروت 1968 .
- + الجادر . د . محمد . شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين . طب دار الرسالة - بغداد 1979 .

- + جاد المولى . محمد أحمد وعلي البحايي ومحمد أبو الفضل إبراهيم . أيام العرب في الجاهلية . طب المكتبة العصرية . صيدا - بيروت .
- + الجبايي . محمد فتاح عبد . الموثبات في الشعر العربي قبل الإسلام . رسالة ماجستير - كلية الآداب . جامعة بغداد 1981 .
- + الجبوري . د . يحيى .
- 1 - حركة الأحناف في الجاهلية . مجلة المعارف . عدد 9 ، أيلول سبتمبر 1962 .
- 2 - الإسلام والشعر . طب بغداد 1964 .
- 3 - الشعر الجاهلي وخصائصه وفنونه . طب جامعة قار يونس - بنغازي - ليبيا 1993 .
- + الجرجاني . عبد القاهر . (ت 471 هـ) . دلائل الإعجاز . تح محمد رضوان الداية وصاحبه . طب مكتبة سعد الدين - دمشق 1987 .
- GIFFEN. LOIS. ANITA. THEORY OF PROFANE LOVE AMONG THE ARABS. THE DEVELOPMENT OF THE GENRE. NEW YORK. UNIVERSITY. PRESS. ND.**
- + الجمحي . أبو عبد الله . محمد بن سلام (ت 232 هـ) . طبقات الشعراء . تح د . عمر فاروق الطباع . طب دار الأرقم - بيروت 1997 .
- + الجندي . د . عبد الحميد سند . زهير بن أبي سلمى شاعر السلم في الجاهلية . طب الدار القومية . القاهرة .
- + الجودي . شاكر . الإمامة بالرجز في الجاهلية . مط العاني - بغداد 1966 .
- + الجوزو . د . مصطفى . نظريات الشعر عند العرب - الجاهلية والعصور الإسلامية . طب دار الطليعة - بيروت 1981 .
- + جياووك . د . مصطفى عبد اللطيف . الحياة الموت في الشعر الجاهلي . مط دار الحرية بغداد 1977 .

J. MONROE. ORAL COMPOSITION IN PRE-ISLAMIC
POETRY. JOURNAL OF ARABIC LITERATURE. VOL. III.
1972. BRILL-LEIDEN.

- + الحاج حسن . د . حسين . أدب العرب في عصر الجاهلية . طب المؤسسة الجامعية
للدراسات - بيروت 1984 .
- + حتي . فيليب وآخرون .
- 1 - تاريخ العرب . طب دار غندور - بيروت 1974 .
- 2 - العرب تاريخ موجز . طب دار العلم للملايين - بيروت 1946 .
- + حرب . حمدي مصطفى . قصة الزمن . مط الثقافية - مصر 1970 .
- + حسنين . د . سيد حنفي . الشعر الجاهلي . مراحل وأتجاهاته الفنية . مط
الثقافية - مصر 1971 .
- + حسين . د . طه .
- 1 - في الشعر الجاهلي . طب دار المعارف - سوسة - تونس 1997 . مصورة عن
دار الكتب المصرية .
- 2 - في الأدب الجاهلي . طب دار المعارف - مصر 1927 .
- + الخطيئة . ديوانه . شرح ابن السكيت والسجستاني . تح نعمان أمين طه . مط
مصطفى البابي الحلبي 1958 .
- + حفي . د . عبد الحليم . شعر الصعاليك منهجه وخصائصه . طب الهيئة المصرية
العامة للكتاب 1987 .
- + المحوي . ياقوت . شهاب الدين أبو عبد الله (ت 626 هـ) . معجم البلدان . طب
إحياء التراث العربي - بيروت 1997 .
- + الحوت . محمود سليم . في طريق الميتالوجيا عند العرب . طب مؤسسة خليفة -
بيروت 1979 .

- + الحوراني . يوسف . البنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم . طب دار النهار - بيروت 1978 .
- + الحوفي . د . أحمد .
- 1 - أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي . مط الرسالة - مصر 1958 .
- 2 - الحياة العربية من الشعر الجاهلي . طب الهيئة المصرية العامة - القاهرة 1972 .
- + خليف . د . يوسف . الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي . مط دار المعارف - مصر - 1959 .
- + الخنساء . ديوانها . تح عبد السلام الحوفي . طب دار الكتب العلمية - بيروت .
- + الذبّاغ . سالم . أدب المعدمين في كتب الأولين . مط اللواء - بغداد 1971 .
- + الدُميري . كمال الدين محمد بن عيسى (ت 808 هـ) . حياة الحيوان الكبرى . طب دار الألباب .
- 2 - الهجاء والهجّاءون في الجاهلية . طب دار النهضة - بيروت 1970 .
- + مرتاض . د . عبد الملك . شعرية القصيدة قصيدة القراءة . طب دار المنتخب العربي . بيروت 1994 .
- + المرتضى . الشريف علي بن الحسين العلوي (ت 436 هـ) . أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) . تخ محمد أبو الفضل إبراهيم . طب دار الكتاب العربي . بيروت 1967 .
- + المرزباني . أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت 384) .
- 1 - الموشح في مأخذ العلماء على الأدباء . تح علي محمد البجاوي . طب لجنة البيان العربي 1965 .
- 2 - أشعار النساء . تح سامي مكّي العاني وهلال ناجي . مط دار الرسالة - بغداد 1976 .

- + المرزوقي . أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت 421 هـ) .
- 1 - الأزمنة والأمكنة . طب مجلس دائرة المعارف - الهند - حيدرآباد الدكن 1332 هـ .
- 2 - شرح ديوان الحماسة . تح أحمد أمين وعبد السلام هارون . طب لجنة التأليف والنشر . القاهرة 1967 .
- + المسعودي . أبو الحسن علي بن الحسين (ت 306 هـ) . مروج الذهب . تح محمد محي الدين عبد الحميد . مط السعادة . مصر 1964 .
- + مطلوب . د . أحمد . معجم المصطلحات البلاغية وتطورها . طب مكتبة لبنان ناشرون . بيروت 1996 .
- + المعري . أبو العلاء أحمد بن عبد الله (ت 449 هـ) . رسالة الغفران . طب دار الكتب العلمية - بيروت 1990 .
- + المقال . د . عبد العزيز .
- أ - مقدمة (انظر مطهر علي . نقوش مسندية وتعليقات) .
- ب - البحث عن طفولة بلقيس في قرية سحر . جريدة الثورة اليمنية 1998/11/24 .
- ج - أصوات من الزمن الجديد (دراسة في الأدب العربي المعاصر) . طب دار العودة - بيروت 1980 .
- د - البدايات الجنوبية . طب دار الحدائث - بيروت 1986 .
- + المقتطف . مجلة مصرية . عدد مارس 1933 .
- + الملوحي . عبد المعين . المنصفات . جمع وتحقيق . طب دمشق 1967 .
- + مليطان . عبد الله سالم . التفكير الأسطوري في الإسرائيليات . طب دار مداد ليبيا 1998 .
- + المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس 1986 .

- + مهران . د . محمد ييومي . دراسات في تاريخ العرب القديم . طب دار المعرفة الجامعية - مصر 1993 .
- + الميداني . أبو الفضل أحمد بن محمد (ت 518 هـ) . مجمع الأمثال . ضبط وتعليق سعيد محمد اللحام . طب دار الفكر ودار نوبليس - بيروت 1992 .
- + الميني . عبد العزيز الراجاكوتي . الطرائف الأدبية (شعر الأفوه الأودي والشنفرى وتسع قصائد نادرة) . طب دار الكتب العلمية - بيروت .
- + هارون . عبد السلام محمد . تهذيب سيرة ابن هشام . طب مكتبة السنة - مصر 1989 .
- + الهاشمي . د . علي . المرأة في الشعر الجاهلي . مط المعارف . بغداد 1960 .
- + الهمداني . لسان الين . الحسن بن أحمد (ت 334 هـ) . صفة جزيرة العرب . تح محمد بن الأكوع . طب مكتبة الإرشاد - صنعاء 1990 .
- + الذبياني . النابغة . ديوانه . تح عباس عبد الساتر . طب دار الفكر العلمية - بيروت 1984 .
- + الرازي . أبو حاتم . أحمد بن حمدان (ت 322 هـ) . كتاب الزينة . تح حسين الهمداني الحرزي . طب مركز الدراسات والبحوث اليمني . صنعاء 1994 .
- + رومية . وهب . الرحلة في القصيدة الجاهلية . طب اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين 1975 .
- + الزبيدي . عمرو بن معديكرب . ديوانه . تح هاشم الطعان . طب بغداد 1970 .
- + الزجاجي . أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت 339 هـ) . مجالس العلماء . تح عبد السلام هارون . مط المدني - مصر 1983 .
- + زكي . د . أحمد كمال . شعر المهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي . طب دار الكاتب العربي - القاهرة 1969 .
- + الزمخشري . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت 538 هـ) . أساس البلاغة . تح عبد الرحيم محمود . طب دار المعرفة - بيروت .

- + الزوزني . أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت 486 هـ) . طب دار الحكمة . دمشق . 1980 .
- + زيدان . جرجي . تاريخ آداب اللغة العربية . طب دار الهلال - مصر .
- + السامرائي . د . عبد الله سلوم . الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية . طب دار الحرية - بغداد 1980 .
- + سبينوزا . رسالة في اللاهوت والسياسة . تر . د . حسن حنفي . طب الهيئة المصرية للتأليف 1971 .
- + السجستاني . أبو حاتم سهل بن محمد (ت 255 هـ) .
- 1 - سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي . تح . د . عبود أبو جري . طب المكتبة الثقافية الدينية 1994 .
- 2 - المعمرن والوصايا . تح عبد المنعم عامر . طب إحياء الكتب - القاهرة 1961 .
- + السدوسي . أبو فيد . مؤرج بن عمرو (ت 195 هـ) . الأمثال . تح د . رمضان عبد التّواب . مط الثقافية - مصر 1971 .
- + السندي . حسن . أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام . مط الاستقامة - القاهرة 1959 .
- + السهيلي . عبد الرحمن بن عبد الله (ت 581 هـ) . الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام . تح عبد الرحمن الوكيل . حلب دار النصر . مصر 1970 .
- + سوسة . د . أحمد . حضارة العرب ومراحل تطورها . طب دار الحرية بغداد 1979 .
- + السيوطي . جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين (ت 911 هـ) .
- 1 - تاريخ الخلفاء . تح قاسم الرفاعي ومحمد العثماني . طب دار الأرقم . بيروت .
- 2 - المزهر . تح محمد جاد المولى وصاحبيه . طب دار إحياء الكتب - مصر .

- 3 - الوسائل إلى مسامرة الأوائل . تح د . أسعد طلس . مط النجاح - بغداد
1950 .
- + الشايب . أحمد . تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني . مط السعادة .
مصر 1976 .
- + الشرجبي . عبد السلام . من شريط ذكريات التاريخ العربي . جريدة الجمهورية
البنية . الخميس 1998/12/31 .
- + الشنتري . يوسف بن سليمان بن عبس (ت 476 هـ) . أشعار الشعراء الستة
الجاهليين . تح محمد عبد المنعم خفاجي . طب المشهد الحسيني - القاهرة 1963 .
- + الشنتقراطي . أحمد بن الأمين (ت 331 هـ) . المعلقات العشر وأخبار شعرائها .
طب دار الكتب العلمية - بيروت 1997 .
- + الشهرستاني . أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548 هـ) . الملل والنحل . تح محمد
سيد كيلاني . طب دار المعرفة - بيروت 1975 .
- + شيخو . الأب لويس اليسوعي (ت 1927 م) . النصرانية وأدائها بين عرب
الجاهلية . طب المكتبة اليسوعية - بيروت 1933 .
- + الصائغ . د . عبد الإله .
- 1 - الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنيّة (الحدائثة وتحليل النص) . طب
المركز الثقافي العربي - بيروت 1999 .
- 2 - الخطاب الإبداعى الجاهلي والصورة الفنيّة (القدامة وتحليل النص) . طب
المركز الثقافي العربي . بيروت 1997 .
- 3 - الصورة الفنيّة معياراً نقدياً . طب دار الشؤون الثقافية - بغداد 1987 .
- 4 - الإبداع العربي الجاهلي بين الواقع والتوقع . طب الموسوعة الصغيرة - بغداد
1988 .
- 5 - الفتوة العربية رؤية جديدة . جريدة الجمهورية - بغداد 1985/8/23 .

- 6 - صحيفة لقيط (تحليل النص) . مجلة الطليعة الأدبية - بغداد . شباط
فبراير 1979 .
- 7 - الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام . طب كويت تايمس - الكويت
1982 .
- 8 - ربعة الكناني حمى قومه حياً وميتاً . جريدة القادسية - بغداد
1981/5/30 .
- + الصائغ . يوسف . الشعر الحرفي العراق منذ نشأته حتى عام 1958 . مط الأديب
البغدادية 1978 .
- + الصكر . د . حاتم . مرايا نرسييس . طب المؤسسة الجامعية للدراسات - بيروت
1999 .
- + الضبّي . المفضل محمد بن يعلى الكوفي (ت 178 هـ) . المفضليات . تح أحمد محمد
شاكر وعبد السلام هارون . طب دار المعارف - مصر 1992 .
- + الضبعي . المتلمس . ديوان شعره . تح حسن كامل الصيرفي . طب معهد المخطوطات
العربية - القاهرة 1968 .
- + ضيف . د . شوقي . العصر الجاهلي . طب دار المعارف - مصر 1960 .
- + الطائي . حاتم . ديوانه وأخباره . تح د . عادل سليمان جمال . مط المدني .
القاهرة .
- + طبانة . د . بدوي . معلقات العرب . طب الرسالة - مصر 1958 .
- + العاكوب . د . عيسى علي . التفكير النقدي عند العرب . طب دار الفكر - دمشق
1997 .
- + العامري . لبيد بن ربعة . ديوانه . طب دار صادر - بيروت .
- + عبد الباقي . محمد فؤاد . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . طب دار الكتب
المصرية 1945 .

- + عبد الله . د . يوسف محمد . ترنيمه الشمس (نقش القصيدة الحميرية صورة من الأدب في اليمن القديمة) . طب مركز الدراسات والبحوث اليمني . صنعاء 1989 .
- + عبود . د . عبدة . الأدب المقارن مدخل نظري ودراسات تطبيقية . طب مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية . سورية 1992 .
- + عثمان . د . أحمد . الأدب اللاتيني ودوره الحضاري . طب عالم المعرفة - الكويت 1989 .
- + عصفور . د . جابر . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي . طب دار الثقافة - مصر 1974 .
- + العقاد . عباس محمود . الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين . طب دار القلم - مصر .
- + العكبري . أبو البقاء . عبد الله بن الحسين (ت 616 هـ) . شرح لامية العرب . تح د . محمد الحلواني . طب دار الآفاق الجديدة - بيروت 1983 .
- + العلوي . محمد أحمد بن طباطبا . (ت 322) . عيار الشعر . تح عباس عبد الساتر . طب دار الكتب العلمية . بيروت 1982 .
- + علي . د . جواد . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام . طب دار العلم للملايين . بيروت 1971 .
- + علي . د . عبد الرضا .
- أ - نازك الملائكة الناقدة . طب المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت 1995 .
- ب - موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه . طب دار الشروق . عمان 1997 .
- + علي . د . فاضل عبد الواحد . عشتار ومأساة تموز . مط الجمهورية . بغداد . 1973 .

- + عنتره .
- 1 - ديوانه . تح محمد سعيد مولوي . مط المكتب الإسلامي 1970 .
- 2 - شرح ديوانه . تح سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب . طب دار مكتبة الحياة . بيروت .
- + الغدامي . د . عبد الله . القصيدة والنص المضاد . طب المركز الثقافي العربي . بيروت 1994 .
- + غريب . جورج . شاعرات العرب في الجاهلية . طب دار الثقافة . بيروت 1984 .
- + فادي . ج . ك . الفزل عند العرب . تر . د . إبراهيم الكيلاني . طب وزارة الثقافة . دمشق 1979 .
- + فاضل . عبد الحق . تاريخهم من لغتهم . طب دار الحرية . بغداد 1977 .
- + فخر الدين . جودت . الإيقاع والزمان . طب دار المناهل ودار الحرف العربي - بيروت 1995 .
- + الفرزدق . (ت 110 هـ) ديوانه . شرح علي فاعور . طب دار الكتب العلمية . بيروت 1987 .
- + فريزر . سيرجيس . (ت 1941 م) . الغصن الذهبي (The Golden Bough) . تر . أحمد أبو زيد وآخرين . مط الثقافية . مصر 1971 .
- + القرشي . أبو زيد بن الخطاب (من رجال القرن 3 هـ) . جمهرة أشعار العرب . طب دار صادر . بيروت .
- + القزويني . زكرياء بن محمد (ت 682) . آثار البلاد وأخبار العباد . طب دار صادر . بيروت .
- + القشيري . أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري . (ت 261 هـ) . صحيح مسلم . تح محمد فؤاد عبد الباقي . طب إحياء التراث العربي . بيروت .
- + قطرب . محمد بن المستنير (ت 206) . الأزمنة وتلبيات الجاهلية . تح . د . حنا جميل حداد . طب مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن 1985 .

+ القيرواني . أبو علي الحسين بن رشيق (ت 456) . العمدة في محاسن الشعر وآدابه
وتقده . تح محمد محي الدين عبد الحميد . طب دار الجليل . بيروت 1972 م .
+ القيسي . د . نوري .

1 - الفروسية في الشعر الجاهلي . طب دار التضامن . بغداد 1964 م .
2 - وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية . طب دار الكتاب . جامعة الموصل
1974 م .

+ القيسي . د . نوري ود . عادل البياتي ود . مصطفى عبد اللطيف . تاريخ الأدب
العربي قبل الإسلام . طب دار الحرية . بغداد 1979 م .
+ كحالة . عمر رضا .

1 - أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام . مط الهاشمية . دمشق 1959 م .
2 - الأدب العربي في الجاهلية والإسلام . مط التعاونية . دمشق 1972 م .
+ كشي فواز . د . حكمت .

1 - كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي . طب دار الكتب العلمية . بيروت
1996 م .
2 - لسان العرب لابن منظور دراسة وتحليل ونقد . طب دار الكتب العلمية .
بيروت 1996 م .

+ اللامي . د . جبار عباس . شعر المرأة في العصر الجاهلي . طب مركز عبادي
للدراسات والنشر . صنعاء 1998 م .

+ لوبون . غوستاف . حضارة العرب . تر عادل زعتير . طب إحياء التراث . بيروت
1979 م .

LODGE. DIVID. 20 TH CENTURY LITERARY
CRITICISIM (LONG-MAN) GROUP LIMITED. LONDON
1972.

- + مارجليوث . أصول الشعر العربي . تر . د . يحيى الجبوري . طب مؤسسة الرسالة
1978 . بيروت .
- + المبرد . أبو العباس . محمد بن يزيد (ت 285) . الكامل . طب دار المعارف .
بيروت 1985 م .
- + المجدوب . د . عبد الله الطيب . المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها . طب دار
الفكر . بيروت 1970 م .
- + محمد حسين . د . محمد .
1 - أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة بين الأعشى والجاهليين . طب دار نشر
الثقافة 1960 م .

الدكتور عبد الإله الصائغ المؤلفات المطبوعة

أ (كتب تحليل النصّ (نقد وبلاغة) :

- 1 (الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام . الطبعة الأولى - مطبعة كويت تاييس - الكويت - 1982 - الطبعة الثانية - دار الشؤون الثقافية - بغداد 1986 م - الطبعة الثالثة - دار عصمي - القاهرة 1996 م .
- 2 (الصورة الفنيّة في شعر الشريف الرّضي (خطاب البلاغة وبلاغة الخطاب) طبعة دار الشؤون الثقافية - بغداد 1984 م .
- 3 (الصورة الفنيّة معياراً تقديماً - الطبعة الأولى - دار الشؤون الثقافية - بغداد 1987 م - الطبعة الثانية - هيئة النشر المشترك - القاهرة - 1988 م - الطبعة الثالثة - طبعة دار عصمي - القاهرة - 1996 م .
- 4 (الإبداع الأدبي العربي بين الواقع والتوقع - طبعة الموسوعة الصغيرة - بغداد - 1988 م .
- 5 (الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنيّة (القدامة وتحايل النصّ) - طبعة المركز الثقافي العربي - بيروت - كازابلانكا - 1997 .
- 6 (الخطاب الشعري الحدائوي والصورة الفنيّة (الحدائو وتحليل النصّ) - طبعة المركز الثقافي العربي - بيروت - كازابلانكا - 1998 م .
- 7 (إشكالية القصة وآلية الرواية - طبعة دار النخلة - طرابلس - ليبيا - 1998 م .
- 8 (بكائيات على مقام العشق النزاري (بالاشتراك مع الدكتور سعدون السويح) - طبعة مكتبة طرابلس العالية - ليبيا 1998 .

ب (الكتب الإبداعية :

- 1 - ديوان (عودة الطيور المهاجرة) - طبعة الغري - النجف - العراق - 1970 م .
- 2 - قصص أطفال (حالم بابلي) - طبعة دار المعري - بغداد - العراق - 1974 م .

- 3 - ديوان (هاكم فرح الدماء) - طبعة دار الساعة - بغداد - العراق - 1974 م .
- 4 - ديوان (مملكة العاشق) - طبعة دار الشؤون الثقافية - بغداد - العراق - 1980 م .
- 5 - ديوان (أغنيات للأميرة النائمة) - طبعة دار الشؤون الثقافية - بغداد - العراق - 1990 م .
- 6 - ديوان (سنابل بابل) - طبعة دار الشروق - عمان - رام الله - 1997 م .

المحتوى

الموضوع	الصفحة
أ - أول الغيث	٥
ب - الكشاف المفصل - الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب	٧
مقدمة الكتاب (سنا بل بين يدي الكتاب)	٢١
الأطروحة الأولى	
مهاده وإضاءات	
٣٣	٣٣
٣٣	٣٣
٦٢	٦٢
٧٢	٧٢
١٠١	١٠١
١١٣	١١٣
١٢٢	١٢٢
الأطروحة الثانية	
الشعر الجاهلي	
١٣١	١٣١
١٣٣	١٣٣
١٤٩	١٤٩
١٦٢	١٦٢
١٦٣	١٦٣

١٦٤.....	رواة الشعر.....
١٦٥.....	رواة القبيلة.....
١٦٦.....	الرواة العلماء.....
١٦٧.....	الرواة الوضاعون.....

الفصل الثالث - نظرية الشك بالشعر الجاهلي (آراء القدامى والمستشرقين

١٧٠.....	والحديثين)، نظرية قبالة نظرية (محاورة منطق الشك).....
١٧٩.....	أدلة أصحاب نظرية الشك.....
١٨٢.....	نقيض نظرية الشك.....
١٨٧.....	الفصل الرابع - شياطين الشعراء.....
١٩٨.....	الفصل الخامس - المعلقات وشعراؤها.....
١٩٨.....	المعلقات الست.....
١٩٩.....	المعلقات السبع.....
٢٠٠.....	المعلقات الثمان.....
٢٠٠.....	المعلقات التسع.....
٢٠٠.....	المعلقات العشر.....
٢٠٣.....	تقويم المعلقات.....
٢٠٨.....	المعلقات بين دلالي اللغة والاصطلاح.....
٢١٤.....	المعلقات: تراجم ومختارات.....
٢١٧.....	1- امرؤ القيس.....
٢٢٤.....	2- طرفة بن العبد.....
٢٣٢.....	3- زهير بن أبي سلمى.....
٢٤٢.....	4- ليبد بن ربيعة العامري.....

٢١١	5-عنتره العسي
٢٨١	6-عمرو بن كلثوم
٢٩٥	7-الحارث بن حلزة الشكري
٣٠٩	8-ميمون بن قيس البكري (الأعشى الكبير)
٣٢٣	9-النابغة الذبياني
٣٤١	10-عبيد بن الأبرص
٣٥١	الفصل السادس - الفروسية وشعراؤها
٣٦٠	التماهي بين الفروسية والفتوة
٣٧٥	خصائص شعر الفروسية
٣٧٨	الفصل السابع - الصعلكة وشعراؤها
٣٩٧	خصائص شعر الصعاليك
٣٩٩	الفصل الثامن - موضوعات الشعر الجاهلي
٤٠٢	1-الغزل
٤٠٧	2-المديح
٤١٤	3-الارتزاق
٤١١	4-الرثاء
٤١٤	5-الاعتذار
٤١٧	6-الهجاء
٤٢٠	7-الفخر
٤٢٣	8-التوثيب
٤٢٨	9-السلام
٤٢٩	10-الحكمة

- 11-الدين ٤٣٦
 12-الوصف ٤٤٣
 الفصل التاسع - خصائص الشعر الجاهلي ٤٥٠

الأطروحة الثالثة

النثر الفني الجاهلي

- ٤٧٩
 مقدمة (مأزق الخطاب النثري والفني القبلامي) ٤٨١
 تمهيد (أوراق النثر الفني) ٤٩١
 1-الخطابة ٤٩٧
 خطباء العرب ٤٩٩
 أ - قس بن ساعدة الإيادي ٤٩٩
 خطبة قس ٥٠٠
 ب - خطبة النعمان بن المنذر في بلاط كسرى ٥٠١
 أغراض الخطبة الجاهلية ومساحتها ٥٠٢
 2-الأمثال ٥٠٤
 أمثلة جاهلية ٥٠٩
 3-سجع الكهان ٥١٠
 4-المنافرة ٥١٤
 5-الحكاية ٥٢٦
 - حكايات جاهلية ٥٣٠
 6-الوصايا ٥٣٦
 7- المعاهدات والأحلاف ٥٣٩
 8- الرسائل ٥٣٩
 9- الوصف ٥٤١

- ٥٤٤..... خصائص النثر الفني الجاهلي
- ٥٤٧..... مصادر الأدب الجاهلي ومراجعته
- ٥٤٧..... أولاً - مصادر الأدب الجاهلي ومراجعته (تأصيل وإضاءات)
- ٥٥٣..... ثانياً - جريدة المصادر والمراجع (إشارات)
- ٥٥٥..... ثالثاً - جريدة المصادر والمراجع (المظان)
- ٥٧٥..... الدكتور عبد الإله الصائغ - المؤلفات المطبوعة
- ٥٧٥..... كتب تحليل النص (نقد وبلاغة)
- ٥٧٥..... الكتب الإبداعية

